

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3

كلية العلوم السياسية

قسم العلاقات الدولية

أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم السياسية

الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز بعد الحرب الباردة.

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

رياض بوريش

إعداد الطالب:

نوفل لعمارة

لجنة المناقشة:

رئيسا.	جامعة قسنطينة 3	الأستاذ الدكتور عبد الكريم كيبش
مشرفا.	جامعة قسنطينة 3	الأستاذ الدكتور رياض بوريش
عضوا مناقشا.	جامعة عنابة	الأستاذ الدكتور ناجي عبد النور
عضوا مناقشا.	جامعة قسنطينة 3	الدكتور رياض حمدوش
عضوا مناقشا.	جامعة الجزائر 3	الدكتور توفيق بوقاعدة
عضوا مناقشا.	جامعة قسنطينة 3	الدكتورة مليكة فريمش

السنة الجامعية 2016-2017

المخلص

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية برزت على مسرح الأحداث العالمي و أصبح لها حضورها في العقدين الأخيرين وهي الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز, حيث بدأت الدراسة بمحاولة تقديم إطار مفاهيمي نظري عام لظاهرة الصراع الدولي ومن ثمة الانتقال به إلى دراسة الصراع الروسي الأمريكي بصفة خاصة مع إعطاءها بعدا للمقارنة عبر التاريخ, أي أثناء و بعد الحرب الباردة, وما نتج عن نهاية الحرب الباردة من تحولات مست النظام الدولي على المستوى البنيوي و القيمي.

لقد كان من بين ابرز ما نتج عن تفكك الاتحاد السوفيتي بروز منطقة جنوب القوقاز المتكونة من أذربيجان, أرمينيا و جورجيا. و رافق هذا البروز تنامي الأهمية الإستراتيجية لهذه المنطقة من خلال الاستكشافات النفطية في حوض قزوین و محيطه مما زاد من الاهتمام الدولي بها, سواء على المستوى الإقليمي (روسيا, تركيا و إيران), أو الدولي (الولايات المتحدة الأمريكية, الاتحاد الأوروبي و الصين), و ذلك من خلال التنافس على استغلال ثرواتها بما يخدم مصالح القوى الكبرى وفق أجندات محددة خاصة في مجال نقل الطاقة و اشتعال حرب خطوط الأنابيب.

إن ما يعطي منطقة جنوب القوقاز أهميتها الإستراتيجية هو التنافس بين كل من روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية على مناطق النفوذ هناك بصفتها لاعبين أساسيين فيما أطلق عليه اللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز. أين اتسم هذا التنافس بصفة التصارع الذي ازدادت حدته مع تزايد أهمية المنطقة جيوسراتيجيا خاصة بعد العودة الروسية إلى الساحة السياسية العالمية ووقوفها في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال استثمار انتصارها في حربها ضد جورجيا عام 2008.

Abstract:

This study is targeting to shed light on a cause which has shown up on the event world scene; it becomes really present in the last two decades. It the Russian-American conflict in the Transcaucasian Region. The present study starts in an attempt to give a general theoretical notional framework of the phenomenon of the international conflict, then we move to study of the Russian-American conflict specifically giving a historical overview, i.e. during and after the Cold War, and the changes which are resulted from the end of it, both in constitution and values.

The dissociation of the Soviet Union has resulted in the emergence of Transcaucasia which is composed of Azerbaijan, Armenia and Georgia. This emergence has been accompanied by the growing strategic importance of the so-called region throughout the oil discovery in Caspian Basin and its surrounding, something which has risen the international interest about it, both regionally (Russia, Turk, Iran) or internationally (United States, European Union, China). They are competing on the exploitation of its resources according to what serves the interests of the Great Forces, and according to defined agendas in the transportation of Energy; they cause the war of Pipe Lines.

What really makes the importance of the Transcaucasian Region is the competition between Russia and United States on the spheres of influence; they are considered as the Biggest Players in what is called the second Great Game in Transcaucasia. This competition has become a conflict of a growing importance as it grows in geostrategic especially after the return of Russia to the political scene of the world; in fact, Russia has become a powerful rival of the United States in this region. It makes use of it victory in the War against Georgia in 2008.

Résumé

Cette étude vise à mettre la lumière sur une cause qui s'est émergée sur la scène des événements mondiale qui tant médiatisée au cours des deux dernières décennies. C'est le conflit russo-américain dans la Transcaucasie. La présente étude commence par une tentative de donner un cadre théorique du phénomène du conflit international, puis nous passons à l'étude du conflit russe-américain en donnant spécifiquement un aperçu historique, c'est-à-dire pendant et après la guerre froide, et les changements qui résultent de la fin de celle-ci, à la fois dans la composition de cette région ainsi qu'aux valeurs y afférent.

La dissociation de l'Union soviétique a entraîné l'émergence de la Transcaucasie comme composée de l'Azerbaïdjan, l'Arménie et la Géorgie. Cette émergence a fait en sorte d'augmenter l'importance stratégique de la dite région notamment après la découverte du pétrole dans le bassin Caspien et ses environs, ce qui a suscité l'intérêt international, tant au niveau régional (Russie, Turc, Iran) que sur le plan international (États-Unis, Union européenne, Chine). Ils rivalisent sur l'exploitation de ses ressources selon ce qui sert les intérêts des grandes forces et selon des agendas définis dans le transport de l'énergie. Ils provoquent alors la guerre de Pipelines.

Ce qui fait vraiment l'importance de la Transcaucasie est la concurrence entre la Russie et les États-Unis sur les sphères d'influence; Ils sont considérés comme les plus grands joueurs dans ce qui est appelé le grand jeu en Caucase. Cette compétition est devenue un conflit d'une importance croissante car elle se développe en géostratégique surtout après le retour de la Russie sur la scène politique du monde; En fait, la Russie est devenue un rival puissant des États-Unis dans cette région. Il fait usage de sa victoire dans la guerre contre la Géorgie en 2008.

تشكر

أسمى عبارات الشكر و التقدير للأستاذ الدكتور رياض بوريش،
الذي شرفنا بإشرافه على هذا العمل، حيث رافقتنا توجيهاته القيمة و آراءه
السديدة، و راق لنا صبره و تفهمه...

ولا يفوتنا تثنين و تقدير التوجيهات و الجهود التي تسهم في إنارة
العقول، التي بذلها و يبذلها الأساتذة المحترمون في كل جامعات الوطن.
الشكر الخالص لكل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو من
بعيد، سواء مساهمة مادية أو معنوية من أساتذة و زملاء.

إهداء

إلى والدي ووالدي الكريمن ... خالصا

إلى زوجتي و ابنتي ... حبا

إلى كل أفراد عائلتي فردا فردا ... استحقاقا

إلى كل مخلص في عمله ... عطاءا و تشجيعا

مقدمة

مقدمة:

لم تكن الحرب الروسية الجورجية الأخيرة التي اندلعت في الثامن من أوت 2008، سوى قمة صغيرة بارزة لجبل جليدي ضخم مغمور، يسمى أو يطلق عليه اسم التنافس الروسي الأمريكي في القوقاز. فهذه الحرب، تعكس بوضوح حجم و حدة الصراع الدولي في هذه المنطقة من العالم، التي تربط قارتي أوروبا و آسيا، و تحتوي أراضيها على ثروات طبيعية هائلة، خاصة مصادر الطاقة من النفط و الغاز في بحر قزوين. حيث سبق و أن أطلق الخبير السياسي الأمريكي المعروف زينغيو بريجينسكي على هذه المنطقة اسم بلقان أوراسيا. و تدل هذه التسمية على الدور المحوري الذي تلعبه القوقاز و جنوب القوقاز في السيطرة على أوراسيا. بل أكثر من ذلك، فهو يراها في كتابه الشهير، رقعة الشطرنج الكبرى، بمثابة مركز الهيمنة العالمية. مثلما اعتبرها أيضا من قبله هالفورد ماكندر، بقلب العالم.

تعتبر منطقة جنوب القوقاز من المناطق الجيوبوليتيكية التي تحدد ميزان القوى على الصعيد العالمي، فلطالما كانت محورا رئيسيا لأحداث المهمة عبر جميع المراحل التاريخية، و هدفا توسعيا لكل إمبراطورية صاعدة في التاريخ القديم، فقد خضعت للسيطرة الرومانية إلى غاية القرن السابع ميلادي، عندما فتحتها الجيوش الإسلامية، و أصبحت تتبع الدول المتعاقبة في العصور الإسلامية، ثم خضعت لحكم المغول منذ بداية القرن الثالث عشر ميلادي، و في الفترة من القرن الخامس عشر إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلاديين خضعت لتأثير و نفوذ مملكتي إيران و القرم، ثم غزتها روسيا القيصرية عام 1878م، لتصبح جزءا من الاتحاد السوفييتي عند قيام الثورة البلشفية في عام 1917م. و بنفس السياق التاريخي عادت المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991، ساحة متميزة للتنافس الدولي من جديد خاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأقوى في هذا العصر، و بين روسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفييتي التي تحاول استعادة مكانتها و أمجادها.

لقد أثيرت قضية أمن القوقاز - آسيا الوسطى، على هامش اجتماعات قمة عشق آباد، عاصمة تركمنستان-، في أواخر ماي 2001م، و التي انعقدت لتسوية تقاسم الثروات القزوينية و انتهت بالفشل. و جدير بالذكر، أن هذه القضية مطروحة منذ تفكك الاتحاد السوفيتي، و لكنها فرضت نفسها بالحاح إثر تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م.

هذا، وقد تنامي الاهتمام الدولي بإقليم القوقاز الجيوستراتيجي لا سيما جنوبه المكون من أرمينيا، أذربيجان و جورجيا، منذ منتصف تسعينات القرن الماضي، نتيجة تكون علاقات شراكة بين الدول القوقازية الثلاث و شركات النفط العالمية. و في ظل النظام العالمي الجديد أصبح إقليم جنوب القوقاز ذا أهمية

جيوستراتيجية و جيوستراتيجية، نظرا لاحتمالية أن يكون مستودعا نفطيا في المستقبل القريب. و عليه، تغدو قضية أمن و استقرار هذا الإقليم من أولويات القوى الفاعلة في المنطقة عالمية كانت أم إقليمية. إلا انه لكل واحد من هاته القوى نظرتة الخاصة وفق طموحاته و استراتيجياته على أساس علاقات التعاون و التحالف. خاصة، مع تضارب المصالح بين اكبر لاعبين دوليين في هذا الإقليم، و المتمثلين في كل من روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية.

مع انتهاء الحرب الباردة و انهيار الاتحاد السوفيتي، حصل خلل خطير في نظام الثنائية القطبية الذي حكم الصراع العالمي، فتضععت روسيا و تراجع نفوذها عالميا، و انحسرت مواقعها وقدراتها على التأثير في منطقة آسيا الوسطى و القوقاز، و صار همها الكفاح من أجل الحفاظ على ما تبقى لها من قواعد هناك. لذا، وعلى الرغم من الأهمية القصوى التي ينطوي عليها نفط حوض قزوين و ثروات المناطق المحاذية لها، من الناحية الاقتصادية، فإن صراعها من أجل البقاء كلاعب أساسي في مجال إنتاج النفط و نقله، لا يشكل إلى جانبها من المهمة الجيوستراتيجية الأشمل، التي واجهت السياسة الروسية، و التي تمثلت في العمل على استعادة هذا البلد لقوته و نفوذه في المجال السوفيتي السابق، و ترميم موقعه على الصعيد الدولي، و هي مهمة لقيت بالغ الصعوبة. خصوصا في ظل الترددي الذي أصاب الوضع الداخلي لروسيا (الاقتصادي، السياسي و قوتها العسكرية)، و موقعها على الصعيد الدولي. و في ظل كل ذلك، أعلنت موسكو أن جنوب القوقاز يمثل أحد أهم المراكز المحركة للسياسة الروسية في حفظ جوارها القريب. خاصة مع انتعاش الدور السياسي الروسي بقيادة الرئيس فلاديمير بوتين و مساهمة ارتفاع أسعار البترول في تعافي الاقتصاد. مما أسهم بشكل واضح في رسم معالم التحرك الروسي دوليا و إقليميا.

أما فيما يخص الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت أحداث 11 سبتمبر 2001 الفرصة المواتية لإدارتها من اجل تنفيذ إستراتيجيتها، و طموحاتها في المنطقة. و التي كانت قد أعلنتها في التسعينات من القرن الماضي، منطقة مصالح حيوية. و قد ركزت هذه الإستراتيجية على إعادة رسم الخارطة الجيوستراتيجية على نحو يخدم تلك المصالح، و المتمثلة أساسا في الحد من تطلعات اللاعبين الكبار في المنطقة (روسيا، إيران و الصين)، و تدعيم مركز حليفاتها تركيا، و محاولة الحصول على أكبر حصة من الثروات الطبيعية التي تزرع بها آسيا الوسطى - القوقاز. لكن إستراتيجيتها هذه اصطدمت بالإستراتيجية الروسية، التي ترى المنطقة فناء خلفيا طبيعيا لها. و هكذا، اندلع تنافس حاد ما بين القوتين لكل منهما حلفائه و شركاءه شكلوا أطرافا لما أطلق عليه اسم اللعبة الكبرى الثانية في القوقاز، التي انجرفت في عديد المرات إلى حد الصراع الدامي.

الإشكالية:

تمثل ظاهرة الصراع جوهر السياسة الدولية، حيث ينشا نتيجة التنافس بين الدول من اجل بسط السيطرة و النفوذ في المناطق التي تؤثر على استراتيجيات كل منها في مواجهة الأخرى، كما يشتد الصراع أو تخف حدته تبعا لأهمية المنطقة محل الصراع. و لقد أضحت منطقة جنوب القوقاز مسرحا للتنافس بين مختلف الدول بشكل عام، و مسرحا للصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا على وجه التحديد. ناهيك عن حدوث صراعات بين دول المنطقة نفسها من اجل السيطرة على الثروات و استغلال طابعها الجغرافي و الاستراتيجي الهام. خاصة، منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، و تحديدا منذ نهاية الحرب الباردة.

كل هذه المعطيات التي تم عرضها تقودنا إلى طرح الإشكالية الرئيسة التالية:

إلى أي مدى ساهمت الأهمية الجيوستراتيجية المتصاعدة لمنطقة جنوب القوقاز بعد نهاية الحرب الباردة في رسم معالم الصراع الروسي الأمريكي حولها؟ و ما تأثير هذا الصراع في أمن واستقرار المنطقة؟
التساؤلات الفرعية:

إن الإشكالية الرئيسة تقودنا إلى جملة من التساؤلات الفرعية الآتية:

- كيف أسهمت إفراغات نهاية الحرب الباردة في بروز منطقة جنوب القوقاز على الساحة الدولية؟
- ما هي ملامح الاهتمام الدولي بمنطقة جنوب القوقاز؟
- هل كان لتضارب المصالح الروسية و الأمريكية في المنطقة دور في توجيه استراتيجيات الطرفين؟
- ما هي الانعكاسات المحلية، الإقليمية و الدولية لهذا الصراع على مصالح مختلف الأطراف؟
- ما هي السيناريوهات المستقبلية المحتملة لهذا الصراع في ظل المتغيرات الراهنة؟

فرضيات الدراسة:

للإجابة على الإشكالية المطروحة و كذا مختلف التساؤلات تم اعتماد الفرضيات التالية:

الفرضية الرئيسية:

كان لأهمية الجيوستراتيجية المتصاعدة لمنطقة جنوب القوقاز دورا فاعلا في إعطاء التنافس الروسي الأمريكي في المنطقة بعده التصارعي.

الفرضيات الفرعية:

- لعبت أهمية ثروات بحر قزوين و طرق نقلها دورا كبيرا في زيادة أهمية جنوب القوقاز جيوسراتيجيا و بالتالي تزايد المطامع الدولية حولها.
- أدت المصالح المتضاربة بين مختلف اللاعبين المحليين, الإقليميين و الدوليين إلى تصارع في السياسات و الاستراتيجيات تجاه منطقة جنوب القوقاز, خاصة بين روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية.
- كان للصراع الروسي الأمريكي في المنطقة في إطار ما يسمى اللعبة الكبرى الثانية انعكاسات مباشرة على المستوى المحلي, الإقليمي و الدولي.
- ساهمت العودة القوية لروسيا كلاعب فاعل في الساحة الدولية في تعقيد السيناريوهات المستقبلية الممكنة خاصة في رسم السياسات و بناء التحالفات.

مبررات اختيار الموضوع

إن الموضوع محل البحث يحتاج إلى جهد كبير ودراسة عميقة ومنهجية دقيقة، تجعلنا نفهم واقع وطبيعة ما يحدث من تنافس و تصارع في جنوب القوقاز خاصة مع ما تبديه القوى العظمى من اهتمام بالغ بهذه المنطقة. و انطلاقا من هذا، فقد تنوعت المبررات و الدوافع لمعالجة الموضوع:

-المبررات الذاتية:

إن من واجب كل إنسان أن يولي اهتمامه بالبحث العلمي، ومن ثم، فإن الدافع الذاتي لمعالجة هذا الموضوع هو الرغبة في استكشاف منطقة لا يزال يسودها الغموض، وهي جنوب القوقاز، والتي تمثل جزء لا يتجزأ من آسيا. و استطاعت أن تستقطب اهتمام العالم بها إلى درجة التصارع حولها و حول ثرواتها. خاصة مع انتقال الاهتمام العالمي نحو الشرق، و بروز بوادر تشكل منطقة تنافس جديد هناك، بالإضافة إلى الرغبة الشخصية لي بالتخصص في دراسة علم الجغرافيا السياسية ككل و الجغرافية السياسية لمنطقة جنوب القوقاز خاصة. و كيف تلعب العوامل الجغرافية دورا في تأجيج الصراع الدولي عبر العالم.

-المبررات الموضوعية:

إن اختيار هذا الموضوع لا يتوقف فقط على إنجاز هذا البحث من أجل الوصف، و إنما أملا منا في أن يكون هذا العمل ذو قيمة علمية أكاديمية، نتوصل من خلاله إلى نتائج موضوعية جديدة. و تدعيما للمكتبة العربية بمرجع جديد يغطي النقص الموجود في معالجة هذا الموضوع باللغة العربية، و هذا ما يجعل البحث لا يقل أهمية عن باقي البحوث العلمية الأخرى. كما انه يأتي استكمالا لمذكرة الماجستير الخاصة بي و الموسومة بالأهمية الجيوسراتيجية لمنطقة جنوب القوقاز و تأثيرها على امن و استقرار دول المنطقة.

أهداف الدراسة:

نظرا للأهمية البالغة للموضوع محل البحث فقد اختلفت الأهداف التي حفزتنا لإنجاز هذه الدراسة و نذكر منها:

- **هدف علمي:** نسعى من خلاله إلى دراسة موضوع الصراع الروسي الأمريكي حول منطقة جنوب القوقاز ذات الأهمية الجيوستراتيجية, و مدى تأثير ذلك على أمن واستقرار المنطقة دراسة علمية، من خلال استكشاف و معرفة الحقائق على أحسن وجه. و تركز هذه الدراسة على استخدام مختلف المناهج العلمية و النظرية، و ذلك قصد فهم و استيعاب حيثيات الموضوع و الخروج بنتائج موضوعية تسهم في إثراء المناقشات العلمية حول هذه المنطقة، و تكون محطة لفتح آفاق جديدة للدراسة و البحث في إطار بحوث مستقبلية مكملة.

- **هدف عملي:** يتجلى أساسا في التوصل لعمل علمي أكاديمي يبرز طبيعة المشكلات الأمنية المعقدة في جنوب القوقاز و التي تسير جنبا إلى جنب مع النمو المتزايد لأهمية المنطقة على المستوى العالمي، مع التركيز على سياسات و استراتيجيات أهم لاعبين في الساحة العالمية و هما الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا و كيف كان تعامل كل منهما مع التحديات التي يفرضها الطرف الآخر في المنطقة. ومحاولة الوصول إلى نتائج مقبولة تقدم حولا مناسبة تفيد كل مهتم بهذا الموضوع، خاصة صناع القرار والفاعلين هناك لإدراك الواقع من أجل تجاوز العقبات , فضح التآمرات و رسم السياسات.

حدود الإشكالية:

المجال الزمني: سنحاول دراسة الإشكالية المختارة في إطار زمني يمتد منذ انهيار الاتحاد السوفيتي و قيام الدول المستقلة في جنوب القوقاز في 1991م، إلى غاية نهاية عام 2016.

المجال المكاني: سنركز الدراسة على منطقة جنوب القوقاز المتكون من أذربيجان، أرمينيا، جورجيا.

المجال الموضوعي: سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نتوصل إلى توليفة تفسر لنا العلاقة ما بين الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة جنوب القوقاز و احتدام الصراع الدولي حولها خاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا، و تأثير هذا الصراع على هذه الأهمية .

أدبيات الدراسة:

تعرف الدراسات العلمية عامة و السياسية بصفة خاصة عدد هائل من الدراسات في شتى المواضيع، و من زوايا عدة، أين لكل باحث منظورة الخاص حسب اتجاهه الفكري و طبيعة الموضوع الذي اختاره، مما أدى إلى إثراء الساحة السياسية بكم معرفي هائل، و من أولى واجبات الباحث أن يقدم على البحث في

مواضيع جديدة لم يتم التطرق إليها من قبل، قصد الوصول إلى أصالة البحث العلمي، و فتح الباب لدراسات مستقبلية.

انطلاقاً من هذا، قمنا بمسح معرفي لمختلف المراجع و المواضيع الخاصة بمنطقة جنوب القوقاز و الصراع الروسي الأمريكي حولها، لكن الملاحظ هو النقص الواضح في الكتب الأكاديمية العربية التي تعالج هذا الموضوع، باستثناء المقالات المنشورة في المجالات العلمية و التي كانت على كثرتها و تنوعها في الكثير من الأحيان تعكس وجهة نظر المؤلف مما صعب علينا عملية الفرز و الانتقاء. أما الكتابات الانجليزية رغم الصعوبات التي اعترضنا في عملية الترجمة إلا أنها انفردت بالموضوع من كتب و مقالات و تقارير كل حسب نظرتة واتجاهه في الدراسة.

لتبقى السمة المميزة لمختلف هاته الكتابات سواء باللغة العربية أو الأجنبية أنها كانت كتابات متقطعة أي أنها تكثر و تنتشر حسب الأحداث الدائرة في منطقة جنوب القوقاز و ما حولها فنجد أنها كانت كثيرة في مرحلة منتصف التسعينات أين سادت الحروب الاثنية بين دول المنطقة لتختفي و تعود للظهور من جديد بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 و التوجه الأمريكي نحو أفغانستان بصفة خاصة و منطقة آسيا الوسطى-جنوب القوقاز بصفة عامة، ثم تعاود الكثرة و التنوع من جديد بعد الحرب الروسية الجورجية في 2008.

من بين الدراسات المهمة التي تناولت الموضوع نذكر:

- كتاب الأستاذ Bruno COPPIETERS بعنوان **حدود متنازع عليها في القوقاز: "Contested Borders In The Caucasus"**، الصادر عام 1996 عن جامعة بروكسل، والذي هو عبارة عن جمع وتحليل عدة مساهمات لأساتذة كبار، حيث استعرض مختلف ما تعانیه منطقة جنوب القوقاز من مشكلات أمنية و لا استقرار بسبب أهميتها البالغة بعد الاستكشافات النفطية في بحر قزوين و تحرك الأطماع الدولية حولها خاصة دول الجوار الإقليمي، من خلال استخدام نظرية الأمن المركب لباري بازان. و هو ما استفدنا منه جدا في دراستنا خاصة مرحلة ما قبل 1996. إلا أننا لم نتوقف عند هذه المرحلة بل قمنا بإسقاط نتائج الدراسة على المرحلة اللاحقة.

- كتاب الأستاذ Dieter DETTKE: **"العبة كبرى لا أكثر: النفط، الغاز و الاستقرار في منطقة بحر قزوين"**، الصادر عام 1999م، بواشنطن عن Friedrich Ebert Foundation، وهو عبارة عن مجموعة مساهمات أيضا لأساتذة من جامعات أوروبية و أمريكية استعرضوا فيه علاقة الأمن بالطاقة في

منطقة قزوين بصفة عامة أي أنها اشمل من دراستنا حيث ركزنا نحن على منطقة جنوب القوقاز بصفة خاصة. كما أنها ركزت على دور مختلف اللاعبين الدوليين و الإقليميين ككل هناك في حين قمنا بالتركيز على أهم لاعبين وهما روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد 1999. اين كان لتسارع الأحداث و تشابكها بعد تفجيرات 2001 دور كبير في تغير خارطة التحالفات و ادوار كل اللاعبين و هو ما سنستعرضه في دراستنا.

• كتاب: " بحر قزوين، منطقة المستقبل" الصادر عام 2005، عن نفس الدار . وهو عبارة عن ملحق تابع للكتاب السابق، اهتم بتبيان المصالح والسياسات الألمانية والأوربية في جنوب القوقاز، وآسيا الوسطى من خلال التركيز على سياسات و مشاريع بناء البنية التحتية لمختلف دول المنطقة لكنه تجاهل ما يدور هناك من صراع مصالح خاصة بين روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية. و هو ما ركزنا عليه نحن. أما بخصوص المساهمات باللغة العربية، فقد كانت جد محتشمة إلا أننا استخدمنا البعض منها في الدراسة سواء كانت لمؤلفين عرب أو تلك المترجمة عن لغات أخرى مثل:

• كتاب الأستاذين جون بيليس و ستيفن سميث: " عولمة السياسة العالمية", الصادر عن مركز الخليج للأبحاث, عام 2004, أين استفدنا منه جد الاستفادة في الدراسة النظرية للسياسة الدولية في إطار مرحلة الأحادية القطبية التي انفردت بها الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة العالم و أهم ما ميز النظام الدولي الجديد, إلا أن هاته الدراسة لم تمس بالتفصيل منطقة جنوب القوقاز و لا حتى الصراع الروسي الأمريكي هناك. لكننا حاولنا قدر الإمكان إسقاط ما تم تقديمه فيها على دراستنا.

• كتاب الأستاذ خالد المعيني بعنوان: "الصراع الدولي بعد الحرب الباردة", الصادر عن دار كيوان عام 2009, أين قام باستعراض لأهم مظاهر الصراع الدولي قبل وبعد نهاية الحرب الباردة و هو ما استفدنا منه كثيرا خاصة في الجانب المفاهيمي لظاهرة الصراع الدولي. و بالطبع، فان ما تم استعراضه لم يتحدث بالتفصيل عن منطقة جنوب القوقاز كما تحدثنا نحن بل كان في إطاره العام.

• كتاب الأستاذ مايكل كليبر, "الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية", المترجم من طر الأستاذ عدنان عام 2002. أين استعرض أهمية الموارد في رسم السياسات الدولية و خاصة النفط و تأثيره في قيام الحروب , حيث قام بدراسة العديد من الأمثلة و من بينها الحروب القائمة في منطقة جنوب القوقاز. ولكن الدراسة لم تتعرض للصراع الروسي الأمريكي بصفة خاصة مثلما فعلنا و إنما ركزت على دور المصالح الدرغماتية الخاصة.

• كتاب الأستاذ الكسندر دوغين بعنوان "أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي", المترجم من طرف الأستاذ عماد حاتم، عن دار الكتاب الجديد المتحدة عام 2004. حيث عرض الكتاب

الإطار النظري لعلم الجغرافيا السياسية و كيف يمكن استغلال موقع روسيا الجيوبوليتيكي في رسم سياستها الخارجية خاصة في مواجهة الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. فالكتاب استطاع تقديم وجهة نظر جديدة بعيدا عن وجهات النظر السائدة التي تكتسي الصبغة الأمريكية مما ساعدنا في عرض جميع وجهات النظر للصراع الروسي الأمريكي. إلا أن كون الكاتب هو مستشار للرئيس الروسي يجعله لا يتسم بالموضوعية في كثير من آراءه لذا قمنا بتقديم أفكاره وفق دراسة نقدية مقارنة.

الإطار النظري:

في إطار هذه الدراسة تم اعتماد إطار نظري مركب من عدة نظريات:

1 - النظرية الواقعية الجديدة:

تقوم على المنهج البنيوي الذي طوره كينيث والتز، من خلال المطالبة ببناء نظرية متكاملة في العلاقات الدولية، تكون قادرة على استيعاب تفسيرات جديدة للظواهر الدولية المتنامية بشكل نسقي موحد، بعيدا عن التفسيرات المتجزئة للأحداث السياسية. بخلاف ما تنادي به واقعية هانز مورغانتو، مع تأكيدها على أنه لا يمكن تفسير حركة الدول بمعزل عن شكل النظام الدولي و حركة قوانينه. فمفهوم البنيوية الدولية يتأسس على حقيقة أن وحدات النظام الدولي تصطف جنبا إلى جنب بصورة مختلفة و جميعهم يتصرفون باختلاف، و بالتالي فانفعالاتهم السياسية هي التي تنتج مخرجات متباينة، و البنية الدولية تتنوع بناء على عدد القوى العظمى. و عندما يتغير عدد الدول العظمى فان حسابات و سلوك و المخرجات السياسية الدولية التي تتمخض عن هذا التغير تتبدل. و تنادي هذه النظرية بفكرة الاعتماد المتبادل لأنها الآلية الأفضل لعدم الاتجاه نحو استخدام القوة العسكرية لتسوية الخلافات نظرا لوجود مصالح متبادلة تتعرض للخطر في حالة استخدام القوة. و لعل هذا ما يفسر لنا عدم انجراف كل من الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا إلى المواجهة العسكرية المباشرة لغاية اليوم في منطقة جنوب القوقاز.

2 - النظرية الجيوبوليتيكية:

تتجه في مجملها إلى أن البيئة و خاصة الجغرافيا، تعتبر متغيرا يحتم أو على الأقل يكيف السلوك السياسي، خاصة إذا ما كانت تتسم هذه المنطقة بأهميتها الجيوستراتيجية و الجيوسياسية مثل منطقة جنوب القوقاز و التي تمثل جزء مما اعتبره ماكيندر قلب العالم: "...إن من يسيطر على منطقة أوربا الشرقية

يسيطر على قلب العالم و من يسيطر على قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم (أوراسيا)، و من يتحكم في جزيرة العالم يتحكم في العالم...¹.

إذا، فموقع هذه المنطقة الجغرافي و ما يميزها من ثروات هو الذي يحدد السياسات العامة لدول المنطقة فيما بينها ويحدد سياسة القوى المحيطة اتجاهها. وهو السبب المحدد لصيرورة الصراع حولها.

3 - نظرية اللعب:

تعرف نظرية اللعب على أنها طريقة لدراسة صناعة القرار في حالات الصراع، فهي معنية بأوضاع يكون السلوك الأفضل لكل طرف معتمدا على قدرته على توقع ما سيفعله الطرف الآخر، فنظرية اللعب تشبه نظاما له مدخلاته، مخرجاته، وظائفه و تفاعلاته، التي هي التصارع الاستراتيجي². و هذا ما يمكن إسقاطه على: النزاعات العرقية على جنوب القوقاز وتضارب المصالح الإقليمية حولها، و كذا صراع الاستراتيجيات الأميركية والروسية حول المنطقة، سواء وفق لعبة صفرية أو غير صفرية، خاصة مع تعقد التفاعل وفق الازدياد الطردي في عدد اللاعبين مما يؤدي إلى تشكيل التحالفات، إذ عندما تكون اللعبة فيها أكثر من لاعبين أو ثلاثة فمن الطبيعي أن يتحالف البعض ضد البعض الآخر، بهدف ضمان الأمن، و تحقيق الحد الأقصى من المكاسب. و هو ما حصل بتكون تحالفين استراتيجيين في منطقة جنوب القوقاز: الولايات المتحدة الأمريكية، أذربيجان، جورجيا و تركيا في مقابل روسيا، إيران و أرمينيا.

الإطار المنهجي:

يعد موضوع المناهج العلمية من الموضوعات الجوهرية في القيام بالدراسات و إعداد البحوث، و تطبيق نتائجها في مجال العلوم الإنسانية و الطبيعية على حد سواء. و ينظر للمنهج العلمي على أنه الأساس السليم للحصول على بيانات و معلومات دقيقة، و التوصل إلى نتائج موثوق فيها، و وضع توصيات قابلة للتطبيق و لأهمية المنهج العلمي فقد ظهر علم مستقل يتناول دراسة المنهج و المنهجية.

من المتعارف عليه أن العلم لا يكون علما إلا بوضوح المنهج الذي يعتمد عليه في التوصل إلى نتائج و صياغة الحقائق و المبادئ التي تكون هذا العلم و تميزه عن العلوم الأخرى، و عادة ما يعتمد الباحث على أكثر من منهج بحثي حسب ما تقتضيه الضرورة البحثية. فالمنهج هو الطريق الواضح البين

¹- جيمس دوروتي، روبرت بالتسغراف، "النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية". ترجمة: وليد عبد الحي، بيروت: كاظمة للدراسات والنشر والتوزيع، 1985، ص. 48.

²- نفس المرجع السابق، ص. 337.

المستقيم المنبسط، و هو الأسلوب أو الطريقة التي يعتمد عليها الباحث³. و قد استخدمنا في دراستنا هاته مجموعة من المناهج هي:

المنهج التاريخي: يستخدم من طرف الباحث للبحث في أحداث الماضي، و نظرا لاحتوائه على جمع منهجي يتم فيه النقد لمصادر التاريخ و كل الظواهر و الأحداث التي مضى عليها زمن طويل أو قصير⁴، فهو مرتبط بدراسة الماضي و أحداثه، كما يدرس التغيرات الطارئة. و ليس الغرض منه فهم الماضي فقط و لكن الوقوف على أحداث الماضي و الاستفادة منها لفهم الحاضر و التخطيط للمستقبل، حتى يتمكن الفرد من تطوير أساليب حياته، كما يختص بإدخال الظروف المحيطة بميلاد الظاهرة أو تعزيزها أو ضعفها أو اختفائها⁵.

فكل هذه الخصائص تفيدنا بشكل كبير في دراسة موضوع بحثنا من أجل الإحاطة بكل جوانب التطورات التاريخية التي لحقت بمنطقة جنوب القوقاز و التي تلقي بظلالها على واقع المنطقة و حتى مستقبلها. و كذا بتطورات الصراع الروسي الأمريكي الذي يستلهم حضوره من تاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين خاصة في فترة الحرب الباردة بينهم، ليتأكد فيما بعد أن الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا في جنوب القوقاز، لا يخرج عن كونه جزء من الصراع العام بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا في العالم، من أجل تأكيد فرض الهيمنة من الأولى و نفي هذا التأكيد من الثانية.

المنهج المقارن: هو أكثر المناهج استعمالا لأنه يجد مكانه في كل مستويات البحث، كما أنه يستعمل في كافة العلوم الاجتماعية كعلم النفس و علم الاجتماع و علم السياسة. و يختص بدراسة مواضيع واسعة النطاق، كما يستعمل للمقارنة بين موضوعين مختلفين، أو بالمقارنة الزمنية لنفس الموضوع خلال فترات زمنية مختلفة⁶.

لذلك قمنا باستخدام المنهج المقارن في مقارنة مختلف الرؤى المحلية، الإقليمية و الدولية التي تحكم سياسات هذه القوى في علاقاتها مع بعضها البعض، كما اعتمدنا عليه أيضا، في مقارنة مختلف التطورات داخل الرؤية الواحدة في فترات زمنية متوالية. و ساعدنا كثيرا في فهم مختلف الاستراتيجيات المعتمدة من

³- مصطفى محمود أبو بكر، " البحث العلمي: تعريفه، خطواته، مناهجه." الإسكندرية: الدار الجامعية، 2002، ص. 52.
⁴ - Andrée Lamoureux, " Recherche et méthodologie en sciences humaines." Québec : Edition études vivants, 1995, p. 70.

⁵- محمد شلبي، " المنهجية في التحليل السياسي، المناهج، المفاهيم، الاقتراحات والأدوات." ط4، الجزائر: دار هومة، 2002، ص. 5.

⁶- خير الدين عويس، " دليل البحث العلمي"، القاهرة، دار الفكر العربي، 1999، ص. 98.

رسم السياسات التوافقية و العدائية , كما أسهم بشكل مباشر في تسهيل عملية صياغة السيناريوهات المستقبلية الممكنة الحدوث.

المنهج الوصفي: يعتبر الوصف أحد مستويات البحث العلمي إضافة إلى التحليل والتفسير، ويستعمل أيضا كمنهج من أجل استحضار حادثة أو الإحاطة بجوانب موضوع ما، و يساعد على التعرف أكثر على الأحداث التاريخية أو الآنية، و من ثمة يبني تصورا حول الموضوع قيد الدراسة، فيقوم على تفسير الوضع القائم للظاهرة أو المشكلة، من خلال تحديد ظروفها و أبعادها و تبيان العلاقات بينها. بهدف الانتهاء إلى وصف عملي دقيق متكامل للظاهرة أو المشكلة، و لمختلف الحقائق المرتبطة بها⁷. لهذا كان استخدامه ضروري في هذه الدراسة.

تبرير الخطة:

في ضوء الأحداث الهائلة في العالم اليوم تظهر المطاعم الأمريكية في كل مكان، وأصبح الهدف الأول للولايات المتحدة الأمريكية أن تبقى الدولة الوحيدة المسيطرة على العالم، و لن يتأتى هذا الهدف إلا بالسيطرة على مناطق النفط في العالم.

لذلك أصبحت منطقة آسيا الوسطى و جنوب القوقاز ساحة للتنافس بين القوى الإقليمية و الدولية، لما لها من أهمية من الناحية الإستراتيجية و الجيوبوليتيكية، و وجود احتياطي هائل من النفط و الغاز جعل التنافس حولها يتحول إلى صراع بين مختلف الأطراف أهمها الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا. لذلك جاءت هذه الدراسة لتؤكد على أهمية الصراع الروسي - الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز، و أيضا لتشرح و توضح الأسباب و الأهداف الحقيقية لهذا الصراع، وأبعاده الآنية و المستقبلية.

بالرجوع إلى الإشكالية البحثية حول مدى مساهمة الأهمية الجيوستراتيجية المتصاعدة لمنطقة جنوب القوقاز بعد نهاية الحرب الباردة في رسم معالم الصراع الروسي الأمريكي حولها و تأثيرات هذا الصراع في امن واستقرار المنطقة. نستطيع التعرف على عدة متغيرات و مؤشرات تسهم في صياغة الخطة التي يمكنها الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

- كلمة **الصراع** كمتغير موضوعي تستوجب منا الإحاطة بمفهوم الصراع الدولي بكل معطياته و أسبابه و نظرياته و أبعاده و تطوراته، قبل إسقاطه على العلاقات الروسية الأمريكية كحالة خاصة.

⁷ - عمار بوحوش، محمد الدنبيات، "مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث"، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2001، ص 103.

- عبارة **ما بعد الحرب الباردة** كمتغير زمني تشير بوضوح إلى البعد الزمني للدراسة و المتمثل في الفترة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي إلى غاية اليوم، لكن بالموازاة مع ذلك، فإن استخدامنا للمنهج التاريخي يفرض علينا هنا الرجوع إلى استعراض فترة الحرب الباردة في حد ذاتها من أجل فهم ما يحدث الآن.

- عبارة **جنوب القوقاز** كمتغير مكاني، تطالبنا بضرورة التعرف أولاً على المنطقة محل الدراسة من خلال معرفة موقعها و مميزاتها و واقعها و مختلف التعقيدات المشكلة لها و لدولها: جورجيا، أرمينيا، أذربيجان، ومعرفة امتداداتها الإقليمية مع مختلف جيرانها.

- عبارة **الأهمية الجيوستراتيجية للمنطقة** تفيد بضرورة الاطلاع على مميزات موقع جنوب القوقاز الاستراتيجي و ما يحويه من ثروات ساهمت بشكل كلي في تحريك أطماع الدول المحيطة به سواء إقليمياً: روسيا، إيران و تركيا أو دولياً: الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد الأوروبي و الصين. و كيف ساهمت هذه الأهمية في تحديد شكل و اتجاه سياسات هذه القوى اتجاه المنطقة و اتجاه بعضها البعض.

- عبارة **الصراع الروسي الأمريكي** تشير صراحة إلى تركيز الدراسة على كل من روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية فقط من خلال إبراز معالم الصراع بينهما.

من خلال كل هاته المتغيرات والمؤشرات الخاصة بالدراسة ارتأينا تقسيمها إلى أربعة فصول وذلك على النحو التالي:

فصل أول كمدخل مفاهيمي و نظري للصراع الدولي، نستعرض فيه: مفهوم الصراع الدولي، أسبابه و أبعاده بعد الحرب الباردة، مع إبراز للاختلاف الحضاري بين كل من روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارهما طرفي الصراع محل الدراسة.

فصل ثاني نتطرق فيه إلى العلاقات الروسية الأمريكية أثناء الحرب الباردة. و كذا، مختلف التحولات الدولية بعد الحرب الباردة و إفرازاتها على المستوى الهيكلي و القيمي، أين كان بروز منطقة جنوب القوقاز إحدى تلك التحولات.

فصل ثالث نبين فيه ثروات المنطقة و الاهتمام الدولي بها سواء دول الجوار القريب روسيا، إيران و تركيا أو البعيد الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد الأوروبي و الصين.

فصل رابع نركز فيه على التنافس العالمي الروسي-الأمريكي فيما يعرف باللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز، و انعكاسات ذلك على المنطقة و مختلف السيناريوهات المستقبلية الممكنة.

ثم نختم دراستنا بالإجابة على الإشكالية المطروحة في المقدمة، و نستعرض مختلف النتائج المتوصل إليها مع التوصيات الخاصة بالموضوع من أجل فتح آفاق جديدة للبحث مستقبلاً.

الخطة المقترحة:

مقدمة.

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي و نظري للصراع الدولي.

المبحث الأول: مفهوم الصراع الدولي.

المطلب الأول: تعريف الصراع الدولي.

المطلب الثاني: طبيعة الصراع الدولي.

المبحث الثاني: الأسباب المفسرة لنشأة الصراع الدولي وأنواعه.

المطلب الأول: الأسباب المفسرة لنشأة الصراع الدولي.

المطلب الثاني: مستويات الصراع الدولي وأنواعه.

المبحث الثالث: تحول الصراع الدولي بعد الحرب الباردة.

المطلب الأول: مصادر الصراع الدولي بعد الحرب الباردة.

المطلب الثاني: آليات الصراع الدولي بعد الحرب الباردة بين الاستمرار و التغيير.

المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية للصراع الدولي الروسي الأمريكي في جنوب القوقاز.

الفصل الثاني: التحولات الدولية بعد الحرب الباردة و بروز منطقة جنوب القوقاز

المبحث الأول: العلاقات الروسية -الأمريكية إبان الحرب الباردة.

المطلب الأول: سمات الحرب الباردة.

المطلب الثاني: دور السلاح النووي في الحرب الباردة.

المبحث الثاني: التحولات الدولية بعد الحرب الباردة على المستوى الواقعي و الفكري.

المطلب الأول: نهاية الحرب الباردة.

المطلب الثاني: إفرزات نهاية الحرب الباردة على الساحة الدولية.

المبحث الثالث: بروز منطقة جنوب القوقاز بعد الحرب الباردة.

المطلب الأول: التعريف بدول جنوب القوقاز.

المطلب الثاني: الواقع الأمني والمعضلة الاثنوسياسية في جنوب القوقاز.

الفصل الثالث: الاهتمام الروسي الأمريكي بمنطقة جنوب القوقاز.

المبحث الأول: مصادر الطاقة في حوض بحر قزوين.

المطلب الأول: أهمية نفط بحر قزوين.

المطلب الثاني: الصعوبات التي تواجه استغلال ثروات بحر قزوين.

المطلب الثالث: السياسات النفطية في بحر قزوين.

المبحث الثاني: أهمية جنوب القوقاز لدول الجوار الإقليمي.

المطلب الأول: الاهتمام الروسي بمنطقة جنوب القوقاز باعتبارها الجوار القريب.

المطلب الثاني: الاهتمام الإيراني المنطقة وفكرة الشرق الأوسط الجديد.

المطلب الثالث: الاهتمام التركي بمنطقة جنوب القوقاز والمفهوم الطوراني.

المبحث الثالث: أهمية جنوب القوقاز لدول الجوار البعيد.

المطلب الأول: الاهتمام الأوروبي بجنوب القوقاز.

المطلب الثاني: الاهتمام الصيني بجنوب القوقاز.

المطلب الثالث: الاهتمام الأمريكي بجنوب القوقاز.

الفصل الرابع: التنافس الروسي-الأمريكي و اللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز.

المبحث الأول: العلاقات الروسية الأمريكية بعد الحرب الباردة.

المطلب الأول: عوامل تطور التنافس الاستراتيجي الروسي الأمريكي بعد الحرب الباردة.

المطلب الثاني: من الشراكة الإستراتيجية إلى المنافسة الجيوسياسية.

المبحث الثاني: اللعبة الكبرى الثانية و الصراع في جنوب القوقاز.

المطلب الأول: الإستراتيجية الروسية.

المطلب الثاني: الإستراتيجية الأمريكية.

المطلب الثالث: تضارب المصالح بين الإستراتيجيتين الروسية والأميركية.

المبحث الثالث انعكاسات الصراع و سيناريوهات المستقبل.

المطلب الأول: الانعكاسات الداخلية و الخارجية.

المطلب الثاني: السيناريوهات المستقبلية المحتملة.

الخاتمة.

الفصل الأول:

مدخل مفاهيمي و نظري للصراع الدولي

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي و نظري للصراع الدولي:

تتميز ظاهرة الصراع الدولي بالتعقيد و التشابك، نتيجة لشموليتها و تعدد المستويات التي تحدث فيها، و كذا طبيعتها ذات الحركية المستمرة. و من أجل الفهم الجيد لهذه الظاهرة و تقديم مقترحات منهجية صحيحة لها، كان من الواجب علينا التأسيس لأرضية مفاهيمية و نظرية تساهم في فهم بقية فصول هذا البحث. حيث لا يمكن فهم الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز دون أن يكون لدينا الماما بمفهوم الصراع الدولي في إطاره العام لان الصراع الروسي الأمريكي ما هو إلا جزء من الصراع الدولي.

و لذلك سنحاول في هذا الفصل استعراض ظاهرة الصراع الدولي، من الناحية المفاهيمية و النظرية، بالتطرق إلي مفهوم الصراع الدولي، و كذا أسبابه و أنواعه، ثم تطور آليات الصراعات الدولية بعد الحرب الباردة، لنصل في نهايته لاستعراض المنطلقات الفكرية و الحضارية للصراع الروسي الأمريكي محل لدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الصراع الدولي:

تعتبر ظاهرة الصراع الدولي ظاهرة حركية باستمرار و كانت و لا تزال مثار تأمل و تساؤل و حظيت بمراقبة و تمحيص من قبل المفكرين على مر العصور فهذه الظاهرة قديمة قدم البشرية حيث تم التصدي لها لمعرفة كنهها و طبيعتها و خواصها و حجمها و مبرراتها و نتائجها. مما جعل منها ظاهرة شديدة التعقيد و ذلك لتعدد أبعادها و تداخل مسبباتها و مصادرها و تشابك تفاعلاتها و تأثيراتها المباشرة و غير المباشرة. فماذا نعني بظاهرة الصراع الدولي.

المطلب الأول: تعريف الصراع الدولي:

قبل التطرق لظاهرة الصراع الدولي يجب أن نسلط الضوء على ظاهرة الصراع في حد ذاتها ثم نتطرق إلى الصراع الدولي باعتباره بعداً من أبعاد الصراع.

1 - تعريف ظاهرة الصراع:

تظهر أدبيات الصراع ثراءً واضحاً فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع Conflict، كما تتعدد أيضاً بؤر الاهتمام، ونقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. وفي إطار استعراض بعض التعريفات اللغوية التي تقدمها دوائر المعارف والقواميس اللغوية لمفهوم الصراع، فإن دائرة المعارف الأمريكية تعرف الصراع بأنه عادة ما يشير إلى: "حالة من عدم الارتياح أو الضغط النفسي الناتج عن التعارض أو عدم التوافق بين رغبتين أو حاجتين أو أكثر من رغبات الفرد أو حاجاته"⁸.

⁸"The Encyclopedia Americana International Edition", Danbury Connecticut: Grolier Incorporated, 1992, p.537.

أما دائرة معارف العلوم الاجتماعية، فإن تركيزها ينصرف إلى إبراز الطبيعة المعقدة لمفهوم الصراع، والتعريف بالمعاني والدلالات المختلفة للمفهوم في مختلف أبعاده. فمن المنظور النفسي، يشير مفهوم الصراع إلى: "موقف يكون لدى الفرد فيه دافعٌ للتورط أو الدخول في نشاطين أو أكثر، لهما طبيعة متضادة تماماً"⁹، وهنا يؤكد ادوارد موراي Edward J. Murray على أهمية مفهوم الصراع في فهم الموضوعات المتعلقة بقدرة الفرد على التكيف الإنساني وعمليات الاختلال العقلي أيضاً¹⁰. أما في بعده السياسي، فإن الصراع يشير إلى موقف تنافسي خاص، يكون طرفاه أو أطرافه على دراية بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، و التي يكون كل منهما أو منهم مضطراً فيها إلى تبني أو اتخاذ موقف لا يتوافق مع المصالح المحتملة للطرف الثاني أو الأطراف الأخرى¹¹. بينما يهتم الباحث في علم الاجتماع لويس كوسر Lewis A. Coser بالتركيز على الصراع في بعده الاجتماعي أين يعتبره: "تضالاً أو تنافساً حول قيم، أو مطالب، أو أوضاع معينة، أو قوة، أو حول موارد محدودة أو نادرة. ويكون الهدف هنا متمثلاً ليس فقط في كسب القيم المرغوبة، بل أيضاً في تحييد، أو إلحاق الضرر، أو إزالة المنافسين أو التخلص منهم"¹². و الصراع في مثل هذه المواقف كما حدده كوسر، يمكن أن يحدث بين الأفراد، أو بين الجماعات، أو بين الأفراد والجماعات، أو بين الجماعات وبعضها البعض، أو داخل الجماعة أو الجماعات ذاتها وتفسير ذلك يرجع إلى حقيقة أن الصراع في حد ذاته أحد السمات الأساسية لجوانب الحياة الاجتماعية.

أما فيما يتعلق بالبعد الأنثروبولوجي للصراع، فإن لورا نادر Laura Nader تتجه إلى إيضاح البعد الأنثروبولوجي في العملية الصراعية باعتبارها: "أن الصراع ينشأ أو يحدث نتيجة للتنافس بين طرفين على الأقل ويكون هذا الطرف متمثلاً في فرد، أو أسرة، أو ذرية أو نسل بشري معين، أو مجتمع كامل. بالإضافة إلى ذلك، قد يكون طرف الصراع طبقة اجتماعية، أو أفكاراً، أو منظمة سياسية، أو قبيلة، أو ديناً"¹³. وهنا

9 منير، محمود بدوي، " مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب و الأنواع"، مجلة دراسات مستقبلية، عدد3، جولية 1997، ص36.

10 المرجع نفسه.

11 Mustapha, ARIHIR, « L'étude des conflits internationaux : l'approche constructiviste et la nécessité de l'interdisciplinarité, à travers l'étude du concept de la reconnaissance», Dynamiques Internationales, GRECCAP, Université Bordeaux-Montesquieu, N.1, Octobre 2009. P.9.

12 خالد، المعيني، " الصراع الدولي بعد الحرب الباردة"، ط1، دمشق: دار كيوان للطباعة و النشر والتوزيع، 2009، ص16.

13 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص36.

فإن الصراع يكون مرتبطاً بالرغبات أو الأهداف غير المتوافقة، و التي تتميز بقدر من الاستمرارية الدوام يجعلها تتميز عن المنازعات الناتجة عن الغضب، أو التي تنشأ نتيجة لأسباب وقتية أو ظرفية.

و عرف ستيفن سبيغل *Steven L. Spiegel* الصراع بأنه: "شكل من أشكال الصدام بين مصالح و ثقافات غير متجانسة لأطراف غير قادرين على التعايش في البيئة المتواجدين فيها"¹⁴. أما جون بيرتون *J. Burton* فقد عرفه بأنه: "ذلك التناقض بين مجموعة قيم و مدركات أطراف متعددة"¹⁵. كذلك ورد لعباس رشدي العماري تعريف للصراع بدلالة التفاعل الناجم عن المواجهة و الصدام بين المصالح و المعتقدات السياسية و البرامج و غير ذلك في الكيانات المتنازعة¹⁶. بالإضافة لتعريف حامد ربيع الذي عرف الصراع بقوله هو التحام بين التأصيل الفكري لعلم الحركة في النطاق الدولي و التعامل مع الواقع بأبعاده المختلفة¹⁷.

في نفس الاتجاه، يذهب قاموس *dictionary Longman* إلى تعريف مفهوم الصراع بأنه "حالة من الاختلاف أو عدم الاتفاق بين جماعات، أو مبادئ، أو أفكار متعارضة، أو متناقضة"¹⁸. أما قاموس الكتاب العالمي، فإنه يعرف الصراع بأنه: "معركة أو قتال *Fight*، أو بأنه نضال أو كفاح *Struggle*، خاصة إذا كان الصراع طويلاً أو ممتداً"¹⁹.

كما يعرفه قاموس الصحاح في اللغة و الإعلام على أن: "الصراع لغة من الفعل صرع و مشتقاته صرعا و مصرعا أي طرحه أرضاً أما اصطلاحاً فيستخدم للدلالة على المواقف المتعارضة بين طرفين أو أكثر وثمة إجماع بين المعنيين بدراسة الصراع الدولي على أن المصطلح يستخدم في المواقف التي تتضمن تعارضاً حاداً و صريحاً في القيم و الأهداف"²⁰.

وبوجه عام، فإن مفهوم الصراع في الأدبيات السياسية المتخصصة ينظر إليه باعتباره ظاهرة ديناميكية. فهو اقتراح: "لموقف تنافسي معين، يكون كل من المتفاعلين فيه عالماً بعدم التوافق في المواقف

14 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص16.

15 John, BURTON, "Deviance, Terrorism, and War", Oxford: Martin Robertson company, 1997, P. 228.

16 عباس، رشدي العماري، "إدارة الأزمات في عالم متغير"، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993، ص16.

17 حامد، ربيع، "سلام البترول و الصراع العربي الإسرائيلي"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1974، ص54.

18 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص37.

19 المرجع نفسه.

20 إسماعيل، بن حماد الجواهري، "قاموس الصحاح في اللغة و الإعلام"، مجلد1 ، بيروت: دار الحضارة العربية، 1974، ص715.

المستقبلية المحتملة، كما يكون كل منهم مضطراً أيضاً لاتخاذ موقف غير متوافق مع المصالح المدركة للطرف الآخر²¹. من هنا كان هناك اتجاه ينصرف إلى التركيز على البعد التنافسي في تعريف الصراع باعتبار: أنه أحد أشكال السلوك التنافسي بين الأفراد أو الجماعات، وأنه عادة ما يحدث عندما يتنافس فردان أو طرفان أو أكثر حول أهداف غير متوافقة، سواء كانت تلك الأهداف حقيقة أو متصورة، أو حول الموارد المحدودة²².

و في تعريف آخر، فإن مفهوم الصراع يتميز بالبساطة والمباشرة، حيث يوصف الصراع بأنه "عملية منافسة ظاهرة، أو محتملة بين أطرافه"²³. و هنا تثار أهمية التمييز بين الصراع وبعض أنواع المنافسة - كالتي تحدث في المجالات الرياضية على سبيل المثال -، ففي المنافسة يتعاون الأفراد أو يتنافسون من أجل المرح وقضاء وقت طيب وممتع، بينما في الصراع، فإن إحداث أو إلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالآخرين إنما يعد هدفاً محدداً للصراع نفسه²⁴.

أما متغير الإرادة عند أطراف الصراع، فإنه يمثل أساساً محورياً في تعريف الصراع لدى اتجاه آخر من كتاب الأدبيات السياسية. ومن ثم يتم النظر إلى مفهوم الصراع باعتبار أنه في جوهره تتنازع للإرادات، ينتج عن اختلاف في دوافع أطرافه، وفي تصوراتهم، وأهدافهم وتطلعاتهم، ومواردهم وإمكاناتهم، مما يؤدي بهم إلى اتخاذ قرارات، أو انتهاج سياسات تختلف فيما بينها أكثر من اتفاقها، ومع ذلك، يظل الصراع دون نقطة الحرب المسلحة²⁵.

إن هناك رأياً آخر يفضل الاهتمام ببنية الموقف الصراعى والمصالح المتضمنة فيه، أين يذهب كل من جورج لوبيز George Lopez و مايكل ستول Michael S. Stole، إلا أن مفهوم الصراع يمثل أو يعكس موقفاً يكون لطرفين أو أكثر فيه أهداف أو قيم أو مصالح غير متوافقة، بدرجة تجعل قرار أحد الأطراف بصدد هذا الموقف سيئاً للغاية. ومن هنا، يمكن النظر إلى مفهوم الصراع باعتباره نتيجة لعدم

21 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص37.

22 المرجع نفسه.

23 المرجع نفسه، ص38.

24 إسماعيل، صبرى مقلد، "العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات"، الكويت: جامعة الكويت، 1982، ص 213.

25 دانيال، كولار، "العلاقات الدولية"، ترجمة خضر خضر، بيروت: دار الطليعة، 1980، ص7.

التوافق في البنيات والمصالح، مما يؤدي إلى استجابات بديلة للمشكلات السياسية الرئيسية". و على ذلك، يخلص الكاتبان إلى "أن الصراع بهذه الكيفية، يعد سمة مشتركة لكل النظم السياسية الداخلية والدولية"²⁶.

إضافة إلى ما سبق، فإن هناك رؤية أخرى تسعى إلى توجيه الاهتمام نحو الأبعاد النفسية المتعلقة بعلاقات القبول والرفض بين أطراف الموقف الصراعى. و من هنا، تتجه تلك الرؤية إلى تعريف الصراع فيها بأنه "ذلك العداء المتبادل بين الأفراد والجماعات أو الشعوب أو الدول فيما بينها على مختلف المستويات"²⁷.

و على العموم فإن مختلف هذه الاتجاهات التي ذكرناها بمختلف التعريفات التي حاولت تحديد المعنى الخاص بها لمفهوم الصراع يمكن تقسيمها -حسب وجهة النظر هذه- إلى تصوّرين:

أ - **تصور موضوعي:** يقوم على اعتبار الصراع مجرد حالة واقعية، وبالتالي لا يهتم سوى بملاحظة سلوك الأطراف المتصارعة. وعلى هذا الأساس، عرفت فئة من الباحثين الصراع بوصفه وضعاً تنافسياً يكون فيه الأطراف واعين بتضارب وعدم انسجام المواقف الممكنة، وبالتالي يسعى كل طرف لاحتلال موقع لا ينسجم مع الذي يريد احتلاله الطرف الآخر. الأمر الذي يترتب عنه أن ربح طرف واحد يصبح بصورة حتمية مساوياً تماماً لخسارة الطرف الآخر. أي أن الصراع في هذه الحالة يكتسي طابعاً صفرياً *Zéro - sum*.

فيقول مايكل نيكلسون M. Nicholson أن: "الصراع يوجد عندما يحاول شخصان القيام بأفعال متناقضة..."²⁸. في حين يعرفه توماس شيلنج T. Schelling بأنه: "مواجهة يسعى كل طرف، أثناءها، جاهداً لتحقيق الربح. عندئذ، يوصف سلوك الخصوم بواسطة ألفاظ مثل: واع، سليم، رفيع... و يتجه الأطراف- في هذه المواجهة- إلى البحث عن قواعد تسمح لهم بضمان أفضل الفرص للنجاح"²⁹.

26 George, A. LOPEZ and Michael, S. STOLE, "International Relations: Contemporary Theory and practice", Washington D. C.: Congressional Quarterly press, 1989, P.429.

27 عبد المنعم، المشاط و ماهر، خليفة، "تحليل وحل الصراعات: الإطار النظري"، القاهرة: المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، 1995، ص4.

28 Michael, NICKOLSON, "Conflict analysis". London. The English universities press LTD. 1970. P.2.

29 Thomas, SCHELLING, « Stratégie du conflit ». Traduire par Raymond manicacci. Paris: Presse universitaire de France, Première édition, 1980, P.18.

أما جان ديروزال J.Duroselle فيعتبر أن: "... نزاع بين عدة دول أو وحدات سياسية، في شكل صدام إرادات متناقضة، ويتضمن أن موضوع الخلاف يصبح رهان. ويقبل الأطراف المتصارعون المجازفة من أجل الفوز بهذا الرهان، فالصراع يصاحبه بالضرورة وجود أفعال انفعالية جماعية..."³⁰.

ب - تصور ذاتي: يقوم على اعتبار الصراعات كحالة مرضية وبالتالي يسعى إلى تحديد أسباب الصراع والبحث عن الحلول الممكنة لها، وعلى هذا الأساس، عرفت فئة من الباحثين الصراع بوصفه إدراكا خاطئا لوضعية موضوعية، لكن يتم فهمها باعتبارها حالة عدم الانسجام.

فحسب بيرتون: "الصراع يبدو أنه يدور حول اختلافات موضوعية للمصالح، ويمكن تحويله إلى نزاع له نتائج إيجابية على الأطراف بشرط أن يقوموا بإعادة النظر إلى بعضهم البعض بكيفية تجعلهم قادرين على التعاون على أساس وظيفي، ومن أجل استغلال المورد المتنازع عليه"³¹. أما لويس كريسبرغ L. Kriesberg أن: "الصراع يوجد عندما يعتقد شخصان أو أكثر أو جماعات أن أهدافهم متناقضة"³². كما يعرفه دين بروت Dean Pruitt و جيفري روبن Jeffrey Rubin الصراع بأنه: "إدراك الأطراف بتناقض أهدافهم أو اعتقادهم باستحالة تحقيق طموحاتهم بشكل متزامن"³³.

وبالتالي، فالصراع، حسب هذا التصور، هو حالة ذاتية ترتبط بإدراك الأطراف. وهو صراع غير صفري Non Zéro-Sum، حيث تكون عملية حله وتسويته أكثر سهولة بواسطة تحويل الصور التي ينظر الأطراف من خلالها إلى الصراع، مما يترتب عنه انسجام في المصالح.

نتج عن هذا الاختلاف بين تصور موضوعي وآخر ذاتي إلى انقسام أهداف الدول الأطراف في الصراعات إلى نوعين: أهداف التملك، والأهداف الثانوية. حيث يمتاز النوع الأول بطبيعة التعارض مع الأهداف المتماثلة للدول الأخرى، أما النوع الثاني من الأهداف فيمتاز بأنه لا يتم تحقيقه على حساب الدول

30 Jean Baptiste, DUROSELLE, « La stratégie des conflits internationaux », *Revue française de science politique*, volume 10, issue 2, 1960, P.P. 287- 290.

31 John, BURTON, Op. Cit., P. 228.

32 رضا، دمنوم، "دور الدبلوماسية غير الرسمية في حل النزاعات: دراسة حالة النزاع في قبرص"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة3،

جويلية 2016.

33 Dean G, PRUITT and Jeffrey Z, RUBIN, "Social conflict: escalation, stalemate and settlement", New York: Random House, 1986, P.04.

الأخرى بل يتم على أساس المنفعة المتبادلة للدول³⁴. و في هذا السياق أيضاً، يعتبر كريسيرغ أن أهداف الدول الأطراف في الصراع تنقسم إلى نوعين: أهداف أحادية وأهداف جماعية³⁵.

رغم هذا الاختلاف في التصور، يبقى الصراع صداماً لكنه ليس مادياً أي أنه ليس صداماً عسكرياً بل صدام إرادات دولتين أو أكثر، بمعنى اختلاف أهداف مواقف التصورات ومصالح الأطراف التي تسعى إلى تحقيقها دون اللجوء إلى العنف المادي في حالات عديدة، فيقول بيرتون: "أن الصراع ليس حول المصادر المادية فقط، لكن أيضاً دول المصادر غير المادية: الهوية، الاعتراف، الأمن"³⁶.

2 - أبعاد ظاهرة الصراع:

على ضوء ما سبقت الإشارة إليه من نماذج التعريفات التي تقدمها أدبيات الصراع لتعريفه وبأبعاده المختلفة، يمكن الانتهاء إلى التأكيد على الأبعاد الثلاثة التالية كمحاور أساسية في التعريف بمفهوم الصراع:

أ - **البعد الأول:** متعلق بالموقف الصراعى ويشير إلى أن مفهوم الصراع يعبر عن موقف له سماته أو شروطه المحددة، فهو بداية يفترض تناقض المصالح أو القيم بين طرفين أو أكثر، وهو ثانياً يشترك إدراك أطراف الموقف ووعيها بهذا التناقض، ثم هو ثالثاً يتطلب توافر أو تحقق الرغبة من جانب طرف (أو الأطراف) في تبنى موقف لا يتفق بالضرورة مع رغبات الطرف الآخر، أو (الأطراف الأخرى)، بل إن هذا الموقف قد يتصادم مع باقي هذه المواقف³⁷.

ب - **البعد الثاني:** يختص بأطراف الموقف الصراعى - بوجه عام - فيمكن التمييز في أطراف الموقف الصراعى بين ثلاث مستويات: المستوى الأول يتعلق بالصراعات الفردية وهي التي يكون أطراف الصراع فيها أفراداً، ومن ثم فإن دائرة مثل هذا الصراع وموضوعه يتجهان إلى أن يكونا محدودين بطبيعتهما. وفى المستوى الثانى يكون الصراع بين جماعات، وتتعدد أنواع هذا الصراع بتنوع أطرافه، كما أن دائرته ومجالاته تكون عادة أكثر اتساعاً وتنوعاً عن نظيرتها في دائرة الصراع الفردى. أما المستوى الثالث فإن

34 حسين، بوقارة، "تحليل النزاعات الدولية: مقارنة نظرية"، الجزائر: دار هومة، 2008، ص 8 - 9.

35 رضا، دمنوم، مرجع سبق ذكره، ص 33.

36 John, BURTON, Op. Cit., p 228.

37 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 39.

يختص بالصراع بين الدول، والذي عادة ما يعرف أيضاً بالصراع الدولي، وتكون دائرة الصراع فيه أكثر تعقيداً واتساعاً عن المستويين السابقين من الصراعات³⁸.

ج - البعد الثالث: ويهتم بالصراع الدولي وهنا تجدر الإشارة إلى أن اتساع دائرة المستوى الثالث من الصراعات، عبر المراحل التاريخية المتعاقبة للعلاقات الدولية، كان من شأنه توجيه وتكتيل قدر متزايد لا يستهان به من الجهود العلمية والأكاديمية لدراسة وتأسيس الظاهرة الصراعية، وذلك بهدف تطوير التفسيرات والنظريات العلمية التي تسهل فهم أسبابه ومحدداته، ومن ثم تقدم البدائل المختلفة التي يمكن من خلالها التحكم في الظاهرة الصراعية، أو على الأقل التقليل من المخاطر المرتبطة بها والمترتبة عنها، وتحديد أساليب التعامل معها. وفي هذا المجال، فإن هذه الجهود العلمية قد أسفرت عن تراث غني وأصيل من النظريات والتفسيرات، ولعل من بينها نظريات المعرفة العقلانية، النظرية السلالية، نظريات القوة، نظريات صنع القرار، والاتصالات، والنظم، وغيرها كثير من النظريات المفسرة للصراع في أبعاده المختلفة: النفسية، البيولوجية، الثقافية والاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، ومؤخراً البيئية والحضارية ... الخ³⁹.

3 - الصراع الدولي و علاقته بالمفاهيم المشابهة:

في إطار تعريفنا للصراع الدولي تبرز الحاجة إلى التمييز بين مفهوم الصراع الدولي وما عداه من المفاهيم الأخرى المرتبطة به أو المتداخلة معه حتى يمكن التوصل إلى الفهم الصحيح للموقف الصراعى، وبالتالي اختيار الأدوات والآليات المناسبة للتعامل معه من جانب آخر.

تعني ظاهرة الصراع في العلاقات الدولية فرض الإرادة السياسية على الطرف الآخر و التأثير في سلوكه و يعتبر الصراع الدولي سمة من سمات النظام الدولي القائم على فكرة السيادة القومية المتعددة وعدم وجود سلطة مركزية عالمية إلزامية إكراهية أمام سلوكيات الوحدات الدولية المختلفة و المتنافسة لذلك تصبح كل وحدة من هذه الوحدات و بالذات الدولة هي الحارس لمصالحها و لأمنها القومي بقواها الذاتية فهي تجد نفسها إزاء الدول الأخرى في وضع صراع مستمر حيث يكون وجود الدولة أو كيانها برمته مسؤوليتها الكبرى⁴⁰.

38 المرجع نفسه.

39 منير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص40.

40 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص ص13-15.

انطلاقاً من هذا الواقع يصبح على السلطة السياسية أن تختار بان تكون أو لا تكون الأمر الذي يجعلها حرة في اللجوء إلى القوة للمحافظة على كيانها في الخارج و تحقيق أهدافها. و بالمقارنة مع السياسة الداخلية فإن السياسة الدولية تمتاز بتفوق سمة الصراع على التعاون مما يجعل من سمة الصراع سمة ثابتة في التعامل الدولي وان اختلفت المظاهر العملية لها أو تنوعت طرق التعبير عنها من عصر إلى آخر، من نظام إلى آخر، من موقف إلى آخر و من قضية إلى أخرى⁴¹.

عند القيام بمقارنة بين دورات الصراع و التعاون في العلاقات الدولية نجد إن الصراع هو الأكثر نشاطاً و الأكثر بروزاً و حركية في العلاقات الدولية من التعاون مما يجعل من السياسة الدولية ما هي إلا صراع من اجل القوة. كما يؤكد ذلك هانز مورجانتو H.Morganthau من خلال قوله: "إن فكرة صراع المصالح هي في الواقع جوهر السياسة و لبها فالسياسة الدولية الخارجية و الداخلية ليسا إلا وجهين مختلفين لظاهرة واحدة هي الصراع من اجل السلطان أي القوة و الهيمنة"⁴².

في نفس السياق وفي إطار تعريفنا للصراع الدولي تبرز الحاجة إلى التمييز بين مفهوم الصراع الدولي وما عداه من المفاهيم الأخرى المرتبطة به أو المتداخلة معه حتى يمكن التوصل إلى الفهم الصحيح للموقف الصراعى، وبالتالي تفادي الخلط و تشكيل قاعدة مفاهيمية صحيحة لذلك قمنا بدراسة و تحليل العديد من المفاهيم التي كثيراً ما اقترنت بل و اختلطت بمفهوم الصراع و تعرف بدلالاته. إلا أنها في الحقيقة ليست سوى محطات تقع على خط الصراع تختلف من حيث المضمون و الدلالة عن تلك التي يؤشرها الصراع الدولي. و ابرز هذه المفاهيم مايلي:

أ - مفاهيم الاختلاف، عدم الاتفاق و المشكلة:

هناك بعض من المفاهيم مثل الاختلافات، وعدم الاتفاق، والمشكلة، وعلى الرغم من ارتباطها بمفهوم الصراع، وتميزها عنه من حيث الذبوع والانتشار، إلا أنها تتسم بوجه عام بتواضع مضمونها الصراعى مقارنة بمفهوم الصراع:

- فالاختلاف Difference: تعبر عن طبيعة بشرية بين الناس حيث هم مختلفون بالمولد، ومن هنا يُنظر إلى الاختلاف كأمر من أمور الحياة العادية، إن لم ينظر إليها باعتبارها من الأشياء التي

41 ناصيف، يوسف حتى، " النظرية في العلاقات الدولية"، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985، ص25.

42 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، صص15-16.

تتسم بنكهة ومذاقٍ خاص للحياة يضاف عليها قدرًا من الحيوية والفعالية لم يكن ليتحقق فيما لو تماثل الأفراد في كل شيء بينهم. ومن هنا فالاختلاف بذاته ليس سبباً للصراع، وإن مثلاً مصدرًا له.

- أما فيما يتعلق بعدم الاتفاق Disagreement: فإن حدوثه يرتبط بتعبير الأفراد عن أولوياتهم مقارنة بأوليات الآخرين. وهنا تجب الإشارة إلى أن عدم الاتفاق في حد ذاته يمكن ألا يترتب عنه أيًا من أنواع الأذى أو الضرر أو أي نتائج محددة.⁴³

- و أخيراً، المشكلة Problem: فإنها تحدث عندما يسبب عدم الاتفاق أو الاختلاف بعض النتائج السلبية- على الأقل- لأحد الأطراف. وعلى الرغم من أن المشكلة يمكن تجنب حدوثها، إلا أنها عادة ما تكون مزعجة، ومكلفة، أو كليهما في آن واحد. وبوجه عام، فإن الأفراد عادة ما يواجهون العديد من المشكلات في حياتهم اليومية، كما أن وجود المشكلات يمثل في حد ذاته مصدراً محتملاً للتصعيد، و بالتالي حدوث أزمات أو اتخاذ قرارات قد يكون من نتيجتها تطوير صورة أو أخرى من صور النزاع⁴⁴.

ب - مفهوم التنافس:

إن مفهوم الصراع يختلف عن مفهوم التنافس Competition، فالأخير يحدث عندما لا تكون هناك رغبات متعارضة عقائدياً ولا أهداف أو وسائل ذات تعارض أو تناقض حاد. فالمنافسة لا تتطوي على الافتراضات التي يتضمنها معنى الصراع، فإذا كان الصراع يتضمن معنى التناقض في الأهداف و التصادم بين القوى و الإرادات و يفترض تحطيم إرادة الخصم أو على الأقل تليينها، فإن التنافس قد يأخذ طابعاً سلمياً بعيداً كل البعد عن كل مظهر من مظاهر العنف و التوتر و النزاع بالشكل الذي تنعكس فيه سلبيات على طبيعة العلاقات بين أطرافها. فهو ينصرف إلى ميادين الاقتصاد، التجارة، ميادين التفوق التكنولوجي و احتكار المعارف و العلوم.

كما انه من المتوقع أن يتخذ منحنى الصراع محتوى تنافسي في المقام الأول و ذلك لوجود نسيج عقائدي متشابه لدى معظم الأقطاب و القوى الرئيسية سيما بعد انهيار القطبية الثنائية و انفراد قوة واحدة بقيادة السياسة الدولية و بالتالي سيكون المحتوى التنافسي هو السمة الغالبة و ستتخذ صوراً اقتصادية و تكنولوجية و ثقافية⁴⁵.

⁴³ Stefan Wolff, "Ethnic Conflict :A Global Perspective", London: Oxford University Press, 2006.P.188.

⁴⁴ Mohammad, ABU NIMR, "Conflict Resolution ", Cairo: National Center for Middle East Studies, 1994, P.27.

⁴⁵ خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، صص 59-60.

ت - مفهوم النزاع:

كثيرا ما اختلط مفهوم الصراع بمفهوم النزاع Dispute رغم التباين في طبيعة المضمون الذي ينطوي عليه كل من المفهومين، فالنزاع يؤشر على تلك الحالة التي تتضمن تباين وجهات النظر و اختلافها حول مسائل غالبا ما تكون محكومة باعتبارات ذات طبيعة قانونية في حين أن الصراع تحكمه أبعادا أخرى قيمية و عقائدية و فلسفية يصعب في الكثير من الأحيان تأطيرها قانونيا أو أن تكون موضع اتفاق بالنسبة لأطرافها⁴⁶.

يعرف النزاع في المصادر اللغوية بأنه: " إعطاء أسباب أو حقائق لتأييد أو معارضة شيء ما ، أو أنه المناقشة أو المجادلة أو السجال حول شيء ما أو بخصوصه". كذلك يدور النزاع حول، أو على، أو مع شيء ما، خاصة عندما يكون النزاع غاضبا، وممتدا لفترات طويلة. كما يعرف النزاع أيضا بأنه: "جدال أو شجار -يكون بصفة خاصة ذا طبيعة رسمية- بين جماعة أو منظمة، وبين جماعة أو منظمة أخرى"⁴⁷. أما في الأدبيات المتخصصة، فإن النزاع يتم تعريفه بأنه: "تعارض في الحقوق القانونية قد تتم تسويته بالتوصل إلى حلول قانونية وسياسية"⁴⁸. كما أنه يفترض أيضا وجود طرفين أو أكثر يعترفان بوجود الاختلافات والمشكلات بينهما من جانب، وأن يبدى أحد هذه الأطراف على الأقل استعدادا ورغبته في حل المشكلة⁴⁹. على ضوء ذلك، فإن النزاع يشير إذاً إلى موقف صراعي تواجه أطرافه أحد موقفين أحدهما قابل للتفاوض، بينما الآخر لا يحتمل التوفيق، ومن هنا كانت أهمية وحيوية البحث عن إطار لتحليل وحل المشكلة موضع النزاع⁵⁰.

و يعرف النزاع الدولي بأنه الادعاءات المتناقضة بين شخصين قانونيين دوليين أو أكثر تتطلب تسويتها بموجب قواعد القانون الدولي و يتضح من هذا التعريف انه يشترط في النزاع الدولي:

- أن يكون النزاع كقاعدة عامة بين شخصين قانونيين دوليين.

46 المرجع نفسه، ص ص58-59.

47 منير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص43.

48 السيد، عليه، "إدارة الصراعات الدولية: دراسة في سياسات التعاون الدولي"، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص256.

49 Mohammad, ABU NIMR, Op. Cit., P.27.

50 منير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص44.

- أن تكون هناك ادعاءات سياسية أو قانونية متناقضة بين الأشخاص القانونيين تستوجب تسويتها. فاختلاف الأنظمة السياسية أو اختلاف وجهات النظر في بعض المسائل الدولية التي لا تترتب عنها حقوق مباشرة بينهما لا تعد من المنازعات الدولية.
- أن تكون الادعاءات المتناقضة مستمرة فإذا ادعت دولة بحقوق معينة تجاه دولة أخرى ثم رفضت هذه الأخيرة و انتهى الأمر بهذه الصورة فان ذلك لا يعد نزاعا يتطلب تسوية لعدم متابعة الطرف الأول لادعاءاته.
- أن تكون أرضية النزاع صالحة للتسوية طبقا لقواعد تسوية المنازعات الدولية⁵¹.

وفي هذه الحالة، فإن مفهوم النزاع هنا إنما يشير إلى الأسلوب أو الطريقة التي يتناول بها المتخصصون الحديث عن الإجراءات القانونية، وشبه القانونية والمؤسسية المتعلقة بتسوية أو حل النزاع من جانب، كما أن منظور النزاع بهذا المعنى إنما يحول الاهتمام عن الأبنية وعن القواعد الرسمية إلى عمليات الصراع، ومظاهرها، وأفعالها⁵².

ومن ثم، فإن مقارنة مفهوم النزاع بمفهوم الصراع توضح أن مفهوم الأول يشير إلى درجة أقل حدة وأقل شمولاً في الاختلافات عن الثاني، و أنه قد يمكن احتواؤه و السيطرة عليه مع وجود تعارض في القيم أو المصالح بحيث تشعر معه أطراف الصراع أن أهدافها غير متوافقة من جانب. كما أن كلا من أطراف الصراع لا يكون فقط متورطاً بصورة أو بأخرى في الموقف الصراعى، ولكنه أيضاً يكون مهتماً من جانب آخر باستثمار هذا الموقف الصراعى لصالحه من خلال التصعيد، وذلك بهدف تحقيق الفوز والنصر، أو على الأقل تقادي الخسارة. و أنه قد يمكن احتواؤه و السيطرة عليه ومنع انتشاره⁵³.

ث - مفهوم التوتر

إن مصطلح التوتر حسب مارسيل ميرل Marcel Merle هو: "مواقف نزاعية لا تؤدي مرحلياً على الأقل إلى اللجوء إلى القوة..."⁵⁴، حيث يرى وليد عبد الحي أن الصراع يختلف عن التوتر، إذ يشير الأخير

51 محمد، محمود ربيع و إسماعيل، صبري مقلد، "موسوعة العلوم السياسية"، الكويت: جامعة الكويت 1994، ص91.

52 George, A. LOPEZ and Michael, S. STOLE, Op. Cit., P.435.

53 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص44.

54 مارسيل، ميرل، "سوسيولوجيا العلاقات الدولية"، ترجمة حسن نافعة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1996، ص499.

إلى حالة عداة وتخوف وشكوك وتصور لتباين المصالح أو ربما الرغبة في السيطرة أو تحقيق الانتقام غير أنه يبقى في هذا الإطار دون أن يتعداه ليشمل تعارضا فعليا وصريحا وجهود متبادلة بين الأطراف للتأثير على بعضهم البعض. و التوتر حالة سابقة على الصراع و كثيرا ما رافق انفجار الصراع ولكنه ليس كالصراع بل إنه ليس مختلفا بالضرورة مع التعاون إلا أن أسباب التوتر هي في الغالب مرتبطة بشكل وثيق بأسباب الصراع. إلى جانب ذلك فإن التوترات إذا تحولت إلى شكل خطير قد تكون بدورها عاملا مساعدا أو رئيسيا لحدوث الصراع طالما أنها تؤثر على عملية صنع القرار⁵⁵.

من خلال هذين التعريفين نفهم أن التوتر هو أيضا نوع من الصراع لكنه وضع يسبق الصراع وهو أقل درجة وحدة منه لأن التعاون بين أطراف الصراع يبقى قائما، وقد يكون التوتر مقدمة للصراع في حالة استمراره.

ج - مفهوم الأزمة:

يواجه مفهوم الأزمة Crisis مشكلة من نوع خاص تتمثل في كونه، حسب جيمس روبنسون James Robinson مفهوما عاما يبحث عن تعريف، ومعنى علمي متخصص، فالبعض يعتبرونه مرادف للضغط Stress، أو الانهيار Panic أو الكارثة Disaster، أو العنف Violence، أو العنف الكامن Potential Violence. أما في إطار ممارسات المدرسة الطبية، فإن استخدام مفهوم الأزمة من قبل المنتمين إليها إنما يتم للدلالة على نقطة تحول بين التحول المحظوظ وغير المحظوظ في حالة الكائن الحي، أي بين الحياة والموت. فخصوصية مفهوم الأزمة تزداد صعوبة إذا أخذ في الاعتبار حقيقة أن المفهوم يكثر استخدامه من قبل العديد من المتخصصين في علوم النفس، الاجتماع، السياسة، التاريخ وفي غيرها من مجالات العلوم الاجتماعية، الأمر الذي يترتب عليه قصور فائدة المفهوم في بناء نظام معرفي حول الأزمة كظاهرة اجتماعية. وعلى ضوء ذلك يرى روبنسون أن هناك اتجاها عاما نحو استخدام المفهوم للتدليل على نقطة تحول تميز ناتج حدث ما بشكل مرغوب أو غير مرغوب فيه، بين الحياة والموت، العنف أو اللاعنف، الحل أو الصراع الممتد⁵⁶.

55 غاسون، بوتول، "هذه هي الحرب"، ترجمة محمد قنواطي، الطبعة الأولى، بيروت، منشورات عويدات، 1981، ص42

56 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص45.

و من ثم، و من اجل التوصل إلى دلالات أكثر دقة وتحديدًا لمفهوم الأزمة، فإن الاتجاه العام ينصرف إلى التمييز بين جوانب جوهرية وأخرى إجرائية عند تعريف الأزمة، كما يجب التمييز أيضا بين الأزمة موقفا لاتخاذ القرار. وبينما يستند التعريف الجوهري للأزمة على تحديد محتوى السياسة، أو المشكلة، أو الموقف، فإن التعريف الإجرائي يؤكد على السمات الجوهرية الأساسية للموقف بدون النظر إلى ما إذا كانت حالة خاصة تتضمن على سبيل المثال: أزمة داخلية، أو سياسية، أو حتى أزمة على المستوى الفردي⁵⁷. أما تعريف الأزمة كموقف قرار، فإنه يتطلب تحديد عناصر ثلاثة أساسية: أصل الحدث لصانع القرار، سواء كان هذا الحدث داخليا أو خارجيا، الوقت المتاح لاتخاذ القرار أو للاستجابة، وهنا يتم التمييز بين مستويات ثلاثة: قصير، متوسط، طويل، وأخيرا تحديد الأهمية النسبية للقيم موضع الخطر بالنسبة للمشاركين من حيث كونها عالية أو منخفضة⁵⁸.

على ضوء ذلك، يمكن الإشارة إلى بعض تطبيقات المعايير في التعريف بالأزمة. فهناك من يتجه إلى تعريفها بأنها " فعل أو رد فعل إنساني يهدف إلى توقف، أو انقطاع نشاط من الأنشطة، أو زعزعة استقرار وضع من الأوضاع، بهدف إحداث تغيير في هذا النشاط أو الوضع لصالح مدبره"⁵⁹. كما تعرف الأزمة أيضا بأنها تحول فجائي عن السلوك المعتاد، بمعنى تداعى سلسلة من التفاعلات يترتب عليها نشوء موقف مفاجئ ينطوي على تهديد مباشر للقيم أو المصالح الجوهرية لأحد أطراف الصراع (أفراد، جماعات، دول)، مما يستلزم اتخاذ قرارات سريعة في وقت ضيق، وفي ظروف عدم التأكد، وذلك حتى لا تنفجر الأزمة في شكل صدام أو مواجهة (خاصة المواجهة العسكرية في حالة كون أطراف الأزمة دولاً). و عادة ما تتم مواجهة الأزمة بإدارتها، أو التلاعب بعناصرها المكونة لها، وبأطرافها بهدف تعظيم الاستفادة من ورائها لصالح الأمن القومي⁶⁰.

و من الناحية الاجتماعية تحدد الأزمة بأنها توقف الحوادث المنتظمة، والمتوقعة، واضطراب العادات والعرف، مما يستلزم التغيير السريع لاستعادة التوازن، ولتكوين عادات جديدة أكثر ملائمة⁶¹.

57 المرجع نفسه.

58 المرجع نفسه.

59 عباس، رشدي العماري، مرجع سبق ذكره، ص19.

60 السيد، عليوه، مرجع سبق ذكره، ص406.

61مخير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص46.

وبوجه عام، فإن الطبيعة العامة لمفهوم الأزمة تتحدد في خمس سمات أساسية توجز فيمايلي:

- الأصول الإدارية للأزمة: ويعنى ذلك أن الأزمة ترجع في جذورها إلى تصور إداري حيث تثار مشكلة في أحد مناطق النزاع حول صنع قرار ما، لكن الوسائل الروتينية المتاحة لاتخاذ قرار بشأن هذه المشكلة تكون غير كافية، ومن هنا يزداد الضغط من أجل التغيير.

- المحور النخبوي: وهو متعلق بالنخبة بمعنى أن أي تغيير في البيئة المحيطة قد يؤدي إلى تولد مشكلة سياسية، ويتوقف ذلك على الجماعة التي تتأثر بالتغيير، وكلما كانت تلك الجماعات أقرب إلى قنوات الاتصال المركزية، وأكثر تنظيماً، وأقوى سيطرة على الموارد الهامة، كلما زاد الاحتمال بأن تتحول المشكلة إلى أزمة سياسية، ويعود ذلك إلى نشأة الأزمة داخل النخبة وليس خارجها.

- الإطار المؤسسي: ويشير إلى أن احتمالات أن تتطور أي مشكلة إلى أزمة إنما يتوقف على المرونة التنظيمية للمؤسسات القائمة. وهذا يعنى ضرورة انتهاج النظام لسلوك إداري تجديدي من جانب النخبة بما يؤدي إلى تغيير النمط المؤسسي للمجتمع وإلا استدعى الأمر استبدال النخبة ذاتها.

- الوضع الحدي: بمعنى أن الأزمات المتتالية لا تتضمن حركة صاعدة مستمرة في اتجاه زيادة قدرة النظام السياسي، فليست كل الأزمات تحل بقرارات تجديدية ابتكاريه، فقد يؤدي بعضها إلى انهيار مؤسسة أو أخرى من مؤسسات النظام السياسي، أو إلى انهيار مجتمعي شامل .

- الآلية المتجددة: وتشير إلى أن الأزمات بتتابعها وتداخلها يرجح أن تترك انطبعا عاما بأنها آلية متجددة توحى بالاستمرار وبالتواصل. وتنتج هذه الآلية من الاحتمالات التي تنتظر أي أزمة.⁶²

أما تشارلز ماكلياند C.McLelland فيعتبر الأزمات الدولية: "عبارة عن انفجارات قصيرة Bursts Short تتميز بكثرة وكثافة الأحداث فيها، كما تتميز بالسلوك المتكرر أي أن الأزمة تأخذ مساراً مماثلاً لغيرها"⁶³.

نستنتج مما سبق أن الأزمة هي وضع نزاعي يحدث بصورة فجائية ويتميز بقصر مدته وتسارع أحداثه مما يجعل أطراف الصراع في وضع حرج يتطلب منهم اتخاذ قرارات والقيام بردود أفعال سريعة، وهذا

62 المرجع نفسه، ص ص46-47.

63 جيمس، دورتي و روبرت، بالتسغراف، "النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية"، ترجمة: وليد عبد الحي، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، 1985، ص122.

على العكس من الصراع الذي يتميز بطول مدته وقد ينخفض الصراع ويعرف بعض الركود، لكنه يعود ويظهر من جديد في شكل توتر وقد يصل إلى درجة الحرب التي تنهي الصراع وقد لا تنتهي في حالة فشل الأطراف في تحقيق أهدافهم من خلال الحرب.

ح - مفهوما العنف والإرهاب

- يعتبر العنف Violence مفهوم له شموليته وخصوصيته فهو يعتبر متميزا عن الحدة أو الكثافة التي يحدث بها الصراع لأنه يشير إلى اختيار وسائل تنفيذ الصراع أكثر من إشاراته إلى درجة التورط من قبل المشاركين في الصراع، فكثافة الصراع أو حدته يتباينان بشكل مستقل عن بعضهما البعض. فكلما كانت أطراف الصراع أكثر اندماجا في المجتمع أو الجماعة، كلما قل الاحتمال أن يكون الصراع بينهما عنيفا. في حين أنه كلما ازدادت وكبرت درجة الاندماج، كلما ارتفع احتمال أن تختار الأطراف المتصارعة أسلحة تؤدي بشكل دائم إلى تهديد الروابط المشتركة بينها⁶⁴.

إضافة إلى ذلك، فإن العنف من حيث موضوعه أو أشكاله وصوره يتضمن - إلى جانب الحرب- أنشطة وأعمالا أخرى مثل: الاغتيالات السرقة، الإكراه، الشغب، والتظاهر غير السلمي أو الصاخب، التجاوزات في بعض أعمال البوليس وممارسته، الأعمال الانتقامية والتدخلات القسرية في شئون الآخرين. أما من حيث أطرافه، فإنها قد تكون أفرادا أو جماعات أو دولاً. كما أن مجاله أو نطاقه يتسم بالشمول والاتساع فيتراوح من مجرد الأعمال الفردية إلى مستوى أعمال العنف على المستويين الوطني والدولي من قبل الجماعات المنظمة. كما قد ترتبط هذه الأعمال بدوافع عقائديه أو أيديولوجية أو سياسية - كما في حالات حركات التحرر الوطني على سبيل المثال- أو بمصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية معينة، كما تؤثر مصالح الأطراف المعنية على تقييمها ونظرتها لهذه الأعمال، و بالتالي تتنوع المواقف والسياسات إزاء أعمال وجماعات العنف بوجه عام على المستويات الفردية أو الجماعية للأفراد والجماعات والدول وكذلك للأطراف الأخرى كالمنظمات والهيئات الإقليمية أو الدولية وما شابهها⁶⁵.

- أما مفهوم الإرهاب Terrorism فإنه يمثل صورة خاصة من صور الصراع منخفض الحدة، أو إحدى صور الصراع التي تنخفض فيها درجة العنف نسبيا. وعادة ما تتم الأعمال الإرهابية بواسطة الأفراد أو الجماعات التي تتصرف أو ترتكب أعمالها كنوع من المعارضة لحكومة قائمة، أو نائبة عنها، أو عن سلطة حكومية. وتتمثل السمة المميزة للإرهاب في أن نية التأثير - أو التأثير المقصود- على جماعة محددة

64 منير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص47.

65 المرجع نفسه، ص ص47-48.

كهدف لها، أكثر من التأثير على ضحيتها مباشرة، و التي قد تكون، أو لا تكون طرفا في النزاع المباشر. وعلى ذلك، ومقارنة بالصراع، فإن الإرهاب يمثل إستراتيجية سياسية قائمة على القهر تستخدم التهديد بالعنف والألم كأداة رئيسية لها⁶⁶.

خ - مفهوم الحرب

تعد الحرب War أكثر صور العنف ذيوعا وشهرة في الصراعات الدولية. وعلى الرغم من الاختلاف حول التعريف الدقيق للمفهوم، أو ما يمكن تسميته التعريف، الجامع المانع للحرب. وذلك لاختلاف و تباين المنظومات القيمية و الاجتماعية و طبيعة نظرتها للحرب كوسيلة لتحقيق أهداف معينة حيث وفي هذا الصدد هناك من يعرف الحرب بأنها: " حالة قانونية تسمح وبصورة متساوية لعدوين أو أكثر الاستمرار في صراعهما باستخدام القوة المسلحة". وفي تعريف مبسط آخر تعرف الحرب بأنها " أعمال عنف مسلح بين دولتين -أو أكثر - ذوات سيادة"، أو أنها - أي الحرب- هي "أقصى صور الصراع عنفا وأكثرها وضوحا وسفورا⁶⁷. كما أن الأطراف، وقد تورطت فعلا في الحرب والصدام، عادة ما تتجه إلى تجاهل اختلافاتها الأساسية، والتطورات التي قادت إلى الحرب من جانب، كما أنها وقد تورطت فعلا في الحرب، تصبح أولويتها الأولى متمثلة في الإضرار بمصادر قوة الخصم، و السعي إلى تدميرها بما يحقق هدفها في الانتصار أو عدم الخسارة. غير أن التعريف الراجح هو الذي يحدد الحرب بأنها قتال مسلح بين الدول يهدف إلى تحقيق أغراض سياسية أو قانونية أو اقتصادية أو عسكرية و يظهر من خلال التعريف أن للحرب الخصائص التالية:

- أن الحرب قتال بين دول أي بين قوات حكومية للدول.
- أن يكون قتالا مسلحا.
- تهدف إلى تحقيق هدف معين، سواء كان هذا الهدف سياسيا أم قانونيا أم عسكريا.
- تجري وفق قواعد حددها القانون الدولي، سواء كانت عرفية أو اتفاقات دولية⁶⁸.

على ضوء ما سبق من تعريفات يمكن الإشارة إلى بعض الملاحظات الأساسية:

أولا: فيما يتعلق بالحرب كمفهوم:

66 George A. Lopez, Michael S. Stole, Op. Cit., P.435.

67 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص ص48-49.

68 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص ص55-56.

- ينظر للحرب على أنها "حالة قانونية"، الأمر الذي يعني أن القانون والعرف يعترفان بأنه بمجرد قيام الحرب، فإن هناك أنماطا معينة من السلوك والاتجاهات تصبح مقبولة، أو ملائمة للموقف. فالحرب لا تتضمن فقط انتشار أعمال العنف المسلح بين أطرافها، ولكن أيضا أن يتم الاعتراف بحالة الحرب هذه، مع ما يترتب ذلك من التزام أطرافها باحترام القواعد التي حددها القانون الدولي لمثل تلك المواقف.

- إن الربط بين قيام هذه الحالة و وجود جماعتين أو أكثر على حالة عداة يشير ضمن عوامل أخرى إلى وجود و تأثير اتجاهات جماعية أكثر من كونها فردية، وإلى أن هذه الاتجاهات عدائية أكثر من كونها صديقة أو موالية.

- أن اعتبار الحرب بانها استمرار للصراع بين الجماعات باستخدام القوة المسلحة إنما يعكس الطبيعة الصراعية أو التنافسية للعلاقة بين الأطراف المعنية في الفترة السابقة على اندلاع أعمال العنف المسلح بينهما. من هنا يعد اندلاع الحرب تعبيراً عن وصول الصراع إلى ذروته وسعى أطرافه لتسوية أو حله من خلالها. و بعبارة أخرى، فإن اندلاع الحرب يعنى فشل كل الوسائل أو الآليات الأخرى غير العنيفة في التوصل إلى تسوية أو حل مقبول بين أطراف الصراع.

وهكذا، يتضح أن مفهوم الصراع الدولي يعد أكثر شمولاً عن مفهوم الحرب في نطاقه، وأكثر تعقيداً في طبيعته وأبعاده. فالحرب متى بدأت، تصبح خيارات أطرافها محدودة بالنصر أو الهزيمة، بينما في ظروف الصراع، وفي المراحل السابقة على حدوث الحرب، يكون هناك ثمة مجال أوسع لإدارة الصراع، والتكيف مع ضغوطه في اتجاه أو آخر، مع الاحتفاظ بالمقدرة النسبية على الاختيار بين البدائل المتاحة أمام كل طرف من أطرافه⁶⁹.

ثانياً : فيما يتعلق بالحرب كعملية :

فإن الحرب كعملية تشير إلى الارتباط والتفاعل بين مكونات أو سمات أربع أساسية حددها كوينسي رايت *Quincy Wright* بأنها تشمل: نشاطاً أو عمليات عسكرية، مستوى عالي من التوتر، قانوناً غير عادي، ودرجة رفيعة من التكامل السياسي⁷⁰. وعليه فإن الحرب كعملية تمثل أكثر صور الصراع عنفاً وأكثرها وضوحاً وسفوراً حيث يتضمن ذلك الإقرار بأن حدوث الحرب يمثل نهاية لمرحلة في الصراع اتسمت بفشل

69 إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص ص223-224.

70 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص50.

كل الوسائل والآليات غير العنيفة في تسوية أو حل الصراع بين طرفيه (أو أطرافه)، كما أنها - أي الحرب - تبدأ أيضا مرحلة جديدة يتم فيها اللجوء إلى استخدام العنف كآلية يمكن توظيفها لتحقيق مصالح أو مكاسب محددة لم يكن تحقيقها ممكنا من وجهة نظر أطرافها ما لم يتم اللجوء إلى الحرب لحسم الصراع بينهما.

الواضح من خلال ما تم طرحه أن الحرب تتضمن فكرة العنف المادي، على خلاف مفهوم الصراع الذي يُحدد بوصفه، كما أسلفنا، تعارض إرادات الأطراف، تصوراتهم ومصالحهم، دون أن ينطوي ذلك بالضرورة على فكرة العنف المادي، وهذا يعني أن الصراع أشمل من الحرب التي تقتصر على النزاعات العسكرية فحسب، و نجد هذا المعنى في بعض من تعريفات الحرب مثل تعريف بوتتراند راسل B.Russel الذي يرى أن: "الحرب بمثابة صراع بين مجموعتين تحاول كل منهما قتل أو تشويه أو تعطيل أكبر عدد ممكن من المجموعة الأخرى، للوصول إلى هدف تعمل له"⁷¹. حيث يعتبر هذا التعريف الحرب صراعا لكنه عنيف (قتل، تشويه، تعطيل) مما يعني أن مفهوم الصراع أشمل من مفهوم الحرب. ونجد هذا المعنى أيضا في تعريف مالينوفسكي Malinowski وبيير Pear، للحرب: "... صراع مسلح بين وحدتين سياسيتين مستقلتين عن طريق اللجوء إلى القوة المسلحة المنظمة..."⁷²، وكذلك في تعريف مارسيل ميرل: "الحرب هي وضع أو موقف يتميز بالوضوح على الأقل في مظهره حيث نكون في هذه الحالة بصدد صراع مسلح بين دولتين..."⁷³. أما غاسون بوتول G.Bouthoul فيقول أن: "الحرب هي نضال مسلح و دام بين جماعات منظمة..."⁷⁴.

تتفق هذه التعريفات على كون الحرب هي صدام مسلح أي وجود عنصر العنف المادي، كما قدم ديفيد D. Singer، و ملفين سمول M. Small تعريفا دقيقا للحرب، يعتمد على معايير كمية فأروا أن قيام حرب يستوجب تحقيق ثلاثة شروط:

- وجود ألف قتيل كحد أدنى نتيجة للنزاع المسلح.

71 ناصيف، يوسف حتي، مرجع سبق ذكره، ص294.

72 Raymond, ARON, « Etudes politiques », Paris : éditions Gallimard, 1972, P.385.

73 مارسيل، ميرل، مرجع سبق ذكره، ص498.

74 غاسون، بوتول، مرجع سبق ذكره، ص42.

- تحضير مسبق للصراع عبر وسائل التعبئة والتجنيد والتدريب ونشر القوات المسلحة واعتماد الخطط للقتال المسلح.

- وجود تغطية شرعية أي أن هناك دولة أو وحدة سياسية تعتبر أن ما تقوم به ليس بمثابة جريمة بل هو واجب لخدمة أهداف جوهريّة وشرعية عند الدولة⁷⁵.

لقد اقترنت الحرب بالصراع الدولي، كمفهوم واحد و متبادل، طوال مدة نشوء و تطور العلاقات الدولية. و قد كانت الحرب صفة أساسية للدولة، و لهذا اعتبرت عملا قانونيا لتثبيت كيانها. فقد لجأت الدول منذ القدم إلى استخدام القوة العسكرية في علاقاتها الدولية، و أصبحت جزءا من مقومات الدولة، بوصفها وسيلة فعالة لإجبار الطرف الآخر على القيام بعمل، أو الامتناع عن عمل ما. بل إن مفهوم توازن القوى الدولي ذهب -في تلك الفترة - إلى حد اعتماد مبدأ منع الحرب، عن طريق التهديد باللجوء إليها⁷⁶.

اتسع مفهوم الحرب طبقا لأسلوبها، و أهدافها، ليشمل مفهوم الصراع. ثم بدا بالتراجع تدريجيا، كوسيلة وحيدة تدار من خلالها -بصورة واحدة- جميع الصراعات الدولية. و أخيرا، بدأ ينحسر هذا المفهوم، ليضيق بمعادلة عكسية لتطور العلاقات الدولية، من ثنائية العلاقات الأوروبية- الأوروبية، إلى العالم بأسره، و تزايد عدد الدول اللاعبة، و كذلك تشابك المصالح المتبادلة بين الدول، و تنوع أشكالها، و تعقد و تنمية وسائل التعامل الدولي⁷⁷.

و العامل الحاسم في افتراق المفهومين بشدة، كان تجربة العالم لحروب استخدمت فيها الأسلحة الفتاكة، التي خلفت وراءها آثارا مروعة، و سببت كوارث إنسانية للملايين. مما ولد وعيا واقعيا، بثقل و خطورة العنف المرتبط بظاهرة الحرب، و المطالبة بعدم اعتبارها الوسيلة الوحيدة في إدارة الصراع و حسمه. مما أدى إلى حصول عملية عزل بين مفهومي الحرب و الصراع الدولي، وفق مؤشرات تؤكد تغير النظرة الموضوعية و الوعي بالنسبة لظاهرة الحرب، و علاقتها بالصراع الدولي. لكن، و بالرغم من إقرار الدول

75 Melvin, SMALL and J. David, SINGER, "Resort to arms: international and civil war, 1816-1980", Beverly Hills: Sage, 1982, P.295.

76 ثامر , كامل الخزرجي، "العلاقات السياسية الدولية"، عمان: دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، 2005، ص 648.

77 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص 57.

بمبدأ عدم استخدام القوة في العلاقات الدولية، و إدارة مختلف الصراعات بالوسائل السلمية، إلا أنها جميعها تتجه نحو بناء قوتها العسكرية، و تجهيزها بأحدث الأسلحة، بحجة حماية أمنها و سيادتها، من أي عدوان⁷⁸.

المطلب الثاني: طبيعة الصراع الدولي

بوجه عام، تجب الإشارة إلى أن للصراع جانبين يمكن التمييز فيهما بين جانب سلبي وآخر إيجابي. وإذا كان من السهل إدراك الجانب السلبي للصراع من خلال ارتباطه العام والمستقر في الأذهان بما يتضمنه الصراع من محاولات لتدمير، أو استغلال، أو فرض حل على طرف آخر أو آخرين، فإن الجانب الإيجابي للصراع إنما يشير بوجه عام إلى ذلك الجانب المتمثل في الدفع نحو عمل أو إقامة الاتصالات، وحل المشكلات، والتبادل الإيجابي بين الأطراف المعنية⁷⁹. من هنا كانت أهمية النظر إلى الصراع باعتباره، وكما يذكر إدوارد موراي Edward J. Murray : "متضمناً لدوافع الإنجاز، والارتباط، والإتباع، وغيرها من الدوافع الإيجابية"⁸⁰، أي أن الصراع في بعض أبعاده يمثل "عنصراً خلاقاً في العلاقات الإنسانية، فهو يمثل وسيلة للتغيير يمكن من خلالها تحقيق القيم الاجتماعية المتعلقة بالرفاهية، والعدالة، وفرص تحقيق وتنمية الذات"⁸¹.

و في هذا الاتجاه، فإنه يمكن التأكيد على بعض المنطلقات الأساسية التي تسهم في تعظيم الأبعاد الإيجابية للصراع و التي يمكن إيضاحها على النحو التالي:

- إن الطبيعة الهدامة ليست جانباً حتمياً في الصراع، كما أنها ليست سمة ملازمة للطبيعة البشرية، و لا يمكن السيطرة عليها، فالأفراد - كانوا ولا زالوا - يكتشفون إمكانية التوصل إلى وسائل مختلفة، للتعامل مع اختلافاتهم، والمنازعات فيما بينهم، ولإدارة الصراع، بصورة تؤدي إلى نتائج أفضل بوجه عام⁸².

- إن الصراع موجود كأحد سمات وخصائص الحياة والعلاقات الإنسانية، ففي التفاعلات التبادلية اليومية، عادة ما يسعى كل طرف إلى تعظيم منفعته، و تخفيض منفعة الطرف الآخر. من هنا، كانت

78 المرجع نفسه، ص ص57-58.

79 منير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص41.

80 المرجع نفسه.

81 المرجع نفسه.

82 المرجع نفسه.

ضرورة أن يتوصل الطرفان إلى تبادل مقنع، يراعى ويحقق بعض القواعد والحدود. بما يحقق التوافق والاستقرار، بدلاً من التصادم والصراع⁸³.

- يرتبط طرفي أو أطراف الصراع من خلال اختيارهم لقنوات الاتصال بينهم أحد الصورتين التاليتين: إما إقامة نمط لعلاقة صراعية بينهما A Conflict Set ، وفيها يؤدي أحد الأفعال إلى تحقيق فائدة لأحد الطرفين أو الفاعلين على حساب الآخر، أو أن يختاروا تأسيس نمط لعلاقة تبادلية A Trading Set للوسائل والغايات. ومن ثم، فإن الحركة بينهما تفيد كلاً من الطرفين بشكل ملحوظ⁸⁴.

على ضوء ما سبق، يمكن التأكيد على أن للصراع بعض الوظائف الهامة التي تتيح في مجملها - وخلال دورة حياته، وفي مستوياته، وأنواعه المتعددة - إمكانية تحويل الصراع من صراع مدمر إلى صراع إيجابي، له دوره ووظيفته كأداة فعالة وذات اتصال وثيق بقضايا التغيير الاجتماعي وضبطه⁸⁵. و من أهم مجالات تلك الوظائف ما يتعلق بدور الصراع كمسهل للتغيير الاجتماعي ومحقق للتكامل والاندماج، ومعيد للتوازن والاستقرار، و رافع من كفاءة معدلات التنسيق بين أطرافه. هذا، بالإضافة إلى الوظيفة التقليدية للصراع التي تدور في معظم الأحوال حول دعم وتأكيد عمليات السيطرة على الموارد المحدودة أو المرغوبة من قبل أحد طرفيه⁸⁶.

لكن وعلى العموم فإن الفكر السياسي في دراسته لطبيعة الصراع الدولي انقسم إلى مدرستين رغم اختلافات في الرؤية حول هذا الموضوع: مثالية و واقعية.

المدرسة المثالية:

يرى المثاليون أن هناك تناسقا و توافقا في المصالح بين مختلف الدول و بالتالي وجود نسبة عالية من التعاون فيما بينها و اعتماد القانون الدولي و المنظمات الدولية للقضاء على النزاعات و إقامة تنظيم أفضل للعالم و خدمة أهداف السلم و دعم و تطوير التفاهم الدولي و انطلقوا من مسلمات فلسفية تفاؤلية

83 منير ، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص41.

84 المرجع نفسه، ص42.

85 المرجع نفسه.

86 المرجع نفسه.

حول الطبيعة البشرية و دور المعرفة و العقلانية و جود انسجام في المصالح و كذا إمكانية فرض معايير قيمية مطلقة . لذلك لم يركزوا على الدولة و لا النظام الدولي⁸⁷.

كانت لدى المثاليون قناعة بان الصراع من اجل القوة في النظام الدولي ما هو إلا ظاهرة مؤقتة بل هو عارض تاريخي سينتهي و يختفي بزوال الأوضاع التاريخية التي أدت إليه⁸⁸. و أن ثمة أسباب كثيرة لظهور الصراع الدولي و تطوره مثل: أن التنافس في الحصول على المستعمرات هو السبب في جميع المشكلات الدولية. كما اقتنع دعاة حرية التجارة بان إلغاء الحواجز التجارية هي الشرط الوحيد لإقامة الانسجام و السلام الدائم بين الدول و أنها قد تؤدي إلى زوال السياسات الدولية بصورة كلية.

و هناك من اعتقد أن الصراع الدولي سيختفي باختفاء أسبابه ، فقد اعتقد كارل ماركس أن الرأسمالية و أطماعها الاقتصادية هي السبب في جميع الخلافات الدولية و الحروب وان زوال هذه الأطماع سيزيل أسباب الصراع الدولي. بينما اشترك الليبراليون في الاعتقاد أن انتصار الديمقراطية و الحكم الدستوري سيخلق الانسجام الدولي. و أن السلام الدائم سينتصر على سياسات القوة و الحرب من خلال إنشاء المنظمات العالمية و تفعيلها⁸⁹.

المدرسة الواقعية:

تصدى الواقعيون للأطروحات المثالية من خلال نظرتهم إلى جوهر العلاقات الدولية باعتبار أن مصالح الدول تتضارب إلى درجة الصراع، لذا فهم يرون أن الصراع من اجل القوة و ليس التعاون هو السمة الأبرز في العلاقات الدولية. و ليس هناك من يستطيع إنكار أن الدول على اختلاف أوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية قد التقت في جميع الأزمنة و الأماكن على الصراع من اجل القوة⁹⁰.

لقد استطاعت النظرية الواقعية التقليدية في العلاقات الدولية على يد هانز مورجانتو أن تخطو خطوات عملاقة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية أين كان المناخ مواتيا لتقبل أفكاره و المتعلقة بان الحل لا يكمن في رفض العوامل المسببة للصراعات الدولية و إنما في فهم و إدراك هذه العوامل و التعامل

87 ناصيف، يوسف حتى، مرجع سبق ذكره، ص60.

88 كاظم، هاشم نعمة، "العلاقات الدولية"، بغداد: شركة إباد للطباعة الفنية، 1987، ص54.

89 محمد، محمود ربيع و إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص485.

90 هانز، مورجانتو، "السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلام والسلطان" ترجمة خيرى حماد، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965، ص60.

معها بدل الوقوف في وجهها. و هكذا، وضع تصوره لذلك بالتركيز على مفهوم المصلحة المرتكزة على القوة من اجل فهم السياسة الدولية التي ما هي إلا صراع من اجل القوة. وان سعي الدولة لامتلاك القوة باستخدام القوة هو أمر طبيعي و مطلوب. لكن هذه الأطروحات واجهت انتقادات بسبب منهجيتها السلوكية في اعتبار الدولة الفاعل الأساسي في السياسة الدولية و مبالغتها في تفسير مفهومي المصلحة و القوة و إغفالها لدور المؤسسات الدولية و اطر العلاقات الاعتمادية التبادلية في نظام له بنيته و كيانه المميز⁹¹.

وعليه ، فقد عرض كينيث والتز *Kenneth Waltz* في إطار الواقعية الجديدة أو الواقعية البنوية نظريته القائمة على تفسير البيئة النظامية على المستوى الدولي انطلاقا من اعتبار وجود مقيدات دولية لأفعال القوى اشد تأثيرا من تلك النابعة من السياسات الداخلية. هذه الأخيرة تخضع لهيكل هرمي منظم أما الأولى فليست كذلك. و بالتالي يصبح لزاما على الدول لن تكتسب القوة اللازمة و الكفيلة للمحافظة على نفسها في سياسة دولية لا وجود فيها لسلطة عالمية. وهكذا فان الصراع حالة منطقية و اعتيادية فطالما أن البقاء في عالم غير مستقر لن يتحقق من دونه فهو ذا وظيفة ايجابية تقود إلى التوازن⁹².

كما قدم روبرت غلين *Gilpin Robert* فهما مختلفا لنظرية الواقعيون الجدد حيث يعتقد أن العلاقات الدولية تعمل من خلال قواعد الدولة القوية المهيمنة حتى تبرز للوجود قوة جديدة متحدية تزيحها. و بالتالي، فعلاقات الصراع من اجل القوة هي القوة المحركة المركزية الأولى للتاريخ وان التاريخ ما هو إلا دورات من الأنماط المتكررة للقوى البازغة لتحدي الدولة القائدة و المركزية في النظام الدولي⁹³.

لقد تمخض تركيز المدرسة الواقعية بصنفيها التقليدية و الجديدة على عنصر القوة في العلاقات الدولية لاسيما بعد نهاية الحرب الباردة و الهيمنة التي وفرتها التكنولوجيا العسكرية إلى بروز تيار جديد يطلق عليه اسم "المحافظون الجدد" أين تشكل فيه المنافسة العسكرية الدائمة من اجل السيطرة المعيار الأساسي. فالمحدد الجوهرى للعلاقة بين الدول، هو القوة العسكرية و الرغبة في استخدامها، و التركيز على القدرة الأحادية والنظر إلى استخدام القوة بمثابة الخيار الأول للسياسة الخارجية و ليس الأخير⁹⁴.

91 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص ص 19-20.

92 Kenneth, WALTZ, "Realist thought and Neo-Realist theory", *journal of international affairs*, Vol. 44, No.1, P.29.

93 Conway, W. HENDERSON, "International Relations: Conflict and Cooperation at the turn of 21st century", The United State of America: Mcgraw-Hill College, First Edition, 1997, P.55.

94 ستيفان، هالبر و جونانان، كلارك، "التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد و النظام العالمى"، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت: دار الساقي، 2004، ص 104.

المبحث الثاني: الأسباب المفسرة لنشأة الصراع الدولي وأنواعه

في هذا الصدد، تتبغى الإشارة إلى أن الأدبيات المتخصصة في تفسير نشأة الصراع وتطوره بوجه عام، إنما تتيح إمكانيات هائلة للتمييز في اتجاهات التنظير بين مداخل متعددة، وفي إطار الإشارة العامة إلى مجمل هذه النظريات مجتمعة، سواء تعلق بالصراع بوجه عام أو بالصراع الدولي بوجه خاص، فإن الاهتمام سوف يوجه بصفة خاصة إلى ما يسمى بـ "دائرة الصراع" كأداة تحليلية يتم من خلالها استخدام مجموعة من النظريات - في مستويات متكاملة- لتفسير السلوك الصراعى، والتعرف على جذوره ومسبباته. ومن ثمة تحديد أنواعه و تصنيفاته.

المطلب الأول: الأسباب المفسرة لنشأة الصراع الدولي

تتصف المداخل أو النظريات المفسرة لظاهرة الصراع بوجه عام بالتنوع والثراء. فمنها ما يهتم بتفسير الصراع كظاهرة عامة، ومنها ما يتجه إلى قصر اهتمامه على دائرة الصراع الدولي بوجه خاص. وهنا يمكن القول ابتداءً، أنه أياً كانت دائرة الاهتمام النظري في تفسير ظاهرة الصراع، فإن الصراع كظاهرة بالغ التعقيد لتداخل المتغيرات المرتبطة به وتشابكها من جانب، ولتعدد أنواعه ودوائره، ومن ثم مستويات تحليله ودراسته من جانب آخر. ومن هنا كانت ضرورة أن ينهض التفسير الموضوعي لظاهرة الصراع على الاستفادة المتكاملة من الإمكانيات التي توفرها تلك المناهج والنظريات مجتمعة، مع الأخذ في الاعتبار السمات الخاصة لكل حالة صراعية.

1- المدخل النفسي أو السيكلوجي:

يعتمد المدخل النفسي أو السيكلوجي في تفسير الظاهرة الصراعية على عدد من الاتجاهات النفسية العامة التي تهتم بتقديم تفسير سيكلوجي لظاهرة الصراع في مستويها الفردي والدولي. وبوجه عام، تستند التفسيرات النفسية العامة لظاهرة الصراع على المستوى الدولي إلى مجموعة العوامل النفسية التي يمكن الإشارة إلى أهمها في إطار أربع اتجاهات أساسية:

أ - الاتجاه الأول: النزعة العدوانية للطبيعة الإنسانية.

يرجع قدماء الفلاسفة الصراعات والحروب إلى الطبيعة الشريرة للإنسان وإلى غريزة السيطرة والأنانية المتأصلة في روحه وسيطرة الأهواء على عقله. فيرى سانت أغستين ST. Augustin أن الأهواء تسيطر دائما على العقل وأن الإثم متأصل في الإنسان منذ بدء الخليقة فالنزاع إذن ينتج عن طبيعة التركيبة البشرية التي تتسم بالعجز والقصور في العواطف ويظهر ذلك في مشاعر كالعنف، حب الانتقام، العداة و الرغبة الشديدة في اكتساب القوة⁹⁵.

وينطلق الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز T.Hobbes من مقولة مفادها: "أن الإنسان يميل دوما إلى النزاع مع أقرانه من البشر مدفوعا لذلك إما بالبحث عن المنفعة أو الدفاع عن أمنه أو طمعا في المجد"⁹⁶. كما يفسر الفيلسوف الهولندي سبينوزا Spinoza العنف بإرجاعه إلى ما يعتبر النواقص في الشخصية البشرية، حيث تتغلب الأهواء على العقل في أغلب الأحيان وتخفي المصالح الحقيقية للدول والأفراد⁹⁷.

أما الفيلسوف الألماني نيتشه Nietzsche فيعتبر الإنسان المصدر الوحيد للنزاعات، إذ يرى أن الإنسان هو السلطة الأعلى في إدارة شؤونه ولا يوجد قانون أو عرف أو أي شيء آخر يعلوا فوقه، و يعتقد أن الاضطراب موجود في عقل الإنسان، فالقوة تسير دائما حياته والأقوى هو الذي يسيطر ولا مكان للعدل والسلام في العالم ويعتبر نيتشه أن الوجود الإنساني هو نزاع دائم ومتواصل⁹⁸.

كذلك يرى الفيلسوف راينهولد نايبور R.Niebuhr أنه: "لا يمكن استئصال الإثم والشر من المجتمع نتيجة وجودهما في الطبيعة البشرية وخاصة نتيجة أنانية الإنسان لذلك أكد على استحالة السيطرة على الحروب أو إلغائها بالوسائل العقلانية، فكل ما يمكن أن يفعله الإنسان هو محاولة تقادي الدخول في النزاعات"⁹⁹.

من جهتها قدمت النظريات السيكولوجية تفسيرا لأسباب الصراعات من خلال الطبيعة البشرية وسلوك الفرد حيث حددت المنطلقات النظرية للمدرسة السلوكية التي تنطلق من مسلمة أساسية مفادها أن سلوكية

95 ناصيف, يوسف حتي, مرجع سبق ذكره, ص306.

96 مارسيل, ميرل, مرجع سبق ذكره, ص53.

97 المرجع نفسه, ص54.

98 ناصيف, يوسف حتي, مرجع سبق ذكره, ص307.

99 المرجع نفسه.

وحدة سياسية أو غير سياسية هي بالنتيجة سلوكية الأفراد، الذين هم صناع القرار في تلك الوحدة. فعلماء النفس يفسرون الصراع بين الجماعات والدول بإرجاعه إلى الصراع داخل نفس الفرد، وهم يربطون الصراع بمفاهيم نفسية مثل: الضغط النفسي، الكبت، التأنيب، الإحباط... الخ.

ويعرف بعض علماء النفس الصراع كغريزة في نفس الإنسان، لذلك نجد سيغموند فرويد S.Freud يقدم تفسيره للدوافع المحركة لعملية التنازع و التصارع على المستوى الدولي في إطار ما سماه نزعة الإنسان إلى التدمير. هذه النزعة تجد أساسها في غريزة حب التسلط، حب السيطرة وفي الدافع نحو الانتقام والتوسع والمجازفة. وتمثل النزاعات والحروب في رأيه الفرصة المثلى لإرضاء وإشباع هذه الغرائز الكامنة في أعماق الطبيعة الإنسانية¹⁰⁰.

ويعتبر كونراد لورنز K. Lornez: "أن أكثر أو حتى كل الناس مهما كان وضعهم في المجتمع، يملكون في ذاتيتهم الداخلية دوافع عدوانية تظهر في تصرفاتهم وسلوكياتهم". فالعدوانية حسب لورنز، هي نوع من غريزة الحفاظ على الذات، ويرى أن ما ينطبق على الفرد ينطبق على الجماعة ككل¹⁰¹.

أما كينيث والتز فيرى أن الصراعات والحروب في مفهومها إنما تنتج عن "مشاعر الأناية والغباء الإنساني" من جانب. وكذلك، عن "سوء توجيه النزعات العدوانية" من جانب آخر. ويضيف أن: "ماعدا ذلك من عوامل إنما يعد ثانويا لا ينبغي النظر إليه إلا في ضوء هذه الحقيقة السيكولوجية الأساسية"¹⁰².

ب - الاتجاه الثاني: نظرية الإخفاق أو الإحباط.

هذا الاتجاه يرجع الصراع إلى عامل الإحباط Frustration ، خاصة الإحباط العنيف عند Frustration-aggression ، و ينطلق أصحاب هذا الاتجاه من فرضية مفادها أن العدوان يترتب عن الإحباط ، ووضعت الفرضية على الشكل التالي: "إن حدوث ظاهرة العدوان يدل دائما على وجود الإحباط، كما أن وجود الإحباط يؤدي دائما إلى عدوان". و يعرفون الإحباط بأنه: "اضطراب في السلوك نتيجة عدم تحقيق استجابة من هدف يسعى إليه الفرد، بمعنى عندما يكون هناك عائقا بين الفرد ورغباته، فإن ذلك الفرد

100 إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص225.

101 ناصيف، يوسف حتي، مرجع سبق ذكره، ص309.

102 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص56.

يحاول أن يعبئ أكبر قدر من طاقته، فإذا استمرت هذه التعبئة دون أن يرافقها نجاح، فإنها تميل إلى التعبير عن نفسها بسلوك تدميري¹⁰³.

ويعتبر بيركوفيتز Berkofitz أن إدراك الإنسان أو الجماعة للإحباط يخلق غضبا شديدا يتحول بدوره إلى العدوانية، فالحروب الأهلية، في رأيه تنتج عن إدراك الأطراف التي تمارس العدوانية أن هناك تفاوت غير مقبول بين ما تتمنى أن يكون لها (مستوى حياة اقتصادي و اجتماعي معين، درجة من المشاركة السياسية...)، وبين ما هو قائم. فبقدر ما يكون الحرمان والإحباط كبير ومستمر بقدر ما تكون إمكانية اللجوء إلى العنف أكبر، وبالتالي احتمال قيام نزاع يكون أكبر¹⁰⁴.

وفي تفسيره للصراع، يقول فلوجل Flugel بأن الدول التي تحقق فيها الحاجات الأساسية لشعبها بصورة معقولة تكون أقل استعدادا من الناحية السيكولوجية للصراع والحرب من تلك الدول التي يسيطر على شعوبها الشعور بعدم الرضا أو الضيق. أما أريك فروم Fromm فيرى بأن: "العنف والميل إلى التدمير إنما يمثلان الناتج التلقائي و الحتمي للشعور بالإحباط الذي ينشأ عن الصدمة الناتجة عن خذلان الآمال والتطلعات القومية لسبب أو لآخر¹⁰⁵.

وبدوره، فإن الاتجاه إلى تفسير الصراع كنتيجة لعوامل الإخفاق والإحباط قد استثار بدوره بعض الانتقادات، و التي تمثلت في غياب الموضوعية و الواقعية في هذا الاتجاه، حيث أن معظم الدول العدوانية في التاريخ لم تكن دولا فقيرة، بل على العكس من ذلك، كانت في أغلب الأحوال من أكثر الدول ثراء ورفاهية، ومن ثم فإن التركيز على عامل الإحباط وحده كقوة محركة للصراعات الدولية يخلوا من الواقعية والموضوعية¹⁰⁶.

ج- الاتجاه الثالث: الشخصية القومية

يفسر هذا الاتجاه ظاهرة الصراع على أساس وجود ما يسمى "بالسيكولوجية القومية العدوانية" أو "الطابع العدوانية لبعض الطبائع والسمات القومية العامة"، و التي تشكل في تصور القائمين بهذا الاتجاه "

103 جيمس، دورتي و روبرت، بالتسغراف، مرجع سبق ذكره، ص207.

104 ناصيف، يوسف حتي، مرجع سبق ذكره، ص310.

105 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص57.

106 إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص226.

القوة الرئيسية المحركة للصراعات والحروب الدولية". و على ذلك، يرى هذا الاتجاه ضرورة مواجهة تلك الأمم ومحاصرتها كوسيلة فعالة للحيلولة دون تفجر الحرب نفسها.

و ينتقد هذا الاتجاه على أساس أنه لا يمكن القول بوجود اتفاق عام حول وصف بعض الشخصيات القومية بالميل للعدوان، فالأمر كله يتوقف على الاتجاه العقائدي، أو السياسي، أو القومي لمن يقوم بتصنيف الدول، إلى مجموعات عدوانية، وأخرى محبة للسلام.¹⁰⁷

د - الاتجاه الرابع: المعتقدات القومية كسبب للصراع.

يقوم هذا الاتجاه على أساس التفرقة بين أنماط المعتقدات القومية وعلاقتها بظاهرة الصراع الدولي على النحو التالي:

النمط السلبي: ويقوم هذا النمط على الاحتفاظ باتجاهات سلبية إزاء الدول الأخرى، ويأتي في مقدمة العوامل الدافعة لذلك إعادة توجيه الشعور بالإحباط الداخلي إلى بعض الدول التي ينظر إليها نظرة عدائية، ومحاولة إفراغه فيها، مما يدفع بالعلاقات المتبادلة لهذه الأطراف إلى مستوى أعلى من التوتر والصراع.

النمط الثابت: و يتمثل في الاتجاهات الناتجة عن استمرار الاحتفاظ بفكرة نمطية ثابتة عن الأمم الأخرى، دون محاولة تغيير سمات أو مضمون هذه النظرة بما يتلاءم والواقع. ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التصور غير الواقعي إلى مضاعفة احتمالات سوء الفهم، والتحيز وتوليد المشاعر العدائية غير المستندة إلى أسباب أو حقائق موضوعية.

النمط بالغ التبسيط: و يشير إلى قيام تصور مبالغ فيه عن طبيعة مسببات التوتر الدولي، والحلول الممكنة لمواجهتها. وعادة ما يحدث ذلك نتيجة التغافل عن التركيبة المعقدة للعلاقات الدولية، والاتجاه نحو

إلقاء مسؤولية التوترات على النوايا السيئة، أو على التصرفات التي تنسب إلى دولة أجنبية معينة، ومن ثم الدخول معها في حرب بدلا من متاعب الحلول الواقعية للمشكلات الداخلية¹⁰⁸.

وعلى ضوء ما سبق يمكن الانتهاء إلى القول أيضا بأن القوة الحقيقية للتفسير النفسي للصراع إنما تكمن في إمكانات التنبؤ بالنتائج المتعددة للمواقف الصراعية على أساس من المعرفة بالعوامل التي يفترض أن لها تأثيرا على قوة الاتجاهات الاستجابية المتنافسة، ومدى تأثيرها على اتجاهات أطراف الصراع بالاستجابة والتفاعل أو بالتجنب والابتعاد.

2- المدخل الأيديولوجي:

يستمد المدخل الأيديولوجي دعاماته الفكرية من المنطلقات الأيديولوجية و على رأسها الماركسية باعتبار أن منهجها في صميمه يعد منهج صراع. و يستهدف هذا المدخل من وراء ذلك إثبات وبرهنة قوة منطقة من جانب، وإثبات خطورة الصراع الأيديولوجي من جانب آخر. وفي هذا الصدد، يؤسس المدخل الأيديولوجي تفسيره لظاهرة الصراع، خاصة على المستوى الدولي، على التناقضات الأيديولوجية بين الدول. فالحرب، كما يرى دعاة هذا المدخل، تمثل نقطة الذروة في تفاعل أي صراع، و الفهم الصحيح لأبعاده لا يتحقق إلا من خلال التصنيف الطبقي لقواه وأطرافه، ومن خلال تحديد علاقات القوى الطبقيّة بينها، وبالتالي يتم تحديد الدوافع المحركة للصراع من جانب، والمصالح المستترة ورائه من جانب آخر.

من هذا المنطلق، فإن حدوث الصراع طبقاً لهذا المدخل يترتب على التناقض في الرؤى الأيديولوجية والنتائج المرتبطة به، والتي تجعل من غير الممكن تسوية أو حل هذه الصراعات من خلال عملية المساومة. بل إن الأمر يصبح أكثر صعوبة عندما يتعلق الموقف بصراعات المصالح المرتبطة بتشعب الاختلافات الأيديولوجية بين طرفي أو أطراف الصراع، حيث يضيف البعد الأيديولوجي وضعا خاصا على الصراع يزيد من تعقده فيصعب بالتالي على طرفيه-أو أطرافه- التوصل إلى حلول مرضية لكليهما¹⁰⁹.

108 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص58.

109 Daniel, DRUCKMAN, "An Analytical Research Agenda for Conflict and Conflict Resolution." In *Conflict Resolution Theory and Practice: Integration and Application*, Dennis J. D. Sandole and Hugo van der Merwe (eds), Manchester, 1993,25-42, P.P. 28-29.

وهكذا، فإن دعاء هذا المدخل يخلصون إلى أن أي نظرية معاصرة للصراع يجب أن تستند أدواتها الأساسية إلى فكرة الصراع الأيديولوجي، ومنها يمكن أن تنطلق كافة أبعاد التحليل لظاهرة الصراع عامة، والصراع الدولي بوجه خاص¹¹⁰.

3 - المدخل الاقتصادي:

يمكن النظر إليه من خلال أفكار الماركسية الكلاسيكية التي تعتبر الحروب والنزاعات تنتج عن الصراع الطبقي في المجتمعات الرأسمالية حيث أن الطبقة الحاكمة في المجتمع الرأسمالي قد تدفع بالدولة إلى الحرب عند ازدياد الصراع الطبقي وذلك بهدف تغليب المشاعر الوطنية على المشاعر الطبقية عند الطبقة العمالية¹¹¹، ويعني ذلك أن القادة السياسيين في المجتمعات الرأسمالية يفتعلون النزاعات الخارجية لاحتواء الحركات العمالية والتخلص من مطالبهم.

إلى جانب مفهوم "الصراع الطبقي"، يعتمد الماركسيون على مفهوم "الإمبريالية" لتفسير النزاعات، والمقصود بهذا المفهوم بشكل عام التوسع بهدف الهيمنة والسيطرة مما يخلق النزاع مع دول أخرى، ويعد أفلاطون أول من لاحظ هذه الظاهرة السياسية حين رأى أن الدول تضطر للتوسع خارجيا عندما يصبح إنتاجها الاقتصادي غير كاف لمعيشة شعبها، الأمر الذي يؤدي إلى الدخول في حروب مع الدول الأخرى¹¹².

عكس أفلاطون، يرى هوبسون Hobson أنه عندما يتعدى الإنتاج في الدول الرأسمالية القدرة الاستجابية للمجتمع، يصبح هناك فائض إنتاجي بحيث تضطر الدولة لتصريفه خارجا عبر إيجاد أسواق له، فتعتمد في رأيه سياسة إمبريالية وهو ما يعرف الإمبريالية بأنها سلوك سياسي ناتج عن مصالح طبقات معينة في المجتمع¹¹³. و يبين هذا التعريف أن الإمبريالية هي نتيجة للصراع الطبقي، وبالتالي فإن المفهوم الأول تابع للمفهوم الثاني.

110 George, A. LOPEZ and Michael, S. STOLE, Op. Cit., P.435.

111 ناصيف، يوسف حتي، مرجع سبق ذكره، ص316.

112 المرجع نفسه.

113 المرجع نفسه.

كما قدمت روز لكسمبورغ R. Luxembour نظرية ماركسية للإمبريالية تقوم على مفهوم فائض القيمة الذي يميز الحافز الفعلي في نظام الإنتاج الرأسمالي، حيث تعتبر أن فائض القيمة وزيادته لا يمكن أن يحصل في مجتمع رأسمالي صرف بل أن هناك أطراف ساهمت في تحقيقه بتوفير قدرة شرائية واستهلاكية خارج المجتمع الرأسمالي. إذا، حسب لكسمبورغ فالإمبريالية تحدث من خلال التفاعل الذي يحصل بين مجتمع رأسمالي ومحيط رأسمالي. وتعرف لكسمبورغ الإمبريالية كتعبير سياسي لتراكم رأسمالي في التنافس للهيمنة على ما تبقى من المجتمعات غير الرأسمالية، فالإمبريالية في رأيها تؤدي إلى النزاع والعنف بين الدول الرأسمالية المتنافسة وأيضاً بينها وبين الدول غير الرأسمالية¹¹⁴.

أما الليبراليين فيعتبرون أن مصدر النزاعات في البنى السياسية للدول خاصة الدكتاتورية والشمولية، بحكم إيديولوجياتهم، بحكم الدوافع التي تحركها والأهداف التي ترمي إليها والأساليب التي تنتهجها، تعد السبب الرئيسي الذي يكمن وراء تزايد حدة الصراع في النظام الدولي¹¹⁵.

إن الليبراليين استمدوا أفكارهم من بعض فلاسفة عصر النهضة خاصة كانط E. Kant ، بنتام J. Benthan ، وتوماس باين T. Paine الذين اعتبروا أن الجمهوريات ذات المؤسسات التمثيلية هي أكثر ميلاً للسلم من الملكيات المطلقة والأنظمة الاستبدادية ورأوا أن النخب الأرستقراطية الحاكمة لها ميل للدخول في نزاعات وحروب¹¹⁶. إذ يعتبر توماس باين أن الشعوب لها مصلحة في السلام، لكن الحكام لهم مصلحة في الحرب، وتحصل النزاعات ليس لأن الشعوب لا تدرك مصالحها الحقيقية ولكن لأنها لا تجد القنوات السياسية الضرورية للكشف عن هذه المصالح وهنا يعتبر باين أن الديمقراطية توفر تلك القنوات مما يؤدي إلى إلغاء النزاعات¹¹⁷.

4 - مدخل المصالح القومية للدولة:

من الباحثين من يحلل الصراعات الدولية انطلاقاً من الدولة كوحدة للتحليل، فهم يدرسون سلوك كل دولة على حدة، دون الكشف عن شبكة التفاعل بين الدول (كما هو الحال في نظرية النظم) ودون تحليل

114 المرجع نفسه.

115 إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص 239.

116 ناصيف، يوسف حتي، مرجع سبق ذكره، ص 314.

117 المرجع نفسه.

العوامل الفردية والمجتمعية، فالاحتكاك بين الدول في منظورهم، يكون سطحيا ولا يمتد إلى داخل المجتمع. وشكلت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية المنطلق النظري الرئيسي للباحثين الذين يتخذون الدولة كوحدة للتحليل، لتفسير الظواهر الدولية وخاصة الصراعات.

حيث يركز الواقعيون في تحليل الظواهر الدولية على الدولة كفاعل وحيد في العلاقات الدولية، وعلى مفاهيم القوة، المصلحة الوطنية وتوازن القوى، كما يفصلون بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية لأن المعايير التي تحكم العلاقات بين الدول تختلف جذريا عن المعايير التي تحكم الأفراد داخل المجتمع الوطني، وبالتالي أهملوا العوامل الفردية والمجتمعية في تحليلهم للصراع، وركزوا على العوامل المرتبطة بالسياسة الخارجية الدولية، واعتبروا أن سلوك الدولة هو مصدر الصراعات.

ينطلق الواقعيون من اعتبار العلاقات الدولية تتسم بالفوضى نظرا لافتقادها إلى الحكومة عليا قادرة على فرض النظام و الاستقرار. ويقصد بالفوضى الدولية وجود دولة مستقلة ذات سيادة كاملة تتصرف بجدية مطلقة مما أدى إلى انعدام تضامن دولي عام¹¹⁸. عكس النظام الوطني الذي يتوفر على سلطة تفرض النظام على الأفراد في علاقاتهم، أما العلاقات بين الدول فهي "علاقات القوى"، وبالتالي فالدول هي دائما في صراع من أجل القوة وسعي مستمر نحو حماية وتنمية مصالحها الوطنية. بالنسبة لهانز مورجانتو العلاقات الدولية هي صراع من أجل القوة فسلوك الدول تحركه الرغبة في الحصول على القوة وزياتها باللجوء إلى كل الوسائل المتاحة لذلك¹¹⁹.

في تحليلهم لمصادر الصراعات الدولية، يهمل الواقعيون المصادر الاقتصادية والاجتماعية و النفسية، والصراع في رأيهم ظاهرة طبيعية تنتج عن تنافس الدول في سعيها لاكتساب القوة وتحقيق مصالحها الوطنية التي تكون عادة متناقضة، ويعتقد ريمون آرون أن السياسة الدولية تتضمن صداما ثابتا لإيرادات الدول عندما تتنافس فيما بينها ما دامت كل دولة تتأثر بأفعال دول أخرى وتشك في نواياها وهذا ما يجعل الدول تسعى إلى الحصول على القوة¹²⁰.

كما يرفض آرون إرجاع الصراع إلى عوامل نفسية، حيث يقول: "إنه حتى الشخص السليم من الناحية النفسية، أي لا يعاني من كبت ولا إحباط، يظهر عداءا اتجاه نظرائه لأنه يرفض سلوكهم أو لأنه يجد

118 Jean, BARREA, "Théorie des relations internationales", Louvain: Ciaco éditeur, 1978, P.02.

119 ملحم، قربان، "الواقعية السياسية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص84.

120 Raymond, ARON, « Paix et Guerre entre les nations », 6ème édition, paris: Calmann-Lévy édition, 1968, p359.

نفسه في نضال معهم من أجل امتلاك شيء ما أو لتحقيق قيم ما¹²¹. و يرى انه عند الانتقال من الصراع داخل نفس الفرد إلى الصراعات بين الجماعات سوف نصطدم بصعوبة تحديد الصراع تحديدا دقيقا، فالصراع بين الجماعات يختلف بطبيعته على الصراع داخل وعي الفرد الذي يكتشفه المحلل النفسي¹²².

ويقول مارتن وايت M. Wigth أنه: "عندما نتساءل حول سبب حرب ما، فالإجابة التي نجدها مرضية هي الإجابة التي يعطيها إياها المؤرخون عادة، وهي الدافع المستوحى من علاقات القوى"¹²³. و من جهته، يعتقد الدبلوماسي الأمريكي جورج كينان George F. Kennan أن الصراعات الدولية ناتجة عن الاختلاف الواسع في الثقافات والمستوى الاقتصادي والاجتماعي، وبسبب ذلك لا يمكن تصفية الصراعات من العلاقات الدولية، فالحرب برأيه: "ليست دائما شريرة ولا السلم دائما خير ما دامت المصالح الوطنية المشروعة مسلوبة"¹²⁴. ويقل كينان من أهمية دور المنظمات الدولية خاصة منظمة الأمم المتحدة في تحقيق الأمن الوطني للدول ومنع الصراعات، فالأمن يتحقق حسب اعتقاده بواسطة توازن مستقر بين المصالح والقوى المتعددة والمتناقضة في العالم¹²⁵.

كما يعتقد فريدريك شومان F. schuman أن النظام الدولي يتسم بالفوضى لافتقاده إلى حكومة مشتركة وهو يتكون من دول مستقلة ذات سيادة، ترفض الاعتراف بسلطة عليا كما أنها تسعى لضمان أمنها اعتمادا على قدراتها الذاتية. و الشك هو السمة الغالبة في علاقات الدول ببعضها البعض، إذ لا توجد ثقة بين الدول لأن كل دولة لا تستطيع التدخل في سلوك الدول الأخرى. و كل دولة تتوقع سلوكا سيئا من طرف الدولة الأخرى و لهذا تتصارع فيما بينها وتحاول القضاء على أي تهديد حقيقي أو محتمل من الدول الأخرى¹²⁶.

إن الافتراض الرئيسي لهذا المدخل يتمثل في أن "القوة الرئيسية المحركة لسياسات الدول الخارجية تتمثل في السعي المستمر نحو حماية وتنمية المصالح القومية" وأن السبيل إلى تحقيق ذلك إنما يتمثل في "مضاعفة الدولة لمواردها من القوة". وهنا تجدر الإشارة إلى أن مفهوم المصلحة هنا، وكما عرفه مورجانزو

121 Ibid, P.383.

122 Ibid.

123 Martin, WIGHT, "Power Politics", London: hedley bull and carsten holbraad Edition, 1986, P138.

124 جيمس, دورتي و روبرت, بالتسغراف, مرجع سبق ذكره, ص122.

125 المرجع نفسه.

126 المرجع نفسه.

في هذا الخصوص، يصبح مرادفاً وقريناً للقوة، وأن القوة هنا تشتمل -بالإضافة إلى الأدوات العسكرية- على التأثير السياسي الدولي، وكذلك قوة الضغط الاقتصادي، ووسائل الحرب النفسية والدعائية، وأساليب التفاوض الدبلوماسية،... الخ.

وعلى ذلك، يرى القائلون بهذا المدخل، أن الصراع على القوة باعتبارها الركيزة التي تستند عليها المصلحة القومية، يعد حقيقة ثابتة تتجاوز المعتقدات الفردية و المذاهب والأحزاب السياسية، وأشخاص الحكام. وهكذا يصبح الصراع وليس التعاون هو الطابع المميز للعلاقات الدولية، وأن الدولة تستمد مقدرتها على البقاء من قوتها الذاتية أو من الحماية التي يوفرها الآخرون لها إذا عجزت منفردة عن تأمين حق البقاء لنفسها¹²⁷.

وبوجه عام، ينطلق هذا المدخل من الافتراض القائل بأن النظام السياسي الدولي المرتكز في أساسه على مبدأ السيادة القومية يشكل المصدر الأساسي لكل أشكال الفوضى والصراعات الدولية. ومن ثم، فإن القضاء على هذه الصراعات بصورة إيجابية وفعالة يستلزم التعديل في هذا الأساس عن طريق إذابة الإرادات أو السيادة القومية وإدماجها في إرادة واحدة تتولى فرض السلام وتدعيم فرص الاستقلال.

يضاف إلى ذلك، أن الاتجاه العام للدول يتمثل في البحث عن مصادر إضافية أو بديلة لدعم قوتها وقدراتها الوطنية. و استعادة أو تصحيح التوازن في علاقاتها مع الأطراف الأخرى سيؤدي بدوره إلى تقوية وتعزيد الاتجاه نحو الصراع بين الدول، أو على الأقل زيادة احتمالات تورطها بدرجة أو أخرى في هذا الصراع. ومن هنا يجب التعرف على الأهداف القومية للدول كأحد مؤشرات تمييز الأسباب المؤدية إلى الصراع الدولي، و التي يمكن بصدها التمييز بين الأهداف ذات الطبيعة المحدودة، وتلك ذات الطبيعة المطلقة¹²⁸.

5- المدخل الاجتماعي:

يعد المدخل الاجتماعي أحد أهم المقترحات النظرية في دراسة ظاهرة الصراع في مستوياتها المتعلقة بالأفراد أو الجماعات على حد سواء. و قد اتسع هذا المدخل ليشمل المتغيرات المتنوعة التي تمثل روافد

127 منير , محمود بدوي, مرجع سبق ذكره, ص 61.

128 المرجع نفسه, ص 62.

الظاهرة الصراعية في جذورها المتعددة كالإدراك، والقيم، والأصول العرقية أو الأثنية، والأيدولوجية، والثقافية بوجه عام.

وفيما يتعلق بالإدراك ودوره في الصراع الاجتماعي، فإن الفرضية الرئيسية إنما تقوم على الاعتراف بالدور المحوري الذي يلعبه سوء الإدراك في الصراع الاجتماعي. ذلك أن التصارع في سبل الفهم والمدرجات يكتسب أهميته وتأثيره من حقيقة أنه يشير إلى " الاختلافات بين الذات والآخرين حول أفضل الطرق لتحقيق الأهداف المشتركة"¹²⁹. من هنا كان الارتباط وثيقا بين الإدراك والصراع الاجتماعي حيث يتطور الصراع نتيجة لإدراك أحد أطرافه لخصومه أو لأعدائه بشكل لا يتوافق مع مصالحه، الأمر الذي يسهم بدوره في تبنى الطرفين لسبل غير متوافقة لتحقيق أهدافهم¹³⁰.

إضافة إلى الإدراك، فإن المدخل الاجتماعي يوجه النظر أيضا إلى حقيقة أن أسباب الصراع الاجتماعي عادة ما توجد في مصادر متعددة، وبصفة خاصة في إطار عضوية الجماعات العرقية، الطبقات الاجتماعية، الفرق و الجماعات الدينية، وغيرها من الجماعات المشابهة، في إطار وجود قنوات عادلة لتوزيع وتوصيل الموارد بكافة أنواعها: الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والقانونية، أو أي موارد أخرى يمكن أن توجد في المجتمع، تكون مرغوبة من قبل الغالبية العظمى¹³¹.

أما فيما يتعلق بالقيم فإن الصراع الاجتماعي يمكن تعريفه بأنه " نضال أو كفاح حول القيم، أو المطالب المتعلقة بالوضع، المكانة، القوة أو الموارد النادرة، و التي يكون هدف الأطراف المتصارعة فيها ممندا إلى تحييد، أو إلحاق الضرر، أو إزالة المنافسين أو التخلص منهم، إضافة إلى كسب، وتحقيق القيم المرغوبة"¹³².

إلى جانب التصورات النظرية السابقة يرجع بعض الباحثين في دراستهم وتفسيرهم للصراعات إلى نظرية النخبة المسيطرة أو محور الصناعي-العسكري التي وضعها عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز C. W. Mills حيث يرى في نظريته أنه منذ الحرب العالمية الثانية أصبح المسيطر على السلطة في الولايات

129 Daniel, DRUCKMAN, Op. Cit., P.P. 27-28.

130 R., ROBINSON, "The conflict competent organization", A research agenda for emerging organizational challenges In R. Kramer, and D. Messick (Eds.), *Negotiation as a social process*. P.P. 186-205, Stanford University: SAGE Publications, 1995, P.188.

131 George, A. LOPEZ and Michael, S. STOLE, Op. Cit., P.435.

المتحدة الأمريكية هو تحالف قوي بين رجال الصناعة والعسكريين، ويرى أن سيطرة هذه النخبة تكاد تكون شاملة، إذ تشمل كل القرارات الحيوية وخاصة في شؤون الرخاء والكساد والحرب والسلام، لذلك يرى أن المصالح الذاتية لتلك النخبة تقتضي تحقيق أكبر استفادة مادية و معنوية ممكنة من وراء استمرار الصراعات بين الشرق والغرب¹³³.

سلطت هذه النظرية الأضواء على دور النخب السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والعسكرية في خلق سلوك صراعي لدى الدول. و تندرج أيضا، في هذا السياق من التفسير السوسولوجي، النظرية البنوية للعدوان عند يوهان غالتونغ Galton Johan ، التي ترجع أسباب الصراع إلى سعي الدول إلى تصحيح و تعديل بعض المجالات التي تعاني من الاختلال والانخفاض مما يؤدي إلى الصراع مع الدول الأخرى. حيث أعتد غالتونغ على مفهوم " اختلال التوازن في المركز" وانطلق من ثنائية (منخفض - عالي) عند تصنيفه المركزي لكل المجالات، واعتبر أن كل وحدة سياسية موضوع تحليل تصنف في مجالات خمس مثل: الثقافة، الدخل، القوة و السمعة. ويكون التصنيف، إما عال أو منخفض، وبالتالي يمكن أن تصنف الوحدة عاليا في كل المجالات أو يكون تصنيفا منخفضا في كل مجالات. لكن في معظم الأحيان تكون الوحدات ذات تصنيف مختلط أي عال في بعض المجالات ومنخفض في البعض الآخر، مما يخلق ما أسماه غالتونغ "اختلال التوازن في المركز"، أمام هذا الاحتمال الثالث تحاول الوحدة السياسية أن تقضي على الاختلال بالتخلص من التصنيف المنخفض عن طريق محاولة تحويله إلى تصنيف عالي. ويعبر عن هذه العدوانية، عند الإنسان بارتكاب الجرائم والعنف وعند الجماعة تأخذ شكل الحرب أو الصراع بالمعنى العام. ويقول غالتونغ أن: "الاختلال في المركز ليس سببا وحيدا للعدوان، بل قد يحدث هذا الأخير لأسباب أخرى، وفي المقابل يرى أن حالات الاختلال في المركز تزيد من احتمالات السلوك العدواني بشكل كبير¹³⁴.

إضافة إلى ما سبق، فإن البعد الأنثروبولوجي بما يمثله من تطور وتفاعلات بين الأجناس والأعراق البشرية، إنما يشكل بدوره أحد الأبعاد الهامة للصراع من المنظور الاجتماعي. حيث يتم النظر إلى الصراع باعتباره عملية اجتماعية معقدة متعددة الأبعاد، تنشط في محتويات عديدة مختلفة، وينتج عنها العديد من النتائج المتنوعة. وفي تفسيرها لهذه الرؤية، فإن لورا نادر ترى بأن الصراع والعدوان يشكلان جزءا هاما، من النموذج العام لتطور الكائنات الحية وقدرتها على التكيف بوجه عام، والإنسان وقدرته على التكيف السلوكي بوجه خاص. من هنا، فإن الباحثة ترى أنه ليس من الممكن إغفال البعد الأنثروبولوجي في دراسة الصراع

133 إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص317.

134 ناصيف، يوسف حتي، مرجع سبق ذكره، ص ص311-312.

الاجتماعي. فالإنسان، من جانب قد طور المعرفة و المقدرّة على تطويع رموزها، كما أن فهم الصراع ودراسته لا تحتاج لأن ترتبط بشكل دائم بالسلوك العدواني باعتبار أنه ليس نوعا سلوكيا في حد ذاته، بقدر ما هو تعبير عن موقف ناتج عن عدم التوافق في المصالح أو القيم من جانب، وبالعديد من الخصائص والسمات المميزة لهذا الموقف من جانب آخ. من هذه السمات ما يتعلق بعناصر الاجتماع أو الاتحاد، التناقض في نظام القيم، عناصر الإحباط و العدوانية، الأبنية والهياكل الوظيفية، آليات الاتصال، والسيطرة، والحل، وغيرها من الخصائص التي تميز موقفا صراعيا بذاته¹³⁵.

كما يلجأ بعض الباحثين إلى عامل الديموغرافيا والسكان لإيجاد تفسيرات الصراعات الدولية، لذلك نجدهم يقتبسون منطلقاتهم النظرية من النظريات الديموغرافية التي ارتكزت على مسلمة مالتوس Malthus حول عدم التناسب بين السكان وإمكانات الأرض، و يعتقد أصحاب النظريات الديموغرافية أن الزيادة السكانية الهائلة تشكل السبب الرئيسي للنزاعات والحروب الدولية ، إذ يرون أن هذه الزيادة تدفع بالدول إلى البحث عن مجال حيوي يمكن أن يستوعبها ، كما أن الدول قليلة السكان تجد نفسها مجبرة على الدفاع عن نفسها ضد الخطر الذي يواجهها من الدول كثيرة السكان¹³⁶.

وفي هذا الصدد، يشير عالم الاجتماع الأمريكي بول هاوزر P.Houser إلى ما يسميه الثورة الديموغرافية، التي يعتقد بأنها ستقود إلى أزمة عالمية، و يعلل ذلك باعتباره أن الكرة الأرضية محدودة، و المجال الحيوي ضيق، و لا يستطيع أن يستوعب كل تلك الضغوط والزيادات السكانية الهائلة. ويرى أنه إذا لم تثمر جهود التنمية في الدول المتخلفة بحيث يمكنها أن ترفع من مستوى معيشة شعوبها، فإن علينا أن نتوقع ممارسة العدوان من جانب عدد كبير من الدول الجائعة نتيجة لهذه الضغوط السكانية الهائلة¹³⁷.

ويرى عالم الاجتماع الفرنسي بول ريبو P. Ribot أن الحروب الحديثة عملية بيولوجية في الأساس، ويقدر أن عنف هذه الحروب يتناسب بشكل طردي مع حجم الفائض البشري الذي يمثل القوة الرئيسية الضاغطة في اتجاه وقوع الحرب. وقد أيده كل من أرلوند توينبي و برتراند راسل، حيث يعتبران أن المشكلة الديموغرافية خطرا داهما، ليس فقط على السلم الدولي، و إنما على المجتمع الإنساني كله.¹³⁸ كما

135 منير , محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص65.

136 إسماعيل , صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص242.

137 المرجع نفسه.

138 المرجع نفسه.

نجد أيضا عالم الاجتماع الفرنسي غاستون بوتول يعتبر أن للحرب وظيفة ديموغرافية تتمثل في دورها في تنقيص النمو الطبيعي للسكان¹³⁹.

تحتل نظرية الاحتياجات الإنسانية موقعا مميزا في تبيان التفسير السوسولوجي للصراعات، حيث تركز على وجود حاجات خاصة بالفرد مثل: الطعام، اللباس، السكن، العدالة، الاحترام، الهوية و الأمن. و إذا غابت هذه الحاجات تضطرب العلاقات الاجتماعية التنظيمية، لأن الفرد سيبحث عن نظم أخرى تحقق له هذه الحاجات، أما على المستوى الدولي، فهناك احتياجات أساسية للدول مثل: الأمن والاستقرار، وإذا كان النظام الدولي القائم لا يوفر هذه الاحتياجات الأساسية فإن الدول سوف تسعى لتحقيق احتياجاتها بطرق فوضوية، أو تسعى لإقامة نظام دولي يحقق لها احتياجاتها.

لقد شكلت هذه النظرية حافزا لظهور نظريات أخرى، أهمها نظرية الحرمان النسبي، التي تقدم تفسيراً يقوم على التناقض بين السلطة وسعي الجماعات المحتمل أو الفعلي لتحقيق النجاح، ويرتبط هذا التفسير تقريبا بنظرية حق الجماعة التي تركز على العوامل الإثنية التي تصاحب العوامل الاقتصادية والسياسية.

على ضوء ما سبق، يمكن الانتهاء إلى أن المدخل الاجتماعي إنما يجعل من الممكن ليس فقط إمكانية التوصل إلى رؤية شاملة ومتكاملة للظاهرة الصراعية في أبعادها المتنوعة، ومستوياتها المختلفة، بل أنه أيضا ييسر من سبل تحليل وحل هذه النوعية من الصراعات من خلال فك الارتباط بين مكوناتها أو متغيراتها المختلفة - القيمية و الثقافية والأيدولوجية-، وبين المصلحة أو المصالح المتضمنة في الموقف الصراعي موضع الاهتمام أو الدراسة، ومن جانب آخر التخفيف من حدة الأوزان النسبية لمصادر الصراع، هذا فضلا عن إدخال التغييرات الجوهرية و الهامة على بيئة التسوية بما يجعل من الممكن خلق أو دعم مناخ التعاون والتفاهم بصدد التوصل للحل أو التسوية المشتركة¹⁴⁰.

6 - مدخل طبيعة النظام الدولي:

يعود الفضل في اعتماد مفهوم النظام الدولي في تحليل الظواهر الدولية إلى نظرية النظم في العلاقات الدولية. التي تنطلق من مسلمة انه يجب فحص جميع حقول المعرفة من خلال منظور نسقي، فعندما يطلب من أحد محلي النظم أي تفسير يكون دائما من خلال مستوى أعلى من التحليل، بحيث يضع

139 محمد، طه بدوي، "المدخل إلى علم العلاقات الدولية"، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972، ص150.

140 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص65.

هذه الوحدة في إطار أعم و أشمل، ويفترض أن سلوكها مشروط بطبيعة هذا النظام. فعلى المستوى الدولي، تحدد طبيعة النظام الدولي سلوك وحداته، خاصة الدول. وعلى هذا الأساس، نجد بعض الباحثين لا يركزون على دراسة سلوك الوحدات السياسية على أفراد، كما هو الحال بالنسبة للواقعين، بل ينظرون إلى هذه الوحدات كأجزاء من كل أكبر هو النظام الدولي. تقام فيه علاقات كثيفة ومتشابكة فيما بينها، وهنا تكون وحدة التحليل هو ذلك المجموع أو الشبكة من الدول المتفاعلة فيما بينها، و لا تشكل كل وحدة سياسية بذاتها وحدة للتحليل.

يقول سينغر D.Singer: "النظام الدولي هو الذي يشكل مفتاح تفسير لماذا، وكيف تحاول الأمم التأثير على سلوكات بعضها البعض"¹⁴¹. ويرى كنيث والت: "أن للنظام الدولي وجودا حقيقيا، ويمارس تأثير على الدول الأعضاء فيه، غير أن هذا التأثير يتباين طبقا للخصائص البنوية للنظام الدولي بغض النظر عن خصائص المشتركين فيه، ومن الطبيعي أن ننظر إلى بنية النظام متميزة عن ملامح الدول الأعضاء، أو أنماط تفاعلها..."¹⁴². فبنية النظام الدولي وخصائصه إذا هي التي تشكل مصدرا للصراع أكثر من غيرها، خاصة سلوك الدول، وسياستها.

غير أن أصحاب نظرية النظم اختلفوا حول بنية النظام الدولي التي تشكل مصدرا للصراع أكثر من غيرها إلى ثلاثة اتجاهات:

- نظام المتعدد الأقطاب هو الأكثر استقرارا من النظم الدولية الأخرى، (سينغر و دويتش).
- نظام الثنائية القطبية هو الأكثر استقرارا و الأقل وقوعا في الصراعات. (والتز).
- التوفيق بين الاتجاهين السابقين واقتراح نموذجا يجمع بينهما (روزكرانس).

7 - مدخل السباق نحو التسلح

ويرى هذا المدخل أن المصدر الرئيسي للصراع في دائرته الدولية إنما يتمثل في السباق على التسلح. وعادة ما يشار إلى المتغيرات التالية لدعم وتقوية هذا الرأي:¹⁴³

141 وليد، عبد الحى، "تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية"، الطبعة الأولى، الجزائر: مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، 1994، ص 45.

142 المرجع نفسه، ص 56.

143 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 66.

- الثورة التكنولوجية في ميدان الأسلحة ، وما تؤدي إليه من حدوث فجوة في نظم التسلح بين الدول المتقدمة وما دونها، مما يدفع الأولى إلى المبادرة بشن الحرب، و ذلك قبل أن تفقد الدولة مزايا التطور التكنولوجي الذي تمتلكه في مواجهة الأطراف الأخرى.

- إن التفوق التكنولوجي في نظم التسلح يدفع أيضا لاستعراض القوة كوسيلة للضغط بصدد التسوية الدبلوماسية، مما يؤدي إلى شحن الصراعات بمزيد من التوتر والعنف بصرف النظر عن الأسلوب المقصود أو غير المقصود الذي قد يحدث.

- إن إطار السرية المرتبط بسباق التسلح يخلق مناخا من الشك والخوف وعدم اليقين لدى الأطراف المعنية، الأمر الذي لا يساعدها على حل المنازعات السياسية، بل قد يكون سببا في الدفع نحو الصدام والصراع.

- إن استمرار التطور التكنولوجي في مجالات ونظم التسلح يدفع بدوره مجموعات المصالح المرتبطة به نحو مواصلة ضغوطها على دوائر صنع القرار للإبقاء على كل أو بعض بؤر التوتر و الصراعات ساخنة وملتهبة بما يضمن مصالح هذه الجماعات بأقصى درجة ممكنة.

وتتمثل أهم الانتقادات الموجهة إلى هذا المدخل في أن سباق التسلح في حد ذاته لا يمكن أن يكون سببا بمفرده في خلق الصراع الدولي، فهو وإن أدى إلى زيادة التوتر وشحن أجواء الصراعات إلا أنه لا ينتج بذاته صراعا، فالصراع سوف يستمر ، حتى في ظل إمكانية التوصل إلى إجراءات نزع السلاح ، وذلك لأن جذور الصراع لازالت قائمة دونما حل، ومن ثم يصبح المطلوب هو تصفية أو تسوية هذه الجذور مما يبرر إضعاف اللجوء إلى سباق التسلح¹⁴⁴.

على ضوء ما سبقت الإشارة إليه من استعراض لبعض اتجاهات التنظير المتنوعة في تفسير الصراع ومسبباته المختلفة، فإنه يمكن الانتهاء إلى عدة نتائج أساسية:¹⁴⁵

النتيجة الأولى : وتتعلق بكون الصراع - بوجه عام - ظاهرة مركبة بالغة التعقيد من حيث مكوناتها وأبعادها ومستوياتها. ومن ثم، فإن محاولة تفسير الصراع استنادا إلى تأثير متغير وحيد تؤدي غالبا إلى قصور خطير في فهم الظاهرة الصراعية من جانب، كما أنه سيرتب آثاره السلبية على قرار مواجهته والتعامل معه من جانب آخر، الأمر الذي يفرض ضرورة تبني رؤية تكاملية للصراع كأمر ضروري، إن لم يكن شرطاً

144 المرجع نفسه.

145 المرجع نفسه، ص 67.

أساسياً ليس فقط لفهم وتحليل الظاهرة الصراعية، بل أيضاً لنجاح إستراتيجية مواجهة الموقف الصراعى موضع المواجهة أو الدراسة.

النتيجة الثانية : وتتعلق بمصادر الصراع على المستوى الدولى، وهنا أيضاً يمكن القول بأنه أياً كانت المصادر المباشرة للصراع فى هذه الدائرة ، فإنه عادة ما يرتبط بسعى أطرافه وتنافسهم فيما بينهم لدعم تطلعاتهم فى زيادة قوتهم أو الاحتفاظ بها، والعمل على زيادتها ودعمها، والسيطرة على موارد أو مصادر جديدة لتدعيم تلك القوة. وبالتالي، فإنه من المتصور أن يؤدي نجاح أحد أطراف الصراع فى تحقيق درجة من النجاح فى هذا المجال أو آخر إلى زيادة مخاوف الأطراف الأخرى، وسعيها بالتالى إلى البحث عن طرق أو مصادر بديلة للقوة تستطيع من خلالها استعادة أو تصحيح التوازن فى علاقات القوى مع تلك الأطراف، الأمر الذى قد يؤدي بطبيعة الحال إلى تقوية الاتجاه نحو الصراع بين الدول أو توريطها فيه بوجه عام.

النتيجة الثالثة: رغم أن أدبيات العلاقات الدولية من خلال معظم المفكرين تكاد تتفق على عدم الخلط بين مفهومي الصراع و الحرب، فإننا من خلال تناولنا لدراسة و تحليل هذه المداخل نجد أن الخلط قد حصل فى مستوى تحليل الدوافع الكامنة و الأسباب المفسرة لهما. حيث تذهب معظم التفسيرات إلى أن الدوافع و الأسباب وراء وقوع الحرب و الصراع يتم تناولها من نسيج واحد. فى حين أن الصراع عملية اشمل و أعمق. و تقع الحرب كنقطة واحدة فى أعلى منحى الصراع، كما أسلفنا.

النتيجة الرابعة: إن التراكم المادى لنمط الصراعات الدولية و كذلك حصول تطورات نوعية و سريعة فى العلاقات الدولية و خاصة بعد الحرب الباردة تجعل من إعادة تقييم النظريات التفسيرية أمراً مطلوباً. سيما بعد تغير محتوى القوة مما ينتج عنه بناء معادلات، و قوانين نوعية للفصل ما بين الصراعات الفردية داخل المجتمع و أسباب الصراعات الدولية كحقل خاص¹⁴⁶.

كل هذه النتائج تقودنا إلى اعتبار أن التفسير النظرى لأسباب و ديمومة الصراعات الدولية تمتد على نطاق واسع فلا يوجد طريق واحد للمعرفة حيث تركز هذه النظريات على أسس عدة وفى هذا البحث نعتقد أن الولوج إلى شبكة النظريات المفسرة للظاهرة الصراعية يمكن أن يكون من خلال تصنيفها إلى صنفين:

- النظريات ذات المضامين السياسية و الاجتماعية.

- النظريات ذات المضامين المادية و التكنولوجية.

و يستند هذا التصنيف إلى عدة معايير كما ذكرها خالد المعيني متمثلة في:¹⁴⁷

- يتيح هذا التصنيف تحقيق الانسجام مع طبيعة عناصر القوة في العلاقات الدولية، خاصة و أن القوة هي دالة الصراع الذي بدوره هو جوهر العلاقات الدولية، و القوة هدف و وسيلة الوحدات السياسية في سلوكها التصارعي.

- يستند هذا التصنيف أيضا على ما يسمى بوحدة القياس فالصنف الأول يصعب قياسه كالدوافع النفسية و القيمية و الحضارية مما يعطي مدى حركيا أكبر للإستراتيجية لانتقاء المبررات و اختيار الأهداف و المصالح المادية التي كثيرا ما تكون الدافع الحقيقي للصراعات.

- تتميز الصراعات الدولية عن بعضها باختلاف أسبابها، فلكل صراع دولي أسبابه و طابعه المميز، الذي يرتكز على أكثر من نظرية في تفسيره و قد تتضافر عدة أسباب مجتمعة أو متفاعلة أو متوالية أو متراكمة لتضفي على هذا الصراع أو ذاك خصوصيته.

- إن الصراع الدولي عادة يحصل عند تغير دورات الأنظمة السياسية و تبدل عقيدتها السياسية أين تقوم بإعادة تعريف لمصالح و مرتكزات أمنها القومي بما يتناسب و قناعاتها الجديدة و التي يمكن أن تكون متناقضة مع مصالح و رؤى الأنظمة الدولية الأخرى، مما يخلق خطوط احتكاك يجري فيها الصراع المستمر، و بكل أشكاله.

- إن شدة الصراع تتناسب طرديا مع حدة التناقض في المصالح و الأفكار و في تفاوت الموارد و التي تجري اعتمادا على إعادة تقويم و ترتيب للأولويات و حساب مقومات القدرة المتاحة للدولة في ضوء تراتبية هيكل القوة سواء في النظام السياسي الدولي و الإقليمي و حتى الداخلي.

1 - الدوافع السياسية و الاجتماعية في تفسير ظاهرة الصراع الدولي:

تمثل الإيديولوجية الماركسية مثلا واقعا لهذه الدوافع، وهي التي توصف في جوهرها كما أسلفنا بأنها منهج صراعي يقوم على افتراض أن الحرب تمثل نقطة الذروة في منحى أي تفاعل صراعي دولي و بالتالي تصبح ظاهرة تاريخية طبيعية و أنها تحدث عند كل مرحلة من مراحل التطور الإنساني¹⁴⁸.

147 المرجع نفسه، ص 28-30.

148 كاظم، هاشم نعمة، مرجع سبق ذكره، ص228.

فالإيديولوجية، شكلت أثناء الحرب الباردة خاصة، سلاحاً رئيسياً للعدوان المباشر، من أجل هدم المعتقدات المذهبية للمجتمعات الأخرى أو النيل منها أو استغلالها لتحريك عوامل الصراع الداخلي أو تدعيم الولاء و التبعية للخارج.

كما تسهم بشكل كبير في استقرار انظمه الحكم السياسية بشكل أو بآخر في معادلة الصراعات الدولية. خاصة و أن النظام الدولي التقليدي قد قام على محاولة الجمع بين عناصر الاستقرار النسبي و بين القدرة على التنبؤ بسلوك أطرافه لان الاستقرار يتناسب طردياً مع القدرة على التنبؤ . أما الدول الحديثة الاستقلال التي تتميز بعدم الاستقرار فان التنبؤ بسلوكها يصبح أمر متعذراً مما يشكل عامل دفع باتجاه الصراع¹⁴⁹.

و تعتبر نظرية الانطباع احد الاتجاهات السيكولوجية في محاولة فهم ظاهرة الصراع الدولي والتي ترى أن الصور و الانطباعات التي تكونها المجتمعات و الدول عن بعضها البعض بمرور الوقت يصبح من الصعب محوها أو تغييرها. و تعكس هذه الصور و الانطباعات نوعاً من الإدراك الانتقائي أو المتحيز الذي تشارك العديد من الوسائل في الإيحاء به و تثبيته. و بالتالي، فان التوترات الدولية و القرارات التي تقود إلى الصراع تجد جذورها و القابلية لها في هذه الإدراكات المشوهة، التي لا تتطابق و حقائق الواقع القائم. بل إن نزعة العدوان حتى و لو دفعت إليها بعض الاحباطات العارضة كتدهور المكانة القومية في المجتمع الدولي، فإنها قد تعبر عن نفسها بصورة غاية في الحدة و العنف¹⁵⁰.

2 - الدوافع المادية و التكنولوجية في تفسير ظاهرة الصراع الدولي:

تندرج تحت هذا المدخل عدة مضامين و تفسيرات تتراوح ما بين المدخل التكنولوجي كسبب للصراعات في القرن الواحد و العشرين إلى التفاوت في حيازة المواد الأولية و عدم التناسق في التوزيع الدولي لعلاقات القوة. الأمر الذي يأتي في مقدمة العوامل التي تدفع إلى الصراع، فقد أصبحت السيطرة على موارد الطاقة و الموارد عاملاً مهماً للغاية في معادلة توزيع القوة و مستقبل شكلها. على اعتبار أن من

149 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص31.

150 إسماعيل، صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص287.

يملكها بإمكانه تعزيز قدراته و قوته و حرمان منافسيه من الحصول عليها¹⁵¹. فالخلل الذي يصيب معادلات توزيع القوة في العالم هو ما يولد الشعور بالخوف و الاستقزاز و التهديد لدى بعض الدول.

كما أن للتكنولوجيا خاصة بعد نهاية الحرب الباردة دور كبير في إعادة صياغة نظرية جديدة للصراع على القوة مفادها أن مقياس القوة لا تتم مقارنته بما لدى الآخرين و إنما بما يترتب عن امتلاك هذه القوة من نتائج و تأثير. حيث تحولت عناصر القوة التقليدية كالأرض و الموارد و الجيوش إلى عناصر تقوي و تضعف بمقدار ما تتفاعل مع تأثير التقدم التكنولوجي و أصبحت التكنولوجيا تلعب الدور الحاسم في التغيير و سببا للتنافس و الصراع. بعدما تأكد ميل مؤشر القوة الوطنية نحو الأداء الاقتصادي و تنامي القدرات التكنولوجية بدلا من القوة العسكرية. خاصة و أن حيازتها حكرا على بعض الدول فقط¹⁵².

لقد أدى المتغير التكنولوجي إلى تحولات ملموسة في مفاهيم الصراع و القوة و الاستقطاب و التوازن بل تعداه إلى التأثير في هيكل النظام السياسي الدولي. فهو يعتبر قوة ناعمة ذو قدرات مركبة تقوم على الجذب و الإغراء و الإقناع تختلف عن القوة الصلبة التي تستخدم الضغط و التهيب و الإكراه. و اوجد بذلك مسارات جديدة في تراكم الثروة و تحصيل القوة¹⁵³.

و حسب الفن توفلر في تحليله للنمط الجديد من الصراعات يستند على تفاعل ثلاث مصادر للقوة و هي العنف بمعنى القوة العسكرية و الثروة بمعنى القوة الاقتصادية و المعرفة بالمعنى الواسع للتكنولوجيا وان الحروب المستقبلية ستدور حول المعرفة و هذا لا يعني إلغاء ظاهرة الصراع التقليدي بل سيغير فقط من محورها أين ستتنازل القوة العسكرية و الاقتصادية عن مكانتهما و دورهما لصالح المعرفة التي بدورها ستصنع القوة و توفر الثروة و تخلق مواد الإنتاج¹⁵⁴.

كما يعد المركب الصناعي العسكري احد المداخل المفسرة للظاهرة الصراعية باعتباره القوة الكبرى المحركة للصراعات و التوترات الدولية من خلال مجموعات المصالح المختلفة المستفيدة من ظروف

151 هانز مورجانتو، مرجع سبق ذكره، ص168.

152 خالد المعيني، مرجع سبق ذكره، ص33.

153 Samuel P., HUNTINGTON, "The Erosion of American National Interests", *Foreign Affairs*, Sep/Oct 1997, P.44.

154 الفن، توفلر، "تحول السلطة: بين العنف و الثروة و المعرفة": ترجمة: فتحي بن شتوان و نبيل عثمان، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع، 1996، ص31.

الصراع و التي تشكل قوة تأثير لا يستهان بها في مراكز صناعة القرار داخل النظم السياسية. كما أن نجاحها يلعب دورا حافزا في استمرارها بل و حتى في توسعها و امتدادا إلى كل أنحاء العالم¹⁵⁵.

المطلب الثاني: مستويات الصراع الدولي وأنواعه

1 - مستويات الصراع الدولي:

لقد اختلفت عمليات تفسير النزاعات الدولية لدى الباحثين تبعا لاختلاف مستويات التحليل التي يعتمدها الباحثون في دراسة هذه الظاهرة الدولية، وتوجد عدة تقسيمات لمستويات التحليل هذه، وهو ما يؤثر على عملية التفسير، فمايكول نيكولسون مثلا يقسمها كالتالي:

- أ - مستوى الفاعل الفردي الذي يكون فيه التحليل بصيغة خصوصيات الفرد فهو يمس خصوصية الحدث الفردي، وهذا يعني أن التحليل انطلاقا من هذا المستوى يتعاطى فقط مع الأسباب والعوامل المرتبطة بالفاعلين الفرديين وهي عادة عوامل سيكولوجية.
- ب - المستوى الثاني من التحليل يقود إلى الاعتراف بإنفراد الأحداث الخاصة (الفاعل الفردي) لكن يحاول الباحثون ربطهم بتصنيفات أعم وأشمل لأحداث مماثلة، ورغم أن الحدث في هذا المستوى لا يزال ينظر إليه كحدث فريد، إلا أن الاهتمام يدور حول ارتباطه بأحداث مشابهة.
- ت - المستوى الأخير و هو أكثر عمومية من المستويين السابقين و فيه يحاول الباحث فهم السلوك العام لمجموعات الأفراد و الأحداث، و لا يهتم بالخصائص والمزايا الفردية لوحدات منفردة معينة. و في هذا المستوى سوف يتعاطى التحليل مع عوامل أخرى غير سيكولوجية، مثل العوامل الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية¹⁵⁶.

155 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص ص 34-35.

156 Michael, NICHOLSON, Op. Cit. , P.16.

كما اقترح كينيث والتز ثلاثة مستويات لتحليل الظاهرة الدولية بصفة عامة و الصراعات بصفة خاصة: الفرد، الوحدة أو الدولة و النظام الدولي¹⁵⁷، يضم كل مستوى عوامل وأسباب مختلفة للصراعات، بينما اقتصر ديفيد سينغر على مستويين تحليلين هما النظام الدولي والدولة الوطنية¹⁵⁸.

عموما، فقد اتخذ الباحثون عدة مستويات وجوانب لتفسير الصراعات الدولية، تفسيراً من خلال الطبيعة البشرية، من خلال مجتمعات أطراف النزاع، طبيعة الدولة وطبيعة النظام الدولي. وقد أنتج هذا التعدد والاختلاف في تحديد مستويات تحليل النزاعات الدولية، تعدداً مماثلاً في اعتماد مجموعات مختلفة من العوامل والأسباب المفسرة لهذه الظاهرة المعقدة من العلاقات الدولية.

2 - أنواع الصراعات الدولية:

يساعد تصنيف الصراعات الدولية في محاولة فهم واستيعاب وتحديد العوامل التي تؤثر في كل فئة منها. وبالتالي، يساهم في مجال آخر وهو دراسة نظم إدارة الصراع وحله، ويساعد تصنيف الصراعات أيضاً في فهم الضوابط لسلوكيات الأطراف المختلفة، وكذلك الإمكانيات المتاحة أمام هذه الأطراف واستشراف سلوكياتها في إطار كل فئة من فئات الصراع¹⁵⁹.

تتنوع التقسيمات المختلفة للتمييز بين الصراعات بتعدد المعايير أو المؤشرات المستخدمة من قبل الباحثين . وفي هذا الصدد، يمكن الإشارة فيما يلي إلى مجموعة من المعايير:¹⁶⁰

- معيار متعلق بمصدر الصراع، أين يمكن التمييز بين صراع بنيوي وصراع مدركي.
- معيار متعلق بمسببات الصراع، و يقسم الصراعات إلى صراعات العلاقات، صراعات المعلومات ، صراعات المصالح، صراعات البنيات وصراعات القيم.
- معيار متعلق بدرجة ظهور الصراع حيث يتم على أساسه التمييز بين الصراع العلني أو السافر، والصراع الكامن أو المستتر، و الصراعات المقهورة أو المقموعة.

157 Barry, BUZAN, "The Level of Analysis Problem in International Relations Reconsidered," in Ken Booth and Steve Smith (eds.), *International Relations Theory Today*, University Park, Pa.: Pennsylvania State University Press, 1995. P.P. 198-216.

158 David J., SINGER, "The Level-of-Analysis Problem in International Relations", *World Politics*, Vol 14, October, 1961, P.P.77-92.

159 ناصيف، يوسف حتي. مرجع سبق ذكره، ص323.

160 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 71-72.

- معيار متعلق بموضوع الصراع، وعلى ضوءه يتم التمييز بين صراع سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي وغيرهم.
- معيار خاص بأطراف الصراع، و عادة ما يستخدم في تقسيم الصراعات إلى ثنائية ومتعددة.
- وأخيرا معيار متعلق بدرجة العنف المرتبطة بالصراع، و التي يتم على أساسها التمييز بين الصراعات العنيفة و غير العنيفة.
- أ - أنواع الصراع طبقا لمسبباته:

باستخدام مفهوم دائرة الصراع، فإن أنواع الصراعات طبقا لمسبباتها يمكن التمييز فيها بين المجموعات الخمس الرئيسية التالية: صراعات تنشأ بسبب العلاقات بين الأفراد أو الناس، صراعات تنتج عن مشكلات المعلومات، صراعات تسببها المصالح ، الصراعات البنوية أو الهيكلية ، صراعات بسبب القيم.

- **صراعات العلاقات:** وتنشأ هذه الصراعات بسبب وجود انفعالات سلبية قوية، سواء نتجت عن سوء فهم أو نتيجة لوجود صور نمطية معينة، أو لسوء الاتصالات أو فقرها، أو لتكرار أنماط سلوكية سلبية . وغالبا ما تؤدي هذه المشكلات إلى ما يسمى بالصراعات غير الواقعية¹⁶¹، أو غير الضرورية¹⁶². لأنها من الممكن أن تحدث عندما تتوافر الظروف الموضوعية للصراع، مثل قصور الموارد المحدودة، أو قصور الأهداف المتبادلة. وهكذا، فإن صراعات العلاقات، وعلى نحو ما سبق ذكره، غالبا ما تشعل المنازعات وتؤدي بشكل غير ضروري، إلى تصعيد الصراعات المدمرة.

- **صراعات المعلومات:** وتحدث هذه الصراعات عندما تفتقد الأطراف للمعلومات الضرورية اللازمة لاتخاذ القرارات الحكيمة، أو عندما يتم تزويدها بمعلومات غير صحيحة، أو عندما يختلفون حول أهمية المعلومات، أو الاختلاف في تفسيرها، أو عندما يصل الأفراد إلى تقييمات مختلفة بصورة جذرية لنفس المعلومات. وهنا، تجب الإشارة إلى أن حدوث صراعات المعلومات قد لا تكون ضرورية الحدوث لأنها تقع نتيجة سوء الاتصالات أو انعدامها بين أطراف الصراع. كما أن البعض الآخر من صراعات المعلومات قد تكون صراعات حقيقية وقوية بسبب أن المعلومات أو الإجراءات التي استخدمها الأفراد في جمعها، أو كلا من المعلومات والإجراءات قد تكون غير متوافقة.

161 المرجع نفسه. ص71.

162 المرجع نفسه. ص73.

- **صراعات المصالح:** يرى دروكمان أن صراعات المصالح إنما تشير إلى " اختلاف أو اضطراب في النتائج المفضلة للذات أو النفس وللآخرين"¹⁶³. و الصراع حول المصالح غالبا ما يحدث عندما يتبنى طرف أو أكثر من بقية الأطراف موقفا يسمح بحل واحد لمواجهة حاجاتهم. ففي سبيل إشباع حاجتها يحدث أن يعتقد أطراف الموقف الصراعي أنه يجب التضحية بمصالح الآخرين. وهكذا، تحدث هذه الصراعات ذات الأسس المتداخلة حول : قضايا موضوعية (الأموال، الموارد الطبيعية، الوقت...)، أو موضوعات إجرائية (كأسلوب حل النزاع) ، أو حول موضوعات نفسية (مدركات أو تصورات الثقة، العدالة، الرغبة في المشاركة و الاحترام ...). و يزداد الأمر تعقيدا عندما تكون مصالح أو مكاسب طرف ما متناسبة مع خسائر طرف آخر، و هو ما يشار إليه أحيانا بتعبير المكسب-خسارة الصفرية، أي أن مكسب طرف يعد خسارة للطرف الآخر. أما الحالة العكسية هنا فتتمثل في تساوي العوائد بالنسبة للطرفين، و التي يشار إليها بالعائد أو الناتج الإيجابي غير الصفري. وبين هذين النموذجين، فإن هناك نماذج عديدة تتوافر فيها عناصر للمنافسة والتعاون ويشار إليها بالدافع المختلط.

وبوجه عام ، فإن صراعات المصالح عادة ما يمكن تحقيقها أو إشباعها بطرق عديدة.¹⁶⁴ و يتطلب حل صراع المصالح وجوب مناقشة عدد كبير وهام من مصالح الأطراف المعنية، وأن يحققوا أو يتوصلوا إلى نقاط التقاء مشتركة في المجالات الثلاثة السابقة (الموضوعية، الإجرائية و النفسية).

وهكذا ، فإن هذا النوع من الصراعات تسببه المنافسة حول المصالح والحاجات غير المتوافقة سواء كانت تلك المصالح أو الحاجات حقيقية أو متصورة. وغالبا ما يتخذ صورته الظاهرة في التنافس من أجل الحصول على الموارد أو الجوائز ذات القيمة. كما أن حله يكون بطرق عديدة تتبلور في جوهرها حول كيفية إحداث تغيير في العملية الذهنية أو العقلية لأطراف الموقف الصراعي، بما يساعد على التوصل إلى اتفاق بينهم. ولعل من أهم الوسائل في هذا الاتجاه، أن يتم التركيز على التفكير الإبداعي أكثر منه على التفكير التحليلي، وتبنى منهج حل المشكلات بدلا من الحل التنافسي في مناقشات أطراف الموقف الصراعي لاختلافهم¹⁶⁵.

163 Daniel, DRUCKMAN, Op. Cit., pp 27-28.

164 منير , محمود بدوي, مرجع سبق ذكره، ص 73.

165 منير , محمود بدوي, مرجع سبق ذكره، ص74.

الصراعات البنوية أو الهيكلية: و يحدث هذا النوع من الصراعات بسبب نماذج القهر في العلاقات الإنسانية¹⁶⁶، ومن ثم، فإنها تتعلق بتأثير تلك البنى و الهياكل الاجتماعية على الصراعات، ودور الصراع في التأثير عليه أيضا.

ويوجه عام، فإن نماذج هذه التأثيرات عادة ما تشكلها قوى خارجية في الصراع. فالموارد الطبيعية المحدودة، والقيود الجغرافية (كالبعد أو القرب) ، الوقت (من حيث كونه محدودا أو متسعا) ، البنى التنظيمية و ما شابه ذلك من متغيرات، غالبا ما تدفع نحو أو تمهد باتجاه السلوك الصراعي. كذلك، فإن تأثير تلك القوى إنما يختلف من مجتمع إلى آخر طبقا لبنية أو هيكل الجماعة أو طبيعة المجتمع نفسه بحيث يمكن التمييز بين:

- في المجتمعات ذات البنى أو الهياكل الفضفاضة و الواسعة كما في المجتمعات المنفتحة و المتعددة، فحل الصراع من خلال إزالة التوتر بين الأطراف المتخاصمة من المحتمل أن يكون له وظائف استقرارية ، بمعنى دعم الاستقرار.

- في المجتمعات ذات البنى أو الهياكل الاجتماعية المحددة، والجماعات المغلقة، فإن تأثير الصراع من المحتمل أن يكون مختلفا. فكلما كانت الجماعة أكثر انغلاقا كلما ازداد تورط الأطراف بشكل كبير في الصراع، و بالتالي يزداد تأثير الصراع عليهم¹⁶⁷.

- **صراعات القيم:** وهي الصراعات التي ترتبط بالقيم، وتسببها المعتقدات القيمية أو النظم العقائدية المتصورة أو الفعلية، وذلك لعدم توافقها أو لعدم التوافق بينها، ولما كانت القيم عبارة عن معتقدات يستخدمها الأفراد لإعطاء معنى لحياتهم للتمييز بين ما هو جيد و سيئ، صواب و خطأ، عادل و ظالم، فإنه تتبغى الإشارة إلى أن القيم المختلفة في حد ذاتها لا تشكل صراعا، فالأفراد يمكنهم العيش معا في انسجام مع وجود نظم قيمية مختلفة . بينما الصراعات القيمية تثار عندما يحاول أحد أطراف النزاع فرض مجموعة محددة من القيم على غيره من الأطراف، أو عندما يدعو إلى إتباع نظام قيمي محدد لا يسمح بالاختلافات العقائدية¹⁶⁸.

166 المرجع نفسه، ص75.

167 المرجع نفسه.

168 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 75.

من هنا ، فإن لصراعات القيم أهمية تجعلها من أهم صراعات القرن العشرين، كما أنها استحوذت على قدر كبير من اهتمامات الدارسين في مجالات علم النفس والعمليات الذهنية وذلك بهدف الربط بين حجم الصراع والسلوك المرتبط بحل الصراع. وفي هذا الصدد ، فإن فك أو حل الارتباط بين القيم والمصالح، والعمل المشترك على اكتشاف الاختلافات القيمة، والأيدلوجية، والتركيز على إيجاد، واستخدام الصيغ التوفيقية والحلول الوسط تعد من أهم سبل حل الصراعات القيمة¹⁶⁹.

ب - أنواع الصراع من حيث درجة ظهوره:

ويقصد بذلك التمييز بين أنواع الصراع على أساس من وجود مظاهر سلوكية علنية من قبل أطراف الصراع ترتبط به، ومن ثم تعد دليلاً على وجوده من جانب، كما تستخدم في تحديد نوعه من جانب آخر. وفي هذا الصدد، يتجه بعض المتخصصين إلى التمييز بين الصراعات السافرة، والكامنة، و المقموعة أو المقهورة. وتحدد أهم سمات كل منها على النحو التالي:¹⁷⁰

- **الصراعات الظاهرة:** يقصد بها ذلك النوع من الصراعات التي ارتبطت بها مظاهر سلوكية لأطرافها مابين أعمال عنف، أو تهديدات باستخدام القوة، أو إعلان مطالب محددة لحل الصراع القائم. ومن هنا فإن مثل هذه المظاهر تعكس مرحلة متطورة و متقدمة من مراحل الصراع، ومن ثم تستخدم هذه المظاهر المرتبطة بالصراع كأساس لوصفه بأنه صراع ظاهر أو سافراً تمييزاً له عن النوعين التاليين: الكامن و المكبوت.

- **الصراعات الكامنة:** هذا النوع من الصراعات وإن اشترك مع سابقه في وجود أساس أو قاعدة موضوعية للصراع بين أطرافه ، فإن السمة المميزة له إنما تتمثل في عدم تبلور أي مظاهر سلوكية ملموسة أو محسوسة يمكن الإشارة إليها كدلالة على وجود الصراع. وبعبارة أخرى، إن هذا النوع إنما يعبر عن صراعات ذات مستوى أقل نضجاً وتطوراً عن النوع السابق.

- **الصراعات المكبوتة:** هذا النوع من الصراعات يشترك مع سابقه في تبلور أساس موضوعي للخلاف والتنافس بين طرفيه أو أطرافه، كما يتشابه مع الصراع الكامن في عدم تبلور مظاهر سلوكية دالة عليه، لكن سمته الأساسية تتمثل في وجود اختلال واضح في علاقات القوة بين طرفيه أو أطرافه لصالح طرف على حساب الطرف الآخر. كما أن الطرف الأقوى لا يضطر إلى استخدام قوته ليحقق أهدافه

169 المرجع نفسه.

170 منير، محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 75-78.

في الصراع، حيث قيامه بالتهديد باستخدامها يصبح كافيا لإحداث الاستجابة المطلوبة أو المرغوبة من الطرف الثاني.

وهنا تجدر الإشارة إلى وجود بعض التشابه مع دائرة الصراع الدولي وتحديدا مع ما يعرف بتأثير الردع، و الذي يتمثل في إجماع أو امتناع أحد أطراف الصراع عن اللجوء إلى استخدام القوة لتحقيق مصالحه، وذلك لأسباب متعلقة بقوة الخصم أو الطرف الأخر، اقتناعا بأن استخدام القوة المسلحة لن يكون في صالحه¹⁷¹.

أدى انتشار الصراعات المعاصرة خاصة بعد الحرب الباردة إلى زيادة الحاجة إلى إيجاد تصنيفات جديدة لظاهرة الصراعات خاصة المسلحة منها والحروب، فالنظام الدولي لما بعد الحرب الباردة يشهد أنماطا جديدة من السلوك النزاعي ومن الفاعلين، ففي هذا النظام: "يرتبط مفهوم الصراع في عالم أكثر تقلبا بمجموعة من الشكوك ترتبط أساسا بانتقال احتكار العنف إلى فاعلين غير معروفين، فالمرحلة الراهنة تشهد نوعا جديدا من النزاع يتغذى على رغبات الهوية وعلى عدم التجانس الإثني والثقافي"¹⁷².

فالسمة الأساسية لصراعات المرحلة الراهنة تتمثل في كونها صراعات مسلحة داخل الدول على خلاف المراحل السابقة حيث سادت الصراع بين الدول، وبالتالي لم تعد التصنيفات التقليدية مفيدة في دراسة صراعات هذه المرحلة. فقد أدى الطابع الداخلي للصراعات الحالية إلى بروز فواعل وأطراف صراعية أخرى غير الدول تمتلك أهدافا، موارد و طرق تنظيم مختلفة عما تملكه الدول. كما أدى إلى تبلور مواضيع و مصادر جديدة للصراعات تتمثل خاصة في قضايا الهوية و الإثنية، مما يستدعي إعادة النظر في مفهوم الصراع، و خاصة إيجاد تصنيفات تعبر بصورة أكثر واقعية عن صراعات مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

و في هذا الإطار، سعى العديد من الباحثين إلى وضع تصنيفات جديدة للصراعات الحالية، بحيث تعتمد عمليات جمع معطيات الصراع معايريرا مختلفة لتصنيفها:

- خصائص الفاعلين الأطراف في النزاع (توجهاتهم، قدراتهم، ومواردهم، طرق تنظيمهم، موقعهم الجغرافي، تركيبهم، الإثنية).

171 المرجع نفسه.

172 Irnerio, SEMINATORE, « Les relations internationales de l'après-guerre froide : une mutation global », Etudes internationales: volume XXVII, N° 03, Septembre 1996. P.613.

- موضوع النزاع (الهوية، الأمن، الإقليم والحدود، الاستقلال، الايدولوجيا، الموارد الاقتصادية...).

- الأسلحة المستخدمة (تقليدية، نووية).

و عليه سنحاول استعراض بعض التصنيفات الموجودة للصراعات و الحروب، خاصة تصنيف ترابطات الحرب الذي أنجزه ديفيد سينغر وميريديث ساركيس. وتصنيف مشروع معطيات النزاعات الذي أنجز في إطار جامعة أوبسالا السويدية وتصنيف مشروع بحث النزاعات الإثنية الذي أنجزه كريستيان شير.

1 - تصنيف ترابطات الحرب:

أنجزه ديفيد سينغر وميريديث ساركيس، بناء على دراسة صراعات الفترة الممتدة بين سنتي 1816-1997 وتوصلا إلى وضع هذا التصنيف لفئات الحروب:

- **حروب بين الدول:** وهي صدام ثابت مسلح بين دولتين أو أكثر، أعضاء في النظام الدولي، و يخلف ألف قتيل على الأقل في السنة.

- **حروب خارج الدولة:** صدام ثابت بين دولة عضو في النظام الدولي، وكيانا سياسيا ليس عضوا في النظام الدولي و خارج حدودها الإقليمية، يخلف ألف قتيل على الأقل في السنة: - دولة ضد فاعل مستقل غير الدولة.

- دولة ضد فاعل غير مستقل غير الدولة.

- **حرب داخل الدولة:** صدام بين قوتين مسلحتين داخل الحدود الإقليمية للدولة، يخلف ألف قتيل على الأقل في السنة:

- **حروب أهلية:** صدام ثابت بين القوات المسلحة للحكومة وقوات كيان آخر. من اجل السيطرة على السلطة، أو حول قضايا محلية.

- **حرب بين الطوائف:** صدام ثابت بين جماعات بشرية متميزة (طوائف) لا يضم القوات المسلحة للحكومة¹⁷³.

173 Meredith Reid, SARKEES and J. David, SINGER, "Armed conflict past and future: a master typology?", Paper presented at the European Union Conference on Armed conflict, data collection, Uppsala, Sweden, june,2001, P.13.

لقد اعتمد هذا التصنيف على معيارين هما: خصائص الفاعلين (أي نوعية أطراف الصراع، حيث نجده قد سعى إلى إدراج فواعل أخرى غير الدول كأطراف في الصراعات)، كما اعتمد على معيار موضوع الصراع خاصة عند فحصه لمعطيات الحروب الأهلية.

2 - تصنيف مشروع معطيات النزاع:

أنجز هذا التصنيف في إطار مشروع بحثي تم إعداده بجامعة أوبسالا UPPSALA السويدية، و كان موضوع البحث: " الدول في الصراعات المسلحة في الفترة ما بين 1945-1999 ". حيث تم تعريف الصراع المسلح بأنه: " تعارض، موضوعه الحكم أو الإقليم أو الاثنان معا، يستعمل فيه طرفان القوة المسلحة، و يخلف على الأقل خمسة وعشرون قتيلًا مرتبطًا بالمعرفة، أحد الطرفين على الأقل هو حكومة الدولة". و يصنف الصراع ضمن أربع فئات:¹⁷⁴

- صراع بين الدول.
- صراع داخلي محض.
- صراع خارج النظام.
- صراع داخلي مدول.

كما يقسم الصراعات إلى ثلاثة فئات على أساس الحد الأدنى من القتلى:¹⁷⁵

- صراعات مسلحة صغيرة: هي نزاعات التي تؤدي إلى مقتل خمسة وعشرين شخصا على الأقل في السنة وأقل من ألف قتيل في أي سنة.
- صراعات مسلحة متوسطة: هي النزاعات التي تؤدي إلى مقتل أكثر من ألف شخص خلال مدة الصراع، لكن أقل من ألف قتيل في السنة.
- الحروب: أكثر من ألف قتيل في السنة.

حاول مشروع جامعة أوبسالا الجمع بين عدة معايير: نوعية الأطراف، الحد الأدنى من القتلى، وموضوع الصراع غير أنه حصر مواضيع مختلف الصراعات في الحكم والإقليم وأهم بالتالي الصراعات حول باقي المواضيع.

174 Meredith Reid, SARKEES and J. David, SINGER, Op. Cit., P.13.

175 Ibid. p14.

3 - تصنيف كريستيان شيرر

بالمقابل، نجد عمليات تصنيف أخرى لصراعات تدور حول مواضيع ذات طبيعة أخرى: الهوية والانتماء الإثني (ECOR) Ethnic Conflit Research Project أنجزه كريستيان شيرر عام 1999م، في إطار مشروع بحثي: "النزاعات العنيفة 1985-1996". و كان الهدف الأساسي لهذا البحث هو إدراج عامل الإثنية والعنف الشامل عند الحرب في دراسة أنماط الصراعات بعدما كانت هذه العوامل غائبة في التصنيفات الأخرى. و عليه، حدد هذا التصنيف سبعة أنواع من العنف الشامل يضم حروباً وأنواع غير عسكرية من العنف الشامل، تؤدي عادة إلى أكثر من ألف ضحية في السنة، وتتمثل هذه الأنواع في:¹⁷⁶

- حروب ضد النظام (أو صراعات سياسية و إيديولوجية): الدولة ضد تمرد يهدف إلى استبدال للحكومة.
- صراعات إثنية- قومية: هي غالباً صراعات داخل الدولة حيث تواجه هذه الأخيرة جماعات قومية و عرقية، ويمكن أن تكون أيضاً صراعات بين الدول.
- صراعات بين الدول.
- حروب التحرر من الاحتلال الأجنبي، و أغلبها ذات طابع إثني -قومي.
- صراعات بين الجماعات الإثنية حول مصالح جماعية محددة.
- حروب العصابات: يقوم بها فاعلون آخرون غير الدولة و تختلط بهم عناصر إجرامية لتحقيق مصالح خاصة.
- الإبادة : قتل شامل منظم من طرف الدولة.¹⁷⁷

اعتمد هذا التصنيف كل المعايير تقريباً بهدف توسيع عملية التصنيف لتضم قواعد متعددة (دول، جماعات إثنية، حركات التحرر، عصابات...)، مواضيع الهوية و الإثنية بالإضافة إلى المواضيع السياسية، الإيديولوجية و الاقتصادية، وكذا الأخذ في الحسبان أن العنف الشامل ليس مرتبطاً بالصراعات بين الدول فحسب.

176 Christian P., SCHERRER, "Towards a Comprehensive Analysis of Ethnicity and Mass Violence: Types, Dynamics, Characteristics and Trends", in Christian P. Scherrer and Hakan Wiberg, *Ethnicity and intra-state conflict*, Aldershot, Ashgate, 1999, P.P.61-65

177 Thomas, GOUMENOS, "Mechanisms of Ethnic and Separatist Mobilization : A Dynamic Theoretical Framework for the Analysis of Separatist Movements", 1st ECPR Graduate Conference on Contentious Politics university of Essex, 7-9 September 2006, P.5.

المبحث الثالث: تحول الصراع الدولي بعد الحرب الباردة

يعد انهيار الاتحاد السوفيتي نقطة فاصلة في حركة التطور السياسي العالمي خلال القرن الماضي، بحيث أدى ذلك بالضرورة إلى أحداث تحولات جذرية في كافة التفاعلات السياسية والاقتصادية والعسكرية و القيمية على المستوى العالمي وقد تركت هذه المتغيرات ذاتها تحولات مماثلة في ظاهرة الصراع الدولي، ذلك أن الظاهرة المذكورة كانت تتحدد دائما في ضوء هيكلية النظام الدولي وعلاقات القوة السائدة فيه وينبع ذلك من أن انهيار نظام الثنائية القطبية أدى إلى توليد مصادر جديدة للصراع الدولي على مستويات عديدة، إذ تسبب هذا الانهيار في إنهاء الحاجة إلى المناهج العالمية الشاملة للأمن، و بالتالي، فقدان ميكانيزمات الاستقرار وضبط الصراع التي طورتها القوتان العظمتان في ظل الحرب الباردة في إطار قيامهما بإعادة تكييف كافة الصراعات الإقليمية في العالم وفقا لصراعهما المركزي.

وقد تسبب هذا الوضع في نشوء العديد من التحديات البارزة في البيئة الدولية، بل أن انتهاء الحرب الباردة شكل بحد ذاته منطلقا للعودة إلى ظاهرة تعدد مصادر الصراع الدولي. ويمكن القول بشكل عام أن التحول في ظاهرة الصراع الدولي قد امتد إلى جميع العناصر والأبعاد المكونة للظاهرة خاصة المصادر المسببة للصراع الدولي و آلياته من خلال اعتبار التحولات المذكورة في ظاهرة الصراع الدولي هي إحدى النواتج الرئيسية للتغيرات الحادثة في بنية المنظومة الدولية.

المطلب الأول: مصادر الصراع الدولي بعد الحرب الباردة

يعتبر الصراع أحد جانبي التفاعلات الدولية، ويمتد بحكم هذه الصفة إلى كافة مجالات الحياة الإنسانية. وبالتالي، تعددت مصادر الصراع كما ذكرناها سابقا، إلا أن الأوزان النسبية لهذه المصادر تختلف باختلاف النظام الدولي وتوزيع القوة وعلاقات القوة بين أطرافه. وفي ظل هذه الوضعية، كان المصدر الرئيسي للصراع الدولي خلال فترة الحرب الباردة متمثلا في المصدر الأيديولوجي، حيث انقسم العالم إلى معسكرين اشتراكي و رأسمالي، تقود كل منهما دولة عظمى، وكان كل منهما يتسلح بأيديولوجية عالمية شاملة تمتلك محتوى أخلاقيا، ولها القدرة على تفسير التاريخ الإنساني، مما أدى بها إلى خلق مجموعة متنوعة من مصادر الصراع الأخرى على كافة المستويات¹⁷⁸.

178 عبد المنعم، سعيد، "ما بعد الحرب الباردة: النظام الدولي بين الفوضى والاستقرار"، التقرير الإستراتيجي العربي لعام 1993، مصر: مركز الدراسات السياسية

غير أن انهيار الاتحاد السوفيتي كان بحد ذاته دليلا أكيدا على حالة الإفلاس الأيديولوجي الشامل الذي وصلت إليه النظم الماركسية اللينينية، الأمر الذي أدى إلى تراجع مكانته الأيديولوجية كمصدر من مصادر الصراع الدولي وإفساح الطريق أمام مصادر أخرى كانت فيما سبق تستحوذ على اهتمام اقل، و في مقدمة هذه المصادر ما يلي:

1 - المصادر ذات البعد الاقتصادي:

لقد أصبحت المصالح الاقتصادية المتعارضة تمثل المصدر المحوري للصراع في المرحلة الانتقالية الراهنة، التي يمر بها النظام الدولي. و واقع الأمر، أن هذه الوضعية تعتبر نتاجا موضوعيا للعديد من التناقضات الناجمة عن نظام الرأسمالية الاحتكارية المعمول به في الدول الغربية المتقدمة، حيث أدت هذه التناقضات إلى تفاقم أزمة الركود الاقتصادي داخل الدول الرأسمالية بشكل عام، و نشأت هذه الأزمة بفعل انقلاب موازين القوى الاقتصادية بين الدول الرأسمالية الكبرى لغير صالح الولايات المتحدة و أوروبا، ولصالح اليابان والدول الصناعية الجديدة، الأمر الذي أدى إلى انخفاض الطلب الكلي عن العرض الكلي للسلع والخدمات في المنظومة الرأسمالية العالمية.

و من غير الممكن تحليل هذا الانقلاب في موازين القوى الاقتصادية دون الرجوع إلى نظام القطبية الثنائية وظروف الحرب الباردة بين القطبين فقد تحملت الولايات المتحدة مسؤولية إدارة الصراع حول السيطرة العالمية مع الكتلة الاشتراكية، لاسيما من خلال سباق التسلح كأداة رئيسية لاستنزاف الاتحاد السوفيتي والحيلولة دون نجاحه في تحقيق التحولات الاقتصادية والاجتماعية داخل الكتلة الاشتراكية عموما. غير أن هذا السباق أدى إلى تحميل الولايات المتحدة وحدها العبء الاقتصادي للتسلح، في الوقت الذي جرى فيه إعفاء حلفائها من هذا العبء إلى حد كبير. وقد ترتب على هذا العبء انخفاض قدرة الولايات المتحدة على الاستثمار في مختلف مجالات التجديد التكنولوجي وتمكين حلفائها، خاصة اليابان وألمانيا من التفوق الاقتصادي والتركيز على القيادة التكنولوجية في القطاع المدني. وبالتالي، فقد استمرت الولايات المتحدة في المحافظة على مكانتها القيادية للغرب و للعالم في الجانب العسكري بدون منازع ، إلا أن مكانتها تأخرت كثيرا في المجال الاقتصادي، بحيث أصبحت أدنى بكثير في علاقات القوة الاقتصادية بالمقارنة مع اليابان وألمانيا والدول الصناعية الجديدة.

ويظهر ذلك بصفة خاصة في مؤشرات مثل: العجز المزمّن في الميزان التجاري، وانتقال موازين الاستثمار المباشر ضد مصلحة الولايات المتحدة، وتدهور القوة النسبية للدولار في مواجهة العملات الأخرى القوية، وتحول الاحتياطات النقدية الدولية للتقويم بهذه العملات الأخيرة، وما إلى ذلك¹⁷⁹.

إن المظهر الرئيسي الذي تجسدت فيه هذه الأزمة يتمثل في حالة التشبع التي أصبحت تميز الاقتصاد العالمي ككل، فقد اتسع نطاق النظام الرأسمالي العالمي، في الوقت الذي لا تسمح فيه علاقات التوزيع داخل الدول الرأسمالية الكبرى بأن تنمو القدرة على الاستهلاك بنفس المعدل الذي تنمو به القدرة على زيادة الإنتاج. بل أن هذه العلاقات التوزيعية تؤدي في أغلب الأحيان إلى إحداث اختلال في التناسب بين فروع الإنتاج المختلفة، وبالذات بين الفروع المنتجة للسلع الاستهلاكية والفروع المنتجة للسلع الإنتاجية.

لقد أدت هذه الحالة إلى تعميق الصراع بين الدول الرأسمالية الكبرى من أجل أسواق التصريف وميادين توظيف رؤوس الأموال، مما أدى منطقياً، إلى إيجاد أزمة في عملية التراكم الرأسمالي، علاوة على تعطيل الدورات الاقتصادية لرأس المال. ومن ثم سارت عملية التراكم خلال الآونة الأخيرة، بمعدلات غير ثابتة، بفعل الخلل في دورة رأس المال. وعبر هذا الخلل عن نفسه في صورة تعاضم التضخم والانكماش. وأيضاً، في صورة تزايد النزعات الحمائية لدى الدول الرأسمالية.

إن مثل هذه النوعية من الأزمات ليست جديدة على النظام الرأسمالي العالمي، إذ أنه شهد مراراً من قبل، إلا أن الأزمة الراهنة تتميز عن سابقتها في عجز هذا النظام عن الوصول إلى صيغة مناسبة من التكيف مع الأزمة الهيكلية القائمة، فالأزمة تعني الحد من قدرة النظم الرأسمالية على تحقيق هدفها الرئيسي، المتمثل في تعظيم الأرباح، ومن ثم العجز عن تحقيق المزيد من التراكم في رأس المال، وخفض الإنتاج، وصعوبة إدخال تعديلات مستمرة في العملية الإنتاجية.

لقد مرت النظم الرأسمالية فيما مضى بدائرة حلزونية من الأزمات الصاعدة والهابطة، وكانت هذه الأزمات ذاتها تفرز العديد من وسائل التكيف، للتخفيف من حدة الأزمة في صالح بقاء النظام الرأسمالي وإعادة إنتاجه¹⁸⁰، إلا أن الرأسمالية تبدو في الوقت الراهن كما لو كانت قد استنفذت كافة وسائل التكيف

179 محمد، السيد سعيد، "المتغيرات السياسية الدولية و أثرها على الوطن العربي"، في: الوطن العربي والمتغيرات العالمية، القاهرة: معهد البحوث و الدراسات

العربية، 1991، ص 58.

180 محمود، احمد إبراهيم، "ظاهرة الصراع الدولي في عالم ما بعد الحرب الباردة"، مجلة السياسة الدولية، العدد 109، القاهرة، جويلية 1992، ص 149.

الممكنة، حيث تبدو ثمة صعوبة بالغة في تحقيق المزيد من التوسع في قاعدة أسلوب الإنتاج الرأسمالي، علاوة على أن أسواق التصريف تنكمش بصورة تدريجية، بل أن أسواق الإنتاج تشهد دخول المزيد من المنتجين إليه، بالإضافة إلى صعوبة فتح منافذ جديدة للاستثمار داخل المنظومة الرأسمالية العالمية.

في الوقت الراهن، يبدو واضحا أن الدول الرأسمالية الكبرى عجزت عن الوصول إلى صيغة مناسبة لتوزيع الأدوار فيما بينها في مناطق العالم المختلفة، علاوة على أن دول أوروبا الشرقية والعالم الثالث، التي كان يمكن فتح أسواقها لتصريف الفائض فيها، لا تبدو في أغلبها أسواقا ملائمة للتصريف لضعف القدرة الشرائية بها، وافتقارها إلى درجات الاستقرار السياسي و الاقتصادي اللازمة لجعلها ميادين مناسبة لتوظيف رؤوس الأموال. ويعنى ما سبق، أن جوهر الأزمة العامة للرأسمالية الاحتكارية في طورها الراهن يتمثل في النقل التدريجي في ميادين الاستثمار الرأسمالي بصورة أكثر من ذي قبل.

كل هذا يمثل مصدرا متزايدا للصراعات بين الدول الرأسمالية وعجزها عن استيعاب هذه الصراعات داخل الإطار المؤسساتي، أي في المنظمات الرأسمالية، لاسيما قمة الدول الصناعية السبعة.

بالإضافة إلى ما سبق، تتفاقم حالة التفاوت الاقتصادي الحاد فيما بين دول الشمال ودول الجنوب، فعلى الرغم من انتهاء الانقسام الأيديولوجي العالمي فيما بين الشرق الاشتراكي والغرب الرأسمالي، فإن الانقسام الاقتصادي بين الشمال المتقدم المهيمن والجنوب المتخلف التابع، مازال قائما. بل إن هذا الانقسام الاقتصادي يتعزز باطراد في الوقت الراهن، بحيث بات يكتسب أبعادا سياسية وحياتية جديدة، تزيد من خطورته يوما بعد يوم على الأمن والاستقرار الدوليين.¹⁸¹ ومما يزيد من خطورة هذا الانقسام الاقتصادي بين الشمال والجنوب، أن تناقضات المصالح الاقتصادية بين الدول الرأسمالية الكبرى سوف تكون على حساب دول الجنوب بالدرجة الأولى، لاسيما من حيث أن النزعات الحمائية المتزايدة داخل المنظومة الرأسمالية العالمية، سوف تؤدي إلى فرض قيود هائلة أمام نمو الصناعات التحويلية القائمة على التصدير إلى الخارج في دول العالم الثالث، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى إغلاق أسواق الدول المتقدمة في وجه الصادرات الصناعية من الدول النامية، أو على الأقل فرض شروط اقتصادية وفنية صارمة على هذه الصادرات في أحسن الأحوال.

2 - مصادر ناتجة عن طبيعة النظام الدولي:

181 عبد الخالق، عبد الله، "العالم المعاصر والصراعات الدولية"، سلسلة عالم المعرفة، رقم 133، الكويت، جانفي 1989، ص 135.

ذلك انه ليس من قبيل المبالغة القول أن تناقضات المصالح الاقتصادية بين دول المنظومة الرأسمالية باتت تمثل المظهر الخارجي لهرم كامل من مصادر الصراع الدولي الأخرى، وفي مقدمتها المصادر النظامية أي الناتجة عن طبيعة النظام الدولي وتوزيعات القوة وعلاقات القوة بين وحداته ومن هذا المنظور ينبغي التفريق بين مضمون الصراع القائم في المرحلة الانتقالية الراهنة للنظام الدولي وبين الاحتمالات الممكنة لتطور النظام الدولي. ففي المرحلة الانتقالية الراهنة للنظام الدولي، أدى انقلاب موازين القوى الاقتصادية لصالح الولايات المتحدة، في الوقت الذي مازالت تتمتع فيه بمهمة الريادة في مجال تطوير التكنولوجيا العسكرية والأجيال الأكثر تطورا من نظم الأسلحة، إلى نشوء ما يعرف بعدم انسجام المكانة. في المجالات المختلفة للقوة، بينما تنعكس الصورة تماما مع دول أخرى مثل اليابان وألمانيا حيث تتمتع هذه الأخيرة بارتفاع في مؤشرات القوة الاقتصادية و انخفاض في مجال القوة العسكرية، وتعتبر حالة عدم الانسجام بشكل عام مصدرا قديما للصراع والعنف المسلح فيما بين الدول، كما كانت ظاهرة شائعة في المنظومة الدولية. وخلال الفترة الراهنة، تتمثل الآثار التطبيقية لحالة عدم انسجام المكانة في كونها أسندت وظيفة الإنتاج المنظم للعنف إلى دول معينة، يأتي في مقدمتها الولايات المتحدة، بغض النظر عن المزايا الاقتصادية والتكنولوجية لهذه الدول. ومن الطبيعي أن تتولد لدى هذه الدول دوافع قوية لتحويل المزايا العسكرية التي تتمتع بها إلى مزايا سياسية واقتصادية. وعندما تفشل في ذلك، في إطار التكوين المؤسسي للمنظومة الدولية، فإنه يكون لديها دوافع قوية للعنف العسكري. الأمر الذي يدفع بدوره نحو خلق استجابات دولية مختلفة تسعى إما لاستيعاب هذا العنف من خلال التأقلم السلبي و الإذعان للابتزاز من ناحية، أو الاصطدام العنيف ونمو النزعة العسكري للدول المتعرضة للابتزاز من ناحية أخرى، لاسيما لدى الدول القوية اقتصاديا والضعيفة عسكريا. ويعنى ما سبق، أن حالة عدم الانسجام يمكن أن تؤدي إلى نشوء فترة طويلة من التوترات العنيفة وإعادة ترتيب علاقات القوى، بما ينطوي عليه ذلك من احتمالات انفجار الأزمات والحروب¹⁸².

وبطبيعة الحال، فإن هذه الوضعية تمثل مصدرا متجددا للصراع الدول بحكم ما تنطوي عليه من حرص الدول المنتجة للعنف المسلح على مواصلة الاحتفاظ بالأدوات العسكرية اللازمة لإنتاج العنف المسلح. وبحكم ما يمكن أن تقدم عليه من استخدام سياسات الابتزاز و الإيجار في تفاعلاتها مع الدول الأخرى في سياق مسعاها الحتمي لتحويل تفوقها العسكري إلى مزايا سياسية واقتصادية. ومن ناحية أخرى، فإن التحولات الهيكلية الحادثة في قمة النظام الدولي في اتجاه نبذ القوة العسكرية كأداة لتسوية الصراعات

بين القوى الكبرى، لم تتوافق مع تحولات مماثلة في قاعدة النظام الدولي، أي فيما بين دول العالم الثالث. فمازالت معظم أقاليم العالم تزخر بأشكال شتى من التوترات الناتجة عن تعدد الصراعات الاجتماعية والاختلافات السياسية للنظم الحاكمة، علاوة على تنامي مصادر متجددة للتعبص وللصراع المسلح يأتي في مقدمتها الأشكال المختلفة للتفاوت في معدلات التطور الاقتصادي فيما بين تلك الدول¹⁸³.

وفوق ذلك كله، فإن مجمل هذه التوترات قد رسخت لدى العديد من دول العالم الثالث الاعتقاد بان لها حقوقا مهددة لدى الخصوم الآخرين ومما يزيد من التوتر في العالم الثالث أن الكثير من دوله مازالت تحتفظ بقوات عسكرية ضخمة، يمكن أن تصبح أداة هامة في تزكية التنافس والصراع المسلح بينهما علاوة على أن نفس هذه الوضعية أدت إلى تنامي الصراعات منخفضة الحدة في العالم، لا سيما تلك الصراعات الناتجة عن التمرد والإرهاب الدولي¹⁸⁴. و في ظل هذا الوضع، تتحدث بعض الكتابات الأكثر حداثة أن تحولات النظام الدولي يمكن أن تدفع بعض القوى الإقليمية في العالم الثالث للاستفادة من انهيار نظام القطبية الثنائية في تعديل التوازنات الإقليمية لصالحها وتوسيع قاعدة نفوذها الإقليمي، كما حدث في حالة الغزو العراقي للكويت¹⁸⁵. وفي نفس الوقت، فإن تفاوت معدلات التطور الاقتصادي في دول العالم الثالث يمكن أن يعمل على خلق مصادر جديدة للصراع فيما بين تلك الدول، ذلك أن ازدياد معدلات النمو السكاني في الدول ذات النمو الاقتصادي المحدود يمكن أن يزيد من معدلات الهجرة فيما بين الحدود، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى نشوب نزاعات واسعة وصراعات سياسية¹⁸⁶. ويشير مجمل ما سبق إلى وجود مجموعة متنوعة ومتعددة من المصادر المولدة للصراع والعنف المسلح في أقاليم العالم الثالث، على أن هذه المصادر لا تمثل في معظمها نتاجا للظروف والأوضاع التي تعيشها تلك الأقاليم فحسب، وإنما تتبع أيضا من وضعية العالم الثالث كساحة للصراع الدولي الدائر بين القوى الكبرى داخل المنظومة الرأسمالية. أما فيما يتعلق بمستقبل الصراع في ضوء المسارات المحتملة لتطور النظام الدولي، فإن معظم التحليلات المطروحة تنطلق بصفة أساسية من حقيقة وجود تراجع نسبي في القوة الأمريكية، بما يؤكد استحالة دوام حالة القطبية الأحادية الراهنة، والتي تتمتع فيها الولايات المتحدة بدور القوة العظمى الوحيدة في العالم. والواقع، أن كافة المؤشرات الإحصائية لتوزيع موارد القوة لاسيما القوة الاقتصادية، تشير إلى تراجع في انفراد الولايات المتحدة بالقيادة العالمية، إلا أن ذلك برغم صحته لا يترافق مع صعود قيادة بديلة، أي دولة تسيطر على معظم الموارد

183 Geoffrey, KEMP, "Regional security, Arms control and the end of the cold war", Washington Quartile, Autumn1990, P. 6.

184 Carl E., VUONO, "Desert storm and the future of conventional forces", Foreign affairs, 1991, P.P. 52-55 .

185 A. Cohen, ELIOT, "After the battle", New republic, April 1991, P.P. 19-29.

186 Yezid SAYIGH, "Confronting the 1990s: Security in the Developing countries", Adelphi Papers, No. 251, London, International Institute for strategic studies,1990, P.P. 31-35

العالمية للقوة¹⁸⁷. وأيا كان الوضع، فإن احتمالات تطور النظام الدولي تصب جميعها في اتجاه نشوء نظام دولي متعدد الأقطاب، إلا أن الإشكالية المحورية القائمة في هذا الشأن تنصب في تحديد درجات التعاون والصراع المميزة لهذا النمط المحتمل لتطور النظام الدولي، إذ انه ليس هناك ما يؤكد تماما فيما إذا كانت القوى المتنافسة داخل المنظومة الرأسمالية العالمية سوف تنجح في احتواء تناقضاتها وخلافاتها (بما يؤدي إلى نشوء نظام دولي متوازن)، أم إنها سوف تعجز عن بلورة نظام ما، لتقسيم العمل وتنظيم التعاون فيما بينها، (بما يمكن أن يؤدي إلى ظهور نظام دولي تنافسي فوضوي) ومن ثم، فإن مستقبل ظاهرة الصراع الدولي ككل يبدو مرهونا باحتمالات التطور المذكورة في النظام الدولي. ففي ظل النظام الدولي المتوازن، سوف ينقسم العالم الصناعي المتقدم إلى دول كبرى متنافسة، ولكن متوازنة، بما قد ينتج عنه حالة من الاستقرار النسبي في العلاقات بين هذه الدول. وفي هذه الحالة، فإن نمط الصراع الدولي سوف يتحدد في ضوء حرب التفاعل بين المراكز المتنافسة وعلاقتها بدول الجنوب، حيث انه كلما تعاضمت عوامل الوحدة والتجانس بين مراكز القوة المتنافسة للسيطرة على المنظومة الدولية، كلما أمكن السيطرة على المنافسات وتعاضمت مستويات التجانس فيما بينها مع تنامي ميل القوى لفك الصلة مع دول الجنوب، بينما كلما تعاضمت التناقضات والمنافسات بين هذه المراكز كلما أدت إلى ظهور ميل القوى للسيطرة المباشرة على الجنوب، مما يعنى أن العالم الثالث ربما يمثل ساحة الصراع العسكري و السياسي غير المباشر بين القوى الرأسمالية الكبرى في ظل سيادة علاقات التنافس بينهما. أما في حالة نشوء كيان دولي فوضوي بفعل اختلال العلاقات بين الدول الكبرى أو بسبب عجزها عن السيطرة على التناقضات فيما بين دول الجنوب و أجزاء معينة من الشمال، فإن تناقضات المصالح وتزايد المشاعر القومية والعرقية والطائفية والدينية يمكن أن تؤدي إلى تورط الدول الكبرى في التناقضات المذكورة بما يؤدي إلى فوضى عارمة في النظام الدولي، وزيادة احتمالات توسيع الصراعات والحروب لتصبح عالمية¹⁸⁸.

ويعنى ذلك، أن النمط العام للصراع الدولي سوف يختلف اختلافا جذريا ما بين المسارات المحتملة لتطور النظام الدولي. والواضح في جميع الحالات، أن دول الجنوب سوف تتحمل العبء الأكبر للصراع أيا كانت أنماطه وأشكاله، إلا أن هذا العبء سوف يختلف حسب طبيعة العلاقات القائمة بين القوى الدولية الكبرى.

3 - مصادر ذات بعد إيديولوجي:

187 احمد، إبراهيم محمود، مرجع سبق ذكره. ص 150

188 المرجع نفسه. ص 152.

أدى انتهاء الاستقطاب فيما بين الكتلتين الاشتراكية والرأسمالية إلى إعطاء درجة أكبر من البروز لمصادر أخرى للصراع الأيديولوجي في النظام الدولي، وتتسم هذه الوضعية الصراعية الأيديولوجية بالتعدد الواضح في الأنماط والمستويات. فمن ناحية، تتسم بتعدد المستويات، نظرا لأنها تميز كافة المستويات الأفقية والرأسمالية داخل النظام الدولي، أي فيما بين الشمال والجنوب في مواجهة بعضهما البعض، وفي داخل كل منهما على حدة.

كما يتصف الصراع الأيديولوجي من ناحية أخرى، بتعدد الأنماط نظرا لكونه ينطوي على قدر هائل من التنافس بين الأيديولوجيات السياسية والدينية والاقتصادية. ففي الوقت الراهن، تشهد الأيديولوجية الليبرالية الغربية أزمة هيكلية حادة على كافة المستويات، فقد أدى الانتصار النهائي الذي حققته الليبرالية في صراعتها الحضاري ضد النموذج الاشتراكي، إلى جعل الليبرالية أيديولوجية عالمية لا تقتصر فقط على الغرب، وإنما أصبحت نموذجا إنسانيا شاملا تشترك فيه البشرية جمعاء. الأمر الذي أدى إلى إحساس الغرب بفقدان الخصوصية الأيديولوجية، بعد أن أصبحت كافة شعوب العالم تشترك في تبنى النموذج الليبرالي، وصياغة أفكاره ومشروعاته. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن التأثير الكبير الذي أحدثته الثورة الصناعية الثالثة في توحيد منظومات القيم والأفكار في الغرب، أدى إلى نشوء تهديدات حقيقية لقدرة الليبرالية على تجديد ذاتها، ولقدرتها على خلق المشروعات والأفكار الكبرى. وسادت بدلا من ذلك أيديولوجيات ناعمة تتلاشى فيها الحدود بين نظم الأفكار والأيديولوجيات السياسية ومشروعات الأحزاب المختلفة. حيث أصبح الجميع يتبنون نفس القيم والمبادئ والأفكار، وبات جوهر الليبرالية وثقافتها وفلسفتها يتلاشى، بعد أن تضاعلت الاختبارات المتنوعة والمتعددة¹⁸⁹.

و ربما كان هذا الوضع يشير إلى وصول الأيديولوجية الليبرالية بدورها إلى مرحلة الإفلاس الشامل، الأمر الذي أدى بدوره إلى تنامي الاتجاهات اليمينية المتطرفة داخل أوروبا الغربية، لا سيما ألمانيا وفرنسا وإيطاليا. وفي نفس الوقت، يمثل صعود ظاهرة الإسلام السياسي في العديد من دول الشرق الأوسط مصدرا من مصادر الصراع الأيديولوجي في النظام الدولي، ذلك أن جوهر هذه الظاهرة يرتكز على النظر إلى الإسلام باعتباره منهجا بديلا في الفكر والممارسة للمنهج الليبرالي الغربي. وبحكم هذه الصفة، فإن ظاهرة الإسلام السياسي تنطوي على رفض النموذج الحضاري الغربي وتدعو بدلا من ذلك إلى إقامة المجتمع الإسلامي، إلا أن جماعات الإسلام السياسي تختلف فيما بينها اختلافا بينا في وسائل تحقيق هذا الهدف. فالجماعات الإسلامية المعتدلة تدعو إلى إقامة المجتمع الإسلامي من خلال التغيير التدريجي السلمي، بدلا

من الثورة الراديكالية باعتبار ذلك الطريق السليم لتقوية الإسلام في مجتمعاته. بينما تدعو الجماعات المتطرفة إلى استخدام العنف والإطاحة بالأنظمة السياسية الفاسدة وتطهير المجتمع الإسلامي من الأفكار اليسارية والعلمانية، وتخليص أراضي المسلمين من القوى الأجنبية. والواقع، أن قطاعات بالغة الأهمية داخل المنظومة الرأسمالية العالمية، باتت تنظر إلى ظاهرة الإسلام السياسي، باعتبارها مصدرا رئيسيا من مصادر التهديد في النظام الدولي، وأكدت على ذلك، العديد من الكتابات المنشورة والتصريحات المعلنة¹⁹⁰.

وبصورة موازية، تنامت أيضا الأيديولوجيات الدينية الأخرى (المسيحية واليهودية) في مختلف مجتمعاتها بدرجات متفاوتة¹⁹¹. كما تنامت أيضا الولاءات العرقية والروابط الاثنية في العديد من مجتمعات العالم الصناعي المتقدم، بصورة غير مسبوقه خلال القرن العشرين. وقد برزت هذه الإشكالية بصفة أساسية في القارة الأوروبية، لا سيما حول هوية أوروبا وموقعها الجغرافي ودورها التاريخي¹⁹². ويبدو ذلك واضحا بصفة خاصة، في التناقضات المذهبية بين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت في القارة الأوروبية، وهي تناقضات غير منفصلة عن الكتل الاجتماعية و الأقليات، أو غلبة الطابع العرقي التعددي على جغرافية أوروبا السياسية.

التناقضات السياسية والاجتماعية القائمة على تعدد الهويات القومية بين شعوب دول أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية، أي التناقضات بين شرق القارة وغربها، التناقضات القومية والدينية في داخل كل دولة أوروبية. وهكذا، فإن انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الصراع الحضاري بين الاشتراكية والليبرالية لم يؤد إلى انتهاء ظاهرة الصراع الدولي. كما ذهبت بعض الكتابات المبكرة، وإنما يعتبر الصراع ظاهرة قديمة قدم التاريخ الإنساني نفسه، علاوة على أن تحولات النظام الدولي ذاتها تلعب دورا محوريا في خلق آليات تفاعلية لتوليد مصادر متعددة للصراع فيما بين الدول، بحيث ترتبط هذه المصادر المتجددة ارتباطا وثيقا بمضمون التحولات الحادثة في النظام الدولي وقائمة الاهتمامات البارزة فيه وتوزيعات القوة بين وحداته.

المطلب الثاني: آليات الصراع الدولي بعد الحرب الباردة بين الاستمرار و التغيير:

190 المرجع نفسه.

191 محمد، السماك، "الأصولية الإنجيلية والصهيونية و المسيحية والموقف الأمريكي"، مألطة: مركز دراسات العالم الاسلامي، 1991.

192 وليد، نويهض، "من الحرب الباردة إلى السلام"، مستقبل العالم الإسلامي، العدد 3، صيف 1991، ص 52 .

إن نهاية الحرب الباردة لم تخلف تحولا في مصادر الصراع الدولي فحسب بل تعدته ليكون لها تأثيرات أوسع ، حيث حصل تراجع في بعض الآليات و استمرار لبعضها ليرتك المجال أمام ولادة آليات جديدة بعضها تشكل تماما و أخرى لم تستكمل ملامح تشكيلها بعد و ذلك طبقا لعدم استقرار خصائص النظام نفسه و لكنها تتناسب الوضع الدولي الجديد و من هذه الآليات نعدد مايلي:

1 - تنامي دور الأفراد و المجموعات مقابل الدولة:

من المتعارف عليه أن تكون أطراف الصراع الدولي أشخاصا قانونية و بالتحديد الدول سواء منفردة أو مجتمعة أو متحالفة. إلا أن تحولات النظام السياسي الدولي بعد الحرب الباردة أدت إلى تنامي ظواهر جديدة في الصراعات الدولية لم تعهدها العلاقات الدولية و من هذه الظواهر دخول الأفراد في الصراعات الدولية بشكلهم الفردي أو شكلهم الجماعي في إطار شبكات أطلق عليها اسم شبكات الإرهاب. و ما رافق ذلك من إعلان الحرب على الإرهاب بمختلف إجراءاتها، تحالفاتها و انعكاساتها.

إن الأرضية التي تم تجهيزها و تمهيدها لاستظهار عدو جديد للولايات المتحدة الأمريكية لم يلبث أن تجسد في عدو اسمه الإرهاب الدولي و هو مفهوم غامض لم يتوصل جميع الفقهاء الدوليين و لا المنظمات المختصة في وضع تعريف دقيق له. فهو بلا هوية أو حدود أو سكان أو إقليم أو حكومة ليتم الصراع معها وفقا لآليات الصراع الدولي المتعارف عليها أو نظريات إدارة الصراع الدولي¹⁹³.

هذه الظاهرة القديمة الجديدة تم توظيفها من قبل المخططين و الاستراتيجيين في الولايات المتحدة الأمريكية لكي يدار من خلالها الصراع الحقيقي سواء للتعبئة الداخلية بحجة وجود خطر أو في السياسة الخارجية من أجل الحفاظ على الهيمنة و الانفراد في القرن الحالي و كذلك السيطرة على مخزونات الطاقة العالمية لقطع الطريق و التحكم بنمو الأقطاب الكبرى البازغة في النظام السياسي الدولي¹⁹⁴.

وقد حذت العديد من الدول نفس الإستراتيجية المعلنة من طرف الولايات المتحدة بإعلانها الحرب الدولية على الإرهاب خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 حيث أصبحت الوسيلة المتداولة من قبل القوى الكبرى من أجل تحقيق مكاسب على أرض الواقع. بحيث يتم تعظيم دور شبكات صغيرة من خلال الدعم العسكري و المالي و الاستخباراتي و توفير عقيدة اديولوجية لاستقطاب أعداد كبيرة من مختلف

193 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص89.

194 المرجع نفسه، ص90.

أنحاء العالم لتتحرك هذه الشبكات ضمن إستراتيجية عالمية أهلتهم للظهور بوصفهم لاعبا دوليا و ليس لهم ولاء ظاهر لأي دولة من الدول.

بالإضافة إلى ذلك، تم تمكين هذه الشبكات من الاندماج في التكنولوجيا و خاصة الثورة المعلوماتية العالمية و ما وفرته لها من قدرة هائلة في عبور الحدود فكريا و نظريا و ماليا و الاتصال دون الحاجة إلى التنقل. و تكمن أهمية هذه الشبكات في تطور فعاليتها الخطيرة من خلال عدم اعتمادها على سياق أو قواعد ثابتة للتعامل في الوسط الدولي كما و أن الفجوة الحاصلة ما بين إمكانياتها و بين الجيوش التقليدية قد تم تجاوزها من خلال ما وفرته التكنولوجيا من قدرات مضاعفة. جعلت دور هذه الشبكات يتطور لتصبح لاعبا جديدا على الصعيد الدولي تعرض الهدنة و تفرض الشروط على مستوى دولي¹⁹⁵.

إن ظاهرة الإرهاب ظاهرة اقرب إلى الشبح مما تتيح لاستراتيجيات الدول الكبرى و خاصة الإستراتيجية الأمريكية التحرر من قيود الزمان و المكان و الامتداد بحثا وراء هذا الشبح في كل مكان و ذلك لتثبيت مركز تواجدها العسكري في مفاصل محددة من العالم و بالتحديد تلك المتحكمة بمصادر وخطوط نقل الطاقة العالمية مصدر القوة في القرن الحالي¹⁹⁶.

2 - الصراع التكنولوجي:

شكل تفكك الاتحاد السوفييتي علامة فارقة هزت المفهوم التقليدي للقوة و بدأت ملامح مفهوم جديد تتشكل حيث مقياس القوة لا يتم بمقارنتها بما لدى الآخرين بل بما يترتب عن امتلاك هذه القوة من نتائج و تأثير. لقد ساهمت التكنولوجيا في هذه المرحلة في صياغة نظرية جديدة للقوة و تحول معاييرها التقليدية كالأرض و الموارد الأولية و حجم الجيوش إلى عناصر تقوي و تضعف بمقدار ما تتفاعل مع تأثير التقدم التكنولوجي¹⁹⁷. فإذا كانت القوى العسكرية هي أداة التغيير الحاسم التي أدت دورها في السابق فان التكنولوجيا باتت تؤدي ذات الدور الحاسم في إحداث التغيير الشامل حيث أضحت التكنولوجيا الأداة الرئيسية للتنافس و

195 زكرياء، أبو دامن، " اثر التطور التكنولوجي على الإرهاب"، الأردن: عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع، 2005، ص100.

196 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص108.

197 هنري، كيسنجر، "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية"، ترجمة: عمر الأيوبي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2006، ص13.

الصراع بعد أن تأكد ميل مؤشر القوة الوطنية نحو الأداء الاقتصادي و تنامي القدرات التكنولوجية على حساب القوة العسكرية¹⁹⁸.

إن السعي من أجل اكتساب القوة و التأثير هو أساس قيام أي دولة و حالة التفاوت في الإمكانيات و القدرات هو السبب الرئيسي لحالة الصراع الكامنة في جوهر العلاقات الدولية. حيث يتغير سلوك الدول تبعاً لتغير توزيع القوة. و التكنولوجيا كعنصر من عناصر القوة أتاح تطوره حالة من عدم التكافؤ على المستوى الدولي. فالسرعة التي تتم بها التغيرات التكنولوجية في شتى الميادين أدت إلى إعادة ترتيب الكثير من المعادلات و المسلمات في العلاقات الدولية من خلال وضع أثقالاً جديدة في ميزان القوة مما يجعل منها سلاحاً للمنافسة من أجل النفوذ و بلوغ أعلى مراتب القوة و إدارة الصراع و الهيمنة¹⁹⁹.

إن التغيير الجوهري الذي أوجدته التكنولوجيا لم يقتصر على بلورة مشكلة الاستقطاب الدولي في النظام العالمي الجديد فحسب و إنما في إيجاد طبقة دولية جديدة و هرمية دولية تتجاوز ثلاثية العالم الأول و الثاني و الثالث إلى ثنائية عالم متقدم في الشمال و عالم في الجنوب غارق في مشاكل التنمية و الفقر و التخلف و في إطار هذه الثنائية تحتمل المواجهة إلى حد الصراع الذي يأخذ الطابع التنافسي داخل الشمال و إلى الصراع بين الشمال و الجنوب مع نزعة شديدة للهيمنة على النحو الامبريالي الذي عرفه القرن الماضي فهذه المواجهة أصبحت معلماً أساسياً في خارطة العلاقات الدولية للقرن الحالي²⁰⁰.

لقد أدت الثورة العلمية و التكنولوجية المعاصرة إلى تراجع الدور الذي تؤديه الإيديولوجية بكونها الدافع و القوة المحركة للصراعات الدولية لتترك مكانها لعنصرين آخرين أكثر جاذبية و فاعلية هما التكنولوجيا و الاقتصاد بما لهما من دور في تطوير القدرات العسكرية و حتى المساعدة على الاختراق الثقافي للدول الأضعف من خلال إخضاع الثقافة لمنطق التجارة. لقد أصبح الصراع التكنولوجي في القرن الواحد و العشرين احد مداخل الصراع الدولي بما يتضمنه من تدويل للإنتاج بالتكامل المعقد في النشاط الاقتصادي و اختكار التطور التكنولوجي الذي ولد تنافساً حاداً يصل إلى حد حروب التجسس العلمي²⁰¹.

198 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص111.

199 المرجع نفسه، ص112.

200 ليستر، ثرو، "مستقبل الرأسمالية"، ترجمة: فالح عبد القادر حلمي، بغداد: بيت الحكمة، 2000، ص 669.

201 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص ص119-129 .

3 - توظيف المنظمات الدولية:

مثلت الحروب العالمية أقصى مستوى في منحنى ظاهرة الصراع و استخدام القوة في العلاقات الدولية و لقد أدرك المفكرون السياسيون الحاجة إلى نظام دولي يسعى إلى إيجاد سلطة دولية لمواجهة هذه الظاهرة. لذا، نرى أن نظاما دوليا يتمخض في أعقاب كل من هذه الحروب يعكس نمطا جديدا من أنماط توازن القوى للدول المنتصرة التي ت فرض قواعدها فيه. و لقد درج معظم الكتاب على وصف الفترة ما بين عقد صلح ويستفاليا و نهاية الحرب العالمية الأولى بانتشار مفهوم توازن القوى ثم تلاها فترة تحول العالم إلى نظام الأمن الجماعي من خلال المنظمات الدولية على غرار عصابة الأمم و منظمة الأمم المتحدة²⁰².

إن نظام الأمن الجماعي الذي قامت على أساسه منظمة الأمم المتحدة يعد بمثابة اتفاق ووسيلة اضطلعت به الدول العظمى المنتصرة لتنظيم توازن القوى فيما بينها من خلال تنظيم مجالات النفوذ الحيوية و توزيع المناطق المهمة في العالم بما يضمن الاستقرار في علاقات القوى بين تلك القوى. و بالتالي، فان مقاصد هذه المنظمات من خلال مبادئها و أهدافها في تحقيق السلم و الأمن الدوليين يجب أن لا تمس فيها مصالح القوى العظمى. و إلا فان تلك القوى ستكون عند ذاك مستعدة للتضحية بهذه الحالة متى رأت أن هناك ما يعرقل تحقيق أهدافها أو يقف في وجه مصالحها²⁰³.

كما أن آليات الصراع في الحرب الباردة بما فرضته من سياسة الأحلاف و الصراع الإيديولوجي و سباق التسلح و معادلة الردع النووي و استخدام حق النقض أدت إلى تراجع و تضائل فعالية و دور الأمم المتحدة و تقليصه إلى مجرد حشد قوات حفظ السلام لمراقبة خطوط وقف إطلاق النار أكثر منه تحقيق الأمن الجماعي بالوقوف ضد المعتدين.

مع انتهاء الحرب الباردة و اعتلاء الولايات المتحدة الأمريكية لقمة النظام الدولي حاولت التحكم و تطوير آليات قديمة و جديدة ضمن معادلات الاستمرار و التغيير في إدارة الصراع ضمن حدود التنظيم الدولي من خلال استخدام الأمم المتحدة لخدمة مصالحها و إضفاء الشرعية الدولية على كل تحركاتها و

202 خليل، اسماعيل الحديثي، "الوسيط في التنظيم الدولي"، العراق: مطبعة جامعة الموصل، 1990، ص30.

203 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص133 .

قراراتها في تحديد أين و متى و كيف تستخدم القوة. فالعلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية و الأمم المتحدة هي علاقة تسلطية من طرف الأولى على الثانية.

بالإضافة إلى استغلال الأمم المتحدة كغطاء بيد القوى الكبرى تجاه الدول الصغرى فقد تم أيضا توظيف مختلف المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل منظمة التجارة العالمية ، صندوق النقد الدولي و البنك الدولي في فرض سياسات دول الشمال المتقدم على دول الجنوب المتخلف بما يزيد من استمرار معادلة الهيمنة و التبعية. كما تم استخدام و توظيف لوكالات الأمم المتحدة المختلفة و على رأسها الوكالة الدولية للطاقة الذرية و بعض المنظمات الإقليمية على نفس المنوال²⁰⁴.

لقد حددت الولايات المتحدة الأمريكية بكل وضوح المسارات التي يجب على العالم انتهاجها بعد الحرب الباردة و هذا ما تم تطبيقه من خلال استخدام كافة الوسائل ابتداء من القوة العسكرية المباشرة إلى توظيف منظمات الأمم المتحدة لإضفاء الشرعية و إلى وسائل كانت تعد لوقت قريب من آليات التعاون الدولي في العلاقات الدولية أو على الأقل من وسائل تحييد الدول في مواقفها بين المعسكرين المتصارعين و المقصود بها المعونات و المساعدات الإنسانية و ربطها بشروط اقتصاد السوق و النموذج الليبرالي و كذا تصميم و صفات جاهزة للأنظمة السياسية يعدها صندوق النقد الدولي و البنك الدولي و منظمة التجارة العالمية لربط القروض المالية بمدى التناسق و الانسجام مع قواعد النظام الدولي الجديد الذي بشر به القادة و المنظرون الغربيون و المشروط للقبول في عضوية المجتمع الدولي²⁰⁵.

4 - التدخل الإنساني:

باشر الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة محاولة تكريس و تعميم النموذج الغربي على مستوى العالم وفق قاعدة فرض منظومة قيم و قواعد سلوك الطرف المنتصر على الطرف المهزوم و ذلك بالاستناد إلى دعامين هما الرأسمالية متمثلة في اقتصاد السوق و الليبرالية المتمثلة بوصفة الديمقراطية الغربية و منظومة حقوق الإنسان كما يراها الغرب و يؤسس من خلالها نظام وحيد

204 احمد, نوري النعيمي, "العولمة بين الهوية الوطنية و المثالية الدولية", دراسات سياسية دولية, كلية العلوم السياسية, جامعة بغداد, العراق, 2004, ص4.

205 خالد, المعيني, مرجع سبق ذكره, ص ص 140-160.

لحقوق الإنسان يتجاوز الخواص القومية و الإقليمية و الخلفيات التاريخية و الدينية و الثقافية المختلفة لبقية الوحدات السياسية.

إن اهتمام الغرب و الولايات المتحدة الأمريكية المفاجئ بدور الأمم المتحدة بعد الحرب الباردة تفسر الرغبة في أن تقوم المنظمات الدولية بدور أكثر أهمية لان ذلك يسير باتجاه مصالحها و جعلها إطار رسمي مقبول لتمير العولمة بشقيها السياسي و الاقتصادي. فتغير طبيعة الصراعات في العالم و انتقالها من صراعات دولية إلى زيادة كبيرة في نسبة الصراعات الداخلية وظهرها الغرب بانسجام من خلال وضعه لآليات جديدة تتكامل جميعا من اجل تفتيت الدول القومية و توظيف المشاكل العرقية و الأثنية التي لا تخلوا أي دولة منها²⁰⁶.

لقد أصبح مفهوم الديمقراطية و حقوق الإنسان و كيفية تطبيقتهما امراً ليس داخليا بل شأناً دولياً حيث أضفت المنظمات الدولية الغطاء الكافي و الشرعية لكي ينحني القانون الدولي و يتحول من حق الدول في عدم التدخل في شؤونها الداخلية إلى الحق في التدخل خاصة لأغراض إنسانية و الجعل منه حقيقة قانونية تم ترسيخها بالعديد من القوانين و القرارات²⁰⁷.

تكمّن خطورة مبدأ حق التدخل الإنساني لحماية حقوق الإنسان و الأقليات في كيفية توظيفه. حيث أصبح من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها السيطرة على الدول من خلال تشجيع الأقليات العرقية و الدينية للمطالبة بحقوق سياسية و تقوية النزعة الانفصالية لديها. مما يسهم بشكل مباشر في تفتيت و تجزئة الدول. و أضحت بذلك قضية حقوق الإنسان و حماية الأقليات واجب يقع أمر حمايته على عاتق الجماعة الدولية و أصبح استخدام هذا الواجب منفذاً من منافذ المساس بالسيادة الوطنية و استغلال الجوانب السلبية لحقوق الإنسان في الدولة المستهدفة لمصالح سياسية لدولة مهيمنة أخرى. و عليه يمكن القول أن الدول الغربية و لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية تحاول استخدام آلية حقوق الإنسان و حماية الأقليات تحت واجهة التدخل الإنساني من حيث كونها آلية لسحب خيوط النسيج الوطني لكل دولة لا تنتهج طريقها و مشروعها و ذلك تكاملاً و انسجاماً مع الآليات الأخرى السياسية و الاقتصادية و العسكرية و استخدام المنظمات الدولية و المنظمات غير الحكومية من أجل تبرير و تمرير حق التدخل الإنساني. و هذه اخطر آلية يتم استخدامها لإعادة هيمنة الدول الكبرى على مجالها الحيوي القديم من خلال وسائل جديدة.

206 خالد. المعيني, مرجع سبق ذكره, ص ص161-162.

207 هنري, كيسنجر, مرجع سبق ذكره, ص238.

المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية للصراع الدولي الروسي الأمريكي في جنوب القوقاز.

مع انهيار الاتحاد السوفيتي، و نهاية الحرب الباردة، و اختفاء التهديد العالمي للسلم و الأمن الدوليين، عكف المفكرون الإستراتيجيون المرتبطون بدوائر صناعة القرار، على وضع نظريات مستقبلية، في مضامين، و شكل، و خواص الصراعات الدولية القادمة، بما ينسجم و إعادة تعريف المصالح الإستراتيجية، لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، و البحث عن ارتباطات جديدة، تفي بهذه المصالح²⁰⁸. و لعل ابرز ما تم التوصل إليه، هو العودة إلى النهل من الدافع الحضاري، و الرفع من مكانته، في رسم معالم الصراعات المقبلة. علما أن طرح المضمون الحضاري للصراعات الدولية، قد تم تناوله من قبل العديد من المفكرين، أمثال: المفكر العربي عبد الرحمان ابن خلدون، في القرن الرابع عشر، و المفكر الانجليزي المعاصر، ارلوند توينبي²⁰⁹.

سننطلق هنا، إلى استعراض نماذج لنظريات الدوافع الحضارية، للتعرف إلى مضامينها، و اتجاهاتها، سواء لمفكرين أمريكيين، مثل: فرانسيس فوكوياما و صامويل هانتينغتون، أو مفكرين روس، مثل: الكسندر دوغين. هؤلاء المفكرون، يشكلون أهمية كبرى في التعرف على التوجهات الإستراتيجية و السياسية، لكل من الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا، كون أن السلوك الخارجي للدولتين، يرتبط بصورة كبيرة، بدوائر البحث النظري الاستراتيجي و السياسي. فلكل ممارسة سياسية، قاعدتها النظرية، التي ترتكز عليها.

1 - الأطروحات الحضارية للفكر الاستراتيجي الأمريكي:

أدى انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، إلى إحداث فراغ، و ارتباك إيديولوجي عميق، من خلال حرمان الولايات المتحدة الأمريكية، من العدو. ففكرة خلق العدو، و الصراع معه، لها ما يبررها موضوعيا. و هي فكرة كامنة في جذور الفكر الواقعي الأمريكي، و يعززها داخل دوائر التخطيط الاستراتيجي، قول الرئيس الأمريكي السابق، ريتشارد نيكسون: "إن نهاية الأعداء القدامى، غالبا ما تفضي إلى ولادة تحديات جديدة، ربما تكون أخطر من سابقتها"²¹⁰.

إن استعراض جوهر و حقيقة الأطروحات الغربية، المتمثلة في نظريتي: نهاية التاريخ، و صدام الحضارات، توضح أنهما، لا يخرجان عن حدود المدرسة الواقعية، من خلال الهدف المتوخى من هذا

208 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص ص 38-39.

209 المرجع نفسه، ص 47.

210 ريتشارد، نيكسون، "ما وراء السلام"، ترجمة: مالك البديري، عمان: الأهلية للنشر و التوزيع، 1995، ص ص 53-58.

التنظير، و التمهيد لحقبة عالمية جديدة، تحافظ على انفراد، و هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، و إعادة تعريف مصالحتها، باستخدام القوة و الصراع، اللذين يمثلان جوهر العلاقات الدولية.

أ - نهاية التاريخ لفرانسييس فوكوياما.

نشر فرانسييس فوكوياما فكرته، حول توقف التاريخ، في مقالة عام 1989، تحت عنوان: **نهاية التاريخ**، التي تحولت إلى **كتاب نهاية التاريخ و خاتم البشر**، المنشور عام 1993. وتبلورت فكرته الأساسية، اعتمادا على فشل و عجز كافة التحديات الإيديولوجية، عن الصمود أمام النموذج الرأسمالي الغربي، المتمثل في الديمقراطية الليبرالية، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. لاسيما، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، و هزيمة الفكر الشيوعي. و لتأكيد هذا النموذج، و مواكبة الأطروحات الأمريكية، في تدشين نظام عالمي جديد، أساسه النمط الأمريكي، و ضمان تفرد الولايات المتحدة الأمريكية، كقطب أحادي في العلاقات الدولية. جاءت هذه النظرية لتسوغ، عدم جدوى أي محاولة لتغيير هذه الحقيقة. بل، إن فوكوياما سعى إلى وضع حد لحركة التاريخ، و عدم وجود دورات أخرى له. معتقدا، أن منحى المجتمعات البشرية سوف لن يبقى متصاعدا، و متطورا، إلى مالا نهاية. و خاصة، في مضمار حركية قوانين الأفكار الإنسانية، و بالذات تلك المناوئة للنموذج الرأسمالي. و التنبؤ، بعدم جدوى إمكانية ولادة أي من هذه الأفكار²¹¹.

لقد تنبأ فوكوياما بانقسام الصراعات الدولية و المجتمعات في المستقبل، إلى قسمين: احدهما لا يزال داخل حيز التاريخ، غارقا فيه، و يتمثل في دول الجنوب، التي ستبقى تعاني الصراعات الاثنية و الإيديولوجية، و تحكمه قواعد القوة. و بين عالم قد تخطى حدود التاريخ، و هو العالم الرأسمالي الصناعي الغربي. و ستحصل هناك فجوة، بين هاذين العالمين، و حدود التفاعل بينهما ضيقة جدا²¹².

من خلال الفكرة الأساسية التي طرحها فوكوياما، يظهر أن تمجيده للدولة الرأسمالية الليبرالية، و اعتبارها الغاية القصوى، خاصة النموذج الأمريكي، هي دعوة لإيقاف مسارات و محركات التاريخ، و توجيهها باتجاه واحد، يتفق و مبدأ العولمة، في تدميط العالم. و هو موجه بالتحديد، إلى دول العالم الغارقة في التاريخ، الذي يشكل الدين و القومية فيه، حيزا كبيرا في تعريف هويتهم. " إن العاطفتين القويتين، المتمثلتين في الدين و الوطنية، تشكل أساس الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة. صراعنا نحن، من

211 فرانسييس، فوكوياما، "نهاية التاريخ وخاتم البشر"، ترجمة: حسين احمد أمين، ط1، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة و النشر، 1993، ص9.

تخطى عتبة التاريخ، مع هم، الذين لا يزالون في غياهب التخلف الاقتصادي، و السياسي. هذا الصراع، و الثنائية، لها علاقة كبيرة بتقسيمات الهوية و الذات²¹³.

هذه الأفكار، التي طرحت في العقد الأخير من القرن الماضي، بعد أن لاحت مؤشرات هزيمة القطب السوفييتي في الأفق. لم تكن سوى التحضير لإعادة رسم ملامح شكل، ومضمون الصراع الذي هو جوهر العلاقات الدولية، و التحكم في اتجاهاته. حيث يتفق فرانسيس فوكوياما، في ذلك مع هيجل، في أهمية الحرب لمنع تدهور المجتمع، و انهياره. و لاسيما، عندما تتوقف عجلة التاريخ. و لتفادي الوقوع في فخ الهوية، و الفجوة، و الاحتلال الذي حتما سترافق أي تحولات من نظام الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية، التي تشكل في نظره الانتصار الأخير للغرب²¹⁴. و حاول فوكوياما، إعادة تركيب العقل الغربي، لاستقبال بناء منظومة فكرية جديدة، تختلف جذريا عن المنظومة التي حكمت فترة الحرب الباردة، أساسها المحافظة على الانتصار، و فرض النموذج الرأسمالي الديمقراطي الليبرالي، و تكريسه، و غلق دورة التاريخ. و ذلك كنوع من التدارك لاحتمالات الفراغ الفكري الغربي، بعد انعدام وجود حافز العدو، و غياب التحدي²¹⁵. و في المقابل، يطرح فوكوياما مادة الصراع الجديد، و التحدي القادم، في عاملي الدين و القومية، باعتبارهما أعداء جدد للرأسمالية، في صراعها مع العالم الغارق في التاريخ. حيث يقف هاذان العاملان، عائقا في طريق انتشار القيم الرأسمالية، و تعميمها. و التي يعتبرها الخيار الحتمي أمام المجتمعات، و التي لا طريق أمامها للخروج من عالم التاريخ، إلا بإتباعها النموذج الغربي، و تحديدا النموذج الأمريكي: سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا. و هو في ذلك، يضع روسيا في نفس مقام الدول الغارقة في التاريخ²¹⁶.

إن فوكوياما لا يعطينا، سوى تأطير منهجي جديد، لإدارة الصراع. من خلال طرح النموذج، و محاولة فرضه من جانب واحد بالقوة، اعتمادا على مشروعية تأكيد الذات، و طرح الدولة الليبرالية، كنهاية حتمية للتاريخ. إنها منهجية جديدة، لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. تدير من خلالها، الولايات المتحدة

213 المرجع نفسه، ص 148.

214 شوقي، جلال، "العقل الأمريكي يفكر: من الحرية إلى مسخ الكائنات"، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 1998، ص 11.

215 حسن، بكر، "مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما: نهاية التاريخ- إيديولوجية الرجل الأخير"، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، السنة الثالثة، عدد9، 1993، ص ص

263-268.

216 المرجع نفسه، ص 268.

الأمريكية الصراع في علاقاتها الدولية. و بالتالي العالم، عن طريق استخدامها قوتها، بأبعادها كافة: العسكرية، الاقتصادية و التفوق التكنولوجي²¹⁷.

إن الفكرة في كتاب نهاية التاريخ هي: التأسيس لفكر جديد، يمهّد لمرحلة الصراع ما بعد الحرب الباردة، و التهيؤ لنمط جديد من الأعداء. فجاءت نظريته بإنهاء التاريخ و دوراته، من خلال اعتبار، أن الدول السائرة في ركب الرأسمالية، و المؤمنة بالليبرالية، هي دول عبرت خط التاريخ. أما الدول الأخرى، فلم تتجاوز خط التاريخ، بل هي تعيش فيه، في حالة من الصراعات، و الفقر، و الانحطاط، في إطار حتمية تاريخية²¹⁸.

ب - صدام الحضارات لصاموئيل هانتينغتون.

انعكست القضايا التي أثّرت مع انتهاء الحرب الباردة في نقاش بدأ ضمن أوساط الدوائر السياسية و الأكاديمية الغربية و خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وكان يدور حول الفكرة القائلة أن: "إن الفروق الثقافية سوف تحدد بصورة متزايدة شكل النظام الدولي مستقبلاً." و تزعم هذا النقاش صاموئيل هانتينغتون في مقالة له تحت عنوان صدام الحضارات طورها فيما بعد إلى كتاب بعنوان صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي حيث جادل بالقول: "إن الحضارات تكتسب المزيد من التلاحم بصفاتها أطرافاً فاعلة في النظام الدولي"²¹⁹.

انسجم هانتينغتون في نسج أفكاره مع الخط العام للمأزق الذي وجدت بعض اتجاهات دوائر الفكر الاستراتيجي الغربي و الأمريكي خصوصاً نفسها فيه، و لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، حيث سادت الفوضى و الاضطراب و فقدت فيه هذه الدوائر البوصلة التي كانت تسيّر من خلالها المؤسسات العسكرية و الإنفاق العسكري و الأحلاف و التوجه الإعلامي و الإيديولوجي، ليس على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا فحسب، بل على مستوى العالم بأسره²²⁰. فالصراع في العالم الجديد، كما يقول هانتينغتون لن يكون إيديولوجياً أو اقتصادياً، بل سيكون الانقسام الكبير بين البشر، و المصدر الغالب للصراع، ثقافياً.

217 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص 50.

218 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

219 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص 789.

220 خالد، المعيني، مرجع سبق ذكره، ص 51.

و تتحدد الهوية الثقافية عنده، بالتضاد مع الآخرين. و في الحروب، تترسخ الهوية و يتحقق التماسك الاجتماعي، بدلا من الانقسام الذي يتطلب زواله وجود عدو مشترك²²¹.

يرى هانتينغتون أن الحرمان من العدو أمر مروع ، و لتعريف النفس و دفعها، يحتاج الناس إلى أعداء. فالكره شيء إنساني، و الصراع جوهري و كلي الوجود، للتنافس في العمل، خصوصا في السياسة. و من الطبيعي أن لا يثق الناس في المختلفين عنهم، و من لديهم القدرة على إلحاق الضرر بهم. فحل صراع ما، و اختفاء عدو ما، يولد قوى شخصية، اجتماعية و سياسية، تؤدي إلى نشوب صراعات جديدة أو أعداء جدد. و هذا ما سيحدث، اثر تغير ميزان القوى بعد انتهاء الحرب الباردة²²².

يفترض هانتينغتون أن السياسة الدولية تغيرت بشكل أساسي خلال العقد الأخير من القرن العشرين حيث يعاد تشكيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية مدفوعة بالتحديث. فالشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، و الشعوب و الدول ذات الثقافات المختلفة، تتباعد. والانحياز الذي يعتمد على الايدولوجيا و العلاقات مع القوى الكبرى سوف يفسح الطريق لذلك الذي يعتمد على الثقافة و الحضارة، كما أن الحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية، العرقية، الدينية و الحضارية. و ستحل المجتمعات الثقافية محل تكتلات الحرب الباردة، و خطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية²²³.

إن عالم ما بعد الحرب الباردة هو عالم مكون من سبع أو ثمان حضارات سترسم ملامحه و هي: الغربية، الكونفوشية، اليابانية، الإسلامية، الهندوسية، السلافية-الأرثوذكسية و الأمريكية اللاتينية و ربما الإفريقية. و إن صدام الحضارات كان نتاج التطور التاريخي فموضوع التاريخ هو الأشكال المختلفة للصراع ، غير أن جل الصراعات التي نشبت كانت تنشب ضمن نطاق الحضارة الغربية إلا أن انتهاء الحرب الباردة كان إيذانا بتدشين مرحلة جديدة من الصراع بخروجه من نطاق مرحلته الغربية ليدخل مرحلة صراع الغربي مع غير الغربي. فغير الغربيون لن يبقوا متلقين للسياسة الغربية بل سيصبحون القوى الجديدة المحركة للتاريخ²²⁴.

221 صاموئيل، هانتينغتون، "صدام الحضارات- إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: مركز سيمون و روكفلر، 1998، ص15.

222 المرجع نفسه، ص 37

223 المرجع نفسه، ص 203.

224 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص 789.

كما أن الصراع في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، سوف يتحول من صراع إيديولوجي و اقتصادي إلى صراع ثقافي و حضاري، و سوف تبقى الدول أطرافا فاعلة فيه، و لكن يتزايد احتمال قيام صراع ما بين المجموعات الحضارية. و أكد هانتينغتون أن الخلافات ما بين الحضارات أعمق بكثير من تلك القائمة ما بين حوافز التنافس ضمن نطاق الحضارات. ذلك أن الخلافات الحضارية تتناول مسألة الإنسان-الله، الرجل- المرأة، الفرد-الدولة و الأفكار المتعلقة بالسلطة و الحقوق و الواجبات و العدل. فالثقافة لا تتناول النظام العقائدي ذو المنشأ الاصطناعي مثل القومية و الشيوعية بل إنها تتناول أيضا الهوية ذاتها و الإدراكات الحسية الأساسية في الحياة و التي هي نتاج قرون من البناء الاجتماعي²²⁵.

ويرى هانتينغتون أن العولمة تزيد من احتمال الصدام الحضاري، فالعالم آخذ في التحول إلى رقعة أصغر ، و هذا يرفع درجة الوعي بالخلافات و التهديدات الثقافية. كما أن التغيرات الاقتصادية من شأنها عزل الناس عن ولاءاتهم المحلية و إضعاف الدولة. أما الفراغ الناتج عن ذلك في الهوية و الولاء فسيتم استبداله بمرجعيات ثقافية.

و أخيرا، و رغم أن الغرب في ذروة قوته فان النظرة السائدة لأفكاره في كثير من مناطق العالم هي أنها أفكار ثبت فشلها، حيث نلاحظ تقدم لأفكار الأسلمة و الروسنة و الصحوة الهندوسية و الصينية. كما أن الفكرة الليبرالية ليست فكرة عالمية إلا على المستوى السطحي، إذ لا نجد لها و لا للأفكار المرتبطة بها أصداء تذكر في الثقافات الإسلامية أو الكونفوشية أو اليابانية أو البوذية أو الهندوسية أو الأرثوذكسية²²⁶.

إذا، سوف يرتبط الأمن و الصراع الدوليين بصورة متزايدة بالهوية الثقافية، بدل ارتباطه بسيادة الدولة أو الأمة. و سوف يعبر الصدام الحضاري عن نفسه على مستويين: الأول، في صراع على الموارد عبر سلسلة من خطوط الصدع الإقليمية، و الثاني، في منافسة أشمل على القدرات و النفوذ ضمن النظام الدولي. و لسوف يكون المحرك الرئيسي لهذا التنافس هو ما بين الغرب بصفته الحضارة المسيطرة، من جهة ، و البقية من جهة أخرى، و إن بدرجات متفاوتة. ذلك أن معظم الحضارات و على رأسها الإسلامية و الكونفوشية و الأرثوذكسية تميل إلى إبداء معارضة متزايدة للفكرة القائلة: "إن المعايير الغربية هي معايير عالمية". و بالتالي فان جزء كبير من الخطاب الجاري حول الصدام الحضاري رجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل مع الحضارة الإسلامية خاصة مع صعود موجة المد الإسلامي إلا انه مع عودة

225 المرجع نفسه، ص ص 789-790.

226 المرجع نفسه، ص 790.

تفعيل السياسة الروسية و تأكيد الحضور الصيني في الساحة الدولية خفف من هذا الخطاب ليشمل الحضارة الأرثوذكسية و الكونفوشية أيضا²²⁷.

2 - الأطروحات الحضارية للفكر الاستراتيجي الروسي:

لعل أبرز الأطروحات الحضارية في الفكر الاستراتيجي الروسي، يمكن ردها إلى أفكار الكسندر دوغين، التي يجادل فيها، الفكرة الأوراسية لهالفورد ماكيندر، في نظريته قلب العالم و المحور الجغرافي للتاريخ²²⁸. و كذا، فكرة التوتر الكوني بين الشرق و الغرب و المواجهة بين البر و البحر، عند كارل شميدت²²⁹. ويطورهما، ضمن نظريته للأوراسية الجديدة، و التي عبر فيها عن الدافع الحضاري للصراع من منطلق جيوبوليتيكي، تضمنها كتابه الشهير: **أسس الجيوبوليتيكا و مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي**، المنشور في 2004.

يصف ألكسندر دوغين مؤلفه، بأنه أول كتاب تعليمي في الجيوبوليتيكا باللغة الروسية، ويعرض فيه أسس هذا العلم، النظرية والتاريخ، ويغطي ميدانا واسعا من المدارس والرؤى الجيوبوليتيكية والقضايا العملية، ويصوغ فيه العقيدة الروسية الحضارية في أسسها الجيوبوليتيكية وهو أيضا دليل علمي لصياغة وتفسير القرارات في الميادين العظمى في الحياة السياسية الروسية.

ينطلق دوغين في نظريته الحضارية من الأطروحات الحضارية في الفكر الاستراتيجي الأمريكي نفسه، من خلال ما توصل إليه كل من فرانسيس فوكوياما و صاموئيل هانتينغتون من أن الغرب الرأسمالي الليبرالي قد وصل إلى أعلى مراحل التطور و الازدهار و أن ماعدا ذلك من الحضارات غير معترف بها و خارجة عن نطاق التاريخ حسب فوكوياما أو أنها تمثل العدو الذي يجب التعامل معه و التخلص منه حسب هانتينغتون²³⁰. و بالتالي، فإن هذه الأطروحات العدائية الاستعلائية و الاقصائية هي التي أسست لدوغين بناء أطروحاته و تطوير التفكير الاستراتيجي الروسي بناء على نظيره الغربي، و تأسيسا عليه. فإذا كان الغرب ينظر لروسيا من منظور العداة فالأولى بروسيا أن تقوم بنفس الشيء و تعتبر الغرب هو العدو الرئيسي.

227 أحمد، نوري النعيمي، مرجع سبق ذكره، ص 63.

228 الكسندر، دوغين، "أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، ترجمة: عماد حاتم، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص ص 85-93.

229 المرجع نفسه، ص ص 118-128.

230 المرجع نفسه، ص ص 158-170.

يستقي دوغين أفكاره مما توصل إليه كارل شميدت من أن الصراع بين الشرق و الغرب ما هو في الحقيقة إلا صراع بين قوى التلاسوكراتيا أي قوى البحر وقوى التيلوروكراتيا أي قوى البر وهو صراع في الأساس بين طبيعة الماء الفوضوية السائلة و طبيعة اليابسة الثابتة الصلبة²³¹. و هو بذلك يكاد يتفق مع اللوحة التي رسمها ماكندر حين اعتبر أن الصراع العالمي هو بين جزيرة العالم (الأوراسية) و ما وراء جزيرة العالم ، و أن الغلبة ستكون لمن يحكم جزيرة العالم لأنه سيكون بذلك قد تحكم في قلب العالم، و إن قلب العالم هو المحور الجغرافي للتاريخ²³². فدوغين يرى في نظرتة الأوراسية الجديدة أن الصراع العالمي سيكون بين التيلوروكراتيا الاوراسية بقيادة روسيا والتلاسوكراتيا الأطلسية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن دوغين يشدد على انه قبل اندلاع المواجهة بين القطبين يجب على روسيا العمل على تجميع إمبراطوريتها أولاً، من خلال وضع مبدأ أساسي في بنيتها الجيوبوليتيكية وهو مبدأ العدو المشترك. فرفض الأطلسية و نبذ السيطرة الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية و التخلي عن أولويات القيم الاقتصادية الليبرالية ستكون بمثابة القاعدة الحضارية العامة و الحافز المشترك اللذان يفتحان الطريق للحلف الاستراتيجي. خاصة و أن الغالبية العظمى من الدول الأوراسية و شعوبها تنظر إلى التأثير الاستراتيجي و السياسي الأمريكي على انه عبء مرهق يؤدي بهم للاغتراب عن مصيرهم التاريخي. و بغض النظر عن الفروق الحضارية بين الدول الأوراسية فان بينها مؤشرا مشتركا و هو الكراهية لشمولية السيطرة الأطلسية و الرغبة في التحرر من الوصاية القادمة من وراء المحيطات و المفروضة بشكل متواتر من طرف قوة الولايات المتحدة الأمريكية²³³.

فتجميع الإمبراطورية اعتبره دوغين محاولة انطلاق في بناء نظام ثنائي القطبية من خلال قيام روسيا بتجميع الإمبراطورية الأوراسية ليس بإعادة المناطق المضیعة في الخارج القريب فقط و ليس فقط في بعث علاقات التحالف مع دول أوروبا الشرقية و إنما أيضا في تعزيز إدخال دول الغرب القاري (المعسكر الفرنكو-جرماني الذي يتطلع إلى التحرر من الوصاية الأطلسية للنااتو الأمريكي) و الشرق القاري (إيران و الهند و اليابان) في الحلف الأوراسي الاستراتيجي الجديد²³⁴.

231 المرجع نفسه، ص ص 118-128.

232 المرجع نفسه، ص ص 85-93.

233 المرجع نفسه، ص ص 259-264.

234 المرجع نفسه، ص ص 212-215.

كما يقترح دوغين لنجاح هذا التحالف السياسي الاستراتيجي تدعيم ثنائية المركز - الأطراف من خلال بناء مجموعة من المحاور: المحور الغربي، موسكو-برلين باستخدام تأثيرات من وسط أوروبا من أجل خلق مركز أوروبي موالي للأوراسية بقيادة ألمانيا. المحور الآسيوي، موسكو-طوكيو الذي يضم الهند و الصين تحت القيادة اليابانية لهذا المركز. المحور الجنوبي، محور موسكو-طهران، الذي يشمل الأراضي الإسلامية من الفلبين إلى غاية شمال إفريقيا و الذي تبدو فيه إيران جيوبوليتيكية و لمعايير أوراسية المركز الجنوبي لهذا المحور²³⁵.

إن عملية التجميع هذه ينبغي أن تتوجه منذ بدايتها نحو غاية بعيدة و هي انفتاح روسيا على البحار الدافئة، لان ذلك هو الكفيل الوحيد لاكتمال روسيا من الناحية الجيوبوليتيكية²³⁶. و في المقابل لا يغفل دوغين المصالح القومية للشعب الروسي باعتباره مركز التصور الجيوبوليتيكي و الحضاري لهذه الإمبراطورية. كما يتوجب على روسيا استخدام قدراتها العسكرية و التقنية و مواردها الطبيعية

235 المرجع نفسه، ص ص 265-294.

236 المرجع نفسه، ص ص 215-217.

الفصل الثاني:

التحولات الدولية بعد الحرب الباردة و بروز منطقة جنوب القوقاز

يشهد العالم، وخاصة منذ أوائل العقد الأخير من القرن المنصرم، موجة عارمة من التقلبات المثيرة. يذهب الكثير من الباحثين في الشؤون الجيو-سياسية وعلماء السياسة إلى أن إحدى نتائجها الأكثر دلالة هي سقوط جدار برلين سنة 1989، بعد سلسلة من حركات التمرد في براغ وبودابست وفرصيا... قوضت الحزام الأمني، وقلصت من النفوذ السياسي و الإيديولوجي لموسكو. قبل الانهيار السريع للاتحاد السوفييتي، و تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة أحادية للعالم²³⁷. حيث مثلت كل هاته الأحداث تعبيراً عما أطلق عليه نهاية الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفييتي.

وعليه سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى مختلف التحولات الدولية التي أفرزتها نهاية هاته الحرب سواء على المستوى الهيكلي أو المستوى القيمي، كما سنتطرق إلى التعريف بمنطقة جنوب القوقاز باعتبارها بروزها من جديد كان إحدى النتائج المباشرة لنهاية الحرب الباردة . كل هذا سنستعرضه بعد التعرض بالدراسة و التحليل للعلاقات الروسية الأمريكية إبان الحرب الباردة.

المبحث الأول: العلاقات الروسية - الأمريكية إبان الحرب الباردة

كان لبروز الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفييتي كقوتين عظيمتين بعد عام 1945 أهمية قصوى على صعيد السياسة الدولية و كان لصراعهما دور من الأدوار الخطيرة في تفعيل الشؤون العالمية و بعث روح النشاط فيها و ترك أثراً - مباشر أو غير مباشر - في كل جزء من أجزاء العالم. حيث دارت نقاشات ساخنة و مريرة بين المؤرخين لتحديد الجهة المسؤولة عن انهيار العلاقات التي كانت سائدة ما بين الدولتين. كما أن العلاقات بين الاتحاد السوفييتي و حلفاءه في المعسكر الشرقي و العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية و حلفاءها في المعسكر الغربي من جهة و علاقاتهما بباقي دول العالم الثالث من جهة أخرى كانت من القضايا الحيوية في ميدان السياسة العالمية و من العوامل البارزة في إطار الشؤون السوفييتية - الأمريكية.

المطلب الأول: سمات الحرب الباردة

يمكن للمتمعن في العلاقات بين الشرق و الغرب أن يسلط الضوء على السمات الرئيسية للحرب الباردة لكن تبقى من المسائل الجوهرية في سياق النقاشات حول جذور الحرب الباردة و تطورها اللاحق تبقى مسألة ما إذا كانت تلك الحرب أمراً لا بد من وقوعه و ما إذا كانت نتيجة لأخطاء و مفاهيم مغلوطة وقع

237 Yves, LACOSTE, «Dictionnaire De Géopolitique », 2ème édition, Paris : Flammarion, Octobre 1995, p.p. 388-394.

فيها الزعماء السياسيون أو ما إذا كانت الرد الذي أطلقه الساسة الغربيون تجاه النوايا السوفيتية السيئة و العدوانية أو العكس.

وفيما يلي عرض للمراحل الرئيسية للحرب الباردة - التي قد لا يتفق جميع المؤرخين حولها- لكنها تساعدنا على فهم السمات الرئيسية للعلاقات بين الشرق و الغرب و التغييرات التي طرأت عليها بعد عام 1945.

1 - اندلاع الحرب الباردة: 1945-1953

كان لاندلاع تلك الحرب في أوروبا دلالة على فشل ذريع في تطبيق المبادئ المتفق عليها في مؤتمر يالطا و بوتسدام اللذين عقدا أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان مستقبل ألمانيا و مستقبل عدد من دول أوروبا الشرقية و الوسطى و لاسيما بولندا من القضايا التي كانت تثير توترا متزايدا بين الحلفاء السابقين أثناء الحرب²³⁸.

و كان من أهم ما واجهته الدول المعنية مسألة التوفيق ما بين مبادئ حق تقرير المصير الوطني و مفاهيم الأمن الوطني. و كان شعور متنامي في الغرب بان السياسة السوفيتية نحو دول أوروبا الشرقية لم تكن موجهة بسبب القلق التاريخي إزاء مسألة الأمن بل كانت بوحى من التوسع الإيديولوجي ففي مارس 1947 سعت إدارة الرئيس الأمريكي ترومان إلى تبرير تقديمها مساعدة محدودة لكل من تركيا و اليونان ببيانات كان الهدف منها كشف النوايا السوفيتية. بالإضافة إلى الإعلان بان الولايات المتحدة الأمريكية ستساند الدول التي تتعرض لأي تهديد سوفيتي سواء بالتخريب أو التوسع²³⁹.

و كان مبدأ ترومان و سياسة الاحتواء التي ارتبطت به بمثابة توصيف للصورة الذاتية الأمريكية بان الولايات المتحدة الأمريكية تنتهج في واقع الأمر سياسة دفاعية. و دعمت هذا المبدأ بمشروع مارشال المعلن عنه في جوان 1947 الذي كان يهدف إلى إنعاش و إعادة بناء اقتصاد أوروبا الغربية الذي دمرته الحرب العالمية الثانية.

238 جون، بيليس و ستيف، سميث، "عولمة السياسة العالمية"، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، ط1، الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث و النشر، 2004،

أما أوروبا الشرقية فقد كان يجري العمل بشكل مدروس على تقويض القوى الديمقراطية و غيرها من القوى المناوئة للشيوعية و إزالتها في الوقت الذي كانت في الأنظمة الماركسية - اللينينية الموالية لموسكو توضع في السلطة داخل دول تلك المنطقة. و كانت يوغوسلافيا المارشال تيتو الوحيدة التي تمكنت من الاحتفاظ باستقلاليتها عن موسكو و نجحت في لعب دور مهم في حركة عدم الانحياز في العالم الثالث²⁴⁰.

و كانت أول مواجهة في سياق الحرب الباردة بسبب وضع مدينة برلين عام 1948 أين بقيت المدينة في عمق الاحتلال السوفييتي لألمانيا و قام ستالين بمحاصرتها برها و قطع جميع المواصلات عنها إلا أنها استطاعت الحفاظ على استقلالها السياسي و معيشة سكانها من خلال جسر جوي غربي مكثف إلى غاية ماي 1949 حين أنهى ستالين حصاره ذلك. كما شهدت تلك الأزمة أيضا نشر قاذفات صواريخ أمريكية بعيدة المدى في بريطانيا تبعها التزام سياسي تجسد بإنشاء منظمة معاهدة شمال الأطلسي الموقعة معاهدتها في افريل 1949²⁴¹.

و يقضي أهم مبدأ في المعاهدة بان أي هجوم يستهدف إحدى الدول الأعضاء في المنظمة يعتبر هجوما على جميع الدول الأعضاء فيها. و كان هذا التحالف من الناحية العملية هو التزام أمريكي بالدفاع عن أوروبا الغربية و كان يعني في واقع الأمر أن هناك استعدادا من طرف الولايات المتحدة الأمريكية لاستخدام الأسلحة النووية لردع الاتحاد السوفييتي. لكن هذا الأخير قابل هذا التهديد بإتباع التطويق السياسي بتهديد عسكري متصاعد لاسيما في الميدان النووي²⁴².

و على الرغم من انطلاق الحرب الباردة كان في أوروبا إلا أن الأحداث و الصراعات في آسيا و غيرها من مناطق العالم لعبت دورا مهما فيها . ففي عام 1949 انتهت الحرب الأهلية في الصين بعد ثلاثين عاما و أسفرت عن انتصار الشيوعيين بقيادة ماو تسي تونغ و كان لذلك أثره البالغ في الشؤون الآسيوية و المفاهيم المرتبطة بذلك في كل من موسكو و واشنطن²⁴³.

240 المرجع نفسه.

241 عبد الناصر الدين، جندي، "انعكاسات تحولات النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة على الاتجاهات النظرية الكبرى في العلاقات الدولية"، أطروحة دكتوراه، كلية

العلوم السياسية و الإعلام، جامعة الجزائر، 2005. ص102.

242 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص157.

243 المرجع نفسه، ص158.

ففي عام 1950 فسر هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية بأنه جزء من هجوم شيوعي عام و اختبار لمدى صلابة موقف الولايات المتحدة الأمريكية إزاء ذلك الحدث هذه الأخيرة التزمت بدعم كوريا الجنوبية وكان لذلك أثره في تورط الصين في الصراع و نشوب حرب في المنطقة دامت ثلاث سنوات و قتل فيها أزيد من ثلاثة ملايين شخص قبل أن يتم تثبيت الحدود التي كانت قائمة قبل الحرب بين الكوريتين. و ظلت كوريا الشمالية و كوريا الجنوبية مشتبكتين في صراع دائم على ما يبدو حتى بعد انتهاء الحرب الباردة²⁴⁴.

2 - الصراع و المواجهة و الحل الوسط: 1953-1969

كان من نتائج الحرب الكورية حشد قوات أمريكية تقليدية في غرب أوروبا تحسبا من أن يكون أي هجوم شيوعي في آسيا هو خدعة لتحويل الأنظار عن النيات الهجومية الحقيقية للاتحاد السوفيتي في أوروبا و أصبحت فكرة أن الشيوعية هي كيان سياسي ذا كتلة واحدة توجه بالكامل من طرف موسكو هاجس دائم أرق الأمريكيين. رغم أن هذا الهاجس لم يكن حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية يشاطرونها إياه و على رأسهم بريطانيا²⁴⁵.

و مع ذلك كانت دول غرب أوروبا تعتمد على واشنطن لضمان أمنها العسكري و تعمق ذلك الاعتماد كلما ترسخت المواجهة أثناء الحرب الباردة و تمخض عن إعادة تسليح ألمانيا الغربية عام 1954 إنشاء حلف وارسو عام 1955 و استمر الحشد العسكري من الطرفين على قدم و ساق و شهدت هذه المرحلة حشودا لم يسبق لها مثيل من القوات التقليدية و حتى النووية أيضا. و بحلول الستينات من القرن الماضي كان قد نشر حوالي سبعة آلاف سلاح نووي في أوروبا الغربية وحدها من طرف حلف الناتو حتى يتمكن من تحقيق التوازن العسكري أمام التفوق العددي للقوات السوفيتية التقليدية مما جعل حلف وارسو يقوم بنشر صواريخه النووية في أوروبا الشرقية من اجل تعويض التفوق النووي الإجمالي الأمريكي²⁴⁶.

244 عيد الناصر الدين، جندلي، مرجع سبق ذكره، ص102.

245 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص157.

246 المرجع نفسه.

وكانت وفاة ستالين عام 1953 حدثا مهما كانت له عواقبه المؤثرة في الاتحاد السوفيتي سواء في الداخل أو الخارج و بذل الرئيس نيكيتا خروتشوف الذي خلف ستالين جهودا حثيثة لتحديث المجتمع السوفييتي لكنه أسهم في إطلاق العنان للإصلاحيين و الاتجاهات الإصلاحية في أوروبا الشرقية و في حين تمت السيطرة على الاتجاه الإصلاحية في بولندا كان الوضع في المجر يشكل تهديدا للهيمنة السوفييتية و أدى التدخل السوفييتي هناك عام 1956 إلى إراقة الدماء في العاصمة بودابست استثمرتها واشنطن في خلق محاولة إدانة دولية لموسكو لولا أن تورطت اثنان من حلفاءها هما بريطانيا و فرنسا في عمل مماثل في العدوان على مصر في قضية قناة السويس جعل الإدانة الدولية لموسكو غير مؤثرة.

و اتسمت سياسة خروتشوف تجاه الغرب بأنها كانت مزيجا بين السعي للتعایش و المواجهة في آن واحد و أثار الدعم السوفييتي لحركات التحرر الوطني المخاوف الغربية من تحدي شيوعي على نطاق عالمي أدى إلى تصعيد في التصميم الأمريكي على دعم الأصدقاء و ضرب الأعداء في العالم الثالث و جاءت الالتزامات الأمريكية تجاه الديمقراطيات الليبرالية و حق تقرير المصير الوطني للشعوب انطلاقا من الأفكار النظرية للحرب الباردة إضافة للمفاهيم النابعة من المصالح الاقتصادية و السياسية للولايات المتحدة الأمريكية²⁴⁷.

و تجسدت اخطر أيام الحرب الباردة في أزمة برلين عام 1961 و أزمة كوبا عام 1962 إذ كان يكمن في كلتاها خطر المواجهة العسكرية المباشرة بين الشرق و الغرب بين الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية و حتى احتمال نشوب حرب نووية بينهما في أكتوبر 1962. و يبقى التساؤل حول المدى الذي اقترب فيه العالم في ذلك الوقت من حافة حرب ماحقة و عن السبب الذي كان وراء الحفاظ على السلام العالمي اثر أزمة الصواريخ في كوبا مثار جدل بين المؤرخين و الساسة لغاية اليوم²⁴⁸.

و تبعت أحداث عام 1962 فترة أكثر استقرارا من التعایش و التنافس و في تلك الفترة استمرت الترسانة النووية لكلا الطرفين في التنامي و استمر كل منهما في ضرب الأعداء و دعم الأصدقاء و كانت أسس ما عرف فيما بعد ب **الوفاق** تضع ركائزها بين الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقا

247 زينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، ترجمه: مالك فاضل، عمان: الأهلية للنشر و التوزيع، 1998 ص98.

248 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص160.

من الإقرار المتبادل للطرفين بالحاجة إلى تجنب الأزمات التي تؤدي إلى نشوب حرب نووية و في الحوافز الاقتصادية و العسكرية التي تتجم عن تقادي سباق منفلت نحو التسلح²⁴⁹.

3 - صعود الوفاق و سقوطه: 1969-1979

كانت الفترة المعروفة بفترة الوفاق بين الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية تمثل محاولة من قبل القوتين العظمتين لترتيب شؤون العلاقات فيما بينهما ضمن إطار من المفاوضات و الاتفاقات و في الغرب كان الوفاق مرتبطا بالزعامة السياسية للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون و مستشاره هنري كيسنجر اللذين قاما أيضا بدور فاعل في إحلال التقارب بين الصين و الولايات المتحدة الأمريكية و لم تكن تلك المرحلة في العلاقات الأمريكية السوفييتية نهاية للصراع السياسي بين الطرفين لان كلا منهما كان يسعى إلى تحقيق أهداف سياسية متعددة اثبت بعضها لاحقا انه يزداد تعارضا مع تطلعات القوة العظمى الأخرى²⁵⁰.

و مضى كلا منهما في دعم الأنظمة و الحركات الصديقة في أرجاء العالم الثالث و في عام 1973 تبين المدى الذي كانت القوتين العظمتين قادرتان عند حده على ضبط أصدقاءهما و المدى الذي كانتا تصلان إليه للوفاء بالتزامتهما حين اندلعت الحرب العربية - الإسرائيلية و أقحمت كلا من الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي فيما أصبح مواجهة محفوفة المخاطر .

و كانت واشنطن تعتبر الدعم السوفيتي للحركات الثورية في العالم الثالث دليلا على ممارسة سياسية ازدواجية و يدعي بعض الأمريكيين بان دعم موسكو للقوى الثورية في إثيوبيا عام 1975 قضى على الوفاق في حين يشير آخرون للدور السوفيتي في انغولا عام 1978²⁵¹.

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك و جهة النظر التي توحى بأن الاتحاد السوفيتي كان يستغل الاتفاقات الخاصة بالحد من التسلح لكسب مزايا عسكرية تمثلت في تحركاته في العالم الثالث حيث كان التفوق العسكري السوفيتي المتصاعد تجسيدا للنفوذ السوفيتي المتصاعد. غير أن الآراء في موسكو كانت مخالفة لذلك و شككت في نطاق الوفاق و الغاية منه بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية و نظرتها للوفاق على انه إضعاف للنفوذ الأمريكي. حتى إن الإطاحة بالشاه في إيران عام 1979 بعد الثورة الإسلامية كما

249 المرجع نفسه.

250 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص161.

251 المرجع نفسه.

كانت خسارة لحليف مهم بالنسبة للغرب في المنطقة فان الحكومة الإسلامية التي خلفت نظام الشاه كانت معادية للاتحاد السوفييتي ايضا بقدر عدائها للولايات المتحدة الأمريكية²⁵².

جاء ديسمبر 1979 ليكون نقطة تحول في شؤون السياسة العالمية بين الشرق و الغرب حين وافق حلف الناتو على نشر صواريخ كروز و بيرشينغ-2 فوق الأراضي الأوروبية في حال أخفقت المفاوضات مع السوفييت في تقليص ما اعتبره الناتو اختلالا خطيرا في موازين القوى بين الطرفين. وفي وقت لاحق من ذلك الشهر تدخلت القوات السوفييتية في أفغانستان لدعم حلفاء موسكو الثوريين هناك و ندد الغرب بشدة بالاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت و حاولوا دعم الطرف الثاني ليجد السوفييت أنفسهم متورطين في صراع طويل و دموي شبيه بذلك التورط الأمريكي في فيتنام.

و في الولايات المتحدة الأمريكية كان لذلك أثره في تغيير الرئيس كارتر لنظرتة للاتحاد السوفييتي . وفي عام 1980 انتخب رونالد ريغان رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية و ساعده في ذلك انتقاداته لسياسة الوفاق و الحد من الأسلحة فالتزم بنهج اقرب إلى المواجهة مع السوفييت.

4 - الحرب الباردة الثانية: 1979-1986

وصفت الفترة اللاحقة من التوتر و المواجهة بين الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية بأنها الحرب الباردة الثانية و قورنت بالفترة المبكرة من التوتر و المواجهة بينهما خلال الفترة 1946-1953 و ساد خوف حقيقي في أرجاء العالم من خطر نشوب حرب نووية و كان معظم ذلك الخوف مرده إلى التصريحات و السياسات الصادرة عن إدارة ريغان حيث اعتبرت البيانات الأمريكية بشأن الأسلحة النووية و التدخل العسكري في جزيرة غرينادا عام 1983 و ضد ليبيا عام 1986 دلائل انتهاج الولايات المتحدة الأمريكية سياسة حربية تصادمية جديدة²⁵³. و كانت سياسة ريغان في أمريكا الوسطى بدعمه لمتبردي نيكاراغوا محل نقد سياسي داخلي و خارجي أيضا وصل إلى حد الإدانة الدولية من طرف محكمة العدل الدولية للولايات المتحدة الأمريكية لانتهاكها القانون الدولي بسبب هجمات على موانئ نيكاراغوا من تدبير الاستخبارات الأمريكية²⁵⁴.

252 المرجع نفسه، ص162.

253 المرجع نفسه، ص163.

254 زبينغيو، بريجنسكي، " الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص100.

ومع هذا فقد كان استخدام الإدارة الأمريكية للقوة محدودا حيث فشلت في بعض العمليات العسكرية في ذلك السياق فشلا ذريعا و لاسيما في لبنان عام 1983. غير أن التصريحات و المفاهيم المتعلقة بذلك كانت بعيدة عن الواقع إذ كانت القيادة السوفييتية تأخذ كل ما يصدر عن إدارة ريغان من تصريحات و أفعال على محمل الجد التام و كانت مقتنعة بان القيادة الأمريكية كانت تخطط للبدء بالضربة النووية. وفي عام 1983 أدى إسقاط السوفييت طائرة ركاب مدنية تابعة للخطوط الجوية الكورية الجنوبية في المجال الجوي السوفييتي إلى رد فعل أمريكي بالشروع في نشر الصواريخ النووية الأمريكية في أوروبا مما زاد في إشعال مناخ من التوتر الشديد في العلاقات بين الشرق و الغرب وصل في نوفمبر 1983 إلى حد الاقتراب من مواجهة نووية خطيرة بعد اعتقاد الاتحاد السوفييتي بان الناتو كان يحضر لمواجهة من خلال إجراءه لمناورات عسكرية تحت اسم Able Archer²⁵⁵.

و كانت القيادة السوفييتية من بريجنيف إلى اندروبوف إلى تشيرنينكو تنظر بعين الريبة تجاه التحدي و التهديد الأمريكيان. لكن ذلك الوضع تغير بشكل مثير اثر وصول ميخائيل غورباتشوف إلى رئاسة الاتحاد السوفييتي عام 1985.

فقد أدى الفكر الجديد في السياسة الخارجية الذي طرحه غورباتشوف و إصلاحاته الداخلية إلى إحداث ثورة في نطاق العلاقات الخارجية للاتحاد السوفييتي و ضمن المجتمع السوفييتي أيضا فقد أدت سياسته الداخلية غلاسنوست (الانفتاح) و بيروسترويكا (إعادة البناء) إلى إطلاق العنان للقوى الوطنية و القومية الأمر الذي أدى بدوره إلى تفكيك اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية و تدميره. فقد كان غورباتشوف يهدف من خلال سياساته في ميدان السياسة الخارجية إلى تحويل العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية إلى شكل يختلف عما كانت عليه و كانت إصلاحاته عاملا فاعلا للتغيير الذي حدث في دول أوروبا الشرقية مع أن غورباتشوف بخلاف خروتشوف لم يكن على استعداد لمواجهة ذلك التغيير بالقوة و الإكراه²⁵⁶.

فحين جوبه غورباتشوف بالتمرد في أوروبا الشرقية أعلن إن لهذه الدول أن تتدبر أمورها على طريقتها و كان ذلك إيذانا بانتهاء مذهب بريجنيف الذي يقضي بمنح دول أوروبا الشرقية قدرا محدودا من السيادة و التطور السياسي. و عليه بدأت الأنظمة المنحازة لموسكو بالانهيار في أنحاء أوروبا الشرقية و

255 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص164..

256 المرجع نفسه، ص165.

حلت محلها أنظمة ديمقراطية في عملية انتقالية جرى معظمها بصورة سلمية و سريعة و كان من المظاهر الباهرة لتلك العملية توحيد ألمانيا و زوال ألمانيا الشرقية بعد انهيار جدار برلين²⁵⁷.

و قد استغل غورباتشوف في سياسته تجاه الغرب الاتفاقات الخاصة بالأسلحة النووية كوسيلة لبناء الثقة و لكي يظهر الطبيعة الجادة و المتعمقة للأهداف التي كان يرمي إلى تحقيقها . لذا وجب التعرف على الدور الذي لعبه السلاح النووي باعتباره عاملا مهما في نشوء و تطور الحرب الباردة و حتى في نهايتها من خلال السباق نحو التسلح أو من خلال الحد من هذا السباق.

المطلب الثاني: دور السلاح النووي في الحرب الباردة

الأسلحة النووية كانت موجودة قبل الحرب الباردة و بقيت موجودة بعد انتهائها فقد طور الحلفاء الغربيون القنبلة الذرية في حربهم ضد ألمانيا النازية و اليابان وكانوا ينوون استخدام هذا السلاح بطريقة مشابهة كثيرا لأسلوب القصف الاستراتيجي الذي استخدموه فوق المدن الألمانية و اليابانية. و قد كان لقرار الرئيس الأمريكي ترومان بإلقاء قنبلتين نوويتين على مدينتي هيروشيما و ناغازاكي اليابانيتين رغم هزيمة اليابان مغزى كبير في الشؤون الدولية ما بعد الحرب. حيث أثار هذا القرار جدلا واسعا حول السبب وراء هذا القرار الذي اعتبره Gar Alperovitz في كتابه الشهير *الدبلوماسية الذرية* عام 1965 انه محاولة لإجبار الاتحاد السوفيتي على خدمة المصالح الأمريكية في كل من أوروبا و آسيا بعد الحرب حيث أبان هذا الحدث هول قوة أسلحة كهذه في نظر صناع القرار خلال فترة ما بعد الحرب²⁵⁸. مما جعل الاتحاد السوفيتي بدل الرضوخ يسارع إلى إنتاج قنبلته النووية عام 1949. وعليه فقد دفعت هيروشيما بذلك كل من الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي إلى الإسراع نحو السباق نحو التسلح إن لم تكن بدايته بالفعل.

1 - تأثير التطور التقني في السباق نحو التسلح:

ما إن أُلقيت القنبلة النووية على هيروشيما حتى بدأ السعي الحثيث نحو تطوير هذا النوع من القنابل ليس فقط من حيث قوتها التدميرية و إنما أيضا بتطوير وسائل نقلها و قذفها نحو أهدافها ففي عام 1945

257 زبينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص101.

258 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص166.

استغرقت رحلة القاذفة الأمريكية التي تحمل القنبلة الذرية الملقاة على هيروشيما و دمرتها ست ساعات لتعبر بها المحيط الهادئ نحو هدفها²⁵⁹.

و لم تكن لدى الولايات المتحدة الأمريكية في البداية قاذفات تستطيع بمداها القصير أن تصل إلى الاتحاد السوفيتي من أراضيها لذلك كانت تستخدم القواعد البريطانية و غيرها لوضع الأهداف السوفيتية في مرمى القصف و قامت كلا الدولتين العظمتين بتطوير قاذفات ذات مدى بعيد ومن ثم طورت صواريخ باليستية تستطيع أن تصيب أهدافا في أراضي الدولة الأخرى من داخل أراضيها. حيث استطاع الاتحاد السوفيتي عام 1957 أن يجري تجربة إطلاق صاروخ باليستي عابر للقارات ICBM كما أطلق أيضا قمرا صناعيا "سبوتنيك" باستخدام نفس النوع من الصواريخ. وفي عام 1960 بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتركيب هذا النوع من الصواريخ على متن غواصاتها²⁶⁰.

بحلول هذه الحقبة أصبح العالم كله تحت خطر التحول إلى ميدان معركة عالمي النطاق تستطيع فيه كلتا القوتين أن تضرب أراضي القوة الأخرى بالأسلحة النووية من أراضيها هي و في زمن يعد بالدقائق. و توسع نطاق هذا البعد العالمي بظهور قوى نووية جديدة مثل بريطانيا 1952 و فرنسا 1960 و الصين 1964. مما جعل القلق يتزايد إزاء انتشار الأسلحة النووية كحل بالتوقيع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية NPT التي تلتزم بموجبها الدول النووية بوقف السباق نحو التسلح في حين تلتزم الدول الأخرى بعدم السعي لامتلأها. و على الرغم من ذلك فإن دولا عدة قد طورت أسلحة نووية كإسرائيل و الهند و باكستان و جنوب إفريقيا كما بذلت دولا أخرى جهودا كبيرة من أجل التوصل إلى السلاح النووي كالعراق و كوريا الشمالية و إيران²⁶¹.

و سعى كل من الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية أيضا إلى تطوير صواريخ تستطيع إسقاط الصواريخ الباليستية المهاجمة ABMs و في عام 1972 تم التوصل إلى اتفاق يحد من عدد

259 زبينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص101.

260 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص124.

261 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص125.

الصواريخ الدفاعية ABM إلى مستوى رمزي غير أن ريغان شكك عام 1983 بمبادئ هذا الاتفاق بإطلاقه "مبادرة الدفاع الاستراتيجي" SDI²⁶².

وقد أدى تنامي الترسانة العسكرية لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي في إطار حجم الضغوط الداخلية المؤدية لتصاعد هذه الترسانات النووية بين الطرفين بالإضافة إلى التزامات الولايات المتحدة الأمريكية تجاه حلفائها في حلف الناتو وكذا مدى العداء النظري و الاختلاف الإيديولوجي بين الطرفين إلى إطلاق مصطلح **سباق التسلح** حيث من الناحية التكتيكية تم تطوير و نشر أسلحة نووية اقصر مدى أما من الناحية الإستراتيجية فيما يخص الأسلحة بعيدة المدى فقد كان التطور النوعي لا يقل أهمية عن التطور الكمي²⁶³.

و بشكل خاص أصبح الخوف من امتلاك احد الأطراف أسلحة كافية لتدمير ترسانة الطرف الآخر بدقة عالية خوفا متبادلا خاصة بعد الوصول لمرحلة المقدرة على الضربة الثانية حيث عرف التدمير المتبادل المحقق MAD الذي يعتمد على أن كل طرف يمتلك المقدرة على تدمير خصمه حتى بعد تعرضه للهجوم. وفي معظم فترات الحرب الباردة كان كل طرف يخشى من تحقيق الطرف الآخر لوضع تفوقي يخوله إلحاق الضرر به و عليه كانت الريبة و الشك هي الحالة السائدة في ذلك الوقت رغم أن هذه الأفكار لم تكن على صلة وثيقة بواقع بنية القوة و استراتيجياتها التي كانت القوتان تنتهجا²⁶⁴.

و يبدو أن ما زاد الوضع تعقيدا هو اختلاف وضع و موقف الطرفين في حد ذاته فبالنسبة للاتحاد السوفيتي فقد كان ما يقلقه في بادئ الأمر هو احتكار الولايات المتحدة الأمريكية للتفوق النووي بالإضافة إلى تصاعد العداء مع الصين المتسلحة نوويا أيضا. أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فقد أدى سوء تقديرها للقوة النووية السوفيتية مع القلق إزاء مطامعها وكذا التزاماتها العسكرية تجاه حلفائها في حلف الناتو إلى تصميمها على ردع أي عدوان سوفيتي باستخدام السلاح النووي مما أدى إلى استمرار حالة العداء و تصاعدها.

2 - تطور أهمية السلاح النووي في إطار تطور مراحل الحرب الباردة:

262 المرجع نفسه.

263 زبينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص 99.

264 المرجع نفسه.

من التساؤلات الجوهرية في هذا الصدد هو مدى كون السباق نحو التسلح كان نتيجة لأخطاء سوء التقدير المتبادل بين القوتين في إطار تأثيرات الحرب الباردة بينهما و هل كان حصيلة نهائية و حتمية للاختلافات العميقة بين الطرفين و التي تجسدت في سياسات كل طرف اتجاه الطرف الآخر.

نلاحظ أن العديد من الأمريكيين ذوي النفوذ و السلطة كانوا يعتقدون أن السوفييت كانوا ميالين إلى السيطرة على العالم و استندوا في ذلك إلى مختلف البيانات و التصريحات الصادرة عن القادة الشيوعيين و في مقدمتها الدعوة إلى الثورة العالمية والتي حسبهم أي الأمريكيين كانت دعوة معادية لهم خاصة بعد إقدام الاتحاد السوفييتي على مواجهته الأخطر و الأبرز ضد الولايات المتحدة الأمريكية و هي نشره لصواريخ نووية في كوبا عام 1962²⁶⁵.

كما نلمس أيضا انه حين تراجعت المواجهة السياسية بين الأمريكيين و السوفييت في إطار أجواء الوفاق التي سادت بينهما أصبحت الاتفاقات الخاصة بالأسلحة النووية أكثر انجازات تلك الحقبة. و مع هذا و بقدر ما كان الوفاق طريقة لإدارة الصراع بين الشرق و الغرب بقدر ما كانت اتفاقيات الحد من الأسلحة وسيلة لتنظيم تنامي الترسانات النووية و ليس التخلص منها حيث يرى بعض المحللين أن الحد من الأسلحة أسهم من ناحية أخرى في إضفاء الشرعية على وجود الأسلحة في حد ذاتها و تنميتها.

وفي السبعينات من القرن الماضي عندما انهار الوفاق بين الاتحاد السوفييتي و الولايات المتحدة الأمريكية انهارت معه أيضا الاتفاقات الخاصة بإجراء محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية SALT لتفتح المجال أمام تجدد الصراع و السباق نحو التسلح. وتساعد فكرة أن الانتصار في حرب نووية أمر ممكن خاصة بعد تولي رونالد ريغان الرئاسة سنة 1970 أين بدأت العلاقات الأمريكية السوفييتية في التبعاد من جديد²⁶⁶.

وكانت حقبة الحرب الباردة الثانية هي مرحلة جديدة في العلاقات السياسية النووية بين الشرق و الغرب أين انهارت العلاقات بصورة كبيرة خاصة بعد مسألة الصواريخ النووية في أوروبا عندما قرر حلف

265 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص125.

266 زينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص100.

الناو نشر صواريخ على قواعد أرضية قادرة على ضرب أهداف داخل الأراضي السوفيتية مما ولد حالة من التوتر الشديد عززته تصريحات ريغان غير المتحفظة و العلنية حول المسائل النووية²⁶⁷.

ففيما تعلق بالمسائل النووية لم يكن ريغان مهتما بالاتفاقات التي من شأنها الحفاظ على الأمر الراهن كما فشلت المفاوضات بين الطرفين فيما يخص الأسلحة ذات المدى الطويل و المتوسط سوى مبادرة واحدة كتب لها النجاح و تحقيق نتائج مهمة هي مبادرة الدفاع الاستراتيجي SDI التي أطلق عليها اسم حرب النجوم والتي كانت عبارة عن برنامج أبحاث يهدف إلى تطوير نظام دفاعي من قواعد فضائية ضد الصواريخ الباليستية²⁶⁸. و قد أخذ السوفييت هذه المبادرة محمل الجد و عملوا عليها إلى غاية ما بعد ريغان أين تقلص برنامج الأبحاث الخاص بها ثم ألغيت بعد ذلك.

ومهد وصول ميخائيل غورباتشوف للحكم في موسكو الطريق لعقد اتفاقات خاصة بالأسلحة النووية و التقليدية مما ساعد على تخفيف حدة التوتر في العلاقات بين المعسكرين توصل على إثرها إلى توقيع معاهدة القوى النووية المتوسطة INF التي تحضر إنتاج الصواريخ النووية المتوسطة المدى بما فيها صواريخ كروز و بيرشينغ²⁶⁹. و التي اعتبرت نصرا للرئيس غورباتشوف إلا أن زعماء حلف الناو اعتبروها برهانا على سلامة السياسات التي انتهجها الحلف منذ 1979 و رغم ذلك فقد تواصلت المفاوضات في هذا المجال أين تم توقيع معاهدة تخفيض الأسلحة الإستراتيجية START التي خفضت ترسانة الأسلحة النووية بعيدة المدى وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تم توقيع معاهدة المتابعة START 2 عام 1992²⁷⁰.

على العموم فان الأسلحة النووية كان لها بالفعل دور مهم في الحرب الباردة سواء من خلال السباق نحو التسلح أو الاتفاقات الخاصة بخطر الأسلحة النووية و الحد من انتشارها حيث يرى بعض المؤرخين أن إقدام الولايات المتحدة الأمريكية على استخدام الأسلحة النووية لعب دورا حاسما في زرع جذور الحرب الباردة في حين يرى آخرون أن الخوف الناشئ عن التهديد بالتدمير التام و الشامل يعتبر نقطة جوهرية في فهم السياستين الدفاعية و الخارجية للاتحاد السوفيتي أنذاك فالتهديد غير المسبوق بالإبادة يفسر لنا المخاوف و

267 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص126.

268 المرجع نفسه.

269 زينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص101.

270 جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص127.

العداء المتبادلين بين الطرفين خلال العصر النووي²⁷¹. كما انه كانت هناك آراء تقول انه لولا الأسلحة النووية لكان الانزلاق إلى الصراع المباشر بين الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية أكثر احتمالا بكثير وانه لو لم تكن الأسلحة رادعا فاعلا لكانت الحرب مصير أوروبا و العالم.

كما يمكن اعتبار الأسلحة النووية محورا للاتفاق السياسي باعتبار أن مختلف الاتفاقات المتعلقة بالأسلحة النووية و الحد من انتشارها كانت هي السمة المميزة للسياسة الدولية في تلك الفترة حيث ظهر للسطح التساؤل عن مدى إسهام الأسلحة النووية في حفظ السلام أو التساؤل حول مدى اقتراب العالم من حافة حرب نووية عام 1961 في أزمة برلين أو عام 1962 أزمة الصواريخ الكوبية و عن مساهمة الحرب الباردة في حد ذاتها و تدخل كل من الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية في فرض الاستقرار في أقاليم كان عدم الاستقرار فيها هو السائد و السبب في نشوء الحروب و الصراعات من قبل و حتى من بعد نهاية الحرب الباردة.

المبحث الثاني: التحولات الدولية بعد الحرب الباردة

كانت نهاية الحرب الباردة نقطة تحول في بنى السياسة الدولية و في أدوار و مهام الدول والمنظمات الدولية و بروز اهتمامات جديدة غيرت العديد من المفاهيم السياسية التي كان لها عظيم الأثر في الفترة التي أعقبت انهيار الستار الحديدي سواء على مستوى البنيوي أو على المستوى القيمي و هذا ما سنحاول مناقشته في هذا المبحث.

المطلب الأول: نهاية الحرب الباردة

شهدت نهاية الحرب الباردة تغيرا جذريا على مستوى النظام الدولي السائد آنذاك و باختصار و قبل الخوض في أسباب تلك التحولات و نتائجها يجب استخلاص نقطتين هامتين:

- الأولى تتعلق بما نعنيه بمصطلح الحرب الباردة حيث أننا هنا بصدد اعتماد المعنى الذي يشير إلى بنية العلاقات بين الشرق و الغرب أكثر مما يشير إلى السلوك ضمن مسار هذه العلاقات و من حيث استمرار العناصر الرئيسية لتلك البنية طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. و لذلك فحين نتحدث عن نهاية الحرب الباردة فإننا نعني نهاية ذلك الوضع البنيوي الذي تآطر ضمن حدود التنافس السياسي و

271 زينغيو، بريجنسكي، "الوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص99.

العسكري بين الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفييتي و العداء الأيديولوجي بين الشيوعية و الرأسمالية و انقسام أوروبا و تعاظم نطاق الصراع من المركز إلى أطراف النظام الدولي²⁷².

- أما النقطة الثانية فأنها تتعلق بارتباط انهيار الشيوعية بنهاية الحرب الباردة. ظاهريا يعتبر هاذان الحدثان أمرا واحدا فقد انتهت المباراة العظمى في الصراع الأمريكي السوفييتي حين تخلى أحد الخصمين عن الاستمرار في القتال و صحيح أن انهيار الشيوعية كان السبب المباشر في انتهاء الحرب الباردة لكن من الخطأ أن يفسر ذلك كليا من هذا المنظور²⁷³.

و سنحاول أن نحلل نهاية الحرب الباردة من خلال مجموعة من العوامل:

1 - العوامل الداخلية:

نقصد بالعوامل الداخلية كل تلك التطورات التي حدثت على المستوى الداخلي للكتلة السوفييتية سواء تلك المتعلقة بالاتحاد السوفييتي في حد ذاته أو تلك الخاصة بأوروبا الشرقية.

أ - انهيار الشيوعية داخل الاتحاد السوفييتي:

كان لانهايار الشيوعية داخل الاتحاد السوفييتي أثره الكبير في إنهاء الصراع بين الشرق و الغرب و بالتالي وضع حد للحرب الباردة و لعل السمة البارزة في ذلك هي فجائيته فقد كان مفاجأة للخبراء في شؤون الاتحاد السوفييتي و لعل الدراسة التي نشرت عام 1986 من طرف مفكرين غربيين تؤكد ذلك: " انه من غير المحتمل أن تكون الدولة السوفيتية الآن أو ستكون في أواخر الثمانينات تواجه خطر التفكك الاجتماعي أو السياسي و لهذا علينا أن ندرس العوامل التي جعلت النظام هناك مستقرا في الفترة ما بعد ستالين و التي لا تزال تعمل بفاعلية في الوقت الحاضر. " لكن إذا ما رجعنا لملاحظة الفيلسوف السياسي الفرنسي Alexis de Tocqueville حول أسباب الثورة: " إن الثورة لا تقوم حين تكون الأنظمة الديكتاتورية في أوج بطشها بل حين تسعى إلى إصلاح ذاتها ففي سعيها إلى إضفاء صبغة المؤسسات و الشرعية على تلك الإصلاحات

²⁷²جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص127.

²⁷³زينغيو، بريجنسكي، " الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص99.

تقدم الأنظمة القديمة تنازلات سياسية لخصومها و بفعلها هذا تفتت بيدها أسس قوتها و سلطتها²⁷⁴, و على هذا الأساس يمكن تلخيص عوامل انهيار الاتحاد السوفييتي في مجموعة من النقاط:

- **وصول غورباتشوف إلى السلطة:** لقد كان اعتلاء غورباتشوف لسدة الحكم بمثابة نذير بمرور جيل جديد على مستوى القيادة السوفييتية هذا الجيل لم يكن مدينا بالفضل لتراث ستالين مثل سابقه من الحرس القديم كما أن ترسخ قاعدة السلطة من المنادين بالتغيير و المساندين لغورباتشوف مكنت من إجراء تغييرات كبيرة في أفراد مختلف الدوائر مما أوحى بان حقبة جديدة في تاريخ السوفييت قد بدأت رغم أن هذا الجيل لم تكن في نيته تفكيك أوصال الاتحاد السوفييتي فعقيدهم السياسية رغم تعارضها بشدة مع الستالينية إلا أنها لم تكن تعارض الاشتراكية و هذا ما أكده غورباتشوف بقوله: " انه من خلال سياستي الانفتاح و إعادة البناء سنتكسب أفكار الاشتراكية زخما جديدا و سيتم هذا بالعودة إلى أفكار لينين الذي مازال حيا في عقول ملايين الناس و قلوبهم"²⁷⁵.

- **معاونة الاتحاد السوفييتي اقتصاديا:** كان الاتحاد السوفييتي يعاني من مشكلات اقتصادية مردها النظام القائم و التي تفاقمت أكثر في ثمانينات القرن العشرين من جراء عدة أسباب:

● **أسباب بعيدة المدى** تمثلت أساسا في نقاط ضعف في بنية الاقتصاد السوفييتي في حد ذاته الذي كان يقوم على نظام تخطيط مركزي صارم و غير مرن و عاجز عن مواكبة التحديث و انعدام الكفاءة و الحوافز في حقل الإنتاج الزراعي فالسياسات و الممارسات الاقتصادية كانت تمليها الإيديولوجية السياسية من خلال هيكلية نظام اقتصادي موجه سلطويا يملى على المؤسسات الاقتصادية نوع البضائع التي ينبغي إنتاجها و يحدد أسعارها وفق أولويات تدفع بالاقتصاد السوفييتي بالقوة إلى الدخول في القرن العشرين بدلا من مراعاة العلاقة بين العرض و الطلب و حسب قوانين السوق مما جعل الاتحاد السوفييتي يتجاوز بكثير مستوى الحاجات العملية و النفعية العادية خاصة في مجال الصناعة الثقيلة. إلا أنه في مجال التطور التقني بعيدا عن الإنتاج العسكري وجد نفسه غير مواكب للغرب خاصة في مجال الحواسيب و الرقمنة بالإضافة إلى ضعف عام في مجال القطاع الزراعي²⁷⁶.

● **أسباب قصيرة المدى** تمثلت في الانخفاض الخطر في حجم إنتاج المحاصيل الزراعية في أواخر السبعينات و أوائل الثمانينات من القرن الماضي و تباطؤ الإنتاج ضمن قطاعات صناعية مهمة أديا

274جون, بيليس و ستيف, سميث, مرجع سبق ذكره, ص128.

275زبينغيو, بريجنسكي, " الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين", مرجع سبق ذكره, ص102.

276جون, بيليس و ستيف, سميث, مرجع سبق ذكره, ص166.

إلى إيجاد مناخ عام من الركود الاقتصادي و حتى تدهور في مستويات الصحة العمومية. بالإضافة إلى نتائج إصلاحات غورباتشوف السياسية و الاقتصادية²⁷⁷.

- **سياسة الانفتاح GLASNOST** : كان لما أفرزته سياسة الانفتاح من تخفيف القيود على الرقابة من خلال تشجيع مبدأ حرية النقد و حرية العبادة و كذا تخفيف القيود على وسائل الإعلام و النشر الأمر الذي كان غورباتشوف يأمل في الإشراف عليه بنفسه لكن العملية انفلتت من قبضته خاصة مع بروز نوع من الرأي العام الحقيقي حين أخذت إصلاحاته تخفف إحكام السيطرة على الصحافة و الإذاعة و التلفزة و السينما. و منحت حرية التعبير عن الرأي صوتاً مسموعاً لأولئك المعارضين لغورباتشوف و حتى لأولئك الذين يريدون أن تمضي الإصلاحات إلى حد أبعد و بوتيرة أسرع مما كان غورباتشوف نفسه يفعل. ومع أن هذه السياسة لم تؤدي في حد ذاتها إلى إنشاء أحزاب معارضة إلا أن منطقتها الكامن وراء مفهومها الانفتاحي أدى في النهاية إلى القضاء على المبدأ الأساسي الذي يستند إليه الحزب الشيوعي في الحفاظ على دوره القيادي²⁷⁸.

- **سياسة إعادة البناء PERESTROIKA**: نتج عن هذه السياسة إزالة الأساس الفكري الذي كان يستند إليه النظام القديم لكن من دون أن تحل محله آليات اقتصادية أو سياسية جديدة ذات فعالية فهذه السياسة سواء في جانبها السياسي **Political Restructuring**:

- إنشاء لبرلمان جديد أو مجلس تشريعي ينتخب ثلثاً أعضائه على أساس الاختيار الشعبي مع السماح بانتخاب أعضاء غير شيوعيين حيث تمت الإطاحة بأعداد هائلة من المرشحين الشيوعيين لصالح مرشحين لا تربطهم أي التزامات تجاه الحزب الشيوعي في انتخابات عام 1989.
- إحداث لنظام رئاسة تنفيذية اعتلاه غورباتشوف بدون معارض و كان الهدف منه الاحتفاظ بقبضته في توجيه مسارات التغيير الأمر الذي أدى به إلى وضع متناقض بين الدعوة إلى الديمقراطية و في نفس الوقت التعالي عليها.
- إلغاء للدور القائد للحزب الشيوعي من خلال تآكل سلطته مما أدى إلى تحويل طبيعة القوى المحركة لدى المؤسسات السياسية إلى مسار آخر²⁷⁹.

²⁷⁷زيبينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص106.

²⁷⁸جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص129.

أو في جانبها الاقتصادي Economic Restructuring من خلال :

• قانون المشاريع الذي يمنح حرية محدودة لإدارات مشاريع الدولة لبيع جزء أو نسبة من منتجات مشاريعها في السوق الحرة بدلا من إجبارهم كما كانت الحال في السابق على بيع تلك المنتجات للحكومة مما يدل على أن هناك محاولة لرأب الفجوة بين النظام الاقتصادي الموجه و النظام الاقتصادي الذي يتبع توجهات السوق الحرة.

• قانون المشاريع المشتركة الذي يسمح للشركات الأجنبية بتملك مؤسسات تجارية داخل الاتحاد السوفييتي بنسبة 49% في البداية ثم 100% عام 1990 و بالتالي أصبح بوسع الشركات التصرف بحرية دون رقابة من الحكومة فتذبذبت الأسعار و انتشر التضخم و تدهور الإنتاج و نقص كبير في توافر السلع²⁸⁰.

- **إلغاء دور القيادة للحزب الشيوعي:** أدى اجتماع سياستي الانفتاح و إعادة البناء إلى نسف الدور القيادي و التقليدي للحزب الشيوعي فقد كان الاتحاد السوفييتي بأعراقه المختلفة و المتعددة ضمن خمسة عشر جمهورية ذات استقلال ذاتي و كانت تحمي هذا الكيان من التفكك مؤسسات مركزية قوية و ضغوط من اجل الالتزام بالإيديولوجي و التهديد المماثل دوما باستخدام القوة و كان للحزب الشيوعي دور رئيس في كل من تلك الميادين و قد أدى تآكل سلطته إلى إطلاق العنان لتطلعات هذه الشعوب نحو الحرية و جاءت المطالبة بالاستقلال من دول البلطيق خاصة و من ثم جورجيا فاذربيجان²⁸¹, و كان موقف غورباتشوف المتذبذب تجاه هذه الأحداث بين محاولات لإرضاء المحافظين و الليبراليين إلا أن ميله نحو الليبراليين باقتراحه عقد معاهدة اتحاد جديدة من شأنها أن تعطي سلطات بدرجة اكبر للجمهوريات السوفييتية كان سببا في محاولة الانقلاب الفاشل عليه من طرف الحزب الشيوعي و المحافظين و هكذا انهار الاتحاد السوفييتي و قام محله كيان مهلهل يدعى رابطة الدول المستقلة تفكك هو الآخر نهاية عام 1991 إلى دول مستقلة منفصلة²⁸².

ب - انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية:

²⁸⁰زيبينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، 98.

²⁸¹جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص132.

²⁸²المرجع نفسه

كان انهيار الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية و الذي تجسد بتحطيم جدار برلين في نوفمبر 1989 مرتبط بشكل وثيق بالأحداث التي جرت في الاتحاد السوفييتي لكن كانت له أيضا جذوره الخاصة فمعدا يوغوسلافيا كان النظام الشيوعي مفروضا بالقوة على تلك الدول و لم تختره بنفسها و أظهرت السرعة المفاجئة لانهاره و كذا الطريقة السلسة نسبيا التي استقبل بها مواطنو هذه الدول هذا التغيير إن تلك العادات التي كانت سائدة من قبل لم تكن سوى مظاهر خارجية ليس لها جذور وان التهديد السوفييتي بالتدخل لفرض الالتزام بالنظام الشيوعي هو القوة المؤثرة التي أوجدت تلك المظاهر²⁸³. و على العموم يمكن إيعاز أسباب انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية إلى:

- **تراث الاحتجاجات في أوروبا الشرقية:** في أعقاب فرض ستالين الحكم السوفييتي و تثبيته بالسياسة الحازمة و القاسية أقر خروتشوف بعده مبدأ السبل المنفصلة إلى الاشتراكية لكنه ربط تطبيق هذا المبدأ بنطاقات محددة و صارمة و كان هذا يعني في الواقع العملي أن موسكو ستتصرف بحزم و من دون تنازلات في حال بدا أن النظام الاشتراكي وتماسك الكتلة السوفييتية ذاتها قد أصبحا في خطر مثلما حدث في المجر عام 1956 و تشيكوسلوفاكيا عام 1968 و قد كان فرض نظم ديكتاتورية صارمة تحت غطاء إصلاحات نابعة بوضوح من مصادر وطنية من خلال تنصيب قيادات من أبناء أوروبا الشرقية لفرض إرادة موسكو من دون التدخل المباشر فيها كما جرى في بولندا عام 1956 و 1970 إلا أن الابتعاد و بدرجات متفاوتة عن موسكو يمكن ملاحظته عند كل من ألبانيا التي انحازت إلى الصين في عدائها مع الاتحاد السوفييتي و رومانيا تشاوسيسكو التي احتفظت بنوع من الاستقلال السياسي و العسكري إذا و باختصار كانت الكتلة الشرقية أكثر تنوعا و أكثر هشاشة بطبيعة تركيبها مما توحى به كلمة **كتلة**²⁸⁴.

ولن يكون من الصعب الاعتراف بالدور الذي لعبته مختلف الحركات الاحتجاجية التي استرعت انتباه الغرب و كان لها تأثير معنوي في حكومات الكتلة السوفييتية خاصة و أن مختلف هذه المنظمات لم تكن تطالب بأكثر من أن تنفذ هذه الحكومات ما تعهدت به باحترام حقوق الإنسان بعد توقيعها اتفاقات هلسنكي في فترة الوفاق بين الشرق و الغرب.

بالإضافة إلى الأثر النموذجي الذي خلفته سياستا الانفتاح و إعادة البناء داخل الاتحاد السوفييتي من خلال مطالبة المنشقون في أوروبا الشرقية بإصلاحات مثل تلك التي يقوم بها غورباتشوف و في نفس

²⁸³جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص133.

الوقت فقدت هذه الحكومات أداة الردع التي كانت تلوح بها و هي التهديد بالتدخل السوفييتي بعدما تم التخلي عن مبدأ بريجنيف.

- **التخلي عن مبدأ بريجنيف:** لاشك في انه هناك العديد من الأسباب جعلت غورباتشوف يتخلى عن مبدأ بريجنيف القاضي بمنح سيادة محدودة لدول أوروبا الشرقية و جعلته يعتبر ما يجري هناك ليس من شأن موسكو و لعل من ابرز هذه الأسباب:²⁸⁵

• كان لزاما على غورباتشوف أن لا يساند أي كبح للتغيير في أوروبا الشرقية لان ذلك سيقاض كليا الإصلاحات التي يجريها في داخل الاتحاد السوفييتي خاصة و انه يدرك أن مصداقيته التي بدأت تتراجع بسبب تراجع الاقتصاد السوفييتي تتطلب أن يطرح سياسات تخص أوروبا الشرقية مماثلة لما يطرحه في الداخل السوفييتي.

• رغبة غورباتشوف في كثير من خطبه و كتاباته عن تصوره لقيام بيت أوروبي مشترك يضع حدا لانقسام أوروبا يكون فيه الاتحاد السوفييتي بعد الإصلاح في تعايش سلمي مع الغرب وفق سياسات معتدلة و تجارة موسعة و زيادة معتبرة في إبرام العقود و الاتفاقيات بين الطرفين على مختلف الأصعدة و في جميع الميادين.

• المبدأ السائد في الاتحاد السوفييتي في تلك الفترة كان مبدأ الحد من الإنفاق العام و تقليصه بدلا من التورط في مغامرات جديدة مكلفة و عقيمة بدليل الانسحاب من أفغانستان بعد التدخل فيها عام 1979.

• نمط التفكير الجديد في ميدان السياسة الخارجية بشكل عام و القاضي باستبعاد القيادة السوفييتية لأي نوع من أنواع السياسات العدوانية و التدخلية التي كانت منتهجة في عهد بريجنيف.

• عدم مقدرة غورباتشوف الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الغرب و عقد اتفاقات تجارية و عسكرية معه ما لم تكن سياساته مؤيدة لعدم قمع الحريات في أوروبا الشرقية.

- **تساقط الحكومات الشيوعية:** في ظل كل تلك الظروف تدهورت سلطة الحكومة في كل من بولندا و المجر خلال الأشهر الأولى من 1989 لتنتهار بذلك في كامل دول أوروبا الشرقية مع نهاية تلك السنة من خلال إزالة السياج الأمني بين النمسا و المجر و تعاظمي المجر عن عبور آلاف الألمان الشرقيين نحو ألمانيا الغربية و تم خرق جدار برلين لتسقط معه كل من ألمانيا الشرقية و تشيكوسلوفاكيا و بلغاريا ثم

285 زيبينغيو، بريجنسكي، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد و العشرين"، مرجع سبق ذكره، ص105.

تليها فيما بعد رومانيا أين اعدم تشاوسيسكو و زوجته لتتهار أخيرا ألبانيا أمام وتيرة الأحداث الساخنة و المتصاعدة. و قد أظهرت طريقة انهيار هذه الأنظمة صلابتها و هشاشتها في نفس الوقت و أصبح ظاهرا للعيان أن السر وراء استمرار تلك الأنظمة في المحافظة على هياكل سلطتها هو التهديد بالقوة السوفييتية²⁸⁶.

2 - العوامل الخارجية:

من اجل الدراسة الوافية لعوامل نهاية الحرب الباردة لا يجب أن نقصر الدراسة فقط على العوامل الداخلية بل كانت هناك عوامل أخرى خارجية و تتعلق أساسا بعلاقة الاتحاد السوفييتي بمحيطه الخارجي سواء كان ذلك في إطار علاقاته المباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية أو في إطار وضعه العام داخل النظام الرأسمالي العالمي²⁸⁷.

أ - دور السياسة الأمريكية في إنهاء الحرب الباردة

ما إن انتهت الحرب الباردة حتى بدأت النقاشات حول دور السياسة الخارجية الأمريكية في إنهاءها، خاصة مواقف الرئيس الأمريكي ريغان الحازمة تجاه الاتحاد السوفييتي، من خلال رفضه تقديم أي تنازلات على صعيد تطوير مشروعه المعروف بمبادرة الدفاع الاستراتيجي، التي كانت له نتائج حاسمة في إجبار الاتحاد السوفييتي على التوجه إلى مائدة المفاوضات. و بالتالي، إلى تحقيق انهيار الشيوعية ذاتها. حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أثبتت أنها على استعداد لان تتفوق على الاتحاد السوفييتي في مجال الإنفاق، و لاسيما على الأسلحة النووية. و بذلك، تجبر موسكو على مجاراة الغرب في ذلك، و بالتالي مواجهة الإفلاس، أو على الاتجاه نحو الواقعية، و التفاوض على إجراء تخفيضات في أسلحتها النووية²⁸⁸.

و قد اختار غورباتشوف السبيل الثاني، بدليل توقيعه معاهدة القوى النووية المتوسطة عام 1987، و تخفيضه من جانب واحد حجم القوات التقليدية عام 1988²⁸⁹.

ب - علاقة النظام الشيوعي بالنظام الرأسمالي العالمي:

²⁸⁶جون، بيليس و ستيف، سميث، مرجع سبق ذكره، ص134.

²⁸⁷المرجع نفسه

²⁸⁸المرجع نفسه، ص 135

²⁸⁹زبينغيو، بريجنسكي، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، ترجمه: عمر الايوبي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004. ص55

بالإضافة للقرارات و السياسيات المنتهجة من قبل الدولتين العظمتين هناك بعض العوامل التي أفرزتها الظروف الكامنة وراء العلاقة العامة بين الشرق و الغرب، و التي كان لها أثرها في إنهاء الحرب الباردة. و أهم هذه العوامل، يكمن في عزلة الاتحاد السوفيتي و الكتلة الشيوعية عن التيار التحديثي للرأسمالية. فقد كانت العقيدة الشيوعية تعتقد أن نجاح الثورة البلشفية لا يمكن ضمانه إلا بنشر الثورة في أنحاء العالم، و كان ما تلا ذلك من انتشار للشيوعية في أوروبا الشرقية و الصين و كوبا و كوريا الشمالية، نقطة انطلاق للثورة العالمية من الناحية النظرية. لكنه في واقع الأمر، تزامن مع توسع نطاق الرأسمالية العالمية في آن واحد. الشيء الذي أضفى على هاتين العمليتين صفة عالمية الحرب الباردة خلال خمسينيات القرن العشرين، و ما تلاها. و كان أهم مظهر من مظاهر هذه التطورات، هو الانفصال المستمر بين الكتلتين الشيوعية و الرأسمالية، حيث كان احد أهم رموز هذا الانفصال، رفض الاتحاد السوفيتي المشاركة في خطة مارشال، و الإصرار على تحقيق التنمية بصورة منفردة عن الغرب. لكن مع بداية الستينات من القرن الماضي، شهدت معدلات نمو الاقتصاد السوفيتي تباطؤًا ملحوظًا، لتهدب في السبعينيات و الثمانينيات هبوطًا حادًا، مما جعل الكتلة السوفيتية تعاني من تزايد تدني وضعها النسبي مقارنة بالغرب. فالسياسة الانعزالية و التنمية الاقتصادية بمعزل عن التجارة العالمية التي اتبعتها الاتحاد السوفيتي، و كانت سببا في رفع معدلات النمو و التماسك الإيديولوجي داخل كتلتها، في أوائل فترة ما بعد الحرب، أصبحت فيما بعد عبئا على دول الكتلة، و أصبح من المستحيل في نهاية الأمر الإبقاء عليهما²⁹⁰.

فالاتحاد السوفيتي كان وجوده محدد و محدود بالحرب الباردة ، ضمن اطر الإيديولوجية و التاريخ، إلى حد العزلة الموهنة، و عاجزا عن مواجهة التحدي الذي طرحته عولمة الاقتصاد السياسي الرأسمالي، مما أدى به إلى أزمة خطيرة على صعيد الشرعية السياسية²⁹¹.

المطلب الثاني: إفراغات نهاية الحرب الباردة على الساحة الدولية

يقصد بهيكل النظام الدولي " توزيع القدرات فيه و ترتيب الوحدات المكونة له بالنسبة لبعضها البعض"²⁹². حيث أن أي تغيير في إحدى الوحدات المكونة للنظام الدولي يتأسس عليه تغيير في الهيكل

290معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد II سبتمبر"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة باتنة ، 2008، ص88.

291المرجع نفسه.

292زبينغيو، بريجنسكي، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. ص55

العام له فضلا على أن تغيير نمط القوة بين الأعضاء يغير نمط العضوية و نمط المشاركة في صناعة القرار الدولي و اقتسام سلطاته و اختصاصاته بين الأعضاء و التنظيمات و الآليات المنوط بها مسؤولية ذلك فنهاية الحرب الباردة شكلت نقطة فاصلة في العلاقات الدوائية في سياق التحولات الجذرية التي مست النسق الدولي،سواء من الناحية الهيكلية أو من الناحية القيمة من خلال التحولات الجذرية التي كان أبرزها:

1 جروز الأحادية القطبية :

كان لسقوط القوة العظمى المتمثلة في الاتحاد السوفييتي المنافس الوحيد للولايات المتحدة الأمريكية إبان الحرب الباردة دور كبير في تفردا للسيطرة على النظام الدولي بما تتميز به من تقدم في عدة مجالات على المستوى المالي و الاقتصادي و التكنولوجي و في ذات السياق يرى غسان سلامة أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب الباردة هي أننا في تفوقها العلمي و السياسي و التنظيمي و هي اسبرطة في تفوقها العسكري الأمر الذي وضعها ليس في وضع التفوق و إنما في وضع الهيمنة الكاملة على المستوى العالمي²⁹³.

فالنسق الدولي لما بعد الحرب الباردة يعكس بصورة جلية الهيمنة الأمريكية على المسرح الدولي حيث لعبت القوة فيه بمختلف أبعادها العنصر المحرك لكل التفاعلات الدولية و هذا ما يؤكد شارلز كروثامر C. Krauthammer الذي يرى:" أن عالم ما بعد الحرب الباردة ليس عالما متعدد الأقطاب بل هو عالم القطب الواحد فان مركز القوة العالمية هي القوة العظمى التي لا تواجه أي تحدي و هي الولايات المتحدة الأمريكية التي يؤيدها الحلفاء الغربيون وان دور القوى الغربية بما فيها القوى الاقتصادية لا يتعدى قيامها بتنفيذ التوجهات الأمريكية"²⁹⁴.

فكروثامر يرى أن القوة الاقتصادية التي يعتبر صعود بعض القوى الاقتصادية بعد الحرب الباردة كأحد صورها ليست كافية لتتولى هذه الدول الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في المنظومة الدولية وخير دليل حسبه هو تهرب كل من اليابان و ألمانيا من القيام بأي دور عسكري في حرب الخليج الثانية.

2 العولمة:

²⁹³زبينغيو، بريجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. ص56.

²⁹⁴ المرجع نفسه.

لا تعتبر العولمة نتيجة مباشرة لنهاية الحرب الباردة بل إن هذه الأخيرة شكلت منعرجا في إعادة بناء ظاهرة العولمة و امتد ذلك لكل مجالات المنظومة الدولية حيث أضحت للعولمة جوانبها المتعددة منها السياسي و المتجلي في تراجع دور الدولة القومية و سيادة فكرة الديمقراطية و المطالبة بحقوق الإنسان ومنها الاقتصادي المتمثل في الأسواق الحرة و الشركات المتعددة الجنسيات و المتخطية الحدود و منها الاجتماعي و الثقافي المتمثل في الاتجاه نحو التجانس الثقافي و انفتاح الأنظمة الاجتماعية و بخاصة نظام الأسرة و الجوانب التكنولوجية أو التقنية المتمثلة في الرقمنة خاصة الصناعية و الحربية و الكمبيوتر ووسائل الاتصال باستخدام تقنيات الأقمار الصناعية²⁹⁵.

فالعولمة تشير إلى مرحلة من مراحل التطور التاريخي للمجتمع الدولي و التي كانت نتاج مجموعة من العوامل سمحت ببروز العديد من المؤشرات و التي تمثل ظواهر برزت بشكل أوضح بعد دخول العالم مرحلة التصنيع المتقدم و خاصة المجال التقني. فالتطور الذي شهده نهاية القرن العشرين في مختلف المجالات من اتصالات و مواصلات و بحث علمي و تطوير لأساليب استخدام الطاقة الأمر الذي ترتب عنه التغيير في المبادئ الاقتصادية و السياسية و التركيبات الاجتماعية لبنى مختلف المجتمعات كل هذا يمثل مرحلة العولمة.

و لقد تعددت محاولات المفكرين في تحديد تعريف واضح للعولمة بحسب زاوية التحليل المستند إليها لتحديد مفهومها لكن على العموم يمكن حصرها في ثلاث مداخل أساسية حسب الأستاذ امحمد برفوق الذي يشير إلى:

المدخل الأول للعولمة كمجموعة مسارات متشابكة اقتصاديا ماليا تكنولوجيا ثقافيا سياسيا اجتماعيا و قيميا تشمل كل العالم و تحركه فواعل فوق وطنية مثل هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها البورصات العالمية الشركات المتعددة الجنسيات و المجتمع المدني العالمي محاصرة بذلك دور الدولة و مقيدة له. بينما المدخل الثاني للعولمة ينحصر في محاولات مترابطة تهدف لتنميط القيم المحددة للسلوكيات الفردية بصفة تعكس توجهات عالمية نحو التجانس و التماثل من حيث القواعد القيم السلوكيات و الأدواق و تجعل العالم مجالا

295معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر"، مرجع سبق ذكره ص89.

مفتوحا للاستهلاك المادي و القيمي. فيما يتمثل المدخل الثالث في اعتبار العولمة كحراك إنساني يتماشى و طبيعة الوضع الدولي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية ماديا و الغرب حضاريا²⁹⁶.

فالعولمة من خلال ما سبق ليست فقط ظاهرة كونية و لكنها حركية مستمرة تعكس طبيعة التفاعلات القائمة في النظام الدولي و التي بدورها تعكس هيمنة العولمة على كل جوانب العلاقات الدوائية حيث انه و بحسب بعض الباحثين تمثل العولمة السياسية أكثر أبعاد العولمة لأنها لا تقوم فقط بإعادة النظر في المنطلقات الأساسية للدولة بجعلها أكثر ارتباطا بمحورية الإنسان و حقوقه و لكن أيضا بتميمت مجموعة قواعد التفاعل السياسي الداخلي و الوطني مع فرض تصورات منمنجة لأساليب الحكم.

فالعولمة السياسية تهدف إلى خلق نموذج حكم عالمي يكون في نهاية الأمر صالحا لجميع الدول (نمذجة نظام الحكم) من خلال تبني الديمقراطية كنظام حكم باعتباره نظاما مرنا قادرا على التكيف مع متطلبات العولمة مما يفضي إلى بناء تصورات موحدة حول العديد من القضايا على غرار حقوق الإنسان بغض النظر عن الديانة أو الثقافة²⁹⁷.

بناء على هذا المنطق فان العولمة السياسية لا تعترف بسيادة الدول و لا الحدود و لا حتى بخصوصية الدول و من ثم شؤونها الداخلية بمعنى أدق فان البيئة الداخلية للدول تكون مسرحا مفتوحا لجميع التفاعلات الواردة من النسق الدولي و خاصة في ظل تزايد أهمية دور الشركات المتعددة الجنسيات في تسيير العلاقات الدولية و تحديدا إذا تعارضت مصالحها مع المواقف السياسية لدولها و يتجلى ذلك في تعارض المواقف السياسية و الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية من إيران و كوريا الشمالية و ليبيا وفق مصالح شركاتها في أسواق تلك البلدان²⁹⁸.

3 - التكتلات الاقتصادية :

كان لنهاية الحرب الباردة تأثيرات عديدة على جميع وحدات النظام الدولي مست حتى الجوانب الاقتصادية أو بالأحرى النظام الاقتصادي العالمي من خلال إعادة هيكلته متأثرا بتحويلات البيئة الدولية العميقة على ضوء الحركية الاقتصادية التي أدت إلى زيادة وتيرة العولمة مما استدعى بروز ما يسمى

²⁹⁶زبينغيو، بريجنسكي، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. ص57

²⁹⁷معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر"، مرجع سبق ذكره ص90.

²⁹⁸زبينغيو، بريجنسكي، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. ص58

بظاهرة الاعتماد المتبادل بالموازاة مع بداية إقامة التكتلات الاقتصادية الكبيرة و ذلك للحد من كل تلك التأثيرات²⁹⁹.

ويشير العديد من الباحثين على غرار وليد عبد الحي إلى أن الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة أعطت لمفهوم القوة أبعاداً أخرى شغل العامل الاقتصادي معظم جوانبه على اعتبار أن "فشل النظم الماركسية واقعياً و فشل الأطروحات الكينزية هما مؤشران على أن الدول أصبحت لا تمثل إلا ميكانيزماً واحداً من ميكانيزمات النظام الدولي بعد أن كانت الميكانيزم الوحيد إضافة إلى أن الاتجاه العام يدل على تجاوزها تدريجياً باتجاه مركزية عالمية تمر بأولى مراحلها و هي التكتل الاقتصادي الإقليمي"³⁰⁰.

فنهاية الحرب الباردة قللت من دور العامل العسكري لصالح القوة الاقتصادية فضلاً عن الاهتمام المتزايد بالأمن الاقتصادي بدل الأمن العسكري بصورة نسبية و خاصة في ظل تزايد حركية العولمة كما أسلفنا فأضحى الاتجاه العام للعلاقات الدولية منصبا نحو التركيز على إقامة التكتلات الاقتصادية مما اثر على أنماط التفاعلات الدولية في هذه الفترة حيث أن هذه التكتلات الاقتصادية تعكس درجة عالية من كثافة الاعتماد المتبادل و تقسيم العمل الإقليمي في مجالات الاستثمار و التجارة و أنواع التبادل الأخرى³⁰¹. و بهذا المعنى يمكن النظر للتكتلات على أنها عولمة جزئية في إطار العولمة الشاملة و في نفس الوقت.

بعبارة أخرى يمكن اعتباره جدار لمواجهة نمط العولمة السائد أو رد فعل من ردود الأفعال المقاومة ضد العولمة أو كوسيلة تتبعها مختلف الدول بهدف التكيف مع مشكلات التكامل الكوني الذي تدفع إليه العولمة دفعا.

ويمكن أن يتخذ التكامل صوراً عدة تتدرج من إقامة منطقة للتجارة الحرة تلغى فيها التعريفات و القيود الكمية بين البلدان المشتركة مع احتفاظ كل منها بتعريفاتها تجاه الدول الأخرى كحال الولايات المتحدة الأمريكية مع المكسيك و كندا. إلى الاتحاد الجمركي حيث توحد التعريفات الجمركية بين الدول الأعضاء تجاه العالم الخارجي. مروراً بالسوق المشتركة حيث تلغى القيود على حركات عوامل الإنتاج مثلما هو الحال بين

299معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر"، مرجع سبق ذكره ص89.

300زبينغيو، بريجنسكي، "الاختبار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. 59

301 المرجع نفسه.

اليابان و النمر الاسياوية و انتهاء بالتكامل الاقتصادي التام أو الوحدة الاقتصادية حيث تتوحد فيها السياسات النقدية و المالية و الاجتماعية كما هو الحال بالنسبة للاتحاد الأوروبي³⁰².

4 - تأكيد انقسام العالم إلى شمال و جنوب:

تضم دول الجنوب الدول النامية في إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية بينما تضم دول الشمال أوروبا الغربية و الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان و لقد انتظمت دول الجنوب في أول مؤتمر لها في سنة 1964 فيما عرف بمجموعة 77³⁰³, التي حاولت وضع إطار اقتصادي للتعامل مع دول الشمال حيث دار الصراع حول أسلوب التعامل مع الفجوة الاقتصادية بينهما ففي حين ركزت دول الشمال على فتح أسواق الجنوب أمام التجارة و الاستثمار الأجنبي من خلال الشركات المتعددة الجنسيات و على إتباع الأسلوب الرأسمالي في التنمية ركزت دول الجنوب على التنمية المخططة مركزيا و توظيف أموال الدولة لتحقيق تلك التنمية و حماية أسواقها من خلال الحصول على شروط أفضل للتجارة مع دول الشمال و الحصول على معونات مالية في شكل منح و قروض ميسرة إلا انه عقب انهيار الاتحاد السوفييتي نجحت دول الشمال في دفع دول الجنوب إلى قبول مفهوم دول الشمال للنظام الاقتصادي العالمي و الذي توج بتوقيع اتفاقية الغات سنة 1994 التي بموجبها تم إنشاء المنظمة العالمية للتجارة³⁰⁴.

5 بروز قضايا جديدة على مستوى النظام الدولي:

تراجعت العديد من القضايا بعد نهاية الحرب الباردة مثل صراع الشرق و الغرب و سباق التسلح النووي و الحرب الباردة و اتجه العالم إلى تقليص ترسانته النووية بدلا من زيادتها و هذا ما تجسد في تجديد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عام 1995³⁰⁵.

لقد برزت في النظام الدولي قضايا عالمية جديدة و التي تهم جميع الدول و من أهمها قضية حقوق الإنسان و المحافظة على البيئة حيث أصبحت هذه القضايا تستحوذ على اهتمام عالمي غير مسبوق فمؤتمر فيينا عام 1993 لحقوق الإنسان بما تمثله من حريات سياسية و مدنية و الحق في التمثيل و التعبير

302معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر"، مرجع سبق ذكره ص90.

303زبينغيو، بريجنسكي، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. ص60

304 المرجع نفسه.

305معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر"، مرجع سبق ذكره ص91.

عن الآراء و الأفكار و المعتقدات و المشاركة في الانتخاب و التصويت شكل نقطة هامه في تزايد اهتمام العالم بهذه القضية³⁰⁶.

كما أكدت قمة ريو دي جانيرو عام 1992 المعروفة بـ **قمة الأرض** الاهتمام العالمي بقضية التدهور البيئي كما تزايد الاهتمام الدولي أيضا بقضايا التنمية و الطفولة و المرأة و الإرهاب و المخدرات و الفقر³⁰⁷.

6 - ظهور دول جديدة:

لقد أدى تفكك الاتحاد السوفييتي إلى ظهور دول جديدة على المسرح الدولي في أوروبا الشرقية و غرب و وسط آسيا و التي تحتاج إلى إعادة هيكلة سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي وهي:

- جمهوريات السلاف: روسيا البيضاء, روسيا, أوكرانيا.
- جمهوريات البلطيق: إستونيا, لاتفيا, ليتوانيا.
- جمهوريات الأتراك: كازاخستان, قيرغيزستان, تركمانستان, أوزبكستان.
- جمهوريات القوقاز: أرمينيا, أذربيجان, جورجيا.
- جمهوريات أخرى: رومانية, طاجيكستان.³⁰⁸

المبحث الثالث: بروز منطقة جنوب القوقاز بعد الحرب الباردة:

في خضم كل التطورات التي شهدها العالم بانتهاء الحرب الباردة، ظهرت إلى الوجود على الساحة العالمية منطقة جديدة جذبت انتباه العالم إليها لما تمتلكه من مميزات مكنتها من احتلال أهمية إستراتيجية كبرى ألا وهي منطقة جنوب القوقاز. فما هي هذه المنطقة.

المطلب الأول : التعريف بدول منطقة جنوب القوقاز:

306 زيبينغيو، بريجنسكي، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، مرجع سبق ذكره. ص 60

307 المرجع نفسه.

308 المرجع نفسه.

ظهرت إلى الوجود بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ثلاث دول فتيّة في جنوب القوقاز هي أذربيجان، أرمينيا و جورجيا . (ملحق 1) التي أثارَت اهتمام العالم بها، نظرا لموقعها الجيو-سياسي و الجيو-إستراتيجي المهم . ولهذا، سنحاول في هذا التعريف بهذه المنطقة، استعراض التطور التاريخي و الحضاري لجنوب القوقاز، و تأثيره في تكوين شخصية الدول الثلاث لما بعد الحرب الباردة

1 - جمهورية أذربيجان الإسلامية

جمهورية أذربيجان هي دولة في جنوب القوقاز، مشاطئة لبحر قزوين غربا، وتتقاسم حدودها مع كل من روسيا في الشمال، جورجيا و أرمينيا في الغرب، إيران و تركيا في الجنوب. تعتبر في بعض الأحيان جزءا من أوروبا، نظرا لكونها عضوا في المجلس الأوربي، منذ 2001. لكن، ونظرا لميزاتها الجغرافية و الثقافية، فإن الأمم المتحدة تصنفها كجزء من جنوب غرب آسيا. (ملحق 2)

لقد كان يطلق على المنطقة في القديم اسم آران (ARAN). لكن الروس، وتمهيدا لمطالبهم المستقبلية في الشمال الإيراني، قاموا بدمج الأقاليم الفارسية الثلاث : آران (ARAN) ، شيروان (CHERVAN) و تاليش - إقوستاسبي (TALISH-IGUSHTASBI). وأطلقوا على الإقليم الجديد اسم أذربيجان، خاصة ذلك المتموقع جنوب نهر آراس. وقد اشتقت كلمة أذربيجان من كلمة أتروبات، التي تعني في اللغة الفارسية حامي النار. كما يرى البعض، أن الكلمة هي جمع لثلاث كلمات فارسية، تم تتركبها، ثم تعريبها، وهي: النار (AZAR)، القاعدة (PAYAG) والمكان (AN). ليصبح بذلك، معنى كلمة أذربيجان: أرض الحرائق الأبدية أو أرض النار.³⁰⁹

تعتبر أذربيجان موطننا لتقاطع الثقافات و الحضارات، منذ العصور القديمة. فتراثها من بين الأقدم و الأغنى في العالم، وهي الموطن الأصلي للأذربيجانيين ذوو الأصول التركية، الذين سكنوا أذربيجان التاريخية، الممتدة من دارينت (جنوب روسيا حاليا) إلى همذان (غرب إيران حاليا).

أ - أذربيجان التاريخية:

يمكن إرجاع تاريخ أذربيجان إلى مليون و خمس مئة سنة، حيث وجدت بقايا حضارة ما قبل الآشل (PRE-ASHEL)، في الطبقات الأكثر عمقا لكهف أزيخ (AZYKH)، في منطقة فيزيولي (FIZULI)، بأذربيجان. وهي حضارة شبيهة بحضارة والون (WALLON)، في جنوب شرق فرنسا.

و حسب الاكتشافات و الاستكشافات الحديثة، فإن الإنسان قد سكن هذه المنطقة، وخاصة تاجلار (TAGLAR)، دامجيلي (DAMJILY)، ياتاجري (YATAGERY)، منذ العصر الحجري القديم (33000 إلى 13000 ق.م.)، مروراً بالعصر الحجري الوسيط (6000-13000 ق.م.)، و وصولاً إلى للعصر الحجري الحديث (6000 إلى 4000 ق.م.)³¹⁰.

يعتبر العلماء أن كلا من: مدينة (MEDIA) في الجنوب، و ألبانيا (ALBANIA) القوقازية في الشمال- يطلق عليها أيضا اسما ماتا وأجفان- هما أصل أذربيجان الحديثة. حيث نشأتا في القرن الثالث ميلادي، على يد قبائل وسط آسيا، خاصة الساسانيين (SCYTHIAN)، الذين نزحوا إلى المنطقة في القرن السابع قبل الميلاد. و يعتقد العلماء أيضا، أن حضارة مدينة قد تأثرت كثيرا بحضارة أورارتو (URARTU) و ماناي (MANNAI)، التي سكنت المنطقة من قبل. حيث سادت الديانة الزرادشتية منذ 550 ق.م. إلى القرن السادس ميلادي، بالإضافة إلى بعض الطقوس المسيحية، الشامانية و البوذية³¹¹.

قبيل العهد الإسلامي، تعرضت أذربيجان للغزو و الإحتلال من قبل الإمبراطوريات: الفارسية، المقدونية و الرومانية. فغزا الملك الفارسي سيريس CYRUS المنطقة، في القرن السادس قبل الميلاد. ثم الملك الإسكندر الأكبر، لقرنين من بعد. ثم من طرف الفيالق الرومانية، تحت قيادة القائد الروماني بومباي Pompey، ثلاث قرون من بعد. أين لم تتجو سوى باكو. كما تميزت هذه الفترة بالحضور القوي للمجموعات التركية المختلفة، التي تقاطعت هجراتها في المنطقة، كالمغول، الكزخ، البلغار، البارسيل، سابر، قوك ترك، كوتوغور، كبشاك... و التي ساهمت في إنشاء دولة أذربيجان ما قبل الإسلام³¹².

ب - أذربيجان الإسلامية

لقد عانت أذربيجان، لعشرات الألوف من أنواع الغزو و الهجرات و التأثيرات الثقافية و السياسية، خلال فترة ما قبل الإسلام، إلى غاية فتح المنطقة تحت خلافة عمر بن الخطاب ما بين (639-643م)،

310 « The History Of Azerbaidjan », https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Azerbaijan, july2010.

³¹¹ « The History Of Azerbaidjan ». Op. Cit.

³¹² Ibid.

ليبدأ بذلك عهد جديد. فما إن استقر العرب المسلمون في أذربيجان حتى دخل معظم السكان الأذربيجانيون في إسلام³¹³.

بعد تدهور الخلافة الإسلامية، و بداية الهجرات الجماعية من آسيا الوسطى للهوز الأتراك، الذين خلقوا أغلبية في أذربيجان ما بين القرنين العاشر والحادي عشر ميلادي. تأسست الدولة السلجوقية. و بدأت تتوسع في المنطقة، لتنتعش معها القومية الأذربيجانية التركية من جديد، و يصبح الأتابكة هم الصفوة الحاكمة من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر ميلادي. حيث شهدت أذربيجان تحت حكمهم ازدهارا ثقافيا واسعا، و اعتبر عصرا للنهضة، مع تطور العلوم مثل: الرياضيات، الطب، الكيمياء، الفلسفة، الطبيعيات، المنطق، القانون، الفلك... كما تطورت الأساليب و الاتجاهات الحديثة، في فن العمارة و الزخرفة إلى غاية 1225م. حين احتل أذربيجان شاه خوارزم جلال الدين، و أطاح بدولة الأتابكة هناك³¹⁴.

حكم جلال الدين لم يدم طويلا، فسرعان ما غزا المغول المنطقة و تموضعوا في تبريز، ليحتلوا بذلك أغلب أذربيجان في 1231م. و من ثمة سيطروا على المعبر الشمالي لداريننت، مما شكل ضربة كبيرة للاقتصاد و المقاومة الأذربيجانيين. فاضطرت هذه الأخيرة للتحالف مع الفرس في مقاومة طويلة و عنيفة، وضعت أخيرا حدا للسيطرة المغولية³¹⁵. إلا أن ما يميز الحكم المغولي هو الهجرة الواسعة للعديد من الأتراك في وسط آسيا، أغلبهم من قبائل كبشاك، المتضمنة للمجموعات التركية الكازاخية و التتارية.

في القرون التالية، أدى استقرار الأسر الإيرانية الخمس : آفشار (AFSHAR)، كارا-كيونلي (QARA-QOYONLU)، أك-كيونلي (AQ-QOYONLU)، الصفويون (SAFAVI) و كاجار (QAJAR)، و كذا تواجد شاه شيروان في الجزء الشمالي من أذربيجان. إلى تطوير أكثر للثقافة القومية³¹⁶. فأنشأ الصفويون (سكان أردبيل) نظامهم في تبريز عام 1501م، و أسسوا قوتهم على المذهب الشيعي. كما قاموا بعزل السكان الأذربيجانيين عن الأتراك السنة (العثمانيين و الأوزبك)، و من هنا بدأت سلسلة من الحروب بين الأتراك العثمانيين و الدولة الصفوية في إيران. أدت إلى إجبار الشاه عباس على نقل

313 رفيق، عليوف، "الإسلام والثقافة الأذربيجانية: الخصائص الرئيسية للتطور الثقافي في أذربيجان قديما و حديثا"، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، 1996، صص 10-25.

314 المرجع نفسه، صص 25-30.

315 المرجع نفسه، صص 30-32.

عاصمته، من تبريز إلى أصفهان، كما قام بتقسيم أذربيجان إلى أربع مناطق إدارية : تبريز ، ناخيتشيفان ، شيروان ، كاراباخ³¹⁷.

ج - تقسيم أذربيجان

بعد سقوط الدولة الصفوية في 1737م، تم تقسيم أذربيجان إلى عدة إمارات، عرفت بالخانيات، تابعة للإمبراطورية العثمانية، في نظام فدرالي. لكن، و بسبب موضعها الجيو-ستراتيجي كقطاع طرق تجارية تصل ما بين آسيا و أوروبا و الشرق الأدنى، و مشاطئها لبحر قزوين، فإنها كانت عرضة لصراع ثلاثي ما بين روسيا و إيران و العثمانيين لقرون عديدة، ميزه التوسع الكبير لروسيا الامبريالية في المنطقة، خاصة بعد انتصارها في حربين مع إيران (1804م- 1828م). ليمتد بذلك نفوذها إلى نهر آراس، بعد توقيع معاهدة تركمنشاي التي رسمت الحدود الجديدة، و ألغت النظام الفدرالي للخانيات الأذربيجانية المحلية³¹⁸.

بداية الاستغلال الحديث لحقول النفط عام 1870م، أدى إلى فترة رخاء و نمو غير مسبوقين في أذربيجان ما قبل الحرب العالمية الأولى. و هكذا، ما إن انهارت الإمبراطورية الروسية عام 1917م، و انسحاب قواتها من جنوب القوقاز أثناء الثورة البلشفية، حتى تم إعلان قيام الجمهورية الأذربيجانية المستقلة عام 1918، بعد محاولة فاشلة لإنشاء جمهورية جنوب القوقاز مع أرمينيا و جورجيا. وتلقت الجمهورية الجديدة الاعتراف من دول الحلفاء في جانفي 1920م. لكن هذا الاستقلال لم يدم طويلا ، فسرعان ما تم اجتياحها من طرف الجيش الأحمر في أبريل 1920م، منهيًا بذلك استقلالها. و تم إدماجها في الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الفدرالية لجنوب القوقاز في 1922م، لتتحول مع بداية 1936م إلى الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الأذربيجانية³¹⁹.

د - قيام جمهورية أذربيجان المستقلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

317 رفيق، عليوف، مرجع سبق ذكره، ص ص 32- 40.

318 Jean, SEITLINGER. « Rapport : Conflits En Transcaucasie », Doc 7793, France : Groupe Du Parti Populaire Européen, 10 Avril 1997, P.05.

319 Ibid, P. 06.

في إطار سلسلة الإستقلالات التي أعلنت من طرف الجمهوريات السوفيتية السابقة، أعلنت أذربيجان في 30 أوت 1991م إستقلالها عن الاتحاد السوفياتي، و أعلن أياز متالييوف كأول رئيس للجمهورية الأذربيجانية. لكن بعد مجزرة الأذربيجانيين في الخولجي بناجورنو-كاراباخ في مارس 1992م، أعلن متالييوف إستقالته، مما أدخل البلاد لفترة في وضع اختلال سياسي، لكن بعضا من مساعديه المحافظين أعادوه للسلطة في ماي 1992م. لكن مجهوداته لإيقاف الانتخابات الرئاسية المقررة، و حضره لكل الأنشطة السياسية. أثار الجبهة الشعبية المعارضة، التي قامت بتنظيم مقاومة لتولي السلطة، و استطاعت فعلا أن توصل قائدها أوبلفيز إلتيبسي إلى سدة الحكم، كثنائي رئيس دولة لأذربيجان³²⁰.

حكومة الجبهة الشعبية أثبتت فشلها الذريع سواء في إيقاف أو حل نزاع ناجورنو-كاراباخ، أو على الصعيد الاقتصادي أين ظهر الفساد و الرشوة داخل أعضاء الحزب. مما ولد سخطا شعبيا متنامي بلغ أقصاه في جوان 1993م، في ثورة مسلحة بدأت في الماريجوانا لتدخل العاصمة، وتولي حيدر أليف رئاسة الجمهورية، بعد انتخابات رئاسية في أكتوبر 1993م³²¹. هذا الأخير قام بتشكيل نظام رئاسي قوي أعاد انتخابه لعهدا ثانية في 1998م، لكن و في 2002م تم تعديل الدستور بما يسمح لابن حيدر أليف بالترشح للرئاسة. وفعلا تم انتخابه في أكتوبر 2003م، كرئيس للجمهورية خلفا لأبيه، الذي توفي في 12 ديسمبر 2003م.

اقتصاديا، تعتبر أذربيجان أقل تقدما من أرمينيا و جورجيا في المجال الصناعي، حيث تعتمد منتجاتها الاقتصادية على القطن و النفط و الغاز الطبيعي. أين تتقاسم نفس المشاكل العويصة مع الجمهوريات السوفيتية السابقة في الانتقال إلى اقتصاد السوق، لكن موارد الطاقة الكبيرة التي تحتويها تضيء آمالها الطويلة الأمد، خاصة مع إحرازها بعض التقدم في الإصلاح الاقتصادي، و بناءها لروابط اقتصادية جديدة. لكن يبقى النزاع في ناجورنو-كاراباخ أحد أهم العقبات التي تواجهها في جلب الاستثمارات الأجنبية، مما جعل علاقاتها التجارية مع روسيا و الجمهوريات المستقلة تبدأ في الانحصار. لصالح علاقات أكثر ارتباطا مع إيران، تركيا، دول الخليج، الاتحاد الأوروبي، و بصفة أكثر تركيز مع الولايات المتحدة الأمريكية. و لهذا، فإن أذربيجان تعتمد بشكل كبير على أسعار النفط العالمية. وكذا، على مكانتها الإستراتيجية في مد خطوط أنابيب لنقل نفط قزوين للأسواق العالمية.

2 - جمهورية أرمينية المسيحية

320- Ibid, P. 05.

321 Ibid, P. 06.

أرمينيا هي إحدى دول جنوب القوقاز الثلاث، تحدها جورجيا شمالا، إيران جنوبا، تركيا غربا و أذربيجان شرقا(ملحق 3). و يرجع الأرمن أصولهم إلى الكلمة الفارسية HAYASTAN ، المتكونة من هايك (HAIK) و الأرض (STAN)، ليصبح المعنى أرض هايك. هذا الأخير حسب التراث الأرميني القديم، هو أحد أعظم أحفاد النبي نوح-عليه السلام-، فهو هايك ابن توجرماس ابن جومر ابن يافث ابن نوح-عليه السلام-. وحسب التراث المسيحي، فهو الجد الأول لكل الأرمن، حيث استقر في سفح جبل أرارات (ARARAT). ثم سافر ليساهم في بناء برج بابل ولدى عودته التقى بالملك الآشوري نمرود (NIMROD)، و هزمه في معركة بالقرب من بحيرة فان (VAN)، (تركيا حاليا)³²².

وكلمة أرمينيا هي في الأصل اسم أطلقه الفرس على المنطقة، نسبة إلى آرام (ARAM)، أو أرمناك (ARMENAK) (أكبر أحفاد هايك و الجد الثاني للأرمن). و تنتظر إليه المخطوطات ما قبل المسيحية على أنه صاحب أرض النايري، أو أرض الأنهار (كل المناطق الجبلية في المنطقة). و قد استخدم هذا الاسم لأول مرة من طرف المؤرخين اليونانيين حوالي السنة الألف قبل الميلاد³²³.

أ - أرمينيا التاريخية

يعرف العلماء حضارة ما يعرف اليوم بأرمينيا بحضارة شولافري-شومو (SHULAVRI-SHOMO)، التي تربعت على وسط جنوب القوقاز الحالي، حوالي (6000-4000 ق.م.). بالإضافة إلى حضارة مبكرة أيضا، هي حضارة مابين نهري كيرا-أراكساس (KURA-ARAXAS)، حوالي (4000 - 2200 ق.م.) و التي تطورت فيما بعد إلى حضارة ترايليتي (TRAILETI)، في (2200-1500 ق.م.)³²⁴.

ويعود أول ظهور لأرمينيا في التاريخ إلى 800 ق.م كجزء من مملكة أورارتو (URARTU)، (أو مملكة فان نسبة لبحيرة فان)، التي ازدهرت في القوقاز و شرقي آسيا الصغرى، حتى 600 ق.م. و بعد

322 محمد، رفعت الإمام، " مشكلات الأمن في القوقاز: تداخلات الأعراق والنظ والسياسة". مجلة السياسة الدولية، مجلد 37، عدد 149، جويلية 2002، ص ص162-

323 Yves, LACOSTE, Op. Cit., P.P. 388-394.

324 « The World Economic Factbook (1994/5) ». Op. Cit., P.P. 66-67.

انهيار إمبراطورية سولوسيد (SELEUCID) (إحدى أهم الدول التي ورثت إمبراطورية الاسكندر الأعظم)، تم إنشاء الدولة الأرمينية الأولى في 190 ق.م، التي كانت في أوج عظمتها ما بين (95 و 65 ق.م)، ببسط نفوذها على أجزاء من القوقاز و المنطقة الشمالية لما يعرف اليوم بتركيا، سوريا و لبنان. و كانت إحدى أقوى الدول في الشرق الروماني آنذاك، و أصبحت جزءا من الإمبراطورية الرومانية في 66 ق.م ، أين تبني الشعب الأرميني توجهها دينيا و سياسيا و فلسفيا غربيا³²⁵.

كانت أرمينيا بؤرة للتنافس بين الروم و الفرس إلى أن تمكن الفرس من إخضاعها ما بين سنة 37 و 47 م، ليعيد الروم السيطرة عليها مجددا. و في 252م يسترجعها الفرس الساسانيين، و يحتفظون بها إلى غاية العودة الرومانية من جديد، في عام 287م³²⁶. و في 384 تم تقسيم المملكة بين روما و الفرس، لتصبح أرمينيا الغربية إقليما في الإمبراطورية الرومانية الشرقية. بينما احتفظت أرمينيا الشرقية بملكها تحت النفوذ الفارسي إلى غاية 428 م، عندما أطاح النبلاء المحليون بالملك فعين الفرس حاكما فارسيا جديدا عليها.

ب - أرمينيا المسيحية

تحولت أرمينيا للمسيحية في 301 م، لتصبح بذلك أول دولة تتبنى المسيحية "دينا للدولة"، باثني عشر سنة قبل روما. و هكذا، تم إنشاء الكنيسة التي مازالت متواجدة بشكل مستقل عبر كل من فرعيها : الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية و الكنيسة الكاثوليكية الغربية³²⁷.

لكن و منذ 451 م، و بسبب الحرمان الكنسي من المجلس الكاليدوني، أصبحت الكنيسة البابوية الأرمينية جزءا من المجمع الأرثوذكسي الشرقي الذي لا يجب أن يتداخل مع المجمع الكاثوليكي الغربي. و قد اعتمدت طوال انتكاساتها السياسية اللاحقة على الكنيسة للحفاظ و حماية هويتها الفريدة³²⁸.

³²⁵ « The history of Armenia », https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Armenia. july2010.

³²⁶ Ibid .

³²⁷ « the history of Armenia », Op. Cit.

³²⁸ Susan B.,GLASSER, « Exodus is New Chapter of Loss in Armenia's Sad Story ». Washington post , Monday,july12,2004, P. 10.

منذ 1100م وحتى 1350م، ركزت القومية الأرمينية على التحرك نحو الجنوب، لتشكيل مملكة سيليسيا الأرمينية (CELICIA)، التي كانت لها علاقات قوية و متميزة مع الدول الصليبية الأوروبية، وازدهرت هناك إلى غاية الفتح الإسلامي عام 642م.

ج-الضعف الأرميني

ما بين القرن الرابع والتاسع عشر ميلادي، تعرضت أرمينيا للإحتلالات المتعاقبة، نظرا لموقعها الجغرافي كجسر يربط ما بين القارات. مما جعل منها ملتقى لحركات هجرة الشعوب، بالإضافة إلى الأطماع الخارجية في المنطقة. ففي القرن الحادي عشر ميلادي، بدأت القبائل التركية تجتاح المنطقة بأعداد هائلة، و تم إدماجها في الإمبراطورية السلجوقية في 1071م، مما أدى إلى تتريك للسان الشعب الأرميني³²⁹. ثم بعد تعاقب كل من المغول و العثمانيين في القرن الثالث عشر أصبحت أرمينا محل منافسة بين التوسع العثماني-التركي و الصفوي-الإيراني في القرن السادس عشر ميلادي. و كنتيجة لانتصارها في حربين مع إيران (1578 و 1603م)، تم تعزيز التواجد العثماني في أرمينيا، ليستمر هذا التفوق لمدة قرن من الزمن، إلى غاية دخول قوة جديدة للمنافسة في بداية 1700م، و هي روسيا³³⁰.

لمواجهة التوسع العثماني المتنامي نتيجة انشغال الأسرة الصفوية في إيران بنزاعها الداخلي، و غزوها من طرف رجال القبائل الأفغان، قام بطرس الأكبر بالحملة الروسية الأولى على جنوب القوقاز في 1722م. لكن خليفته تراجع لصالح الأسرة الإيرانية الجديدة، لمراقبة التوازن أمام الإمبراطورية العثمانية³³¹. و في 1820م، تم ادماج أجزاء من أرمينيا التاريخية، التي كانت تحت السيطرة الإيرانية ما بين يارفن و بحيرة فان، في روسيا القيصرية. لتبقى الأجزاء الأخرى تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية المنهكة.

وهنا بدأ التعصب اتجاه الأرمن ينمو و يزداد، و بدأ الأتراك ينظرون إليهم كطابور خامس محتمل مؤيد للغرب، خلال مستواهم. مما أدى إلى رد عثماني عنيف على المطالب الأرمينية من أجل رفع مستويات اضطهادهم خلال (1895-1896م)، بمجازر دامية و طرد فوري للأرمن من الأناضول الشرقية، أين راح ضحيتها ما بين: 300 ألف (مصادر تركية) و 1,5 مليون (مصادر أرمينية). ليتبعه تطهير عرقي ثاني للأرمن على يد الأتراك في 1915م، أثناء الحرب العالمية الأولى.

329 Ibid, P. 11.

330 Amelie, KUERT, « The Ancient Near East.C.3000-330 B.C. ». 2 Vol, London: routledge, 1995, P.P. 164-235.

331 Ibid, P.P. 246-293.

في عام 1917م، أثناء اضطرابات الثورة البلشفية تم الإعلان عن الاتحاد الفدرالي لجنوب القوقاز المستقل عن روسيا. الذي استمر إلى غاية أواخر 1920م، بعدما جاء الشيوعيون للسلطة، إثر زحف الجيش الأحمر على كامل أرمينيا، وإحاقها في 1922م بالجمهورية السوفيتية الاشتراكية الفدرالية لجنوب القوقاز. ثم في 1936م، تحولت إلى الجمهورية السوفيتية الاشتراكية لأرمينيا³³².

د-قيام جمهورية أرمينيا المستقلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

في استفتاء 1991م صوتت أرمينيا لصالح الاستقلال، ليتم بعدها تنظيم انتخابات رئاسية في أكتوبر 1991م، منحت 83 بالمائة من الأصوات لصالح لوفان تار بتروسيان (-TER LOVEN PETROSSIAN)، ليصبح بذلك أول رئيس أرميني لغاية عام 1998م، عندما أطاح به الغضب الشعبي العام اتجاه سياسته في ناجورنو-كاراباخ. و تم استبداله برئيس وزراءه روبرت كوشاريان (ROBERT KOCHARIAN)، في انتخابات مارس 1998م³³³. و في 1999م، أدى اغتيال رئيس الوزراء فازان سارسيان (VAZGAN SARGSIAN) و المتحدث باسم البرلمان كران دومارشيان (KAREN DEMIRCHIAN) و ستة آخرون إلى مرحلة من عدم الاستقرار السياسي. لكن الرئيس استطاع تجاوز هذه الأزمة بنجاح، و أعيد انتخابه من جديد في 2003م. كما أنه بقي وفيًا لنهج الحكومة السابقة من أجل بناء دولة على النمط الغربي "برلمانية-ديمقراطية"، و هذا ما شجع أرمينيا على وضع سياسة تهدف إلى التحول نحو الاتحاد الأوروبي، في إطار الشراكة من أجل السلام³³⁴.

من الناحية الاقتصادية، أرمينيا مثل باقي مجموعة الدول المستقلة عانت من سياسات الاقتصاد الموجه، و آثار انهيار الاتحاد السوفيتي. فحتى يوم استقلالها، كانت تعتمد أرمينيا في اقتصادها على الصناعة الكيميائية و المنتجات الالكترونية و الآليات. مع الاحتياج الدائم للموارد الأجنبية، خاصة موارد الطاقة إذ أن الموارد الطاقوية بها محدودة جدا (الطاقة الهيدروليكية، النووية). كما أن اشتراكها في نزاع

332 Ibid, P.P. 474-489.

333 Jean, SEITLINGER, Op. Cit. P.05.

334 محمد، رفعت الإمام، مرجع سبق ذكره، ص163.

ناجورنو-كاراباخ، أضعف بشكل درامي اقتصادها المنهك. إلا أنه، و بعد "وقف إطلاق النار" في 1995م، سجلت أرمينيا بعض التحسن في نموها الاقتصادي، مع بناءها لخطوط تبادل جديدة تربطها بإيران و جورجيا. سمحت لها بتجاوز الحصار المفروض عليها من طرف تركيا و أذربيجان. هذا التطور الملحوظ، شجعها على المشاركة مع المؤسسات الدولية مثل: صندوق النقد الدولي (F.M.I.) و البنك الدولي (B.I.R.D.)، من أجل جلب الاستثمارات الأجنبية و تعويض عدم امتلاكها لموارد طاقوية. بتشجيع مرور خطوط أنابيب عبر أراضيها، خاصة ذلك الذي يربط إيران بأوروبا عبرها و جورجيا.

3 - جمهورية جورجيا المسيحية

جورجيا أو ما يعرف بالجمهورية الجورجية، هي دولة في جنوب القوقاز، شرق البحر الأسود. جمهورية سابقة في الاتحاد السوفيتي، تتقاسم حدودها مع روسيا في الشمال، تركيا، أرمينيا و أذربيجان في الجنوب (ملحق 4). و يطلق الجورجيون على أنفسهم اسم كارتفالي (KARTEVELEBI)، و على أرضهم اسم ساكارتيفالو (SAKARTVELO)، و على لغتهم اسم كارتيلي (KARTULI). أما الاسم "جورجيا"، فقد استخدمته أوروبا الغربية للدلالة على هذه المنطقة. وهو في الأصل من الكلمة العربية "الزرع" أو "أرض الزراعة"، حيث كان العرب القدامى يطلقون على جورجيا الحالية اسم الزرع (لكثرة الزراعة بها)، و نتيجة تأثيرات لسانية يونانية تحول الاسم من الزرع إلى GEORG، و من ثمة إلى الفارسية كرجي (GURJI)، ليتحول مرة أخرى إلى العربية ويصبح "جورج". كما عرف العالم القديم سكان شرق جورجيا باسم "الإيبيريين"، نسبة للمملكة القوقازية "إيبيريا"³³⁵

أ - جورجيا في العصور القديمة و الوسطى

يرجع التاريخ الجورجي إلى أكثر من أربعة آلاف سنة، واللغة الجورجية هي إحدى أقدم اللغات الحية في العالم. فقد عرفت المنطقة ابتداء من الألفية الخامسة قبل الميلاد، من طرف حضارات العصر الحجري الحديث، عندما كانت جورجيا و جارتها أرمينيا في الحقبة الحجرية الحديثة للألفية الرابعة و الثالثة قبل الميلاد، تابعتين لحضارة كورا- أراكساس (KURAAARAXAS)، التي تحولت في الألفية الثالثة قبل الميلاد إلى حضارة ترايليتي (TRAILETI)³³⁶.

فيما بعد، توحدت المناطق الجورجية في مملكتان هما: إجريسي (EGRISI) في السهول الغربية، و إيبيريا (IBERIA) في المرتفعات الشرقية. و بعد حملات بومباي، توحدت المملكتان مع الإمبراطورية الرومانية في 66 ق.م.، لتصبحا بذلك من أوائل الدول المعترفة للمسيحية. بترسيمها كديانة رسمية للدولة من طرف الملك الأيبيري ماريان الثاني في 337م، و ترسيمها كديانة رسمية لإجريسي في 523م³³⁷. و بالرغم من محاصرتهم من طرف مختلف الفاتحين و الغزاة: (العرب ، المغول ، الفرس و الأتراك). إلا أن الجورجيون حافظوا و احتفظوا بدرجات متفاوتة باستقلالهم، طوال الألف عام.

إلى غاية القرن العاشر الميلادي عندما توحدت الإمارات الجورجية في مملكة جورجيا، تحت حكم أسرة باجراسيوني (BAGRATIONI)، التي تمكنت من الوصول للسلطة و السيطرة ما بين القرنين الحادي عشر و الثالث عشر ميلادي، تحت قيادة الملك دافيد البناء (دافيد السادس)، الذي حكم في الفترة (1089م-1125م). و كذا، الملك تامار (1184م-1213م). اللذان كانا ينظر إليهما كقديسين في الكنيسة البابوية الأرثوذكسية الجورجية. و قد تضمنت هذه المملكة أيضا: أرمينيا، أذربيجان و أقاليم شمال القوقازي³³⁸.

لكن، هذه المملكة عانت فيما بعد و لفترة طويلة، من تدهور. أدى إلى إخضاعها من طرف المغول، في القرن الثالث عشر ميلادي. و من بعدهم، قامت مختلف الإمارات بالمطالبة بالاستقلال عن الحكم المركزي الجورجي. إلى غاية تفكك المملكة كليا، في القرن الخامس عشر ميلادي. و استغلال دول الجوار للوضع، فسيطرت الإمبراطورية الفارسية على الإمارات الشرقية، و الإمبراطورية العثمانية على الإمارات الغربية، في القرن السادس عشر ميلادي. و استمر الوضع كذلك، إلى غاية دخول منافس جديد للمنطقة، و هي الإمبراطورية الروسية. هذه الأخيرة، قامت بإخضاع المملكة الجورجية الشرقية، في العقدين الأخيرين من القرن الثامن عشر ميلادي. بعد أن انتزعتها من الفرس، في 12 سبتمبر 1801م. و تم تبنيه رسميا بمعاهدة جلستان (GULISTAN)، في 1813م. فيما بقيت الإمارات الغربية مستقلة تماما، حتى العقد القادم. حين تمكنت الإمبراطورية الروسية في 1810م، من إلغاء و غزو المملكة الجورجية الغربية. و من ثمة، بدأت مختلف الإمارات الغربية في السقوط الواحدة تلو الأخرى: منجربيا (MINGRELIA) في 1857م، سفانيتي (SVANETI) ما بين (1857م-1859م) و أبخازيا (ABKHAZIA) في 1864م³³⁹.

ب - الهيمنة الروسية-السوفيتية على جورجيا

337 « the world economic factbook (1994/5) ». Op. Cit., P.P.186-187.

338 « the history of Georgia », [https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Georgia_\(country\)](https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Georgia_(country)), july 2010.

339 Ibid

مع إلغاء المملكة الجورجية في 1801م، من طرف القيصر الروسي الكسندر الأول، انصهرت المملكة في الإمبراطورية الروسية، وتم استبدال النظام الاجتماعي و الثقافي الجورجي بنسخة روسية، حتى الأرثوذكسية و الكنسية البابوية تم إغلاقها. مما أدى إلى تنامي حركة تحرير وطني، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي. انتهت بثورة 1905م، التي نجحت في تهدئة التوترات لفترة، بسبب الإصلاحات السياسية التي أفرزتها. و في هذه الأثناء، تمكن الحزب الاشتراكي الماركسي من أن يصبح حركة سياسية مهيمنة في جورجيا. و من ثمة، احتلته لكل المقاعد الجورجية في مجلس الدوما الروسي. و تحول معه البلشفي الجورجي ستالين (JOSEF VISSARIONORISH DJUGASHVIL)، زعيما للحركة الثورية الجورجية المضادة لمنشوفيك³⁴⁰.

دفعت الثورة الروسية لأكتوبر 1917م روسيا إلى حرب أهلية دموية، خاصة مع إعلان عدة أقاليم الاستقلال. من بينها جورجيا، التي أعلنت تأسيس جمهورية جورجيا، في 26 ماي 1918م، و حصلت على اعتراف الدول الأوروبية بها. لكن، الجيش الأحمر تمكن من غزو جورجيا، و احتلالها. بعد حرب قصيرة، في فيفري 1921م³⁴¹، و أدراجها بالقوة في الجمهورية الاشتراكية السوفيتية الفدرالية لجنوب القوقاز. ثم في 1936م، تم تأسيس الجمهورية الاشتراكية السوفيتية الجورجية. وقد كان الحكم السوفيتي صعبا للغاية، حيث تم إعدام حوالي خمسون ألف شخص ما بين (1921م-1924م)، و أكثر من مئة ألف آخرون من طرف ستالين في سنوات (1935م-1938م، 1942م، 1945م-1950م)³⁴².

استغل الحزب الشيوعي الجورجي البرنامج اللامركزي، المقدم من طرف خروتشوف في وسط الخمسينات، لتنمية تجارة سرية رأسمالية مزدهرة، بجانب الاقتصاد الاشتراكي، جعلت من جورجيا إحدى أهم الجمهوريات السوفيتية الناجحة اقتصاديا. و مع بروز إدوارد شيفنادزة كمحارب للفساد و الرشوة، أدى به للوصول إلى للسلطة الجورجية (1972م-1985م). فحسن الاقتصاد الرسمي، و طرد المئات من المسؤولين المرتشين، مما أهله لمنصب وزير خارجية الاتحاد السوفيتي سنة 1985م³⁴³.

مع ظهور البروسترويكا في أواخر الثمانينات، أدت إلى تزايد حجم المعارضة "الحركة الوطنية الجورجية"، ضد الحكومة الشيوعية. مما تسبب في فوز حزب المائدة المستديرة، برئاسة المعارض زفياد

340 Ibid

341 Alan, WOODS , « student rapport: marxist in georgia » ,www.marxist .com/asia /georgia lettes .html, june 2008.

342 Ibid

343 « The history of Georgia », Op. Cit.

جامساخورديا بالانتخابات البرلمانية، في 28 أكتوبر 1990م. و هكذا، أصبح جامساخورديا رئيسا للمجلس الأعلى لجمهورية جورجيا. هذا الأخير، لم يهدر وقتا في تنظيم استفتاء الاستقلال، الذي أقر بـ 98.9 بالمائة من الأصوات الاستقلال الرسمي عن الاتحاد السوفياتي، في 09 أبريل 1991م. كما عارض جامساخورديا أي بقايا للسيطرة الروسية بالقوة (مثل القواعد العسكرية). و رفضت حكومته الانضمام إلى رابطة كومونولث الدول المستقلة³⁴⁴.

ج- الاضطراب السياسي في جورجيا ما بعد الشيوعية

في 26 ماي 1991م، انتخب جامساخورديا رئيسا للجمهورية بـ 86 بالمائة من الأصوات. لكن أسلوب حكومته المتقلب و المتسلط على نطاق واسع، أنتقد من طرف الوطنيين و الإصلاحيين، الذين اتحدوا في ائتلاف مضاد لجامساخورديا. فتوتر الوضع بين مختلف الأحزاب، و تنامت المجموعات شبه العسكرية المالكة لكمية كبيرة من الأسلحة السوفيتية السابقة. فكان انقلاب 22 ديسمبر 1991م، الذي أوصل شيفانادزة للحكم، بعد هروب جامساخورديا إلى الشيشان. وقد تزامن وصول شيفانادزة للحكم مع قيام المطالب الانفصالية في كل من أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية، مما أدى إلى توهج العنف العرقي الذي قابلته الحكومة بقمع شديد. لكن في 24 سبتمبر 1993م، و مع عودة جامساخورديا من المنفى، نظم أنصاره قوة جديدة مثلت جبهة ثالثة للنزاع، كادت أن تؤدي بنظام شيفانادزة للهلاك. لولا دهاء هذا الأخير، الذي استتجد بروسيا بعدما أبرم صفقة انضمامه لمنطقة كومونولث الدول المستقلة. و هكذا قلب موازين القوى لصالحه، في 1993م³⁴⁵.

أعيد انتخاب شيفانادزة لعهدة جديدة، (1995م-2000م) بأغلبية كبيرة. لكن ارتباط حكومته و عائلته بشكل متزايد بقضايا الفساد. الذي أعاق النمو الاقتصادي لجورجيا، ألّب الجماهير ضده. ولم يشفع له ولاءه للو.م.أ. ، و لا توقيععه لشراكة إستراتيجية مع الناتو. فاضطر إلى إعلان استقالته، في 23 نوفمبر 2003م.

بعد الثورة الوردية التي قام ساكاشفيلي ميخائيل، و أوصلته للرئاسة. هذا الأخير، و في 04 جانفي 2004م، تعهد بحل المسألة الانفصالية عامة في كل من: أبخازيا و أوسيا الجنوبية. و تحسين الاقتصاد بصفة عامة ، خاصة و أن جورجيا لا تزال بالمقاييس العالمية "الأوروبية"، بلدا فقيرا جدا. كما تسعى

344 Ibid.

345 Ibid

الحكومة لإصلاح الاقتصاد بالتعاون مع صندوق النقد الدولي، و البنك الدولي. و تراهن كثيرا على مستقبل إحياء الطريق القديم "طريق الحرير"، كمرر أوروبي آسيوي يستخدم الأراضي الجورجية لنقل البضائع بين أوروبا و آسيا³⁴⁶.

تموقع جورجيا ما بين البحر الأسود، روسيا و تركيا. يكسبها أهمية إستراتيجية اكبر من حجمها، تؤهلها لتكون مدخل من البحر الأسود لمنطقة القوقاز وحوض قزوين الكبرى. كما ينظر إليها، كحاجز بين تركيا و روسيا. و تمتلك جورجيا علاقة قريبة و طويلة مع روسيا، لكن بحثها عن بدائل وفرص جديدة جعلها تعتمد أكثر فأكثر على الغرب، ف وقعت اتفاقيات شراكة مع الاتحاد الأوروبي تحت في إطار الشراكة من أجل السلام. و لعل هذه الأهمية الإستراتيجية هي التي جعلتها في دائرة الاهتمامات الروسية و الأمريكية، خاصة بعد قبولها وضع قواعد عسكرية أمريكية على أراضيها. كما تنظر روسيا إليها كذلك، كمعقل و ملجأ للشوار الشيشان، و دعم للتواجد الأمريكي في المنطقة. باعتبار أراضيها منطقة عبور لخط الأنابيب الأمريكي باكو-جيهان.

المطلب الثاني : الواقع الأمني و المعضلة الاثنوسياسية في منطقة جنوب القوقاز

تمثل الصراعات الإثنو - سياسية أهم و أخطر عائق على درب تحقيق الأمن و الاستقرار في جنوب القوقاز. و في واقع الأمر، يعد الإقليم القوقازي مرجلا فائرا لأشهر بؤر الصراعات الصدامية الإثنو - سياسية على مستوى العالم، لاسيما منذ العقد الأخير من القرن الماضي³⁴⁷. حيث يؤكد الواقع القوقازي أن الميراث السوفيتي كان ذا طابع صراعي. فما إن انهار حتى ظهرت عدة قوميات و أقاليم في الكيانات السياسية الوليدة، و برزت بشدة إشكالية القومية - الأكثرية في مواجهة القومية - الأقلية. كما نمت أكثر الإيديولوجيات القومية الشوفينية، بما تحويه من رفض كلي للآخر.³⁴⁸

346 جان، رادفاني، "نزاعات دموية لم تخمد في القوقاز لوموند دبلوماسيك، اكتوبر 2004، يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:

http://www.mondiploar.com/article.php3?id_article=10

347 Alan, WOODS, « Georgia's rose revolution, Georgia's peaceful revolution », *heralds new*, November 24.2003, P.05.

348 Francesco, CASELLI and Wilbur John, COLEMAN, " On the Theory of Ethnic Conflict", London: School of Economics, Duke University, September 2011. P.19.

من المفارقات أن الشعوب المتحررة من الطغيان الايدولوجي للشيوعية، زجت بنفسها في غياهب السجن القومي الشوفيني³⁴⁹. وتورط الثالث القوقازي، أرمينيا، أذربيجان و جورجيا. وورطوا أنفسهم، في مواجهات إثنو - سياسية دموية: ناجورنو - كاراباخ بين أرمينيا و أذربيجان (1982م - 1994م)، أوسيتيا الجنوبية و أبخازيا في جورجيا (1990م-1993م). ناهيك عن طائفة من العرقيات المتناثرة في المحيط القوقازي، و المنفصلة عنه بنيويا (روس، أكراد، أوكران، أديجار...).

أسفرت المواجهات الصدامية القوقازية عن ميلاد كيانيين سياسيين هما: كاراباخ و أبخازيا، التي لم تعترف بهما الجماعة الدولية حتى الآن. كما تطمح أوسيتيا الجنوبية، لنيل ذات الوضعية القائمة في كاراباخ و أبخازيا(ملحق 5)³⁵⁰.

1 - الصراع الأذربيجاني-الأرمني حول ناجورنو- كاراباخ

في سياق تراجع سلطة موسكو المركزية وتفكك الاتحاد السوفيتي، انبثقت عدة قضايا و صراعات في القوقاز. تضرب بجذورها إلى التراكمات التاريخية و التعقيدات الاثنية، في خط متواز مع الصراعات الراهنة. و يكمن الدافع الذاتي المحوري لمعظمها في البعد الاثني اللغوي، مطعما بالبعد الديني³⁵¹. و هذا ما جعل الصراع الأرمني الأذربيجاني حول ناجورنو- كاراباخ يمثل أحد الصراعات المعقدة، التي تتداخل فيها الأبعاد العرقية الدينية فضلا عن ميراث تاريخي من العنف و الصدام. ناهيك عن الدور المتزايد للقوى الإقليمية الكبرى الساعية إلى تأكيد دورها الإقليمي في هذا الصراع، مما يجعله بؤرة للتنافس بين هذه القوى على نحو يزيد من أمد الصراع، و يغذيه³⁵².

349 محمد، رفعت الإمام، " مشكلات الأمن في القوقاز: تداخلات الأعراق والنفط والسياسة"، مرجع سبق ذكره، ص162.

350 المرجع نفسه، ص163.

351 المرجع نفسه، ص162.

352 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مجلة السياسة الدولية، أكتوبر 2001، ص.130.

إقليم ناجورنو - كاراباخ المتنازع عليه، هو عبارة عن منطقة جبلية تتواجد بأقصى شرق المرتفعات المسماة الهضبة الأرمينية (كلمة ناجورنو مشتقة من الكلمة الروسية ناجورني NAGORNI التي تعني الجبل)³⁵³. و يقع هذا الإقليم بالكامل داخل أراضي جمهورية أذربيجان، بمساحة 4400 كم². يقطنه حوالي 200 ألف نسمة، يمثل الأرمن منهم 80 بالمائة، تربطهم صلات ثقافية، عرقية و دينية قوية مع جمهورية أرمينيا، و يطالبون بالاستقلال التام عن الجمهورية الأذربيجانية³⁵⁴. و على العموم، تتميز المنطقة بموقعها المفصلي بين آسيا و أوروبا، مما جعلها ممرا استراتيجيا عبر العصور.

أ - الميراث التاريخي للعنف و الصدام في إقليم ناجورنو - كاراباخ

تورد المصادر الأرمينية و الأذربيجانية معلومات متناقضة حول حقوقها التاريخية في إقليم ناجورنو - كاراباخ. فالأرمن يرون أن هذا الإقليم قد خضع لأرمينيا منذ القرن الثامن قبل الميلاد، حيث كانت تسمى المنطقة في حينها أورتيجا، و من هذه التسمية اشتق الاسم الأرميني للمقاطعة . "أرتساخ". و في الفترة ما بين القرنين العاشر و الثامن عشرمليادي، عرفت المنطقة باسم "خاتشن" (و هي كلمة مقتبسة من الكلمة الأرمينية خاتش التي تعني الصليب)، إلى جانب تسميات أخرى للمنطقة مثل: أرمينيا الصغرى و سيونيك الصغرى. فضلا عن الكنائس و الآثار التي خلفها الأرمن في هذه المنطقة³⁵⁵.

الا أن الأذربيجانيون يرون أن الكنائس الموجودة في الإقليم قد أقامها الألبان المسيحيون، و لا دخل للأرمن فيها. كما يشيرون إلى أنه كانت هناك دولة أذربيجانية امتدت ما بين نهري كورا و أراكساس، دامت ما بين (747م-1822م)، و ألحقت بالإمبراطورية الروسية مع سائر المناطق الأذربيجانية، إثر الحرب الطويلة ما بين الفرس و الأتراك في عهد الدولة الصفوية. حيث سمحت روسيا للأرمن بالانتقال إلى هذه المنطقة، لتعزيز الطائفة المسيحية في الجناح الجنوبي من الإمبراطورية الروسية³⁵⁶.

353 عبد الله، صالح، تاجورنو-كاراباخ: الصراع بين الجغرافيا و الهوية القومية"، مجلة السياسة الدولية، ص.176.

354 « Transcaucasia », <https://en.wikipedia.org/wiki/Transcaucasia>, july2010

355 Ibid

356 عبد الله، صالح، مرجع سبق ذكره، ص.177.

على العموم، فإن كاراباخ تشكل جزءا من تاريخ أرمينيا منذ العصور القديمة. و قد خضعت للاحتلالات المتعاقبة من طرف القوى الإمبراطورية التي هيمنت على أرمينيا، بسبب موقعها الحيوي- استراتيجي. كما استمر أرمن كاراباخ في الحفاظ على تقاليدهم، منذ الفتح الإسلامي لجنوب القوقاز في القرن السابع ميلادي، أين حقق الأرمن عن طريق الشاه عباس قدرا من الانفصال، كالإدارة المحلية لكاراباخ في 1603م. و على نحو هام، سمح أمراء الإمارات الأرمينية الخمس بتأسيس موطن قدم لقبيلة تركية في جبال كاراباخ حوالي 1750م. و وافق هذا الحدث لأول مرة، مقدرة الأتراك على اختراق المرتفعات الأرمينية الشرقية³⁵⁷. و في حدث هام آخر، قامت روسيا بإلحاق منطقة ناجورنو-كاراباخ بإيران في 1805م، كنتيجة للحرب الإيرانية الروسية الأولى. و تمت إدارتها من طرف الفرس كوحدة جماعية عرفت بخانيت كاراباخ، حيث سكنت بشكل كبير من طرف الأرمن³⁵⁸.

في عهد السيطرة الروسية قام الروس أثناء خلقهم للإقليم الجديد السيبافيتبول بربط مرتفعات كاراباخ الغربية بسهولها الشرقية، أين كان أغلبية السكان أذربيجانيون. كما قام الروس بتوفير شبكة اتصالات و تطوير اقتصاد كلتا المنطقتين لربطهما معا، و يصبح معها ناجورنو-كاراباخ متكاملًا تدريجيا، لكن كليا في النظام الاقتصادي الشرقي لجنوب القوقاز³⁵⁹. و أصبح الأذربيجانيون يعتمدون بشدة على هذه الرابطة، إذ أدت زيادة الروابط الاقتصادية الأذربيجانية مع مرتفعات كاراباخ في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، إلى انجذاب عاطفي وطني متنامي للمنطقة، (خاصة و أن أغلب مفكري و شعراء أذربيجان ينحدرون من ناجورنو-كاراباخ). و هكذا، احتل ناجورنو-كاراباخ مكانة خاصة في قلوب الأذربيجانيين أثناء الحكم القيصري الروسي.

في 1805م، بينما ألحقت المنطقة الجبلية بروسيا، بقي جنوب القوقاز الأرميني تحت الحكم الإيراني، إلى غاية العودة الروسية مجددا في 1826م. حيث ظل أرمن كاراباخ منفصلين عن إخوانهم في الغرب لمدة 21 سنة، كانوا أثناءها ضمن إقليم السيبافيتبول ذو الأغلبية الأذربيجانية³⁶⁰.

يمكن القول، أن إعادة روسيا تنظيم الأملاك الإيرانية السابقة في جنوب القوقاز، و حلها للإمارات الخمس في مرتفعات كاراباخ (هذه الأخيرة التي تمكنت في الحفاظ على حكم شبه ذاتي تحت الحكم الإيراني

357 المرجع نفسه.

358 «Transcaucasia », Op.,Cit.

359 Alexei, ZVEREV, « ethnic conflicts in the Caucasus 1988-1994 », Belgium : v.u.b. press ,1995, P.15.

360 Ibid, P.P.16-20.

منذ 1603م)، أدت إلى تكسير هذه العادة في الحكم شبه الذاتي منذ القرن الثاني قبل الميلاد، من طرف سانت بيترسبورغ في 1905م. وشكلت صدمة كبيرة، جمدت الاتصالات الأرمينية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي و بداية القرن العشرين. حيث كانت ناجورنو-كاراباخ تمثل للأرمن آخر ملجأ و معقل أرميني، حافظ على تقليد الحكم الذاتي القومي المتواصل بدون انقطاع تقريبا³⁶¹.

إثر تطورات الحرب العالمية الأولى، خضعت كاراباخ للتجاذبات الدولية في منطقة القوقاز. لاسيما المساومات الروسية - التركية، التي حددت الإطار السياسي للمنطقة في أعقاب الحرب. و جاءت الشرارة التي فجرت القنبلة الموقوتة لناجورنو-كاراباخ في 1918م، عندما قام جيش الإسلام (حزب جسر تركيا) بغزو شرق أرمينيا مدعوما بحلفائه الأذربيجانيين، وتقدم إلى ضواحي ناجورنو-كاراباخ مطالباً الأرمن بالاستسلام للحكم الأذربيجاني. وهكذا، استحوذت القوات التركية على أرمينيا، و أجبرت القيادة في كاراباخ على الاستسلام لجيش الإسلام مقابل وعد بالمعاملة الرحيمة. إلا أن الحكم الأذربيجاني -التركي للإقليم كان جائراً و قاسياً جداً، مما جعل الأرمن يعلنون تمردهم المسلح ضد الأتراك، لم يتوقف حتى بدأت القوات العثمانية الانسحاب من جنوب القوقاز في الأيام الأخيرة للحرب لصالح بريطانيا. و بمغادرة الحليف الأساسي لأذربيجان المنطقة في نوفمبر 1918م، رأى الأرمن أن الفرصة مواتية لجعل ناجورنو-كاراباخ بصفة نهائية، جزءاً من دولتهم الحديثة³⁶².

في تلك الأثناء يمكن رصد علامات فارقة في وضعية كاراباخ، ففي غداة سيطرة الانجليز على باكو، شكلت كاراباخ ورقة استرضاء للحكومة الأذربيجانية، التي كانت تمول الانجليز بكميات نفطية كبيرة. حيث أن البريطانيين مدفوعون بأطماعهم الإستراتيجية و الاقتصادية، انتهجوا سياسة موالية لأذربيجان، و زدوهم بالدعم الخارجي لإلحاق ناجورنو-كاراباخ بأذربيجان، متجاهلين بذلك المطالب الأرمينية رغم أنهم كانوا طوال فترة الحرب إلى جانب الحلفاء، مما جعل الأرمن يتعهدون بمقاومة عنيفة جداً³⁶³. فما إن انسحبت القوات البريطانية من مرتفعات كاراباخ في 5 جوان 1919م، حتى اندلعت المواجهات بين الجانبين، و استمر الوضع كذلك إلى غاية محادثات صيف 1919م. أين بدأ الوضع يميل تدريجياً لصالح باكو، إثر اعتماد

361 Ibid, P.P. 20-22.

362 Jean, SEITLINGER, Op. Cit., P. 10.

363 George A. BOURMOUTIAN, « the history of Armenian people », vol2, California: 1995, P.P. 29-40.

وثيقة 26 نقطة المؤكدة لتسليم السلطة المؤقتة على ناجورنو-كاراباخ شبه المستقل لباكو، في انتظار قرار نهائي بشأنه في مؤتمر باريس للسلام³⁶⁴.

بعد انحصار الدور البريطاني في القوقاز بزغ تحالف سوفيتي-كمالي، و تبوأ معه كاراباخ بعدا استراتيجيا في علاقات هاتين القوتين. التي استلزمت إيجاد خط تواصل بري بينهما، لتبادل الدعم و المساعدة. عبر الممر الإسلامي الذي يربط الأناضول بأذربيجان، مرورا بناخيتشفان و زانجيرو و كاراباخ³⁶⁵. و هكذا، أدى التعايش السلمي مع الزعيم الوطني الأول لتركيا ما بعد العثمانية (كمال أتاتورك) إلى ترجيح احتمال عودة موسكو لجنوب القوقاز ثانية. فما كادت سنة 1920م تنقضي، حتى أصبحت دول جنوب القوقاز الثلاث جمهوريات اشتراكية سوفيتية. و تحول معها ناجورنو-كاراباخ، من نزاع بين دولتين إلى مسألة داخلية للاتحاد السوفيتي. و طوال الفترة الممتدة من أواخر 1920م إلى النصف الأول من إلى 1921م، كان هناك وضع مريب تسبب في دمج ناجورنو-كاراباخ في أذربيجان، فستالين المساند للزعيم البلشفي في أذربيجان ناريمان مارينانوف وقف بجانب أذربيجان. و في حدث غريب، اهتم المكتب القوقازي للحزب الشيوعي بمسألة ناجورنو-كاراباخ، و أعلن في 12 جوان 1921م: "... على أساس بيان اللجنة الثورية للجمهورية السوفيتية الاشتراكية لأذربيجان، و الاتفاق ما بين الجمهوريتين السوفيتيتين الاشتراكيتين لأذربيجان و أرمينيا. نعلن بموجبه، أن مرتفعات كاراباخ منذ الآن جزء من الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الأرمينية..."³⁶⁶. و في اليوم الموالي وبدون مناقشة أو تصويت رسمي حرر المكتب ثانية الإعلان التالي: "... انطلاقا من الحاجة للسلام بين المسلمين و الأرمن، ونظرا للعلاقات الاقتصادية ما بين كاراباخ السفلى و العليا في علاقاته الدائمة مع أذربيجان، مرتفعات كاراباخ ستبقى داخل حدود الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الأذربيجانية. وتمنح له حكما ذاتيا إقليميا موسعا مع المركز الإداري لسوشا، ويصبحان يشكلان منطقة حكم ذاتي..."³⁶⁷.

وهكذا، عكس المكتب بيانه فجأة تحت ضغط من ستالين، الذي كان يهدف من خلال كل هذا إلى إحكام السيطرة، عن طريق التفرقة. فبوضعه المنطقة داخل حدود أذربيجان يمكنه استخدام السكان الأرمن

364 محمد، السماك، " موقع الإسلام في صراع الحضارات و النظام العالمي الجديد"، ط2، بيروت: دار النفايس، 1999، ص ص 102 - 105.

365 Natalia, SABANADZE, « international involvement in the south Caucasus », Germany: European Centre for Minority Issues, February, 2002, www.ecmi.de

366 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص.132.

367 Bruno, COPPIETERS, « contested borders in the Caucasus », Belgium: v.u.b. press, 1996, P. 30.

كرهائن محتملين، لضمان تعاون أرمينيا مع رغبات القيادة السوفيتية. و بالمثل، وجود جيب أرميني مستقل داخل أذربيجان يمكن أن يجعل منه طابورا خامسا محتملا موالي للسوفيت، في حال الخيانة من طرف أذربيجان. و لكي يحول ستالين هذه التصورات إلى حقائق قام بخلق (I.O.N.K.) في 07 جويلية 1923م، و رسمت حدوده بتك شريط أذربيجاني يفصله جسديا عن أرمينيا بعرض سبعة كيلومترات. و في 1937م، تم تغيير اسم المنطقة إلى الأوبلاست المستقل لناجورنو-كاراباخ³⁶⁸.

على العموم، فإن هذه المعطيات السياسية و الإستراتيجية تفسر الإصرار الأذربيجاني للسيطرة على كاراباخ، و الذي أكده قرار ستالين. و بهذا يتضح أن الرغبة في استرضاء تركيا، و المصالح الروسية النفطية في أذربيجان، و ميكافيلية ستالين القائمة على تطويع الجمهوريات القوقازية بتغذية الصراعات بينها، كانت كلها دوافع وراء قرار ستالين الذي تحدى وقائع الجغرافيا و حقائق التاريخ.

بيد أن هذا القرار لم يمه حالة النزاع بين الأذربيجانيين و الأرمن، بل ولد حالة احتقان نمت تدريجيا في دوائر أرمن كاراباخ. إلا أن القوة السوفيتية ذات الطبيعة الاحتوائية الضابطة تمكنت من طمس التوجه الإيديولوجي السياسي للقومية الأرمينية، بطرق قمعية. و بالتالي، فقد كانت هذه الفترة فترة إذعان للأمر الواقع المفروض، أين قمعت قوة الحكم الداخلي لموسكو الشكاوي الأرمينية حول الوضع. لكن في حقيقة الأمر، هي مسألة وقت فقط لتطفو القضية مجددا، و يعنف اكبر³⁶⁹.

ب - الانزلاق نحو المواجهة العسكرية في ناجورنو-كاراباخ

لاشك أن هامش الحرية الذي أوجدته البيروسرويكيا قد أفسح المجال أمام الأرمن، سواء في إقليم كاراباخ أو في الوطن الأم، لتصعيد القضية من النقطة التي طمست عندها عام 1923م. و هكذا اندلعت حركة احتجاجية سلمية متناغمة بين الإقليم و الشعب في أرمينيا، تطالب موسكو بضرورة انفصال الإقليم عن أذربيجان، وسط سلسلة متصاعدة من الاضطرابات و الإضرابات و الاحتجاجات و المظاهرات. وقد اكتسبت هذه التحركات الشعبية و السياسية في كاراباخ، شرعية جماهيرية و دستورية مزدوجة. و الجدير بالذكر، أن التحرك الأرميني في أرمينيا، جعل قضية كاراباخ بالغة الأهمية على الصعيد القومي. إذ أصبح هذا الإقليم الصغير في مساحته، رمزا للأراضي الأرمينية التاريخية. و بالتالي، أصبح لهذا البعد الرمزي موقعا مهما في

368 Ibid, P.P. 31-37.

369 Jean, SEITLINGER, Op. Cit., P. 15.

الشعور الجماعي الأرميني، ليس في الإقليم في حد ذاته أو في جمهورية أرمينيا، بل على مستوى الشتات الأرميني عبر كافة أنحاء العالم³⁷⁰.

هكذا انزلت موسكو في مازق جد شائك، إذ أنه على الصعيد العملي كانت ترمي روسيا من وراء البيروسرويكيا إلى إيجاد متنفس لجو الاحتقان السياسي المتزايد، و التدهور الاقتصادي المستمر، ففتحت الباب أمام الأفراد و الجماعات لإمكانية تعبير ديمقراطي حر، غير أن المطالب الجماهيرية تخطت بسرعة الواقع المعاش، إلى يقظة قومية حادة، مست الخصوصية الإيديولوجية التي ارتكزت عليها الدولة السوفييتية. ومن ثمة يمكن القول، أن البيروسرويكيا فتحت باب المطالب، ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن التجاوب معها، فضلا عن لجمها، ففقدت مصداقيتها لاسيما وأنها كانت تبحث عن مهدئات إيديولوجية، بينما الشيوعية على حافة الموت³⁷¹.

و منطقيا، يعد الموقفان السوفييتي و الأرميني على طرفي نقيض. إذ أن المطالب الأرمينية تعتمد قاعدة قومية لتحقيق تغيرات جيو- سياسية، بينما تعتمد موسكو على منطق أممي للقومية. و عليه، كان الموقف السوفييتي بمثابة إدانة إيديولوجية لهذه المطالب. لأنها تهدف إلى نسف البناء المجتمعي القائم على وحدة العمال، و استبداله بآخر، يعتمد على وحدة القومية. و هنا سيطرت على الأرمن قناعة، بأنهم لن يحصلوا على مطالبهم بالوسائل الشرعية الدستورية أو عبر السلطة القائمة³⁷².

أما على الصعيد الأذربيجاني الرسمي، فقد رفض مجلس السوفيت الأعلى في أذربيجان مبدأ انفصال كاراباخ، و أصر على وحدة الأراضي الأذربيجانية، كما ألغى البرلمان الأذربيجاني نظام الحكم الذاتي لكاراباخ. و على الصعيد الشعبي، ظهرت بوادر خطيرة لمواجهة أذربيجانية- أرمينية في عدة مناطق من أذربيجان. و ردود فعل أرمينية، أدت إلى مجازر و تهجيرات تعسفية لكليهما. وعلى الصعيد السياسي، تنامت العصبيية القومية المعادية للأرمن بشكل مطرد. لاسيما مع تأسيس الجبهة الشعبية الأذربيجانية، كإطار إيديولوجي تنظيمي لتفعيل هذا التيار الشعبي³⁷³.

370 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص 130 - 131.

371 H el ene Carr ere, ENCAUSSE, « la gloire des nations ou la fin de l'empire sovietique », paris : fayard, 1990, P. 88

372 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص 131.

373 المرجع نفسه، ص 132.

وبنظرة تحليلية، إن مشكلة كاراباخ قد تطورت منذ عام 1988م حتى عام 1992م، في إطار جدلية تناقضيه مزدوجة، وصار الموقف منها موقفاً مصيرياً مستقبلياً للكيانين الأذربيجاني والأرمني. ومن هنا، شكل إقليم كاراباخ جزءاً لا يتجزأ من مشروع قومي سياسي لكلا الشعبين، و التراجع عنه في فترة اليقظة القومية هذه لم يكن وارداً عند الطرفين. لأنه يعني من منظور الواقعية السياسية، الرضا باجتزاء على الخريطة القومية الموعودة³⁷⁴.

ومن ناحية أخرى، يعتبر الأذربيجانيون أن التجاوب مع المطالب الأرمينية سينعكس سلباً على الكيان الجيو-سياسي لدولتهم، بالتخلي عن جزء مكتسب مكرس منذ 1923م. كما يقطع إمكانية أي اتصال بري مع تركيا، الساعية إلى إحياء فكرة العالم التركي-التوراني. أكثر من هذا، فقد تنامت السلوكيات العدائية من كلا الشعبين في إطار معادلتين: أولاًهما، معادلة الاعتداء - المقاومة، يغذيها التحرك النشط للقوميتين من خلال استحضار تاريخهما المشحون. و ثانيتهما، معادلة المفروض - المرفوض، يغذيها إصرار آذاري-سوفيتي على استمرارية الأمر الواقع، يقابله إصرار أرمني على إنهاء هذا الأمر الواقع بأية وسيلة و كل طريقة³⁷⁵.

وهكذا، شكل انهيار الاتحاد السوفيتي لحظة المفترق التي دفعت أرمن كاراباخ للإحاطة مجدداً بواقعهم، و البحث عن مواقعهم، و بلورة طموحاتهم، على ضوء المعطيات المستجدة. للاستفادة من مرحلة اختلاط الأوراق، و البحث عن ترتيبات جيو-سياسية جديدة في القوقاز. فاندفعوا لإعادة تركيز شرعية هويتهم القومية، على قاعدة إظهار أنهم ليسوا جماعة هامشية في الكيان الأذربيجاني الواسع. بل هم جماعة تاريخية حية، مترابطة البنیان تمتد بجذورها في عمق الكيان الأرميني. كما سعوا للإفادة من الفراغ المؤسسي، لتجسيد هويتهم في كيان سياسي. يستمد شرعيته من الحق التاريخي المكرس في الشواهد المعمارية و الأثرية، و الأكثرية السكانية الأرمينية (90 بالمائة من سكان كاراباخ أرمن)، فضلاً عن الحق المستقبلي المطالب به في تقرير المصير على أساس القانون الدولي، و حق الشعوب في تقرير مصيرها³⁷⁶. فأعلن أرمن كاراباخ في 1991م، استقلالهم عن أذربيجان، و قيام جمهوريتهم المستقلة بكل مؤسساتها الدستورية. غير أن هذا الإعلان لم يحظى بالاعتراف الدولي.

374 Héléne Carrère, ENCAUSSE, Op. Cit., P. 90

375 محمد، رفعت الإمام، "مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص 131.

376 المرجع نفسه.

توازي الانتفاضة الأرمينية في كاراباخ صحوة قومية قوية في أذربيجان، ذات طابع احتوائي، ترفض أي وجود مختلف عنها في مجالاتها الجغرافية و التاريخية و السياسية. كما أنها تنتمي في جذورها إلى "الطورانية- التركية"، بكل طموحاتها و توجهاتها. ناهيك عن أن أي تحقيق للخصوصية القومية لأي من الطرفين يستلزم التكر النظري و العملي للآخر، في مجاله الجغرافي و التاريخي³⁷⁷.

تفسر المعطيات السابقة أسباب الانزلاق من الاختلافات إلى الصراعات الدموية، بعد أن تخطت هذه الاختلافات حدود التعايش الممكن. و قد مهد لهذا الانزلاق الدموي انقطاع التواصل البيئي بين الطرفين الناتج عن الغربة الكاملة للأقلية الأرمينية في الكل الأذربيجاني، إيديولوجيا و سياسيا. حيث أن شكوك الأكثرية في نوايا الأقلية، و النظر إليها بمثابة كيان غريب و مصدر خطر، يدفعها للعمل على احتوائه و قمعها عند الضرورة. و في المقابل، فإن خوف الأقلية من نوايا الأكثرية يدفعها إلى الموقف الدفاعي عن الذات. و من ناحية أخرى، تتمحور مشكلة كاراباخ حول مفهومين في القانون الدولي، يتعايشان بصعوبة و يتواجهان بسهولة: منطق الدولة "الأذربيجانية"، و حقها الشرعي في الحفاظ على كيانها تجاه الأخطار الأرمينية. و منطق الشعوب "أرمن كاراباخ"، و حقها الشرعي في تقرير مصيرها في كيان سياسي مستقل. و من هنا، فإن تحقيق الحل القانوني للمشكلة هو أمر مستعصي و غير مرضي للطرفين معا، مما يفتح المجال لاحقا أمام تحكيم سياسي تلعب فيه قوى خارجية دور الحكم، وتراعي بلا شك موازين القوى الدولية القائمة³⁷⁸.

مع الوصول إلى هذه المرحلة من التوتر، انفتح الباب على مصراعيه أمام عمل عسكري يسعى المتصارعون عبره إلى تأكيد قوتهم و تفوقهم كمدخل لمكاسب سياسية محتملة. و بدأت مؤشرات التصعيد العسكري تظهر في مرحلتها الأولى أواخر 1991م. لكن الأحداث ستأخذ طابعها العنفي الدموي و المدمر منذ أوائل فيفري 1992م، مع بدء استعمال الأسلحة الثقيلة، و اتساع الرقعة الجغرافية للمناوشات، و القصف لمواقع مهمة. و تدل هذه المعطيات، أن ما يجري فيما وراء القوقاز لمن يكن "عملية أمنية"، بل "حرب حقيقية". كما شهدت هذه المرحلة منذ أواخر فيفري تطورات ميدانية يمكن اعتبارها مؤشرا للمستقبل، تمثلت

377 Héléne Carrère, ENCAUSSE, Op. Cit., P. 92

378 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص132.

في الانتقال من القصف إلى اختراق المواقع، سمحت للأرمن من تحقيق أول انتصاراتهم النوعية في ميدان المعركة (مدينة خوجالي الأذربيجانية)³⁷⁹.

أظهرت هذه المرحلة ضعف الأذربيجانيين، و محاولتهم تدويل المشكلة، بعد أن كانوا يعتبرونها قضية داخلية، و دعوا الأمم المتحدة و منظمة الأمن و التعاون الأوروبي لمساعدتهم في وقف إطلاق النار. هذا و قد تميزت الوساطات الأولى بمقاربات سياسية خجولة، بسبب الطابع الداخلي للحرب، و تفادي الدول و المنظمات الدولية التدخل في المشاكل الداخلية. و من هنا تراوحت المواقف الخارجية بين الاستطلاع، و العمل لوقف إطلاق النار. غير أن هذا التحفظ فتح الباب أمام الدبلوماسية الإيرانية، التي تمكنت في 28 مارس 1992م من ترتيب اتفاق للوقف الفوري للقتال. بحيث يكون خطوة تمهيدية لمفاوضات تحت رعاية منظمة الأمن و التعاون الدولي في أوروبا، إلا أن أنباء شهر أبريل الدموية بين الطرفين أكدت سقوط الاتفاق، و مهدت للمرحلة الثانية من التصعيد العسكري³⁸⁰. فالأسباب السياسية التي كانت وراء اندلاع الحرب لازالت مستمرة، و من ثم فالخيار العسكري يتيح أملا في تحقيق واقع على الأرض يخدم الطرح السياسي.

من هنا، كان من مصلحة الأرمن استغلال الظروف العسكرية و السياسية المواتية لهم، للسيطرة على أوسع مساحة جغرافية ممكنة تشكل قاعدة صلبة في المفاوضات المستقبلية. أما استمرار المعارك فقد كان يسيء للأذربيجانيين، بسبب وضعهم العسكري المتدهور على الجبهة و وضعهم السياسي غير مستقر في الداخل. وأية مواجهة لاحقة تعني المزيد من الخسارة في الأرض، أي تآكلا في قدراتهم التفاوضية و تدعيما للموقف التفاوضي الأرميني.

شهدت المرحلة الثانية من التصعيد العسكري تحولا نوعيا واستراتيجيا لصالح الأرمن، إذ شكل احتلالهم لمدينة سوشا الخطوة الأولى في تحقيق نظرية "الطوق الأمني"³⁸¹. التي بدؤوا في انتهاجها عبر مرحلتين:

أولا: إحاطة المناطق الأرمينية في كاراباخ بمدى أمني خال من أي وجود أذربيجاني.

379 Tigran, MKRTCHYAN and Vahram, PETROSYAN, "Integration of Transcaucasia: Continued failure and hope",

TURKISH POLICY QUARTERLY, Volume 8, Number 1st, 2009. P.62.

380 جورج، شرف، "من روسيا حتى كاراباخ: صراع القوميات في دول آسيا الوسطى والقوقاز"، بيروت: مركز الدراسات الأرمينية، 1998، ص 70.

381 Abdolah, RAMEZANZADEH, « Iran's role as mediator in the Nagorno-Karabakh crises », Belgium, v.u.b., 1996, P. 170

ثانياً: إحاطة إقليم كاراباخ كله بمدى أمني مماثل، مما سيدفع الأرمن لاحقاً إلى احتلال جزء من الأراضي الأذربيجانية. و تزامن احتلال سوشا مع تفريغها بشكل تام من سكانها الأذربيجانيين، و إحلال سكان أرمنيين محلهم.

كما شهدت هذه المرحلة تحولاً ثانياً في التكتيك الأرميني إزاء تأمين المدى الحيوي لكاراباخ. فالإقليم المحاط من كل جوانبه بالأراضي الأذربيجانية، كان من وجهة النظر العسكرية منطقة صعباً الدفاع عنها على المدى البعيد، لافتقارها لطرق الإمدادات و للعمق الاستراتيجي اللازم للمناورة العسكرية. و لذا كان الهدف التالي للهجوم الأرميني تأمين هذا المجال الحيوي، من خلال ربط كاراباخ بأرمينيا، والسيطرة على الأراضي الأذربيجانية الواقعة بين الإقليم و الحدود الأرمينية. و فعلاً تحقق هذا الهدف، باحتلال ممر لاشين في 20 ماي 1992م بعد انسحاب القوات الأذربيجانية منه دون أية مواجهة³⁸².

تعد السيطرة على لاشين انتصاراً استراتيجياً للأرمن، أسهم بامتياز في قلب ميزان القوى لصالحهم، بيد أنه صعد مشكلة كاراباخ من سمتها الإقليمية إلى صفتها الدولية. و جاءت ردود الفعل الدولية (إيران، تركيا، واشنطن، حلف الأطلسي، منظمة الأمن و التعاون الأوروبي...) سلبية في مجملها، لأنها رأت في هذا الاحتلال خرقاً لمبدأ مقدس في القانون الدولي، و الذي ينص على ضرورة الحفاظ على سلامة أراضي الدولة القائمة، و عدم جواز إجراء أي تغيير بالقوة في الحدود الجغرافية³⁸³. فالأرمن الذين حققوا انتصاراً عسكرياً كبيراً تعرضوا إدانة سياسية دولية. لكنها لم تتخط آنذاك إطار تسجيل موقف نظري، دون تفعيل ضاغظ لإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها.

أسفر سقوط سوشا و لاشين عن آثار وخيمة على الوضع السياسي الأذربيجاني، إذ أنه سارع بسقوط نظام الرئيس ماطالييوف و وصول الجبهة الشعبية الحكم³⁸⁴. إلا أنه، إذا كانت الهزائم العسكرية قد أسقطت النظام السابق، فقد كان واضحاً أن شرعية و مصداقية النظام الجديد مرهونة بمحو آثار الهزائم السابقة، و تحقيق انتصارات تعيد البلاد إلى موقع قوة. و فعلاً يمكن القول، إن الأذربيجانيين قد استعادوا المبادرة العسكرية على الجبهات، و لكنهم لم يتمكنوا من تسجيل أي اختراق يذكر في ميزان القوى الذي ظل مائلاً لكف الأرمينيين.

382 جورج، شرف، مرجع سبق ذكره، ص ص 74-78.

383 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص 133.

و سياسيا، بدأت تظهر بعض المقترحات العملية لمعالجة الأوضاع المتردية فيما وراء القوقاز . مثل استعداد منظمة الأمن و التعاون الأوروبي لإرسال مراقبي سلام إلى كاراباخ عقب تثبيت وقف إطلاق النار، و لكن جميع هذه المبادرات ظلت حبيسة "إعلان النيات" دون أي تصعيد سياسي فعال³⁸⁵.

و لهذا تمادى الأرمن في إستراتيجية توسيع الطوق الأمني المحيط بكاراباخ، و توسيع المدى الحيوي حول أرمينيا، ونجحوا في ذلك، عندما نقلوا جبهة المواجهة مع الأذربيجانيين إلى داخل الأراضي الأذربيجانية: السيطرة على كالبادجاري في 2 أبريل 1993م، سقوط أعدام في 24 جويلية 1993م، السيطرة على جنوب غرب أذربيجان خلال شهري أوت - سبتمبر³⁸⁶. وبذا، استقر الحزام الأمني في كاراباخ.

منذ أكتوبر 1993م، بدا أن الأرمن قد حققوا الأهداف الإستراتيجية لحربهم. فهم يسيطرون على المدى الحيوي من الشمال إلى الجنوب، كما يسيطرون على طوق أمني في أذربيجان يمتد أيضا من الشمال إلى الجنوب. و بهذا امتلك الأرمن أوراقا قوية ضاغطة على أذربيجان في أية مفاوضات لاحقة، خاصة فيما يتعلق بمقايضة الأراضي الأذربيجانية المحتلة بتنازلات سياسية أذربيجانية في كاراباخ. كما أحدثت هذه النتائج العسكرية خلا كبيرا في ميزان القوى، يجعل أية مفاوضات محتملة أقرب إلى إملاء شروط أرمينية و إذعان أذربيجاني.

لم يكن بوسع النظام الأذربيجاني تحمل هزيمة سياسية إلى جانب هزيمته العسكرية، و لذا كان المخرج الوحيد أمامه هو المبادرة بعمل عسكري يعدل ميزان القوى لصالحه. و بالفعل، بدأ الأذربيجانيون هجوما عسكريا منذ مطلع 1994م³⁸⁷. و خشية انقلاب ميزان القوى، أعلن الأرمن موافقتهم على وقف إطلاق النار و إرسال مراقبين دوليين وقوة فصل إلى كاراباخ، في 13 مارس 1994م. كما وافقوا على الانسحاب من كامل الأراضي الأذربيجانية عدا لاشين شريطة انسحاب الأذربيجانيين من مارداجيد. بيد أن تعثر المفاوضات دفع الأرمن إلى استعادة المبادرة العسكرية في 19 أبريل 1994م، أين تمكنوا من السيطرة على تاليش شمال كاراباخ، و قصفوا توكشي و كارابسكي، دون إحراز نقاط حاسمة³⁸⁸.

ج- ناجورنو-كاراباخ بين الوضع الراهن و احتمالات المستقبل

385 Alexei, ZVEREV, Op. Cit., P.P. 13-31.

386 Oliven, PAYED, Op. Cit., P.P. 103-136

387 Jean, SEITLINGER, Op. Cit., P. 13.

388 Ibid, P. 14

ابتداء من 12 ماي 1994م وحتى الوقت الراهن، عدا الأحداث الاخيرة في افريل 2016. هدأت الأوضاع العسكرية، بموجب اتفاق هش لوقف إطلاق النار بين كل من أذربيجان و أرمينيا و كاراباخ. ليفسح المجال أمام المفاوضات التي مازالت مستمرة. و يبدو أن هذه الهدنة ناتجة عن قناعة ميدانية لدى المقاتلين، بعدم القدرة على إجراء تعديلات جديدة في ميزان القوى على الأرض. فأية سيطرة على أراضي إضافية سوف تضعف الأرمن، عسكريا من حيث تشنيت قواهم، و سياسيا من حيث زيادة الضغوط الدولية عليهم، و رفض المجتمع الدولي لأي احتلال إضافي غير مبرر لأراضي أذربيجانية. كما أن آخر هجوم أذربيجاني في بداية 1994م، أظهر لسلطات باكو مدى ضعف الجيش، فانكفأت إلى الداخل الأذربيجاني لضبط الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و بدء عملية بناء جديدة واسعة النطاق للقوى العسكرية، انتظارا للتطورات الآتية سياسيا و عسكريا³⁸⁹.

و جدير بالذكر أن مجلس الأمن قد تفادى التدخل في جوهر و تفاصيل مشكلة كاراباخ، و أحالها على منظمة الأمن و التعاون الأوروبي بصفتها الراعية لمفاوضات السلام. و قد يكون هذا الموقف ناتجا عن المعطيات التالية:

- ✓ تجاوب المجلس مع رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في عدم التدخل في المسألة.
- ✓ مراعاة الرغبة الروسية التي تفضل التعامل مع منظمة الأمن و التعاون الأوروبي كإطار يستبعد الأمم المتحدة، أين هيمنة واشنطن واضحة.
- ✓ تفادي المواجهة مع موسكو التي ترغب في قيام سلام برعاية الأمم المتحدة و تمويلها، لكن بمشاركة و قيادة روسية في أغلبها³⁹⁰.

و تجد معالجة هذه المنظمة مشروعيتها السياسية في مشكلة كاراباخ من عدة زوايا:

- ✓ ضرورة معالجة أزمة سياسية - عسكرية بين اثنين من أعضاءها.
- ✓ امتناع مجلس الأمن الدولي عن الدخول في جوهر المشكلة، وتفويض المنظمة لإدارة المفاوضات السياسية.
- ✓ امتناع الولايات المتحدة ومعها حلف الأطلسي عن التدخل المباشر في المشكلة.

389 Alexei, ZVEREV, Op. Cit., P.P. 68-71.

390 بير، ج. ترزيان، "مشكلة قره باخ...احتمالات التسوية"، مجلة أريف، عدد27، مارس2000، ص ص133-134.

✓ الحاجة إلى إطار سياسي ذو طابع دولي، للإحاطة بمشكلة معقدة قد يترتب عليها انعكاسات سلبية على الأمن الأوروبي.

قد تطورت مقارنة المنظمة للأزمة عبر مرحلتين: المعالجة السياسية كمدخل لمعالجة التأزم العسكري، ثم الانقلاب على معالجة الشق العسكري كمدخل للحل السياسي. و رغم أن هذه المنظمة لم تتمكن حتى الآن من التوصل إلى تسوية سلمية للنزاع إلا أنها تمثل همزة وصل ضرورية بين الثالث: باكو، ستيفاناجيرد و ياريفان. ويرجع ضعف تأثيرها إلى: عدم امتلاكها قوة فرض عسكري، التعقيدات و المصالح الإقليمية المتداخلة (بدءا من التطلعات الروسية، مروراً بالصفقات البترولية و انتهاء بالتجاذب الروسي الأذربيجاني)، ناهيك عن عدم وضوح الرؤية بالنسبة لمستقبل القوقاز، و عدم إمكانية عزل مشكلة كاراباخ عن مجمل مشاكل المنطقة³⁹¹.

و مهما يكن من أمر، فقد أجريت عدة مفاوضات بين الرئيسين الأرميني و الأذربيجاني برعاية منظمة الأمن و التعاون الأوروبي. لم تتوصل لحد الساعة إلى اتفاق شامل حول المسألة، و يبدو أن الرئيسين لديهما قناعة بأن مشكلة كاراباخ لن تحل إلا بموجب تنازلات متبادلة، إلا أن إقناع شعبيهما بهذا الطرح يعد مخاطرة إن لم تكن مقامرة بالنسبة لكليهما.

عند هذا الحد، ثمة تساؤل يطرح نفسه حول مستقبل أزمة كاراباخ، وهل ينتصر فيها حق الشعب الأرميني في تقرير مصيره؟ أم يكون منطق الدولة في سيادة و وحدة أراضيها هو السيد في النهاية؟

يمكننا البحث عن إجابة في ضوء عدة معطيات:

على الصعيد العسكري يبدو الأرمن في وضع أقوى يعطيهم موقعا مريحا على مائدة أية مفاوضات مستقبلية، غير أن هذا التفوق يعد ظاهريا لأنه لا يستند على القدرة الذاتية، بقدر استناده على استمرارية الموقف الروسي الداعم له. كما أن التفوق الأرميني هش، لأن الانتصارات العسكرية الأرمينية ارتكزت على تغطية سياسية و عسكرية روسية غير معلنة، مما يبقي الموقع السياسي- العسكري الأرميني في حالة تأرجح³⁹². و في الواقع، تشكل أزمة كاراباخ ورقة سياسية - عسكرية روسية لممارسة مناورات ضاغطة على باكو بهدف تغيير مسار سياستها، و تحويله إلى طريق الثوابت المصلحية الروسية الإستراتيجية. المتمثلة في

391 Oliven, PAYED, Op. Cit., P. 120

392 Ibid, P.P. 120-125

إكمال الانتشار العسكري الروسي على طول الحدود السوفييتية السابقة، و الحصول على الحصة الكافية من النفط. وحتى الآن ، شكل التصلب الأذربيجاني تجاه موسكو عاملا مساعدا للموقف الأرميني، إلا أن أي انعطاف جذري في موقف باكو صوب موسكو، سيقابله تراخ مواز في قوة الدعم الروسي للأرمن، ومن ثم اهتزاز موقعهم في ميزان القوى الراهن.

إضافة لذلك، يلعب عنصر الزمن عاملا مضادا للأرمن. فأحد العوامل المساعدة في الانتصارات العسكرية الأرمينية يكمن في الانهيار الاقتصادي، و التوتر السياسي، و الشلل العسكري، الذي كانت تعانيه أذربيجان عقب الاستقلال. و لكن بمرور الوقت -خاصة مع حالة الهدنة القائمة- بدأ هذا العامل يفقد أهميته. نتيجة استقرار الوضع السياسي في باكو، وبدء الاستثمار الاقتصادي-السياسي للثروة النفطية، و التقدم في عملية بناء القوات العسكرية³⁹³. مما يجعل من غير المستبعد على القوة الأذربيجانية، بعد أن تصبح في كامل استعدادها أن تخرق الهدنة القائمة. في محاولة لقلب موازين القوى على الأكثر، أو حتى تعديلها على الأقل.

أما على الصعيد الإقليمي - الدولي القائم حاليا، لا يبدو الأرمن في وضع سياسي مريح، لا على مستوى القانون و الشرعية الدولية، و لا على مستوى المصالح السياسية للقوى الفاعلة في المنطقة، إذ أن المطالب الأرمينية الاستقلالية تفترض من وجهة نظر القانون الدولي تغييرا في كيان دولة قائمة. كما تشكل من وجهة النظر السياسية، و في حالة تحقيق الاستقلال، سابقة تفتح الباب على المجهول، في منطقة شديدة الحساسية و التعقيدات بهذا الخصوص. و لذا، فإن هذه المطالب في حدها الأقصى الاستقلالي، غير مقبولة في ظل المعطيات الحالية و غير قابلة للتحقيق³⁹⁴.

على العكس، تبدو أذربيجان في موقع قوة، لأنها تمتلك إلى جانبها ورقة الشرعية الدولية، الراضية لأي تغيير جغرافي في الكيانات القائمة. و لهذا، ينطلق وسطاء منظمة التعاون و الأمن الأوروبي من ثابتين: ضرورة انسحاب القوات الأرمينية من الأراضي الأذربيجانية، والبحث في مستقبل كاراباخ كجزء من دولة أذربيجان³⁹⁵.

393 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره ، ص ص 134-135.

394 عبد الله، صالح، مرجع سبق ذكره ، ص ص 178-179.

395 محمد، رفعت الإمام، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة"، مرجع سبق ذكره، ص 135.

رغم الدعم الروسي لكاراباخ، إلا أن روسيا لم تكن أبدا مع المطالب الأرمنية الاستقلالية، و لن تكون معها مستقبلا. لأنها تتضارب مع مصالحها الأساسية و تطلعاتها إلى لعب دور عالمي، و الحصول على اعتراف دولي لقواتها المنتشرة في الأنحاء السوفييتية السابقة. كما أن روسيا التي تعاني من حركات انفصالية في داخلها، لا يمكنها أن تقبل بأي منعطف انفصالي في محيطها، يكون له انعكاس على داخليتها، ويدفع جوارها القريب إلى المجهول³⁹⁶.

تكتمل الصورة أخيرا، بانبثاق التنافس الأمريكي- الروسي في منطقة القوقاز و آسيا الوسطى. مما يعني أن الجوار القريب لم يعد "مسرحا روسيا"، بقدر ما صار "حلبة سباق" أمريكية - روسية. و لن يكون ذلك في الصالح الروسي، نظرا للترحيب الذي يلقاه أي تدخل أمريكي في القوقاز، و اعتباره ملجأ خلاص من روسيا³⁹⁷. و بذلك، لم تعد روسيا اللاعب الأكبر و الأوحد في أزمة كاراباخ بعد أن انجذب المارد الأمريكي إلى رائحة النفط القوقازي. مما يبعد أي احتمالية لقيام تقارب حميم بين موسكو و باكو، خاصة بعد الاتفاقات البترولية الضخمة مع الشركات الأمريكية التي تريح أذربيجان اقتصاديا، و تغطيها سياسيا و أمنيا³⁹⁸.

بدخول منطقة القوقاز في مرحلة تجاذب أمريكي-روسي، سوف تتحرك الأوضاع وسط رمال متحركة، مما يعني استبعاد الحلول الفورية للأزمات الراهنة في المنطقة. و بالتالي، ستظل أزمة كاراباخ معلقة في المستقبل بين اللاسلم و اللاحرب، في انتظار سلام تنفق عليه موسكو و واشنطن. ولكن هذا السلام يستلزم اتفاقا أمريكيا روسيا شاملا على مستوى المنطقة، وهو أمر لا يبدو سهل المنال حاليا. و هكذا، أضيفت مشكلة كاراباخ بكل تعقيداتها و تشابكاتها و ملاسباتها إلى المشكلات الدولية الكبرى.

2 - الصراعات الاثنوسياسية في جورجيا

تعد الصراعات الاثنوسياسية في جورجيا من الصراعات القومية التي تنشأ بين الأغلبية القومية و الأقلية القومية، بسبب مطالبة الأخيرة بالاستقلال و الانفصال عن الأولى. فيتحول الصراع إلى حرب أهلية محدودة، بسبب ضعف الروابط العرقية فيما بين القوميتين المتصارعتين و القوميات الأخرى في المنطقة، فلا

396 Oliven, PAYED, Op. Cit., P. 170.

397 محمد، رفعت الإمام، " مشكلات الأمن في القوقاز: تداخلات الأعراق والنفط والسياسة"، مرجع سبق ذكره، ص166.

398 المرجع نفسه.

تصل الحرب إلى درجة الحرب الإقليمية بين جمهوريتين مستقلتين مثل الصراع الأذربيجاني - الأرمني، و إن كان للصراع أبعاده الإقليمية و القومية بسبب الخارطة السكانية المعقدة. التي تتوزع كما يلي:³⁹⁹

69 بالمائة جورج "كرج"، 9 بالمائة أرمن، 7 بالمائة روس، 5 بالمائة أذربيجانيين، 3 بالمائة أبخاز، 1 بالمائة يهود، 6 بالمائة أقليات أخرى.

و تضم جورجيا: جمهورية أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي، ويسيطر عليها الأوسيتيين ذوي الديانة المسيحية الأرثوذكسية. و مقاطعة أديجاريا ذات الحكم الذاتي، و سكانها تتار مسلمون، فضلا عن جمهورية أبخازيا المستقلة ذاتيا، و أغلب سكانها مسلمون⁴⁰⁰.

و الجورج سلالة مستقلة بذاتها، لا علاقة لها بأنواع الأجناس الأخرى في أوروبا و آسيا. فالشعب الجورجي لا يتمتع بحجم دولي، و ليس بإمكانه الاعتماد على الأشقاء أو الإخوة، لا بداخل الاتحاد السوفييتي السابق و لا خارجه. فالقومية الجورجية قومية تاريخية، اعتنقت المسيحية في القرن الخامس ميلادي، ولا توجد بين لهجاتهم و لغاتهم أصول تركية أو اوروبية أو سامية. و هم يعتبرون أنفسهم أرقى ثقافيا من جيرانهم، نظرا لأن بلادهم كانت مملكة مستقلة متمدينة و جزءا من العالم الإغريقي - الروماني، و جيرانهم في مرحلة البداوة⁴⁰¹. كما أن الجورجي يعتز بهويته الوطنية، و بديانته المسيحية الكاثوليكية، وبلغته (وهي إحدى اللغات الإيبيريو-قوقازية الجنوبية). فضلا على أن الجورجي يشعر بأنه مظلوم تاريخيا، فهو لم يحكم نفسه بنفسه طوال عمره التاريخي سوى مائة سنة فقط. و أنه بأصالته، حضارته و تاريخه، يستحق ما حرّمته منه حركة التاريخ. فخمسون سنة من الحكم الإسلامي، فضلا عن أكثر من قرن من الحكم القيصري، و سبعون سنة من الحكم الشيوعي. لم تفلح في تغيير الانتماء الديني، و الهوية الوطنية الجورجية⁴⁰².

ويعد الشعب الابخازي، أحد الشعوب القوقازية العديدة ذات الأصل الشركسي التي تسكن منطقة القوقاز. يسكنها ستون شعبا، تتجاوز فيها أربع جمهوريات سوفييتية سابقة، و سبع جمهوريات ذات حكم ذاتي.

399 بير، ج.ترزيان، "قرة باخ: مشكلة تنتظر الحل"، مجلة أريف، عدد42، جوان2001، ص42.

400 مختار، شعيب عبد الله، "الصراع القومي و العرقي في الجمهوريات المستقلة: أبخازيا-جورجيا"، مجلة السياسة الدولية، ص181.

401 المرجع نفسه، ص182.

402 المرجع نفسه.

و يدين أغلبية الأبخاز بالإسلام، إلا أن المراقبين لا يعتبرون القضية الدينية هي المحرك الأساسي للصراع، إذ يشترك في الحركة الانفصالية الأبخاز المسيحيون، و الأقليات المسيحية اليونانية، الأرمنية و الروسية⁴⁰³.

بالإضافة للحركة الانفصالية لأوسيتيا الجنوبية، فرغم مسيحيتها الأرثوذكسية فساكنها يعتبرون دخلاء نسبيا على الأرض الجورجية، فهم في الأصل أحفاد قبائل آلان القديمة، ذات الأصول الفارسية⁴⁰⁴. و لهذا، فمطالبهم كانت في العيون الجورجية أقل أهمية. وحتى مصطلح أوسيتيا الجنوبية لا يعترفون به، و تم حذفه من المؤلفات الجورجية، و استبداله بمصطلح ساماتشابلو SAMACHABLO (أي أرض ماتشابلو نسبة للعائلة الإقطاعية الجورجية التي حكمت المنطقة شكلا)، وشيدا كارتلي (الكارتلي الداخلي)، ثم من بعد شينفالي (موقع أوسيتيا الجنوبية الجغرافي، كمنطقة جبلية محاطة على ثلاث جهات بالمستوطنات الجورجية)⁴⁰⁵.

أ - الصراعات الاثنوسياسية و السياسات القومية الروسية-السوفيتية

من أهم ملامح هذه السياسات، التي حاولت التعامل مع المشكلة القومية، نجد سياسة الدمج القومي. القائمة على نقل القوميات المختلفة من مكان لآخر (كنقل الروس إلى وسط آسيا و القوقاز)، فضلا عن تدفق الفلاحين، و الفارين من العبودية و القانون، و تصفية النخبة التقليدية في جميع المناطق دون تمييز، حتى صار أهل البلاد الأصليين أقلية في بلادهم. فنجد أن حكومات القياصرة حرصت على تطعيم هذه القوميات بقوميات أخرى، من أجل إضعاف قوة التركيبة الاجتماعية للقوميات الأصلية في القوقاز و وسط آسيا. مع إتباع سياسة الترحيل و التهجير للقبائل النترية و الشركسية بعيدا عن شواطئ البحر الأسود، لمنعهم من الاتصال بالعالم الخارجي، و توطين الروس مكانهم. و تهجير هذه القوميات إلى سيبيريا و وسط آسيا و الأراضي العثمانية، تحت ضغط المجازر الرهيبة⁴⁰⁶. فضلا عن سياسة التصير الإجباري و اضطهاد الأديان الأخرى، و فرض منهج ثقافي واحد، يفرض اللغة و الثقافة الروسية على الجميع.

404 Alexei, ZVEREV, Op. Cit., P.P. 65-70.

405 Bruno, COPPIETERS, Op. Cit., P.P. 62-77.

406 Jean, SEITLINGER, Op. Cit., P. 24.

ترجع جذور الحرب الأهلية بين الجورج والأبخاز إلى هذه السياسات، فضلا عن المواريث التاريخية منذ القرن الثامن، و بالتحديد في 746م، أين أقيمت مملكة الأبخاز المستقلة. لكن جورجيا قامت بضمها إليها في 987م.

في عام 1463م، نجحت أبخازيا في استعادة استقلالها. لتخضع بعدها للحكم العثماني في القرن السادس عشر ميلادي، حيث حل الإسلام محل المسيحية. و في الوقت ذاته كانت جورجيا تحت الحكم الإيراني ثم الروسي القيصري، بعد انتصار روسيا في حربها ضد إيران، من أجل الوصول إلى المياه الدافئة. وفي 1810م تم إبرام معاهدة بين روسيا و العثمانيين، تعترف روسيا بموجبها بوضع أبخازيا كحمية. و خلال الفترة 1810م-1864م، استطاع الروس أن يقهروا الشعب الأبخازي، و يضموا أبخازيا لحكمهم. فرحل 70 بالمائة من الأبخاز (حوالي 200 ألف)، و انحازوا لتركيا في حربها ضد روسيا. في حين انحاز الجورج للروس، مرحبين بالحماية المسيحية. و تعرضت المنطقة للتهجير القسري، فلم يتبق من الأبخاز سوى 150 ألف فقط. و استمرت المقاومة الأبخازية حتى سنة 1877م، أين قمعت بشدة⁴⁰⁷.

ومن الناحية السياسية، ألحقت أبخازيا إلى بروسيا عام 1810م. بوصفها إمارة مستقلة، ليس لها أي علاقة تبعية بجورجيا. و استمر هذا الوضع، حتى تمكنت روسيا من ضم أبخازيا إليها سنة 1864م، لتصبح هي و جورجيا جزءا من الإمبراطورية القيصرية. إلى غاية ثورة أكتوبر 1917م، التي منحت الشعوب حق تقرير مصيرها. فأصبحت جورجيا دولة مستقلة في 1920م، و أبخازيا دولة مستقلة أيضا سنة 1921م⁴⁰⁸.

ثم تطورت سياسة البلاشفة إزاء مشكلة القوميات، فأقروا في أول قانون صادر عن الثورة إلغاء كافة قوانين ما قبل الثورة، خاصة تلك المنظمة لعلاقة الكنيسة بالدولة. كما ألغى لينين أي إشارة للانتماء الديني في أي وثائق شخصية، سعيا منه لطمس الشخصية الدينية و الانتماء العقائدي، و رفض فكرة القومية و الثقافة القومية. و فكرة حق تقرير المصير، التي أكد أنها مفاهيم بورجوازية استخدمت كوسيلة تكتيكية ضد العدو القيصري⁴⁰⁹. ليرز ستالين فيما بعد، محاولا ملأ الفراغ الكبير في نظريات لينين، و طبق ثلاث حلول:

- تشجيع الانصهار العرقي بين القوميات المختلفة.

407 مختار، شعيب عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص ص182-183.

408 المرجع نفسه، ص183.

- نقل الجماعات العرقية التركية، التترية و الإيرانية القاطنة في القوقاز و الفولجا إلى سيبيريا و آسيا الوسطى. و إحلال القوميات الأخرى (كالكرج و الروس) محلهم. و تجزئة العديد من الأقاليم مثل: الأنجوش و الجمهورية الجبلية.

- تشجيع الزواج المختلط بين القوميات المختلفة.

إلى جوار هذه السياسة السكانية التي كانت تتوخى الإحلال و التنوع، و تهدف إلى عدم جعل قومية واحدة تسيطر على منطقة ما. فقد جعلت السياسة السوفيتية قيام مقاطعات ذات حكم ذاتي أكثر من قيام كيانات دستورية. رامية من وراء ذلك، جعل الفئات العرقية المختلفة تتوقع تحت مظلة الحكم في موسكو. ففي الحقبة الشيوعية ألحق بـجورجيا ثلاث جمهوريات ذات حكم ذاتي، منها: أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية⁴¹⁰.

ب - تطورات الصراع الجورجي-الأبخازي

ترجع جذور الحرب الانفصالية الدموية في أبخازيا إلى سياسات سكانية تعود إلى العهد السوفيتي. فمنذ قرن مضى، كان الأبخاز يمثلون 68 بالمائة من سكان الإقليم. إلا أن آخر إحصاء أجره الإتحاد السوفيتي السابق، عام 1990م. أشار إلى تقلص عدد الأبخاز إلى 18 بالمائة، و ارتفاع الجورج إلى 41 بالمائة، في وطن الأبخاز. و يتحمل الرئيس ستالين مسؤولية ذلك، لممارسته في هذا الإقليم أسلوب الهندسة البشرية. بخلعه لسكانه الأصليين و ترحيلهم إلى مناطق بعيدة، و استقدام غيرهم من الكرج. و يشير هذا، إلى حجم الإجرام في تغيير هوية إقليم كان يتمتع بالاستقلال و الحكم الذاتي داخل جورجيا، أما استقلاله السياسي فكان مزيفا مثل استقلال جورجيا داخل الإتحاد السوفيتي السابق. و بعد وفاة ستالين سنة 1953م، نظم الأبخاز حملات لتأكيد عائدية الأرض لهم، و طالبوا بضمهم إلى روسيا الاتحادية كحل للمشكلة. و يؤكد الأبخاز أنهم عملوا على وقف الصهر القومي الذي تعرضوا له، و محاولات إزاحتهم من المواقع الإدارية و الاقتصادية. و في 1989م، طالبوا كما في عام 1978م، بالانفصال عن جورجيا⁴¹¹.

410 مختار، شعيب عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص183.

411 المرجع نفسه، صص183-184.

تطور الصراع بعد ذلك في أربع مراحل متتالية، أثرت فيها عدة عوامل أهمها: الموقف الروسي من الصراع، موقف القوميات الأخرى، و الصراع الداخلي على السلطة في جورجيا⁴¹². و هذه المراحل هي:

- الأولى : تعتبر بداية الصراع الحقيقية حديثا، ففي 09 أبريل 1989م، عندما تمت تتحية بوريس أدلينا السكرتير الأول في الحزب الشيوعي الابخازي من منصبه، لتوقيع نداء يطالب بفصل أنجازيا عن جورجيا. حدثت مظاهرات مؤيدة له، و طالبت باستقلال أنجازيا عن جورجيا. تجددت في 17 جويلية 1989م، إثر موجة العنف بين الابخاز و الكرج في سوخومي بسبب الخلاف حول إنشاء جامعة جورجية في سوخومي⁴¹³. ليتفجر الصراع القديم مع استقلال جورجيا سنة 1991م، بقيادة زفياد جامسا خورديا، الذي فتح باب الصراعات القومية على مصراعيه.

و مع استيلاء الحكومة العسكرية بقيادة تشنجيز كورتوفالي رئيس الحرس الوطني على السلطة، قامت بإلغاء الدستور الذي يحمي حقوق الأقليات و يسمح بجمهوريات ذات حكم ذاتي، و أعادت العمل بدستور 1920م، و أكدت أنها ستطبقه على كافة الأراضي الجورجية. فقام الشعب الابخازي بإجراء انتخابات حرة، تكون على إثرها برلمان وطني، إختار فلاديسلاف أوردزينا رئيسا للجمهورية⁴¹⁴.

- الثانية : عندما وصل شيفنادزة للسلطة في يناير 1992م، أعلن أنه سيحترم حقوق الأقليات القومية و العرقية، لكنه أصدر قرارا بإلغاء الاستقلال الذاتي لأنجاز. و كان من الطبيعي أن ترد السلطات الابخازية بإعلان الاستقلال، و العودة إلى دستور 1925م، و بالتالي سيادتها على الإقليم الذي يعد أحد الطرق الإستراتيجية الهامة للوصول إلى المياه الدافئة. أي أن البرلمان اعتبر قرار ستالين بضم أنجازيا إلى جورجيا لاغيا، بحيث تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل 1925م. فجاء رد شيفنادزة عنيفا، إذ أرسل في 14 أوت 1992م الآلاف من الجيش الجورجي لاحتلال أنجازيا. و في 21 أوت 1992م، أعلنت جورجيا سيطرتها على الإقليم و عاصمته سوخومي⁴¹⁵.

- الثالثة : بادر الابخاز بتشكيل قيادة عمليات للجيش الأبخازي للمحافظة على الهوية الابخازية، و أعلنت التعبئة العامة، و شنت المقاومة هجماتها في 3 جويلية 1993م، و حاصرت القوات الجورجية في

412 Yves, LACOSTE, Op. Cit , P. 61.

413 Alexei, ZVEREV, Op., Cit., P.70.

414 Ibid, P. 71.

سوخومي. و في 28 سبتمبر من نفس السنة، سيطر الابخاز على العاصمة الابخازية بعد معارك طاحنة استمرت 12 يوم، في الوقت الذي خرج فيه شيفاندزة من سوخومي بمساعدة الروس، على متن طائرة عسكرية⁴¹⁶. و اتهم شيفاندزة الروس بمساعدة الابخاز، و دعى حلف الأطلسي للتدخل في الصراع.

- الرابعة : مع عودة جامساخورديا للصراع على السلطة، صار هناك ثلاث جبهات للحرب الأهلية في جورجيا: الأوسيتيون، الابخاز، و أنصار جامساخورديا الذين سيطروا على غرب جورجيا. و أخذت قلاع الحكم الجورجي لشيفاندزة تنهوى أمامهم، فأعلن شيفاندزة انضمام بلاده لرابطة كومنولث الدول المستقلة. ليتحول الصراع لصالحه بعد سيطرة قواته على جميع الأقاليم، بمساعدة روسيا و جيوش الرابطة⁴¹⁷.

تحت ضغط الصراع على السلطة دارت محادثات للسلام بين الابخاز و جورجيا في جنيف تحت إشراف كل من روسيا و الامم المتحدة فأعلن في 31 ديسمبر 1993 عن اتفاق يقضي بوقف الأعمال الحربية و عودة 250 ألف لاجئ ، و تشكيل مجموعة عمل لتحديد الوضع السياسي للإقليم و تمركز قوة حفظ سلام دولية لمراقبة تطبيق الاتفاق على الحدود بينهما ، إلا أن الاشتباكات بين الطرفين تجددت في 26 مارس 1994 إثر فشل مفاوضات جنيف و أعلن نائب رئيس برلمان أنجازيا أن بلاده تدرس إعلان الاستقلال و انشاء دولة أنجازيا المستقلة ، التي قد تطلب حماية خاصة من جارتها القوية روسيا.

و بقي الوضع معقدا هناك، و ينبئ عن احتمالات خطيرة لتجدد الصراع. خاصة في ضوء الغزو الروسي للشيشان، و انضمام جورجيا لرابطة الجمهوريات المستقلة، و عقدها لاتفاقيات تحالف و تعاون استراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية، ادت بها في الاخير الى الدخول في حرب 2008 مع روسيا.

ج- تطورات الصراع الجورجي - الأوسيتي الجنوبي

ترجع أصول الصراع الجورجي - الأوسيتي إلى 1921م. أين خضعت جورجيا للسيطرة السوفيتية، و تشكيل إقليم الحكم الذاتي لأوسيتيا الجنوبية، التابع للجمهورية السوفيتية الاشتراكية الجورجية، في 20 أبريل 1922م⁴¹⁸. حيث كان الأوسيتيون (66 بالمائة) فلاحون بلا أرض، يعيشون بشكل كبير على الأراضي المملوكة للطبقة الأرستقراطية الجورجية (29 بالمائة). فقاموا بتمرد لتغيير الأوضاع، و إنهاء التمييز ضدهم.

416 Jean, SEITLINGER, Op. Cit., P.P. 30-35

417 Ibid, P.35

لكن هذا التمرد قمع بشدة من طرف حكومة منشفيك MENSHEVIK الجورجية و بدعم بلشفي، و أدى إلى مجزرة شنيعة، قلصت عدد السكان الأسيثيون في الإقليم. حيث يؤكد القاموس الديموغرافي السوفييتي أن عدد سكان الإقليم قد انخفض عام 1984م (98000 نسمة) مقارنة بـ 1939م (106000 نسمة)⁴¹⁹. كما يفسر هذا الانخفاض جزئياً، بالخسائر الفادحة في الحرب العالمية الثانية. و كذا، بإعادة التوطين للأوسيتيين في أنغوشيا، بعد الطرد الأنجوشي عام 1944م.

و طبقاً للقائد الأوسيتي "توريز كلمبيجوف"، فإن الأسيثيون قد منعوا من دخول مؤسسات التعليم الجامعي، كما أن دورهم في الوظائف الإدارية كان محدوداً جداً⁴²⁰. الشيء الذي أنكره الكتاب الجورجيين، الذين ادعوا أن الإقليم المستقل لأوسيتيا الجنوبية و الجمهورية السوفييتية الاشتراكية الأبخازية قد تم تشكيلهما من طرف البلاشفة، لخلق مصادر توتر دائم، يتمكن من خلاله الكريلين من إحكام قبضته على جورجيا بسهولة أكبر. فأبخازيا و أوسيتيا الجنوبية قائمتان على أسس إثنوقراطية، من أجل الإضرار بالمصالح الوطنية الجورجية. و لهذا، فالحاجة الجورجية المدركة هي في الحد - و لما لا- إلغاء هذه الكيانات المستقلة. و كان الرد الأوسيتي إما محاولة تأمين وضع فدرالي في جورجيا مثل أبخازيا، أو -إذا ما فشل ذلك- محاولة التوحد مع أوسيتيا الشمالية كجزء من روسيا.

وقد أصبح النزاع في أوسيتيا قضية سياسية، بسبب محاولة البرلمان الأوسيتي الجنوبي ترقية وضعية الإقليم المستقل. إثر قراره في 10 نوفمبر 1989م، القاضي بإعلان الإقليم جمهورية سوفييتية اشتراكية، مما أثار حفيظة الجورجيين الذين ألغوا هذا القرار في نفس اليوم⁴²¹. ليتطور الصراع بعدها عبر عدة مراحل:

- الأولى : في 23 نوفمبر 1989م، تحول مسيرة 2000 جورجي بزعامة جامساخورديا نحو تشينفالي إلى اشتباكات مع السكان الأوسيتيين، لتتم إراقة أول قطرة دم في هذا الصراع. و هكذا، استمر النزاع إلى غاية 1990م، أين كانت الخلافات في الحركة الجورجية سبباً في استقرار الأوضاع لفترة. لكن، الحظر الجورجي للأوسيتيين من المشاركة في الانتخابات الجورجية في أوت 1990م، خلق رد فعل محلي

419 المرجع نفسه.

420 Nodia, GHIA, « Political turmoil in Georgia and ethnic policy of Zviad Gamsakhordia », Belguim, v.u.b., 1996, P.P. 73-80.

421 Alexei, ZVEREV, Op. Cit., P.P. 62-68.

نجم عنه إعلان الإقليم من جديد جمهورية ديمقراطية سوفيتية أوسيتية جنوبية (YUOSDR). مطالبة موسكو الاعتراف بها، ككيان مستقل عن جورجيا⁴²².

- الثانية : ما إن وصل جامساخورديا للسلطة، حتى أقر في 11 ديسمبر 1990م قانونا يلغي الحكم الذاتي لأوسيتيا الجنوبية. وبدأت جورجيا مذاك في حصار طويل لأوسيتيا الجنوبية، تخللته عدة مناوشات من كلا الطرفين، مع غضب عارم للرأي العام المحلي لأوسيتيا الجنوبية على الحكومة المركزية الروسية، المتساهلة مع جورجيا⁴²³. و في 17 مارس 1991م، شارك YUOSDR في استفتاء تقرير مصير الاتحاد السوفيتي بنسبة 99 % لصالح بقاء الاتحاد، أملا في حث المركز على القيام بإجراءات ردعية تحميهم من جورجيا. لكن الكريملين، و لانشغاله بالمنافسات السياسية في موسكو، و كذا، بالمناطق الأكثر سخونة في أرجاء اتحاده المفكك، لم يظهر أي استعداد للتدخل في القتال المحتدم بين الجورج و الأوسيتيين.

بعد سقوط جامساخورديا، رفضت مجموعة نواب أوسيتيا الجنوبية -المقتنعون بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد للانفصال- أية مفاوضات مع النظام الجورجي الجديد، ما دام الحصار لا يزال قائما، و القوات الجورجية لا تزال في المنطقة. لكن وتيرة القتال قلت في الأشهر الأولى من 1992م، نتيجة الاهتمام الجورجي بمحاربة أنصار جامساخورديا في ميجريليا و أجزاء من أنجازيا. إلا أنه في منتصف أبريل عادت المدفعية الجورجية لقصف تشينفالي، مما أدى إلى انقطاع الاتصال السياسي، و قطع أوسيتيا الشمالية لخط الأنابيب الذي يزود جورجيا بالغاز الروسي⁴²⁴.

- الثالثة : في هذه المرحلة تدخل عاملان لتغيير الوضع هما :

_ أدى ازدياد تدفق اللاجئين من أوسيتيا الجنوبية والمناطق الداخلية الجورجية، إلى أجبار أوسيتيا الشمالية على التدخل و الضغط على روسيا لاتخاذ خطوات نحو حل النزاع. فزعيم أوسيتيا الشمالية أخساربيك فالازوف لم يتفق مع التوجه الراديكالي لزعماء أوسيتيا الجنوبية (رئيس الحكومة أولاق تيزاف و النائب الأول في البرلمان ألان شوشيف)⁴²⁵، و لكنه -بوجه عام- عمل على حل النزاع.

422 Nodia , GHIA, Op., Cit., P.67.

423 Bruno, COPPIETERS, Op. Cit., P.P. 70-71.

424 محمد، رفعت الإمام، مرجع سبق ذكره، ص163.

425 Yves, LACOSTE, Op. Cit., P.P. 388-394.

_ الدور المتنامي لحلف شعوب القوقاز (KGMK)، الذي أنشأ عقب الاجتماع الثالث لشعوب القوقاز في 21 نوفمبر 1991م برئاسة موسى شانيبوف، بدلا من مجلس شعوب جبال القوقاز (AGNK). ليبدأ العمل كبرلمان غير رسمي للقوقاز الشمالية، ويشكل قوات عسكرية من جمهوريات KGNK. و في 13 جوان 1992م، قام شانيبوف بإحضار كتيبة من ابخاز KGNK لفالاديكافكاز Vladikavkaz، لتحارب إلى جانب أوسيتيا الجنوبية، لكن فالازوف منعه من ذلك⁴²⁶. و هو تطور آخر إضافي هدد سكان القوقاز الشمالية، و أحدث زعزعة عبر كامل المنطقة.

- الرابعة : في أواسط جوان 1992م، كانت روسيا على حافة الحرب مع جورجيا من أجل أوسيتيا الجنوبية، أين ألقى عدد من الزعماء الروس، عدة تصريحات نارية شديدة اللهجة على السلوك الجورجي في أوسيتيا الجنوبية. كما أن عناصر من النخبة الروسية أشارت إلى أنه إضافة إلى مبدأ تقرير المصير (المتدرج به من طرف الأسييتيون)، فإن مبدأ تحجيم المعاناة البشرية يجب أن يعتد به أيضا. و هكذا، ردت روسيا على الحصار الجورجي غير الإنساني بحرب شاملة ضد جورجيا. و في 22 جوان 1992م، التقى يلتسين و شيفنادزة في داجوميس DAGOMIS، و بحضور ممثلين عن أوسيتيا الجنوبية و الشمالية. أسفر عن توقيع اتفاقية سوشي SOCHI بخصوص وقف إطلاق النار، و نشر قوات حفظ سلام روسية، جورجية و أوسيتية مشتركة في 14 جويلية 1992م .

منذ جويلية 1992م، لم يتغير الوضع كثيرا في أوسيتيا الجنوبية. حيث أصبحت كأرض منسية من طرف العالم الخارجي، إذ لا علاقات مع جورجيا و بالتالي لا إمدادات من هناك. فتقريبا لا توجد محاولات (بسبب نقص الموارد المالية) لإعادة بناء ما دمرته الحرب، و مصانع تتسابق مع السكان في اللإنتاج.

و في أكتوبر 1994م، اعترف شيفنادزة بأن: "...النزاع في أوسيتيا الجنوبية كان خطأ فادحا بالنسبة للقيادة الجورجية السابقة، وعليه يجب تكثيف الجهود الدبلوماسية لحل مشكلة اللاجئين من طرف كلا الجانبين..."⁴²⁷. و رغم أن هذا السلام المشوب بالقلق قد استمر لعشرية كاملة، إلا أن الأحداث الأخيرة في جورجيا، التي تمخض عنها وصول نيكولا ساكاشفيلي للرئاسة الجورجية في 4 جانفي 2004م، و تعهده ب: "...ضم جميع الأقاليم المنفصلة، إلى رحاب جورجيا، و من بينها أوسيتيا الجنوبية..."⁴²⁸، أدت لمعاودة الاشتباكات من جديد في ماي 2004م. خاصة مع إصرار رئيس أوسيتيا الجنوبية إدوارد كوكويتي "على

426 « the world economic factbook (1994/5) », Op. Cit., P.P. 186-187.

427 Ibid, P. 70

428 Natalia , SABANDZE, Op. Cit.

ثبات النهج السياسي لتشيغالي، في انضمام أوسيتيا الجنوبية إلى روسيا الاتحادية". و لم يعد الهدوء النسبي للمنطقة إلا بفضل دعوة دولية للتعقل، و تدخل قوة روسية للفصل في أوت 2004م، و مطالبة ساكاشفيلي بانعقاد مؤتمر دولي حول أوسيتيا الجنوبية.

د - الموقف الدولي من الصراع :

هناك عدة اعتبارات تفسر الموقف الروسي من الصراعات في جورجيا فمن ناحية يعد الإقليمان منتجعا للقادة الروس خاصة العسكريين و يدخلان في دائرة الحزام الأمني الروسي ، و من ناحية أخرى تسيطر أقلية روسية على الإقليمين و هي المالكة لكل شيء فيهما ، كما أن الإقليمان كلاهما يطمحان إلى الانفصال عن جورجيا، و الارتباط بروسيا الاتحادية، و من ثمة ضمان المصالح الروسية في الوصول إلى المياه الدافئة و من ناحية تالثة فإن شعوب شمال القوقاز الروسية تدعم كلها الأبخاز و الأوسيتيون و من ثم فإن وقوف روسيا إلى جانب جورجيا سوف يغضب هذه الشعوب و من ناحية رابعة فإن وجود قوات روسية في هذين الإقليمين يساعد روسيا في تأديب جورجيا التي رفضت الانضمام لرابطة الجمهوريات المستقلة فضلا عن أن مساعدة الابخاز و الأوسيتيون و إقامة تحالف معهم يسمح بمواصلة الوجود الروسي الاستراتيجي هناك. و على العموم ما يتسم بالأهمية هو التمييز بين:

أولا : الموقف المعلن : حيث رفضت بل و تعمدت روسيا بعدم التدخل و في الوقت نفسه دعت إلى مفاوضات تجمع بين الطرفين لتسوية الأزمة حيث طالب البرلمان الروسي بوقف إطلاق النار و تسوية الخلافات سلميا في ضوء احترام وحدة أراضي جورجيا ، و حق الشعوب في تقرير مصيرها. و قد أشرفت روسيا على اتفاقيات سوشي ووقع شيفنادزة على اتفاق في شهر ماي 1993 يقضي بتهدئة الوضع بين جورجيا و أبخازيا و آخر بين جورجيا و أوسيتيا الجنوبية ، كما أشرفت على مباحثات جنيف و اتفاق 31 ديسمبر 1993 و تشرف الآن على تنفيذ هذا الاتفاق فضلا عن متابعتها للمباحثات الجارية حول أوسيتيا الجنوبية بالاشتراك مع مؤتمر الأمن و التعاون الأوروبي و أخرى حول أبخازيا بالاشتراك مع الأمم المتحدة و مؤتمر الأمن و التعاون الأوروبي لتحديد الوضع السياسي للإقليمين.

ثانيا : الموقف الفعلي: و الذي حدده ارتكاب جورجيا خطأين استراتيجيين في صراعاتها، أولهما: عندما ركب القادة في تيليسي رؤوسهم و رفضوا الانضمام إلى رابطة كومنولث الدول المستقلة ، الأمر الذي رأى فيه الروس تحديا لهم و لمجالهم الحيوي. و ثانيهما: عندما حركت جورجيا قواتها إلى إقليمين يدخلان ضمن دائرة الحزام الأمني الروسي. و يتمتع أحدهما بمركز استراتيجي هام على البحر الأسود ، فكان العقاب

الروسي شديدا. حيث ساعدوا الابخاز (ولو لم يعترفوا بذلك رسميا) و أوسيتيا الجنوبية و أمدهم بالعتاد و الأسلحة و حتى إرسال قوات من الجيش الرابع عشر الروسي كما أنها ساعدتهم سياسيا سواء بالمناورة السياسية بالضغط على جورجيا أو من خلال المباحثات و المفاوضات فضلا عن السماح للمتطوعين من شعوب شمال القوقاز الروسية للمحاربة إلى جانب الابخاز و الأوسيتيون أو بقطع الطريق على الحلف الأطلسي للتدخل في الصراع. فضلا عن عدم مساعدة الحكومة الجورجية في حربها مع جامساخورديا إلا عندما صحح شيفنادزة الخطأ الأول و أعلن انضمام بلاده لرابطة كومونولث الدول المستقلة فتحول ميزان الصراع إلى صالحه بفضل المساعدة الميدانية للروس و لقوات الرابطة.

و يعد انضمام جورجيا إلى أسرة الجمهوريات المستقلة حلا أخيرا لمواجهة انهيار و تفكك جورجيا، و يعني أن الطريق أصبح مفتوحا أمام روسيا نحو المياه الدافئة ، خاصة بعد اتفاق 9 أكتوبر 1993 بين البلدين الذي يعطي لروسيا الحق في إرسال قوات إلى جورجيا، و استخدام أية قواعد بها ، ثم تدعيمه باتفاق ثان في 02 مارس 1994 مما أثار حفيظة الابخاز و الأوسيتيون ، فكان التأكيد الروسي على أن هذه الاتفاقيات لن يصادق عليها إلا بعد تسوية أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية.

و يمكن القول أن كلا من ابخازيا و أوسيتيا الجنوبية إذا أردتا أن تحافظا على استقلالهما لا بد و إن تربط نفسيهما بروسيا ، خاصة و أنهما لا يمكنهما الاعتماد على نفسيهما في صراعهما مع جورجيا. لذا يمكن أن تمارس روسيا ضغوطا على الابخاز و الأوسيتيون لكي يكتفوا بالحكم الذاتي المرتبط بجورجيا وهو هدف شيفنادزة من الارتباط بروسيا مجددا.

غير أن موقف القوميات الأخرى من هذه الصراعات شمل قوميات شمال القوقاز و التي مثلها اتحاد شعوب القوقاز أمدت الأوسيتيون و الابخاز بآلاف المتطوعين و العتاد و الأسلحة و من أهم هذه الشعوب الشيشان و الأنجوش و الروس ... إلخ ، في حين أن موقف القوميات الأوكرانية و المالدوفية كان مساندا لجورجيا لأنها تعاني من نفس المشكلة و أمدت جورجيا بالمقاتلين و المرتزقة و السلاح.

و اقتصر الموقف الغربي على إدانة الأعمال العسكرية التي يقوم بها الأوسيتيين و الأبخاز و الدعوة إلى تسوية المشكلة بالمفاوضات السياسية ، و لعبت دورا في مباحثات جنيف ، حيث مثلها فيها ممثلون عن مؤتمر الأمن و التعاون الأوروبي.

أما موقف الأمم المتحدة فلم يتعد إصدار بيانات من مجلس الأمن تعبر عن القلق العميق إزاء تدهور الوضع في جورجيا كما في بيان 8 أكتوبر 1992 ، و تحت الأطراف المتصارعة على الوقف الفوري للقتال و الالتزام بشروط الاتفاق الموقع في موسكو في 3 سبتمبر 1992 فضلا عن التأكيد على وحدة الأراضي الجورجية و الدعوة المستمرة لعقد مباحثات سلام بين الأطراف المتصارعة لإنهاء النزاع سلميا و بحث مستقبل الوضع السياسي للإقليمين. لكن ما حدث في صيف 2008 من أحداث و ما تبعها من حرب روسية جورجية أدي بدخول الصراع في مرحلة جديدة سنستعرضها بالدراسة والتحليل في الفصل الثالث.

و أخيرا يمكن القول أن منطقة القوقاز شهدت تغيرات متواصلة في الفترة الأخيرة قد تؤدي إلى رسم خارطة جديدة للمنطقة ، خاصة و أن هذه الصراعات ليست محلية محضة، بل إن لها امتداداتها الإقليمية المهمة و بخاصة فيما يتعلق بالجار الأكبر و الأقوى و صاحب الهيمنة السابقة روسيا ، فضلا عن الترابط بين مجموعات الشعوب و القوميات هناك ، مما يزيد من تعقد هذه الصراعات و حداثتها.

الفصل الثالث:

الاهتمام الروسي الأمريكي بمنطقة جنوب القوقاز

الفصل الثالث: الاهتمام الروسي الأمريكي بمنطقة جنوب القوقاز

كانت منطقة جنوب القوقاز حتى قبل اكتشاف ثروات الطاقة من نفط و غاز في بحر قزوين محل تنافس بين القوى و الإمبراطوريات الفاعلة حينها , أما اليوم ومع كل ما اكتشف فيها فقد أصبحت محل صراع

بين جميع القوى الفاعلة بسبب مختلف الأبعاد الإقليمية و الدولية، سواء القريبة أو البعيدة المدى، التي أعطت للمنطقة أهمية جيوسياسية و جيوسراتيجية متنامية.

وعليه سنحاول في هذا الفصل إمطة اللثام عن مختلف العوامل المؤدية إلى تزايد الاهتمام الدولي بجنوب القوقاز خاصة بالنسبة لروسيا و الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا محاولة استعراض المصالح الإقليمية و الدولية في المنطقة وما ارتبط بها من سياسات متضاربة.

المبحث الأول: مصادر الطاقة في حوض بحر قزوين

النفط مادة قابلة للالتهاب، ليس بالمعنى الحرفي المباشر فحسب، بل و السياسي أيضا. فحيث توجد كميات كبيرة منه، يصبح الحريق أمرا محتملا. فهذه المادة الإستراتيجية التي تشكل عصب الاقتصاد العالمي (وستبقى كذلك في المستقبل المنظور على أقل تقدير)، هي في آن واحد نعمة ونقمة. فهي نعمة، عندما يحسن استخدامها، و توظيفها في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية في البلد المعني. و في تعزيز استقلاله، و مواقعها الاقتصادية و السياسية و الإستراتيجية في منظومة العلاقات الدولية، على مختلف المستويات. لكنها يمكن أن تتقلب نقمة، بحيث تصبح خطرا يهدد استقلال و استقرار البلد، أو المنطقة التي تحتضنها. و مصدر اجتذاب للتدخلات الدولية و القوى العالمية، الساعية إلى وضع اليد على هذه الثروة. و موضع تنافس، و صراع ساخنين بين هذه القوى⁴²⁹.

كل ما ذكرناه ينطبق على نفط قزوين، و المنطقة المحيطة به. فقد أصبحت الثروات النفطية هناك، و الصراع الدائر بين الدول الكبرى للهيمنة عليها. عاملا بالغ الأهمية، في الوضع الجيو-استراتيجي في تلك المنطقة. فقاع بحر قزوين، و المنطقة المحيطة به، يحتويان على مخزون هائل من النفط و الغاز. و من المتوقع أن تصبح في خلال القرن الحالي، أحد المصادر الرئيسية للطاقة في العالم.

فحوض بحر قزوين، المكون أساسا من روسيا و إيران، إضافة إلى بضع جمهوريات سابقة من الاتحاد السوفيتي، هي: أذربيجان، كازاخستان، قيرغيزستان، طاجاكستان، تركمانستان و أوزباكستان. يعتقد أنه يأوي ثاني أو ثالث أكبر احتياطي من النفط، إلى جانب مورد كبير من الغاز الطبيعي. و رغم أن دولا كثيرة، تأمل أن تستفيد من تطور هذه الاحتياطات. فإن التطوير المستقبلي لطاقة بحر قزوين، يلفه الغموض. بفعل الاضطراب الإثني و السياسي داخل المنطقة، و ظهور صراع قوي جديد بين الولايات المتحدة

429 محمد، ذياب، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، شؤون الأوسط، عدد105، شتاء 2002، ص 150.

الأمريكية و روسيا⁴³⁰. و لما كان الطلب العالمي على الطاقة يرتفع، و الصراع لأجل السيطرة على احتياطات قزوين يشتد، فإن المنطقة ستواجه الخطر المتزايد للصراع العنيف(ملحق 12).

إن احتمال الصراع في حوض بحر قزوين، ينبع من كثير من العوامل : حدود متنازع عليها، و نزاعات إقليمية، و غلبة للأنظمة الشمولية، و التباينات الاقتصادية الحادة، و المنافسات الإقليمية القديمة العهد، و وجود مرجل للنزاع الإثني و الديني. و يزداد الوضع في الحوض تعقيدا، لأن بحر قزوين ذاته مقفل باليابسة، و لذلك فإن أية إمدادات طاقة مرسله من المنطقة إلى الأسواق الموجودة في أماكن أخرى، يجب أن تنتقل بالقطارات، أو بخطوط الأنابيب عبر المناطق المجاورة. التي يلف الصراع كثيرا منها نفسها. و الأهم من ذلك كله، أن روسيا تمتلك حضورا قويا في حوض قزوين، و الكثير من الاضطرابات العنيفة الداخلية التي تحطم ذلك البلد، تترك أثرها المحسوس في كل أنحاء المنطقة⁴³¹.

رغم ذلك، فإن كثيرا من مؤسسات الطاقة الرائدة في العالم، قد اكتسبت حقوق تطوير في المنطقة، و بدأت بإنتاج كميات هامة من النفط، كما تجري عمليات تنقيب كبيرة في المناطق البحرية. و لضمان إمكانية إيصال الطاقة إلى الأسواق الأجنبية، تعمل هذه الشركات على مضاعفة بناء خطوط أنابيب النفط و الغاز من قزوين إلى الموانئ و المصافي، في مناطق أخرى.

هذه الفورة من النشاط تدفعها تقارير عن مكامن هائلة من النفط و الغاز، تقع أسفل بحر قزوين، و في المناطق المحيطة. رغم عدم تحديد الخبراء بشكل دقيق، لكمية النفط و الغاز الطبيعي المتواجدة في هذه المكامن.

المطلب الأول: أهمية نفط بحر قزوين

بحر قزوين، أو الخليج الفارسي الثاني، هو عبارة عن بحر مغلق (داخلي). تتراوح مساحته بين 400 و 440 كلم² ، و يتراوح طوله من الشمال إلى الجنوب بين 1204 و 1440 كلم، و عرضه الوسطي 320

430 مايكل، كلير، "الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية"، ترجمة: عدنان حسن، بيروت: 2002 ، ص ص 94-95.

431 المرجع نفسه، ص ص 95-96.

كلم، و طول شواطئه 6525 كلم، و عمقه الوسطي 325م. تطل على ساحله خمس دول: من الشرق تركمستان، و من الغرب روسيا و أذربيجان، و من الشمال كازاخستان، و من الجنوب إيران⁴³².

1 - : تقديرات حجم الطاقة القزوينية

تختلف تقديرات الخبراء في شأن الاحتياط النفطي لحوض بحر قزوين، و لكنهم جميعا متفقون على أن هذه المنطقة، و معها منطقة آسيا الوسطى، ستحتل خلال القرن الحالي الموقع الثالث بعد الشرق الأوسط و سيبيريا من حيث حجم و إنتاج موارد الطاقة. "إن قزوين، قد يضم احتياطات نفط و غاز لا تفوقهما سوى احتياطات الشرق الأوسط و سيبيريا." على حد قول دانييل يرغين D.YERGIN و ثان غوستافسون THANE GUSTAFSON، من معهد أبحاث الطاقة في كامبريدج⁴³³. فقد أصبح حوض قزوين "الدورادو النفط الجديد"، على حد تصريح وزير خارجية فرنسا عام 1996 هارفي دوشارات Harvé De Charrette⁴³⁴. إنه أهم المواقع الواعدة لتطوير الطاقة مستقبلا في العالم.

في عام 1997م، أبلغت الحكومة الأمريكية الكونغرس بأن حوض قزوين يضم كمية من النفط تبلغ 200 بليون برميل، حوالي عشرة أضعاف الكمية الموجودة في بحر الشمال، و ثلث الاحتياطات الإجمالية للخليج . كما كانت وزارة الطاقة الأمريكية متفائلة بالقدر نفسه، حول مخزونات قزوين. إذ نقل عنها في جوان 2000م، أن المنطقة تمتلك احتياطات مؤكدة تبلغ من 18 إلى 35 بليون برميل من النفط، و احتياطات محتملة تبلغ 235 بليون برميل⁴³⁵، فالعديد من المحللين قدموا أرقاما مختلفة، أعلى و أدنى من أرقام وزارة الطاقة، لكن الجميع مع ذلك يتفقون على أن الأرقام النهائية من المرجح أن يتبين أنها ضخمة.

غير أن الأهم من ذلك، ليس المقياس المطلق لاحتياطات بحر قزوين. بل إن الإنتاج في هذه المنطقة يتوقع أن يرتفع في السنوات المقبلة، في حين أن الإنتاج في مناطق نفطية أخرى كثيرة من المحتمل

432 المرجع نفسه، ص96.

433 محمد، نياض، "الصراع الدولي على القوقاز و نفط قزوين"، ملحق باللغة العربية لمجلة آرتاك الأرمينية، أكتوبر 1998.

434 نوفل، لعمارة" الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة جنوب القوقاز و تأثيرها على امن و استقرار دول المنطقة"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية و الإعلام، جامعة

الجزائر، 2006. ص55.

أن يهبط. ففي عام 1997م على سبيل المثال، لم يبلغ إجمالي إنتاج النفط في منطقة قزوين سوى 1,1 مليون برميل يوميا، وهو إنتاج ضئيل من الإنتاج العالمي⁴³⁶. لكن في عام 2010م، يتوقع أن يبلغ إنتاج قزوين 4 مليون برميل يوميا. و في عام 2020م، سيببلغ 6 مليون برميل يوميا. أثناء هذه الفترة نفسها، يتوقع أن يهبط إنتاج و.م.أ، من 9,5 إلى 8,7 مليون برميل يوميا، و في بحر الشمال من 6,3 إلى 5,9 مليون برميل باليوم⁴³⁷، و يرجح استمرار هذه الاتجاهات في السنوات التالية. فيما يستمر الإنتاج القزويني في الارتفاع، و يحتمل أن يمر الإنتاج في مناطق أخرى كثيرة بهبوط هام.

تعتبر المنطقة أيضا ذات قيمة، بسبب خزاناتها الضخمة من الغاز الطبيعي. و حسب وزارة الطاقة الأمريكية فإن أذربيجان، كازاخستان، تركمستان و أوزباكستان تمتلك احتياطات مؤكدة تبلغ 236 إلى 337 تريليون قدم³ من الغاز، و هو مقدار مكافئ للاحتياطات المجتمعة للو.م.أ، كندا و المكسيك. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه البلدان تضم احتياطات محتملة تبلغ حوالي 328 تريليون قدم³، ما يدفع الاحتياطات الافتراضية الإجمالية من 565 إلى 665 تريليون قدم³. و إذا ثبت أن هذا التقدير دقيق، فإن احتياطات الغاز الطبيعي لبحر قزوين سوف تعادل احتياطات أمريكا الشمالية و الجنوبية مجتمعين⁴³⁸.

عموما، و رغم هذه التقديرات المختلفة و التي تصل أحيانا إلى حدود المبالغة المفرطة في التقدير. لاسيما في بعض الدول المعنية، الرغبة في اجتذاب الاستثمارات الأجنبية. فإن الخبراء الروس الأكثر دراسة لثروات المنطقة، و معرفة بحقيقة أمرها. يشيرون إلى أن هذا الاحتياطي المتوقع يبلغ قرابة 20 مليار طن من النفط، و ما يزيد عن 8 تريليون م³ من الغاز، موزعة على الشكل التالي:

- تركمانستان، 6,5 مليار طن من النفط، و 5,5 تريليون م³ من الغاز، تحتل بذلك المركز الرابع في العالم من حيث حجم الاحتياط المكتشف من الغاز.

- كازاخستان، 6 مليار طن من النفط، و 600 بليون م³ من الغاز.

- روسيا، 1 مليار طن من النفط.

436 Ibid

437 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص96.

438 Ian, BREMMER, Op. Cit., P. 10.

- إيران، ما بين 600 و 900 مليار طن من النفط⁴³⁹.

فضلا عن ذلك، ثمة ثروة أخرى كبيرة جدا في بحر قزوين، تتمثل في الثروة السمكية النادرة، التي تنتج أكبر كمية من الكافيار في العالم (90%). و هي خلافا للنفط و الغاز ثروة لا تتضب، بل قابلة للتجدد و التعاضم في حال التعامل السليم معها، و الحفاظ على الظروف البيئية الملائمة لها⁴⁴⁰.

2 - : اهتمام شركات النفط العالمية بالمنطقة

رغم كل الشكوك بخصوص الدرجة القصوى لمخزونات بحر قزوين من النفط و الغاز الطبيعي. إلا أن العديد من الشركات الأجنبية تنهافت على المنطقة، سعيا وراء حقوق الاستكشاف و التطوير (ملحق 11). و من بين المئات من الشركات التي اندفعت إلى المنطقة بحثا عن موطن النفط الجديد، هناك الكثير من مؤسسات الطاقة الرائدة في العالم. بما فيها : أموكو و شيفرون و إكسون موبيل و برتيش بترو ليوم و روابال دنش/شل و إلف أكيتان الفرنسية و آجير الإيطالية و ستات أويل من النرويج و لوكول من روسيا و هيئة البترول القومية الصينية (بعض الشركات اتحدت مؤخرا في شركات كبرى مثل BP و أموكو و إكسون موبيل). هذه الشركات و غيرها، استثمرت بلايين الدولارات في مرافق الإنتاج و النقل الجديدة في عام 1999م⁴⁴¹. و أنفقت مبالغ أكبر في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، وصلت إلى 50 بليون دولار في إجمالي الاستثمارات عام 2010م⁴⁴².

و في معظم الحالات، اشتركت هذه الشركات مع مؤسسات محلية تملكها الدولة عادة. و بعضها مع بعض لتشكيل اتحادات شركات كبيرة (كونسورتيومات)، للاكتشاف و التطوير. فتم إنشاء أول مشروع كهذا في عام 1993م، عندما توصلت شيفرون إلى ترتيب مشروع مشترك تاريخي بقيمة 20 بليون دولار مع الحكومة الكازاخية، لاستثمار حقل تنغيز النفطي العملاق، على الساحل القزويني لكازاخستان. و في وقت لاحق انضمت إلى الشركة الجديدة، المسماة تنغيز-شيفرويل (Tengizchevroil)، شركة موبيل (تسمى الآن إكسون موبيل)، التي اشترت حصة قدرها 25 % من الاتحاد، من الحكومة الكازاخية في عام 1996م. ثمة مشروع مشترك آخر كونسورتيوم خط الأنابيب القزويني (C.P.C)، تم إنشاؤه من قبل شركاء تنغيز-

439 مايكل. كلير، مرجع سبق ذكره، ص 98.

440 Ian, BREMMER, Op. Cit., P.P. 13-15.

441 محمد، ذياب، " الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص ص 151- 152.

442 المرجع نفسه، ص 152.

شيقرويل و لوكويل لبناء خط أنابيب بطول 900 ميل، و بكلفة 2,2 بليون دولار لنقل نفط تنغيز إلى ميناء نوفوروسيسك الروسي على البحر الأسود⁴⁴³.

تم إنشاء الكونسورتيوم القزويني الكبير الثاني في ديسمبر 1999م، عندما اندمجت أموكو و بريتيش بترولسيوم و لوكويل و يونوكال و بنزويل و ستات أويل و عدد من الشركات الأخرى مع شركة النفط الحكومية لأذربيجان (SOCAR)، لتشكل شركة التشغيل العالمية الأذربيجانية (AIOC). هذا المشروع الذي تبلغ قيمته 8 بليون دولار يملك الحقوق الحصرية لاستثمار ثلاثة حقول نفطية داخل البحر، في القطاع الأذربيجاني من بحر قزوين، الذي يمتلك إجمالي احتياطات تقدر بـ 3 إلى 5 بليون برميل من النفط⁴⁴⁴.

لقد شاركت شركة النفط الحكومية الأذربيجانية أيضا، في تشكيل عدة مشاريع كبيرة أخرى. بما في ذلك مشروع شاه-دينيز، بقيمة 4 بليون دولار. بقيادة بريتيش بترولسيوم (الآن AMOCO BP)، و شاتويل و إلف أكتيان و لوكويل و شركة النفط الوطنية الإيرانية. و مشروع لينكوران-تاليش-دينيز، بقيمة 2 بليون دولار، و بقيادة ألف إكتيان و توتال من فرنسا. و ثمة كونسورتيوم كبير آخر، هو الشركة الكازاخية الدولية للتقيب البحري (OKIOC)، (وفيها إكسون موبيل و رويال دوتش / أشل و بريتيش بترولسيوم و فيليس بترولسيوم)، تقوم بالتقيب عن النفط في حقل كاشاغان الكبير، في شمال شرقي قزوين⁴⁴⁵.

هذه المشاريع و غيرها من هذا الحجم، سوف تحول مشهد منطقة قزوين، و تجلب الثروة الضخمة إلى الشركات و الحكومات المشاركة. لكن قبل أن تثمر كل هذه المساعي، على شركات النفط و شركائها الحكوميين إزالة عدد من العقبات الحرجة التي تواجههم.

المطلب الثاني: الصعوبات التي تواجه استغلال ثروات بحر قزوين

يذهب الخبراء النفطيين إلى أن الربع الأول من هذا القرن، سيشهد أعلى معدل استهلاك عالمي، مما سيجعل النفط على قمة الأولويات الإستراتيجية، لدى صناع القرار في الدول الكبرى المستهلكة له. و الجدير

443 المرجع نفسه.

444 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص ص 99-100.

445 المرجع نفسه، ص 100.

بالذكر، أن ثمة عقبات تقف حائلاً أمام النفط القوقازي. حيث توجد عدة تعقيدات جيو-سياسية، إثنو-سياسية، تكنولوجية و اقتصادية، تعوق استخراج الاحتياطي القوقازي⁴⁴⁶.

1 - الموصفات التقنية و اللوجيستية للنفط القزويني

من الناحية التقنية و اللوجيستية، ثمة مجموعة من العوامل السلبية ليست في مصلحة النفط القزويني، في المفاضلة مع نفط الشرق الأوسط. فباستثناء النفط الأذربيجاني الممتاز، يتسم نفط البلدان الأخرى بموصفات تقنية غير ملائمة. إذ يحتوى على نسبة عالية من الهيدروجين المكبرت

(hydrogne sulfide)، الذي يستدعي إنفاقاً إضافياً على تصنيع أنابيب لنقله، مقاومة للصدأ و مكلفة جداً. و كذلك، على نسبة عالية من ثاني أكسيد الكربون (في الأماكن الموجودة في أعماق كبيرة تحت قعر البحر)، و الإسفلت (خصوصاً في القطاع الكازاخي)، مما يتطلب محطات خاصة لتكريره، علماً أن المستوى الحالي لتكنولوجيا التكرير و النقل يثير الشكوك حول الجدوى الاقتصادية لإنتاجه و نقله⁴⁴⁷.

للمقارنة نشير أن كلفة إنتاج طن النفط في الخليج، تتراوح بين 10 و 15 دولار للطن الواحد. أما في أذربيجان و كازاخستان فتصل إلى 19 دولار، في حقول أزاري، شيرابخ و غوتشيلي. و إلى 27 دولار للطن الواحد في حقل تنغيز، أكبر حقول كازاخستان. وهي كلفة أفضل مقارنة بكلفة الإنتاج في بحر الشمال، التي تصل من 60 إلى 75 دولار للطن الواحد. و لكن هذا الفرق يتضاءل إذا أخذنا بعين الاعتبار، كلفة النقل الأقل بالنسبة لبحر الشمال⁴⁴⁸.

ثمة عامل آخر يجعل نفط بحر قزوين و آسيا الوسطى أصعب منالاً من غيره، فهو في معظمه موجود في أعماق كبيرة تحت قاع البحر، و في قلب القارة الآسيوية، بعيداً عن مراكز الاستهلاك الرئيسية. و

446 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص96.

447 Ian, BREMMER, Op. cit., P.10.

448 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص98.

هذا يفرض، مد أنابيب نقله على مسافات طويلة، و في ظروف طبيعية و جغرافية و أمنية معقدة. الأمر الذي ينعكس مباشرة على سعره النهائي.

فإذا كانت كلفة نقل طن من النفط في منطقة الخليج تتراوح بين 2 و 5 دولار في المتوسط، و تبلغ 10 دولار في بحر الشمال، فإن الكلفة التقديرية لنقل النفط الأذربيجاني (مد الجرف البحري) تبلغ 17 دولاراً⁴⁴⁹. إلى ذلك، و مقارنة بالشرق الأوسط و خليج المكسيك أو حتى بحر الشمال، فإن الظروف الجغرافية و المناخية في منطقة قزوين و آسيا الوسطى، شديدة القساوة و الصعوبة. مما يزيد بدوره من كلفة استخراج، وإيصال النفط إلى المستهلكين.

2 - الوضع القانوني لبحر قزوين

لا يوجد في الوقت الحالي إطار قانوني مقبول عموماً، يشمل ملكية موارد الطاقة تحت بحر قزوين. فكل الدول الخمس التي لها سواحل عليه، تسعى إلى تقاسم هذه المياه، بطريقة تحصل بموجبها على أكبر حصة ممكنة من الأرض، لتقوم بالتنقيب عن النفط فيها. إن الالتباس الحاصل حول الوضع القانوني لقزوين، قد ردع بعض الشركات عن تقديم عروض المناقصات على حقوق الامتياز في المياه العميقة، وأفسد العلاقات ما بين الدول المتشاطئة. و إلى أن يحل النزاع، سيكون استثمار المكامن في عرض بحر قزوين مصدراً للشقاق و الخلاف المستمرين⁴⁵⁰.

لقد كان وجود الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى، و وقوع أجزاء واسعة من آسيا الوسطى و القوقاز ضمن حدوده، سبباً كافياً لبقاء هذه المنطقة في منأى عن الصراع الدولي و الإقليمي، طوال القسم الأكبر من القرن المنصرم. رغم أنها كانت على مدى قرون سابقة، ساحة للعبة كبرى بين الدول. وينطبق ذلك بالدرجة الأولى على بحر قزوين، فهذا البحر الذي هو في موقع القلب من تلك المنطقة، ظل بفضل القوة السوفيتية و تقاسمه بين بلدين فقط هما الاتحاد السوفيتي و إيران خارج دائرة الصراع. و بعيداً عن مطامع شركات النفط العالمية، يبقى الوضع القانوني للبحر و طريقة التعامل مع ثرواته واستغلالها، خاضعاً للقرارات التي كانت تصاغ إلى حد كبير في موسكو. خاصة و أن إيران و الاتحاد السوفيتي كانا مهتمين بحماية حرية الوصول إلى صيد الكافيار، أكثر من اهتمامهما بالتنقيب عن النفط. حيث وقعا على معاهدة 1921م (أعيد تثبيتها

449 Ian, BREMMER, Op. Cit., P.P. 13-15.

450 محمد، نياي، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص ص 151-152.

بمعاهدة ثانية (1940م)، تعطي كل منهما منطقة صيد ساحلية حصرية. يبلغ عرضها 10 أميال، و تنص على السلطة المشتركة للمياه المتبقية⁴⁵¹.

و عليه، فإن هاتين المعاهدتين تقرران أن البحر المذكور عبارة عن "بحيرة مغلقة" مشتركة بينهما، ولا يحق لأي دولة ثالثة القيام بأي نشاط و استثمار فيه أيا كان نوعه. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي و ظهور دول جديدة مستقلة على أنقاضه، تبدل الوضع كلياً، و صار عدد البلدان المتشاطئة خمساً، و نشبت الخلافات بينهما على كيفية استغلال و تقاسم البحر و ثرواته.

ولدعم مواقفها المختلفة، تقدم الدول المتشاطئة تفسيرات متضاربة حول الوضع القانوني لقزوين. فتدعي روسيا و إيران أن قزوين بحيرة، و بالتالي فهي غير خاضعة لأحكام ميثاق الأمم المتحدة حول قانون البحار. بموجب هذا التفسير، فإن معاهديتي 1921م و 1940م تحملان أهمية كبيرة. مع ذلك تلح الدول الثلاث الأخرى على أن قزوين هو بحر، وبالتالي فهو خاضع لأحكام ميثاق الأمم المتحدة. وفي هذه الحالة يدعم القانون الدولي تقسيم حقوق الاستخراج في قزوين إلى خمسة قطاعات قومية، كل قطاع يمتد من الخط الساحلي للدول المتشاطئة إلى نقطة أو خط متساوي البعد بينهما⁴⁵². وهذا ما ترفضه إيران بشدة، لأنه وفقاً لهذا التقسيم لن تحصل إيران سوى على 13% فقط من إجمالي هذه الثروات، مقابل 20% إذا تم إقرار طلبها بتقسيم هذه الثروات بالتساوي بين الدول الخمس⁴⁵³.

أما موسكو فقد جرى مؤخراً تحول جوهري في موقفها من مبدأ الاستخدام المشترك للبحر، حيث كانت تلتقي مع طهران في هذا الموقف. فهي تقول اليوم بضرورة الاستخدام المشترك لسطح البحر و مياهه، و لكن مع تقاسم القاع بين الدول الخمس إلى قطاعات مشتركة، بشرط الاستخدام المشترك للحقول المتنازع عليها. وتعلل موسكو موقفها هذا بالاعتبارات البيئية من جهة، حيث تدعو مع إيران إلى وضع اتفاقية توقعها الدول الخمسة، تنص على الحفاظ على التوازن البيئي في البحر حفاظاً على ثروته السمكية النادرة. إذ يقول

451 المرجع نفسه، ص152.

452 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص ص99-100.

453 المرجع نفسه، ص100.

خبراء البيئة الروس: "أنه إذا استمر استغلال البحر على هذا النحو العشوائي، فإن هذه الثروة السمكية سيقضى عليها في غضون عشر سنوات"⁴⁵⁴.

ومن جهة أخرى، تقول روسيا إن تقاسم البحر إلى قطاعات وطنية سيؤدي إلى خلق حدود وطنية بين أقسامه. وبالتالي إلى ضرورة حماية هذه الحدود، مما يحد من حرية الملاحة و الصيد، ويمكن أن يتسبب في نشوب نزاعات مسلحة بين الدول المتشاطئة. و يفسح المجال لدخول قوى أخرى خارج المنطقة، ويمنحها إمكانية بسط نفوذها فيها. إن القلق من مثل هذا الاحتمال، هو ما يفسر إصرار موسكو وطهران على أن أي اتفاق بشأن الوضع القانوني لبحر قزوين، لا تكون له قوة القانون إلا إذا أقرته الدول الخمس المطلية على البحر بالإجماع. وهو ما لم يحدث طيلة مختلف المفاوضات التي عقدت بشكل غير منتظم، وعليه فإنه ليس واضحاً متى، أو كيف سيتم إنهاء المسألة.

المطلب الثالث: السياسات النفطية في بحر قزوين

تتنبأ السياسات النفطية مقعداً مهماً، في مشكلات الأمن و الاستقرار القوقازيين. إذ دشّن ظهور النفط القوقازي الارتباط العضوي بينه وبين الأمن، بمفاهيمه: الاقتصادية، العسكرية والإستراتيجية. رغم الجدال الدائر حول مدى تأثير هذا النفط على الاحتياطي العالمي، و أمن الطاقة.

1 - تنمية الطاقة و الموقف الأمني في جنوب القوقاز

لا ريب أن العوائد النفطية ستكون ذات تأثير إيجابي على الاقتصاديات القوقازية، ورغم وجهة هذه النظرية، إلا أن الثروة النفطية لها آثار سلبية على الاستقرار و الأمن الداخلي، وتنمية المجتمع المدني و الديمقراطية في الإقليم القوقازي. و الثابت واقعيًا أن التحول إزاء الديمقراطية و المجتمع المدني يمضي بخطوات سلحفاتيّه، مما يشير إلى احتمالية ألا يتحقق أي نوع من العلاقة بين الثروة النفطية و الديمقراطية في القوقاز، مما يعزز مقولة "أن النفط و الديمقراطية لن يلتقيا"⁴⁵⁵. ورغم ضلالة الرصيد النفطي القوقازي المستخرج حتى الوقت الراهن، إلا أن الكثير من المحللين السياسيين، يرجحون أن تنمية الطاقة ستؤثر على

454 المرجع نفسه، ص 100-101.

455 المرجع نفسه.

الأمن الإقليمي خاصة بعدما حل عدم الاستقرار في الإقليم القوقازي، اثر ارتفاع أسعار النفط (ملحق 13). وعندئذ، تساءل الخبراء عن أثر تنمية الطاقة على الصراعات الاثنو-سياسية القوقازية⁴⁵⁶.

ثمة طرحان في هذا الصدد: أولهما مثالي، يتلخص في أن تنمية الطاقة القوقازية ربما يسهم في تحجيم الصراعات الاثنو-سياسية، إذا عمت بالفائدة على كل الفرقاء. وثانيها واقعي، يركز على الأخطار الأمنية الناتجة عن ارتفاع أسعار النفط، ومن هذه الزاوية تحديدا ربما يؤدي ارتفاع أسعار النفط الأذربيجاني، ليس إلى توتير الموقف الأمني القوقازي فحسب. بل وتوتير الموقف الأمني الدولي، لاسيما إذا تحولت الصراعات المحلية إلى صراعات إقليمية، وقدمت القوى الإقليمية دعمها لبعض الحركات الانفصالية. فعلى سبيل المثال: إذا قدمت تركيا دعمها لأذربيجان في صراعها مع أرمينيا حول ناجارنو-كاراباخ، وقدمت روسيا الدعم لأرمينيا. عندئذ قد يتسع الصراع من دائرته الأرمينية الأذربيجانية، ليشمل تركيا وروسيا. وهنا، سوف تجد واشنطن نفسها منزلة في هذا الصراع. بحكم شراكتها العسكرية و الإستراتيجية مع أفقرة، ومصالحها لدى باكو. وبذلك تتسع الدائرة الصراعية، مما سيؤثر سلبا على الاستقرار الدولي⁴⁵⁷.

كما أن الثروة النفطية ربما تؤثر على توازن القوى بين الأعداء القوقازيين، ولعل النموذج الأرميني-الأذربيجاني يعد مثاليا في هذا الشأن. فمنذ وقف إطلاق النار في ماي 1994م، تسود بينهما حالة شبه مستقرة. بيد أن الثروة النفطية يمكن أن تهدد هذا الاستقرار، لأن تدفق العائدات النفطية لصالح باكو، سيجعل الأرمن يدركون أن ميزان القوى سيختل لصالح الأذربيجانيين. وتقترض التحليلات الأمنية، أن أرمينيا بوصفها الدولة الأقوى ربما تبادر بتوجيه ضربة استباقية ضد أذربيجان، الدولة الأضعف⁴⁵⁸.

ولكن التفاعل بين المعضلة الأمنية الناجمة عن تدفق العوائد النفطية، و التهديدات الموجهة ضد أرمينيا ربما تؤدي إلى تحرك أرميني، تدعمه حقيقة أن الأرمن ينظرون إلى الأذربيجانيين باعتبارهم يحدرون من أصول تركية. أكثر من ذلك، إذا تمت الضربة الأرمينية مبكرا بقدر كاف، فلن تحتاج أرمينيا إلى تدمير القوات الأذربيجانية كلية، لأنها ستحتاج فقط إلى قطع مصدر قوة أذربيجان، أي صادراتها النفطية. وبناء على هذا سيكون أحد أهداف الهجوم الأرميني المرتقب، هو ضرب البنية النفطية التي لا تزال قيد الإنشاء في شمال غربي أذربيجان، على مسافة ليست بعيدة عن المنطقة التي تحتلها أرمينيا. بيد أن بعض المحللين

456 محمد، رفعت الإمام، "مشكلات الأمن في القوقاز: تداخلات الأعراق والنفط والسياسة"، مرجع سبق ذكره، ص163.

457 المرجع نفسه، ص163.

458 المرجع نفسه، ص164.

يرفضون هذه الافتراضات، لأن تأمين الصادرات النفطية سيكون مكفولا بعناية من طرف اللوبيات النفطية و الإستراتيجية⁴⁵⁹.

إن تنمية الطاقة مهددة أيضا بالسخط و الاضطراب الواسع الانتشار ضمن الدول الحديثة الاستقلال في المنطقة. فهذه البلدان، كانت محكومة حتى عهد قريب جدا من قبل نخبة بيروقراطية تكرر ذاتها، مدربة على أيدي زعامة الحزب الشيوعي في موسكو، وتدين بالولاء له. وبانهيار النظام السوفيتي قامت النخب الشيوعية المحلية التي أعيد تشكيلها كزعماء قوميين، بالإسك بزمام الحكم، وأقامت إمارات محلية وفق نموذج شمولي مستوحى من النظام السوفيتي. هذه الأنظمة، في معظمها تبنت اقتصاد السوق و زخارف الديمقراطية على الأقل. مع ذلك، فإن بضع دول قد عادت إلى الأساليب الشمولية للاحتفاظ بالسلطة. و هو تطور نفر قطاعات كثيرة في المجتمع مما زاد في تنامي الاضطراب الاجتماعي و السياسي في أنحاء المنطقة. فبرزت أحزاب المعارضة، وأخذت الحركات العمالية تكتسب القوة، و انفجرت المظاهرات المعادية للحكومة في عدد من المناسبات (الثورة الوردية في جورجيا).

و الأهم من ذلك، هو بروز الحركات الإسلامية المتشددة التي تستلهم نظيراتها في الخليج و جنوبي غرب آسيا، وغالبا ما تحصل على دعمها. بالرغم من أن معظمها مهتم بالمسائل الدينية و التعليمية، إلا أن البعض منها قد حمل السلاح ضد ما يعتبرونه أنظمة غريبة⁴⁶⁰.

علاوة على ذلك، فإن التوترات تتفاقم بفعل الفجوة المتنامية بين الأغنياء و الفقراء في منطقة قزوين. بالرغم من أن توقيع عقود نفط و غاز جديدة، قد أحدث ثراء سريعا لعدد صغير من المقاولين المحظوظين، معظمهم يتمتع بصلات وثيقة بالنخبة الحاكمة. فإن النشاط الاقتصادي ككل قد انخفض منذ 1990م، وأصبح معظم الناس يعانون من انخفاض حاد في مستوى المعيشة. "...يصطدم المسافرون المترددون على المنطقة، بشكل شبه فوري، بالمرارة العامة و الإحساس المتزايد بالحرمان اللذين يشعر بهما معظم المواطنين إزاء حياتهم الآخذة في التدهور. فالبلدان تنقسم انقساما عميقا من الداخل، بين أولئك الذين استفادوا من

459 المرجع نفسه.

460 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، صص 119-120.

عملية الانتقال و أولئك الذين أفقرتهم هذه العملية...⁴⁶¹. على حد تعبير البروفسور أولكوت olcott من جامعة كولفيت عام 1998م.

إن الاستقرار السياسي يوفر فرصة كبيرة لكي تتلاعب القوى الخارجية بالتطورات في المنطقة، و تقم الحكومات المحلية في تحالفات عسكرية، و ترتيبات أمنية أخرى، كانت تفضل تجنبها. هذه التحالفات قد تجعل الدول المجاورة تشعر بإحساس أكبر بانعدام الأمن، و تزيد من احتمال سعيها لإقامة روابط عسكرية جديدة من تلقاء نفسها. و يصبح في مثل هذه الحالة اندلاع الحروب بالوكالة، هو الأكثر احتمالاً.

ومهما يكن من أمر، فإن تنمية الطاقة قد يهدد الموقف الأمني لجنوب القوقاز، بما يعد اختباراً ناجحاً لمعادلة: "إن السلام يستطيع إيجاد خطوط أنابيب، بيد أن وجود خطوط الأنابيب لن يوجد سلاماً"⁴⁶². وثمة مدرسة تحليلية أخرى ترى أو ترجح أن بناء خطوط الأنابيب في القوقاز، سيؤثر على المستقبل الأمني و الجيو-سياسي للإقليم. إذ أن الاتفاقيات و المعاهدات و التوازنات يمكن تجاهلها، ولكن خطوط الأنابيب ستربط الدول القوقازية وجوارها، برباط مصليحي وثيق.

2 - حرب خطوط الأنابيب

تعود الخلافات على إنتاج و شحن إمدادات الطاقة من حوض قزوين بشكل ثابت، إلى المعضلة الأساسية للنقل. و بصرف النظر عن الجهة التي يمكن أن يتبعها خط الأنابيب، شمالاً أو جنوباً، شرقاً أو غرباً. فيجب أن يمر عبر منطقة أو أكثر من مناطق عدم الاستقرار. بعض هذه المناطق، قد يكون أكثر لا استقراراً من المناطق الأخرى. و التطورات المستقبلية، قد تجلب السلام إلى مناطق يمزقها العنف في الوقت الحالي. لكن، أيّاً يكن المسار الذي يتم اختياره، فإنه سيواجه في كل الاحتمالات شكلاً ما من أشكال الخلاف و العنف⁴⁶³.

إن الصراع حول كيفية نقل الطاقة القزوينية إلى الأسواق العالمية، لم يكن من قبيل المصادفة. فخط أو خطوط الأنابيب التي ستعتمد في نهاية المطاف، ستكون من العوامل الأكثر أهمية، في ترجيح كفة هذا

461 المرجع نفسه، ص121.

462 محمد، رفعت الإمام، "مشكلات الأمن في القوقاز: تداخلات الأعراق والنفط والسياسة"، مرجع سبق ذكره، ص164.

463 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص114.

الطرف أو ذلك في الصراع الجيو-سياسي على آسيا الوسطى و القوقاز. هذا الصراع الدائر، برزت في خضمه مجموعة من الخيارات لنقل نفط قزوین إلى الأسواق الخارجية (ملحق 10).

إن المسارات الأقصر و الأكثر ملائمة لنقل الطاقة القزوينية إلى الأسواق العالمية، تمتد جنوبا، من أذربيجان و تركمانستان عبر إيران. نحو المحطات النهائية للنفط، القائمة على ساحل الخليج العربي. لكن هذا المسار يواجه معارضة أمريكية قاطعة، وفق سياستها الهادفة إلى عزل الاقتصاد الإيراني⁴⁶⁴.

المسار التالي الأهمية من الناحية العملية لتصدير إمدادات طاقة قزوین، يمتد غربا، من أذربيجان و كازاخستان من خلال بقايا شبكة خطوط الأنابيب السوفيتية القديمة، نحو ميناء نافوروسيسك الروسي. أين يمكن لناقلات النفط أن تتطلق منه عبر البحر الأسود، ومن خلال المضائق التركية إلى البحر الأبيض المتوسط. وهو يستخدم الآن في نقل النفط من حقل تنغيز في كازاخستان، ونقل بعض الإنتاج من حقول A.I.O.C. في أذربيجان.

لكن الجزء الأول من هذا الخط، الممتد من باكو إلى نافوروسيسك، يمر في وسط الأراضي الشيشانية. و قد تعين إغلاقه في بعض الأحيان، بسبب القتال هناك . كما أن الجزء الآخر، القادم من كازاخستان إلى نافوروسيسك. يلتف حول الشيشان إلى الشمال، لكنه لا يتجنب بضعة بقع مضطربة أخرى، بما فيها داغستان و أوسيتيا الشمالية. ومن الواضح أن عزم روسيا السيطرة على الشيشان، وقمع الجماعات المتمردة في المنطقة، إنما تحركه على الأقل جزئيا، رغبتها في حماية هذه المسارات الحيوية لخطوط الأنابيب⁴⁶⁵. حتى أنها سارعت إلى إنشاء بنية تحتية جديدة لنقل النفط هناك، وشرعت في بناء خط جديد نحو البلطيق، و أنجزت بسرعة فائقة وصلة خط باكو-نافوروسيسك التي تؤمن الالتفاف حول الأراضي الشيشانية. كما أنها بنت أنبوبا لنقل الغاز الكازاخي يصب في مرفأ نافوروسيسك⁴⁶⁶.

المسار الثالث الأكثر أهمية، هو مسار باكو-جيهان. إذ تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية المؤيد الرئيسي لخط الأنابيب هذا. الذي يمتد من ميناء باكو إلى ميناء سوبسا على البحر الأسود، عبر جورجيا. وينعطف جزء منه من تبليسي نحو الجنوب، إلى شمال غربي تركيا. أين يقوم أحد فروعها بتغذية شبكة الغاز التركية، في أرضروم. و يعبر الفرع الثاني الحامل للنفط، عبر تركيا إلى ميناء جيهان، على ساحل البحر

464 Rebert, EDEL, « The geopolitics of Caspian oil », corporate briefing series, march 26,1997, P.3.

465 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص115.

466 محمد، نيا، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص159.

الأبيض المتوسط. إن هذا المسار مغر بشكل خاص لصناع القرار الأمريكيين، لأنه يربط تركيا، وهي عضو أساسي في الناتو، بحليفتي أمريكا الأساسيتين في قزوين، أذربيجان و جورجيا.

لكن رغم الدعم القوي الذي يتمتع به هذا المسار من طرف واشنطن، إلا أنه يواجه عدة عقبات (ملحق 7). ليس أقلها، ممانعة شركات النفط لتحمل الكلفة الضخمة لإنشائه، وتشكيكها في جدواه الاقتصادية، ومروره بالقرب من مناطق متنازع عليها: ناجورنو كاراباخ في أذربيجان، أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية في جورجيا، إقليم كردستان في تركيا. خاصة مع تزايد تعقيد الأمور، إثر نشر روسيا لقوات حفظ السلام في كل من: أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية، والاعتقاد أنها ساعدت الأرمن في ناجورنو كاراباخ، ضد أذربيجان. مما يعني أن أي مسعى من قبل أذربيجان و جورجيا لحماية المسار ضد المتمردين، يمكن أن يؤدي إلى صدام مع الجنود الروس (ملحق 6)⁴⁶⁷. لكن ورغم ذلك، فقد تم توقيع "إعلان أنقرة" في نوفمبر 1998م، بين أذربيجان، كازاخستان، أوزباكستان و جورجيا، برعاية واشنطن، والذي تم بموجبه الاتفاق على اعتماد الخط المذكور⁴⁶⁸.

إن المسارات الممكنة الأخرى لخط الأنابيب، تلك التي تمتد شرق قزوين، تواجه خطر صراع مماثل أو حتى أكبر. من هذه الاقتراحات، ليس هناك ما هو محفوف بالمخاطر، أكثر من المخطط المرسوم لبناء خط أنابيب نفل الغاز الطبيعي من حقل دولتاباد في تركمانستان الشرقية، إلى مولتان في باكستان. وهو مسار يمر بوسط أفغانستان، التي تمزقها الحرب و عدم الاستقرار⁴⁶⁹.

أما المسار الأخير لخطوط الأنابيب قيد الدراسة، هو أيضا أكثر طموحا. إنه مخطط صيني لنقل نفط و غاز قزوين من كازاخستان و تركمانستان إلى شرقي الصين، بمسافة تبلغ حوالي 4000 ميل. و بصرف النظر عن العوائق الجغرافية المختلفة أمام هذا المشروع. أين الكثير من الأرض على طول هذا المسار، وعر و جبلي. فإن خط الأنابيب سيمر عبر عدة مناطق تنصف بعدم الاستقرار، بما فيها مقاطعة زينجيانج الصينية النائية. التي تعتبر الجزء الوحيد من الصين غير التبت ذو الأغلبية اللاصينية، فلطالما كانت ممزقة بفعل الاقتتال بين القوات الحكومية و انفصاليي أوغور UIGHUR، الذين يسعون لإقامة

467 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص 116-118.

468 محمد، ذياب، "إعلان أنقرة، حلقة جديدة في الصراع على نفط قزوين"، مجلة السفير، 26 نوفمبر 1998.

469 مايكل، كلير، مرجع سبق ذكره، ص 118-119.

تركستان الشرقية المستقلة. برغم ذلك، فقد أمنت الصين موافقة كازاخستان، من أجل إنشاء خط أنابيب بطول 1800 ميل، من حقل نفط أكتيوبينسك إلى زينجيانج⁴⁷⁰.

إن مسارات خطوط الأنابيب المختلفة الخارجة من قزوين، من المحتمل أن تبقى مواقع صراع دوري، لفترة طويلة قادمة. و عندما تستكمل خطوط الأنابيب، و تتدفق كميات كبيرة من النفط و الغاز عبرها بشكل منتظم، ستحظى هذه المسارات باهتمام إستراتيجي كبير من قبل قادة البلدان التي تمر بها. وعلى ذلك فإن مناوئي الأنظمة المعنية، سينظرون للهجمات على هذه المرافق، باعتبارها الوسيلة المثالية لإضعاف الحكم واستنزاف خزينته. ولذلك، من الممكن أن تحدث حربا دائمة من الدرجة الدنيا على طول مختلف مسارات خطوط الأنابيب

المبحث الثاني : أهمية جنوب القوقاز لدول الجوار الإقليمي

سنحاول في هذا المبحث استيضاح وتحليل الأهمية الجيوستراتيجية للمنطقة على المستوى الإقليمي. إذ يعتبر الأستاذ باري بازان : "...المستوى الإقليمي للتحليل كمستوى وسيط بين الدولة والنظام الدولي بالكامل، ففي نظام دولي فوضوي، النظام الإقليمي يتوسط الحركية الأمنية المحلية والعالمية"⁴⁷¹. و لمعرفة وتوضيح هذه التشكيلات الإقليمية يعطى بازان مصطلح " المجمع الأمني"، كدلالة على ارتباط مجموعة من الدول بشكل كاف يجعل من غير الممكن تصور أمنها القومي بخلاف بعضها البعض.

فالمجمع الأمني يمكن أن يظهر وينشط بصرف النظر عما إذا كان اللاعبين المشتركين يتعرفون عليه، فيكفي أنهم مدركون وبدرجات متفاوتة للتهديدات السياسية والعسكرية والاقتصادية في بيئتهم، بدون أن يمتلكوا بالضرورة تقديرا كاملا للنمط الأمني المشترك وحدوده⁴⁷². فهو قد يظهر عفويا، وهذا ما نجده في جنوب القوقاز. أين تتفاعل الرؤى الإقليمية المتضاربة لروسيا، إيران وتركيا في اهتماماتها بالمنطقة وتشكيلها للنمط الأمني الإقليمي في جنوب القوقاز .

المطلب الأول: الاهتمام الروسي بمنطقة جنوب القوقاز باعتبارها " منطقة جوار قريب"

470 ذياب، محمد،"الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص159.

471 Bruno, COPPIETERS, Op. Cit., P.202.

472 Ibid, P.203.

مع انتهاء الحرب الباردة وانتهاء الاتحاد السوفيتي حصل خلل خطير في نظام الثنائية القطبية الذي حكم الصراع العالمي، فتضعفت روسيا وتراجع نفوذها عالميا، وانحسرت مواقعها وقدراتها على التأثير في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز وصار همها الكفاح من أجل الحفاظ على ما تبقى لها من قواعد هناك.

لذا، وعلى الرغم من الأهمية القصوى التي ينطوي عليها نفط حوض قزوين وثروات المناطق المحاذية لها من الناحية الاقتصادية، فإن صراعها من أجل البقاء كلاعب أساسي في مجال إنتاج النفط ونقله، لا يشكل إلى جانبها من المهمة الجيو-سياسية الأشمل التي تواجه السياسة الروسية اليوم، والتي تتمثل في العمل على استعادة هذا البلد لقوته ونفوذه في المجال السوفيتي السابق، وترميم موقعه على الصعيد الدولي، وهي مهمة في غاية الصعوبة، وخصوصا في ظل التردّي الذي أصاب الوضع الداخلي لروسيا (الاقتصادي والسياسي وقوتها العسكرية)، وموقعها على الصعيد الدولي، وفي ظل كل هذا يبقى جنوب القوقاز إحدى أهم المراكز المحركة للسياسة الروسية في حفظ جوارها القريب.

1 - تاريخ التواجد الروسي في جنوب القوقاز

يرجع الميراث الروسي في منطقة القوقاز إلى أواسط القرن 16م أين تحولت روسيا القيصرية إلى إمبراطورية متعددة القوميات، بدأت في اختراق منطقة القوقاز بالكامل على مدى ثلاثة قرون متواصلة مستخدمة في ذلك النمط المعروف، سواء عن طريق الاحتلال بالقوة والحرب أو فرض الحماية، وكانت المصالح الجيوسياسية والإستراتيجية القوة الدافعة لهذا التوسع بدلا من المصالح الإيديولوجية والتجارية، خاصة سعيها الحثيث للوصول إلى المياه الدافئة .

وكانت أغلب مصادماتها في طريق توسعها في المنطقة مع القوتين العظمتين آنذاك، وهما تركيا العثمانية وإيران، أين أدت المنافسات بين هذه القوى الثلاث إلى عدة مواجهات على طول منطقة ما بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث أصبح القوقاز وخاصة جنوبه منطقة عازلة، وساحة قتال دائمة ما بين الإمبراطورية المسيحية الأرثوذكسية في الشمال والقوى الإسلامية في الشرق الأوسط.⁴⁷³

473 Dimitri, TRENIN, «Russia's security interests and policies in the Caucasus region » Bruxelles: V.U.B. University press, 1996, P. 98.

في القرنين 18م و19م كانت الحركية التنافسية بين القوى الكبرى الثلاث مستقرة نوعا ما لكن تدهور الإمبراطورية العثمانية وتناقص القوة الإيرانية المتزامن مع قمة التوسع الروسي أدى إلى بسط الهيمنة الروسية على منطقة القوقاز بانتصارها عليهما في حروبها معهم، إلا أن هذا فتح الباب للمقاومة العنيدة من مختلف القوميات⁴⁷⁴.

استطاعت روسيا منذ القرن 19م أن تبسط نفوذها وهيمنتها على كامل منطقة القوقاز، إلا أنه كان عليها دائما أن تضع في الحسبان أن الإختلالات المحلية والدولية الخاصة بها سوف تعطي لمنافسيها فرصة القضاء عليها كما أن الضعف الروسي كان يسهل لعاب القوى الخارجية الأخرى مثل بريطانيا وألمانيا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولهذا، وللحفاظ على قوتها وتماسكها كان عليها تبني نظرة خاصة لأقاليمها، تقوم على خلق الأنماط التقليدية للعداء بين مختلف العرقيات والقوميات، فقامت بعمليات تقسيم غير عادلة داخل حدودها، ونشرت بينها الشك وعدم الثقة. أي باختصار، انتهجت "سياسة فرق تسد" بين مختلف اللاعبين المحليين، وهكذا نجحت وعبر قرون من بترسبورغ إلى موسكو في فرض نوع من الأمر الواقع القائم على الاحتكام في أي نزاع داخلي بين ولاياتها إلى السلطة المركزية، هذه الأخيرة أبدت فيما بعد براغماتية ومرونة عالية في إدارة تلك النزاعات، مما جعل كل تلك الولايات تدين بالولاء لسلطة المركز، وكل من يظهر نوع من العداء للسلطة المركزية مثل بعض المجمعات القوقازية القليلة يتعرض للمعاملة القاسية⁴⁷⁵.

إلى غاية اليوم تبقى بعض العناصر المعينة من هذا الميراث قائمة، حيث المقومات الجيوسياسية لا تزال كافية لبناء شكل جديد من المنافسة. فانهار الاتحاد السوفيتي ونهاية الثنائية القطبية أدت إلى إنعاش السمات التقليدية للمنافسة الإقليمية والنزاعات الداخلية، فتجددت الطموحات الإيرانية، وكذا التركية في المنطقة بعد طول انقطاع، كما أن مختلف النزاعات التي طعمتها روسيا ونجحت في إبقائها خامدة تحت الحكم القيصري والسوفيتي، عادت لتطفو من جديد، ولكن هذه المرة بأشد حدة.⁴⁷⁶ فظهر النزاع الآذري-الأرمني حول ناجورنو كاراباخ، والنزاعات العرقية داخل جورجيا في كل من أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية.

2 - المصالح الروسية في جنوب القوقاز

474 Ibid, P.P. 99 –100.

475 Frederic, GRARE , « la nouvelle donne énergétique autour de la mer Caspienne : une perspective géopolitique» , in CEMOTI : N° 23 – la caspienne une nouvelle frontière . le 01 Mars 2005. <https://cemoti.revues.org/111>, consulté le 12/06/2016

476 Dimitri, TRENIN, OP. Cit., p.p. 100-101.

يمثل عام 1991 نقطة تحول هامة في فهم روسيا لهويتها ومصالحها الخاصة، ففكرة الإمبراطورية القائمة على الإيديولوجية الشيوعية أصبحت غير مقبولة. وعليه، ورغبة منها في التخلص من الجمهوريات السوفيتية، قامت الصفوة السياسية الروسية بتسريع عملية التفكك السوفيتي، حيث كانت تعتبر تلك الجمهوريات عبء ثقيل على روسيا يستنزف مواردها.⁴⁷⁷ هذا التصرف كان محكوما بعدة مصالح يمكن تلخيصها في "العودة إلى عائلة الأمم المتحضرة"، خاصة وأن مفهوم الأمن لم يعد مرتبطا كما كان بموازن القوى العالمية والإقليمية أو بالقوة العسكرية وحدها، وإنما تعداه إلى فكرة مدى قدرة الدولة لتكون ديمقراطية سياسيا وغنية اقتصاديا⁴⁷⁸.

فزعما روسيا الجدد كانوا يرون أن أهم مصلحة للأمن القومي الروسي هي الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي والجماعة الأوروبية، عوضا عن استعادة أمجاد الاتحاد السوفيتي السابق. و بالنسبة لمعظم باقي جمهوريات الاتحاد السوفيتي كان هذا الموقف الجديد يعني أن السياسة الروسية سوف تبدأ بالانسحاب الهادئ، وبدون خسارة من المنطقة. خاصة مناطق النزاعات، وبالأخص منطقة القوقاز.⁴⁷⁹

هذه السياسة الجديدة دعمها الشعب الروسي الذي أرفقته كثرة مشاركة بلاده في حروب تافهة على طول الحدود السوفيتية القديمة، وفقد العديد من أبنائه في تلك الحروب، والكثير من موارده المالية التي كان من المفترض أن تعود بالفائدة على الوضع العام الداخلي.

لكن مع مرور الأيام أصبحت العديد من الطموحات المبكرة لروسيا الجديدة ينظر إليها كأوهام ما بعد الشيوعية، فأصبح التشكيك في مصير الديمقراطية والإصلاح يتزايد في روسيا ذاتها، حيث شهدت سنة 1992م مناقشات حادة وموسعة حول مفهوم الهوية والمصالح الوطنية الروسية وبدا بشكل متنبأ به أن اقتباس الديمقراطية الغربية المعمول به منذ البداية، بدأ يستعيد تدريجيا للموقع الجيوسياسي الجديد لصالح صورة أكثر واقعية⁴⁸⁰.

سنة 1993م شهدت تصحيحا جديدا لمسار الغموض المتبع، فظهر للوجود المفهوم النهائي المطور من قبل مجلس الأمن الروسي في أبريل 1993م، والمتضمن لنظرة واقعية أكثر، تتبنى موقفا حازما اتجاه

477 Rebert, BARYLSK V., « Russia, The West and the Caspian energy hub », Middle East journal, june ,1995, P.P. 119- 123 .

478 Ibid, P. 122.

479 Dimitri, TRENIN, Op. Cit., P. 102.

480 Ibid, P. 103.

سياستهم الخارجية في الجمهوريات السوفيتية السابقة، خاصة القوقاز، أطلقوا عليه اسم "الجوار القريب"⁴⁸¹. إذ كان واضحا تخوف موسكو من الفراغ الأمني الذي تركته، والذي يمكن أن تستغله القوى الأخرى، سواء كانت إقليمية (إيران وتركيا) أو عالمية (و.م.أ) بما يضر بالمصالح الروسية الخاصة. هذه الأخيرة يمكن تلخيصها في:

أ - المصالح الأمنية : يعتبر الجانب الأمني بشقيه الداخلي والخارجي - بالتأكيد - ذو أهمية بالغة بالنسبة للسياسة الروسية، خاصة فيما يتعلق بمنطقة القوقاز :

1- أهم ما يثير مصالح روسيا الأمنية في المنطقة هو العلاقات الوجودية الملازمة للمنطقة القوقازية، التي تنتمي إليها الدول المستقلة في جنوب القوقاز (وكذا الأقاليم الشمالية في روسيا). هذه المنطقة بصفة رئيسة جبلية التكوين، مسكونة من طرف عرقيات لا روسية، تربطها علاقات ثقافية وعرقية جد وثيقة مع بعضها البعض. إذ أن السكان في شمال القوقاز التابعين إداريا لروسيا، هم أقرب في علاقاتهم مع إخوانهم في الجنوب (دول جنوب القوقاز) منه مع الشعب الروسي في باقي مناطق روسيا⁴⁸².

إذا فالوحدة الفدرالية في خطر كبير، ومن أجل ذلك، ولإيقاف التأثيرات السلبية لهذه النزاعات ومنع تطورها، كانت روسيا ترى أن أحسن عملية فعالة لإنشاء حالة استقرار دائم في جنوب القوقاز، يجب أن تعتمد في الأساس على وقف إطلاق النار هناك. فنزاع ناجورنو كاراباخ ولد ضغطا عاما في كامل القوقاز، فانقل آلاف الأرمن نحو الأقاليم الجنوبية لروسيا في كراسنادور، سينافيربول، وحتى في موسكو ذاتها، مما أثار الحساسيات العرقية في تلك المناطق و أوجد طلبا متزايدا للسلاح والعتاد بصورة غير عقلانية، وبالتالي ظهور شبكات تجارة السلاح غير الشرعية التي ساهمت في بروز تشكيلات مسلحة لا شرعية في الأراضي الروسية، تراوحت ما بين قوى التحرير القومية إلى شبكات الإجرام العنصرية، التي وجدت أرضا جاهزة للتدريب على طول منطقة النزاع⁴⁸³. و بالمثل، النزاع في أوسيتيا الجنوبية كان له نتائج درامية في أوسيتيا الشمالية (التابعة لروسيا الفدرالية)، كما أن النزاع الأبخازي ولد ضغطا متزايدا في مجتمع أديجه المرتبط بها عرقيا⁴⁸⁴.

481 Alain, GUILLEMOLLES, « Caucase: le nouvel appétit russe », Croissance, n° 395, juil-aout 1996, P. 22 .

482 Dimitri, TRENIN, Op. Cit., P. 104

483 Ibid, P.P. 14-15.

هذه النزاعات المختلفة خلقت للسلطات الفدرالية في موسكو مشاكل جد صعبة، فمن ناحية روسيا لا يمكنها تجاهل مصالح أعضائها، بدون مواجهة خطر إقصائهم. ومن ناحية أخرى لدى روسيا مصلحة في الحفاظ على وحدة أراضي كل دول المنطقة، وإلا ستعاني روسيا نفسها من ظهور حركات الانفصال على أرضها.

2- لا يمكن للحكومة الروسية أن تتجاهل مصير الروس القاطنين خارج حدود الاتحاد، حتى لو استخدمت أسلوب حماية هذه الأقليات كذريعة لتدخلاتها الأمبريالية، تبقى هذه المشكلة تخلق ضغطا كبيرا. فقبل انهيار الاتحاد السوفيتي لم يشكل الروس أقلية ذات بال في أي من جمهوريات جنوب القوقاز، كما أنه حتى الآن لم تتبّع أي حكومة في جنوب القوقاز سياسة معادية للروس، بل العكس فهم يفضلون بقاء الأقلية الروسية على أراضيهم، فخرج هؤلاء الروس من شأنه أن يضع اقتصاديات هذه الدول أمام مشاكل عويصة خاصة في الميدان الصناعي، العلمي، الإعلام والخدمات الصحية. أين يمثل العنصر الروسي أكثرية واضحة في ميدان الوظائف الحيوية خاصة في جورجيا وأذربيجان وحتى أرمينيا⁴⁸⁵.

النزاعات في المنطقة أدت إلى هجرة الروس نحو الشمال: ففي ناجورنو كاراباخ، وعلى الرغم من وجود عدد قليل من الروس هناك، إلا أن التوترات العرقية في باكو التي انتهت بمذابح ضد الأرمن، وكذا سياسة "الأذربيجانية" للحياة الاجتماعية والوظائفية، بالإضافة إلى المسؤولية المتواصلة للحرب، كلها تسببت في تدفق المهاجرين نحو روسيا. أما في أبخازيا، فكان يعيش حوالي 70000 روسي، مات حوالي 1000 منهم، أثناء الحرب، و30000 هربوا إلى روسيا⁴⁸⁶.

أما فيما يخص المظهر الداخلي للمسألة الروسية، نجد أنه تم إعطاء الروس أولوية خاصة على المجموعات العرقية الأخرى بشكل كبير، في جمهوريات القوقاز الشمالي. أما المشكلة الثانية فتتضمن الروس القوقاز، الذين يخلقون ثورة معادية بإتباعهم هدف إنشاء مجتمع محدود يميزهم عن غيرهم، بالإضافة إلى مختلف الحساسيات بين العرقيات المتناثرة، والتي على الحكومة الروسية مواجهتها⁴⁸⁷.

ب- المصالح الاقتصادية: ثاني أهمية جيوسياسية لروسيا في القوقاز، تتمثل في المصالح الاقتصادية، ففي فترة الاقتصاد الموجه السوفيتي، تم تطوير بعض الصناعات الهامة في أماكن محددة من

485 Dimitri, TRENIN, Op. Cit., P. 105.

486 Rebert, BARYLSK V., Op. Cit., P. 120.

487 Dimitri, TRENIN, Op. Cit., P. 105.

الاتحاد السوفيتي السابق، ولكن انهيار هذا الأخير، وتفكك الروابط التعاونية القديمة، أدى إلى إلحاق الضرر البالغ بالاقتصاد الروسي، فمازالت روسيا تعتمد حتى الآن على دول جنوب القوقاز، في عدد من السلع فمثلا: "تأتي المعدات التي تتطلبها عملية التنقيب عن البترول والغاز تنتج على مستوى المصانع في أذربيجان، قاذفات القنابل سوخوي 25 يتم تجميع أجزائها أساسا في تبليسي، وعدة أجزاء مهمة من المعدات العسكرية الأخرى تصنع فقط في أرمينيا"⁴⁸⁸.

بالإضافة إلى الأهمية الجيوسياسية لنفط قزوين، والذي كانت تسيطر على إنتاجه ونقله السلطة السوفيتية السابقة، أصبح الآن خارج الحدود الرسمية لروسيا، ولهذا يجب على روسيا أن تضمن مرور قسم مهم من صادرات الطاقة القزوينية من خلال شبكة خطوط الأنابيب الروسية القائمة إلى البحر الأسود وأوروبا، وهذا من شأنه أن يزود الخزينة الروسية المستنزفة بعائدات النقل المربحة، كما يسمح لموسكو أن تمارس درجة ما من السيطرة على توزيع إمدادات الطاقة القزوينية، و يضع في يدها أداة بالغة الأهمية لمواجهة مخططات التدخل الأجنبي الأخرى، التي تسعى للهيمنة على المنطقة.

ج- المصالح العسكرية : إن الأهمية العسكرية لروسيا في القوقاز يبدو أنها تراجعت عما كانت عليه في الفترات الإمبريالية والسوفيتية، حيث أصبحت الآن بالتحديد ذات طبيعة دفاعية من أجل التصدي لأي اختراق استراتيجي واسع النطاق، متضمنة مخزونات المساعدات العسكرية، مخزونات الأسلحة... إلخ، من أجل ردع أي طرف أجنبي. مثل منع أي محاولة انتهازية محتملة لتركيا في فترة التفكك السوفيتي، حيث حذر المارشال شابوشينكوف من حرب عالمية ثالثة إذا ما تدخلت تركيا عسكريا في النزاع الأرميني - الأذري⁴⁸⁹.

في الحقيقة إن إبقاء موسكو لقواتها العسكرية المنتصبة في المنطقة هو في الأساس لمنع أي فراغ أمني رهيب يمكن أن يسببه انسحابها، ففي أرمينيا مثلا لم تتسحب القوات الروسية أبدا في مقابل ترحيب الحكومة الأرمينية بذلك كردع مفيد لها، ليس في مواجهة الأخطار الأذرية فحسب، وحتى التركية. بصرف النظر عن النزاع الأبخازي القوات المسلحة الروسية بقت في جورجيا، كما عادت مجددا إلى أوسيتيا الجنوبية

488 Jan, KRAUZE, « La Russie et ses marches »_le monde, 1er juillet 1993, P.19.

489 Ibid.

ولو تحت غطاء حفظ السلام⁴⁹⁰، حيث من المؤكد أن معظم قوات حفظ السلام في نزاعات المنطقة ستكون متكونة أساسا من القوات الروسية.

إن اهتمام الروس الحقيقي بالقوقاز هو للحفاظ وتأمين حدودهم، فحدود روسيا الجديدة مع الجمهوريات السابقة في الاتحاد السوفيتي ليست إلا خطوط خيالية غير واضحة، كما أن إنشاء بنى تحتية على طول الحدود الجديدة سيكون مكلفا للغاية، ويستغرق وقتا طويلا⁴⁹¹. لذا، فمن فائدة روسيا أن تبقى الحدود الخارجية لكونولت الدول المستقلة خاصة في آسيا الوسطى والقوقاز تحت السيطرة المشتركة (التي في الغالب روسية). وحسب ضابط سامي في الجيش الروسي (وحدة TH.M.R.D127) عملت في جيومري بأرمينيا، فإن مهمة وحدته في أرمينيا هي: "حماية مصالح روسيا بمراقبة حدود الاتحاد السوفيتي السابق"⁴⁹².

وهكذا، ولامتلاك روسيا عدة مصالح حيوية في القوقاز، بدءا بالمصالح الجيوسياسية المتضمنة للدوائر العسكرية، الاجتماعية والاقتصادية، فإن الزعماء الروس أصبحوا مع الوقت أكثر تصميمًا لحماية هذه المصالح والدفاع عنها.

3 - السياسات الروسية في جنوب القوقاز:

أ - البحث عن تفويض دولي لتسوية النزاعات العرقية في جنوب القوقاز:

أثناء انهيار الاتحاد السوفيتي، ركزت موسكو جهودها للحفاظ على وحدة الاتحاد وتقوية سلطته المركزية. فالنزاعات القومية والعرقية، كانت تنظر إليها في المقام الأول كوسائل فعالة لتحقيق أهدافها في إطار سياسي موسع. كما أنه في هذه الفترة، أي تدخل من المجتمع الدولي في تسوية نزاعات جنوب القوقاز كان يتعارض بوضوح مع الطموحات الإمبريالية لمنهج موسكو السياسي، حيث أي تدخل كان ينظر إليه كتدخل في الشؤون الداخلية للاتحاد السوفيتي⁴⁹³. لكن عدم المقدرة السياسية للقيادة السوفيتية في التوصل لتسوية عادلة في جنوب القوقاز، أدى إلى تصعيد النزاعات وتوجه القوى المتنازعة إلى المراهنة على الحل العسكري.

490 Dimitri, TRENIN, Op. Cit., P.P. 106 –108.

491 Jamri, KACHIA, « Caucase: le vrai – faux’ contrat du siècle », politique internationale, n° 70, 1995 –1996, P.P.39-52 .

492 GRARE , Frederic., OP. Cit .

493 Dimitri, DANILOV, « Russia’s search for international mandate in Transcaucasia», Bruxelles: V .U.B., 1996, P. 146.

بالرغم من أن وضعية دول المنطقة قد تغيرت بالنسبة للقانون الدولي، إلا أن الوسائل الخارجية لتحقيق هذه التسوية كانت جد محدودة. فالروح الوطنية العالية في سياسات دول جنوب القوقاز لإعلان استقلالها، ورغبتهم في التخلص من النفوذ الروسي بأي ثمن، وعدم الاستقرار السياسي والأخطاء الفادحة في حسابات السياسة العسكرية والداخلية لموسكو، جعلت من غير الممكن أن تلعب هذه الأخيرة دورا فاعلا في عملية التسوية⁴⁹⁴.

بالموازاة مع ذلك، فإن رفض الغرب الاشتراك في نزاعات الشرق، وعدم اهتمام منظمات الأمن الدولية بالأزمات المحلية والنزاعات العرقية (أو عجزها السيطرة عليها)، وتركيز جهوداتهم في مناطق أخرى (خاصة يوغوسلافيا والخليج)، ولمشاكل عديدة أخرى، أدى إلى صعوبة ارتقاء هذه القضايا إلى المستوى الدولي من أجل بحث تسوية حقيقية و شاملة.

مما ولد تفهم لحاجة اعتماد أكثر على جهودات حفظ السلام الروسية، فمن ناحية إدراك المجتمع الدولي لمحدودية وسائله في القيام بدور مؤثر، ومن ناحية أخرى تغيير الأطراف المتنازعة لنظرتها، حيث أصبحت تعتبر أن الاعتماد على روسيا كسلطة قادرة على بسط نفوذها على خصومهم أفضل من اعتمادهم عليها كحكم موضع ثقة وصانع سلام⁴⁹⁵.

وهكذا، تمكنت روسيا من أن تضمن لنفسها دور الوسيط النشط في عملية التسوية، لكن جهوداتها للوساطة لم تتبع بعمل جاد من طرف المجتمع الدولي. حيث في وضعية كاراباخ مثلا التي كانت أكثر المناطق تأزما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وفي الوقت الذي كانت تعتمد فيه الأطراف المتنازعة على الدعم العملي لروسيا من أجل التسوية، اكتفى المجتمع الدولي فقط بالإعراب عن إمكانية مساهمته بدون أي تصرف عملي. و في المقابل لاحظ الزعماء الروس من جانبهم أن الاعتراف الدولي بوظيفة الوساطة الروسية لم يكن كافيا، وغير واضح. لذا، طالبو بمساعدة عملية ملموسة في جهوداتهم⁴⁹⁶.

لقد تزامن البحث الروسي عن الشرعية الدولية لمجهوداتهم في حفظ السلام في جنوب القوقاز مع رغبة حكومات دول جنوب القوقاز إدخال العنصر الدولي في عملية التسوية، من أجل مراقبة سياسات روسيا في المنطقة، مما مهد لتدخل المنظمات الدولية في مناطق نزاع جنوب القوقاز. وهكذا، فإن الفراغ السياسي

494 Ottomon, ALI, «Le desenclairement du l'Asie centrale et du Caucase: Rôle inedit pour une ère nouvelle », CEMOTI , n° 18 , 1994 , P.P. 201 -232 .

495 Jamri, KACHIA, Op. Cit., P. 50.

496 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P.P. 150 – 151 .

في عملية التسوية الذي تشكل في المراحل السابقة، بدأ تدريجياً يمتلأ بكثافة وبطريقة صراعية، بالتفاعل المتبادل بين المجتمع الدولي (المنظمات الدولية) من جهة، وروسيا من جهة أخرى. بالرغم من أن هذا التفاعل لم يحصل على سمته التنظيمية، وقيامه ليس على تقسيم عمل وتوزيع مسؤوليات، وإنما إلى حد ما على التنافس في اتخاذ مبادرات الوساطة، لكن كلا الجانبين كان يعرف حاجته لتوحيد مجهوداته مع الآخر. كما يمكن النظر إلى هذا التفاعل بصورة تعكس الممارسات المعتادة في إدارة الأزمات الدولية، أين يتم الاعتماد على المشاركة النشيطة للدول في مجهودات التسوية الخاصة بالمنظمات الدولية.⁴⁹⁷ فعملية التسوية في ناجورنو - كاراباخ، وفيما بعد في باقي مناطق القوقاز كانت تقوم على نفس المنطق ولكن بطريقة عكسية، بحيث تطلب روسيا تدعيم نشاطاتها في حفظ السلام من طرف المجتمع الدولي، ثم تعمل على إثبات فشل هذا الأخير في التسوية، وهذا ما يفسر طلب موسكو فيما بعد، منحها مسؤولية خاصة في إدارة أزمات جنوب القوقاز.

إن عجز نظام الأمن الدولي في مواجهة التحديات الأمنية الجديدة، يمكن الاستدلال عليه بوضوح في بقاء المنظمات الدولية في التعامل الفوري مع النزاعات الجورجية ونزاع ناجورنو كاراباخ. ففي جورجيا وبعد توقيع الاتفاقية الثلاثية في 27 جويلية 1993م، طالبت روسيا وجورجيا من الأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوربي إرسال مراقبين دوليين للمساعدة في عملية التسوية السلمية، إلا أن فشل هؤلاء في التصرف بسرعة وإضاعتهم الوقت في المعاملات البيروقراطية أدى إلى فقدان عملية التسوية لديناميكيته ومن ثم إلغاء الاتفاقية⁴⁹⁸. ونفس الشيء مع كل الاتفاقيات التالية، والتي كانت تشتكي من إطالة التنفيذ وتضييع الوقت.

وفي أواخر 1993م، ونظراً لعدم تقدم القوات الأمنية ناشدت جورجيا المساعدة المباشرة من روسيا في النزاعات عبر كامل ترابها. وهكذا، تم الكشف عن عملية حفظ السلام في أبخازيا، تحت رعاية الأمم المتحدة بمشاركة مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي، وبالاعتماد الكلي على قوات حفظ سلام روسية ترتقي إلى وضع القبعات الزرق. لكن في جويلية 1994م، أقر مجلس الأمن نشر هذه القوات، وعملياً استمر نشاطهم في اتصال دائم كمراقبين عسكريين تابعين للأمم المتحدة⁴⁹⁹.

497 Ibid, P. 151.

498 Anne, DETINGUY, « l'echevau Caucasion », politique internationale, n ° 60, été 1993 , P.P. 26-27 .

499 Dimitri, DANILOV, Op. Cit. , P. 152.

وهكذا، فإن طول مدة الانتظار لرد واضح من طرف الأمم المتحدة حول النداءات الجورجية - الأبخازية - الأوستية في تسريع بعث قوات حفظ سلام دولية زاد من حالة عدم الرضا من قبل الأطراف المتنازعة حول دور الأمم المتحدة في عملية التسوية.

في المقابل، أنشطة ممثلي مجموعة منسك والتي ركزت أكبر اهتماماتها لحفظ السلام في منطقة ناجورنو كاراباخ، كانت أيضا عديمة الكفاءة وغير فعالة، حيث كانت أذربيجان تعقد آمالا كبيرة على هذه المجموعة في تحقيق أهدافها السياسية المرجوة في حل النزاع، بدلا من المجهودات الروسية المنفردة. لكن الهجوم الأذري الواسع النطاق في ديسمبر 1993م، يمكن أن ينظر إليه كخيبة أمل أذربيجانية في سياسات مجموعة منسك، فحاولت أذربيجان الحصول على تعويض بوسائلها العسكرية عما فشلت فيه عملية صنع السلام، من أجل وضع المجتمع الدولي أمام الأمر الواقع⁵⁰⁰.

وعلى العموم، فإن دول جنوب القوقاز كانت مستاءة بوضوح من سلوكيات الدول الغربية والمنظمات الدولية في مناطق النزاع، وصرحت بذلك علانية، مما قادها لقبول الدور القيادي للوساطة الروسية، باعتبارها الدولة الوحيدة التي تملك وسائل عسكرية تمكنها من تدعيم أنشطتها لحفظ السلام.

- **الدور الروسي من التناقض إلى المسؤولية الخاصة :** من أجل فهم أسباب عدم قدرة "فكرة قوات حفظ سلام روسية " من انتزاع الاعتراف الدولي، يجب التنبيه للتناقضات الموجودة في السياسات الروسية، التي تتخلى في بعض الأحيان عن المعايير الدولية، خاصة في تقديمها الدعم العسكري للأطراف المتنازعة. فسياسات روسيا الجديدة كثيرا ما أوحى للأطراف المتنازعة بأن روسيا تريد تفضيل أحدهم أو آخر عن الكل، فالتناقضات في سياستها اتجاه جنوب القوقاز تعكس التضارب بين مختلف التيارات السياسية داخل روسيا نفسها في نظرتهم للأهداف العامة للسياسة الخارجية.

إحدى هذه التيارات تفضل استعادة النفوذ الروسي على كامل منطقة الاتحاد السوفياتي السابق، بكل الوسائل الممكنة (أكثر استعمالا للقوة العسكرية)، ويطلق عليها اسم الإمبريالية الجديدة⁵⁰¹. أما وعلى النقيض من ذلك، البقاء قدر الإمكان بعيدا عن تسوية النزاعات والأزمات المتزايدة في مناطق الحدود القريبة، والتركيز

500 مختار شعيب، عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 182.

501 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P. 152.

في التعامل مع المهام المتعلقة بالتنمية الداخلية "سياسة انعزالية"⁵⁰². وهكذا، تراوحت السياسات الروسية في جنوب القوقاز بين هاتين النظريتين.

أفصحت روسيا عن مصالحها واهتماماتها بخصوص النزاعات في مناطق الاتحاد السوفيتي السابق وخاصة جنوب القوقاز كما يلي:

- إن تأدية روسيا لوظائف حفظ السلام والدفاع عن حقوق الأقليات القومية، خاصة الناطقين بالروسية في منطقة الجوار القريب، هو ضمان للاستقرار في منطقة الاتحاد السوفيتي السابق، وتكوين لحزام من الجيران الجيدين على طول محيط الحدود الروسية، كما أنه ضمان لروسيا باحتفاظها بتواجدها العسكري في دول الكومنولث بمبادئ قانونية مناسبة، وتعزيزا للهيكل القومي المشترك⁵⁰³.

- إن القبول بالدور الخاص الروسي في كومنولث الدول المستقلة لا يرجع فقط لمصلحة روسيا وجيرانها فقط، بل أيضا لحقيقة أنه: "لا توجد دولة في مناطق الجوار القريب أو البعيد، ولا منظمة دولية فردية، أظهرت رغبتها أو قدرتها لتحل محل روسيا كقوة حفظ سلام في هذه المنطقة"⁵⁰⁴.

- الحاجة للتعاون بين روسيا والمجتمع الدولي والمنظمات الدولية، في مقابل دعم الاستقرار وإدارة الأزمات خلال منطقة الاتحاد السوفيتي السابق، "... روسيا حافظت على نفس النهج الدائم لتوسيع مشاركة الأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوربي في تسوية نزاعات كومنولث الدول المستقلة"⁵⁰⁵.

بإعلانها لهذه المبادئ، قطعت روسيا خطوة جديدة لصياغة مفهوم مترابط للمنطقة ما بعد الاتحاد السوفيتي، وقطيعة واضحة مع السياسة الشمولية السابقة. إلا أن الطموح الروسي للمسؤولية الخاصة في جنوب القوقاز، لم يتم فهمه ولا تشجيعه على مستوى المجتمع الدولي. على العكس من ذلك، فقد نمت وظهرت انتقادات واتهامات بنهضة إمبريالية في السياسة الخارجية الروسية، وانتقل سؤال المراحل السابقة من : إلى أي مدى يمكن للسياسات والممارسات الروسية أن تؤثر في وضع المنطقة؟ إلى: في أي اتجاه خاص يمكن للدور النشط لروسيا أن يتجسد في جنوب القوقاز؟⁵⁰⁶

502 Anne, DETINGUY, Op. Cit., P. 146.

503 Ibid, P. 146.

504 Smith, VANER, «la caspienne : enjeu pour l'azerbaïdjan , et l'azerbaïdjan comme enjeu», in cemoti , n ° 23 , la caspieene : une nouvelle frontiere , le 01 mars 2005 . [http : // cemoti . revues . org / document 117 . ht ml . consulté le 12/06/2016](http://cemoti.revues.org/document117.html)

505 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P. 153.

506 Ibid, P. 153.

وكان على الدول المعنية بتسوية النزاعات في جنوب القوقاز الاختيار بين بديلين:

- **الأول** : هذا البديل اعتبره القادة الروس أفضل بديل يحقق مصالحهم، مصالح الأطراف المتنازعة والمجتمع الدولي، حيث يعترف بالتكامل بين مجهودات السلام الروسية وعمل المنظمات الدولية ، بحيث تعطى القوات الروسية (أو جزء منها) وضعا قانونيا واضحا⁵⁰⁷. إذ أنه وبعد طول مناقشات، تطور إجماع تام بخصوص الحاجة لإنشاء قوات حفظ سلام في مناطق النزاع، مع منح تفويض من طرف الأمم المتحدة أو مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي. لكن، ورغم أنه من حيث المبدأ، نشر قوات أممية في جنوب القوقاز هو شيء عملي إلا أنه بالكاد يكون محتملا، نظرا للقيود المالية المعرقلة. وكذا، خوف الأمم المتحدة من إقحام قواتها في إحدى مناطق النزاع، يمكن أن يعتبر سابقة غير مرغوبة للمشاركة المسلحة الواسعة للأمم المتحدة، في ضبط الأزمات في كومنولث الدول المستقلة. بالإضافة إلى افتقار مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي لآلية واضحة لإدارة عملية حفظ السلام في مناطق النزاع⁵⁰⁸. ولهذا فإن الاعتماد المؤقت على قوات حفظ السلام الروسية (أو حتى كومنولث الدول المستقلة)، تعمل وفق قرارات الأمم المتحدة و مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي كمنظمة إقليمية، يعتبر أفضل خيار ولو كان يعني التخلي عن النموذج الأممي المعروف. لكن وبالموازاة مع نشاط الأمم المتحدة و مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي في مناطق النزاع في جنوب القوقاز، فإنه سيجعل من الممكن ضمان فاعلية أكثر لنشاط المنظمات الدولية وروسيا. وفي هذه الحالة تصبح الأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي المسؤولين عن صياغة السياسة العامة للتسوية من أجل دبلوماسية وقائية، ورقابة دولية قانونية لمناطق النزاع، تربط السلوكات الروسية بسياسات نظام الأمن الدولي⁵⁰⁹. و هكذا، وفي الأخير يتمكن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي من تقديم دعم عملي في جزئه الشرقي، استكمالاً لدعائه الغربية الخاصة (النااتو، الاتحاد الأوروبي)، الذي استطاع من أخذ الدور الرئيسي في تدعيم الاستقرار والأمن في منطقة آسيا الوسطى وجنوب القوقاز.

- **الثاني**: البديل الثاني يقدم احتمالات أقل بكثير لتسوية تدريجية في القوقاز، فعدم اعتراف الأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي بالمسؤولية الخاصة لروسيا في أمن واستقرار منطقة الدول المستقلة، يعني أن السياسات الغربية والسياسات الروسية في جنوب القوقاز لا يمكن أن تتابع في إطار نموذج مقبول للتعاون الفعلي معاً، بل ستمليه أساساً الأوضاع السياسية⁵¹⁰. فردود فعل المنظمات الدولية

507 Ibid, P.P.153-154.

508 Anne, DETINGUY, Op. Cit., P. 146.

509 Françoise, THOM, « Eurasisme et neo-eurasisme », commentaire, n ° 66, été 1994, P.P. 305 –306.

510 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P.P. 152 –153.

اتجاه أزمات المنطقة كان دائما متأخرا وغير ذي جدوى، مما أدى إلى إضعاف القدرة الروسية في ضمان التسوية، كما أدى إلى تثبيت النزاعات. فغياب تفويض دولي لقوات حفظ السلام الروسية أو مجهودات الوساطة الروسية سيؤدي إلى تزايد مجهودات القوى الإقليمية الأخرى، انطلاقا من تخوفها من عودة النفوذ الروسي غير المراقب من طرف الأشخاص الدوليين للتدخل في المنطقة، مما سيثير تصعيدا جديدا للتوترات⁵¹¹. فروسيا التي تعتمد فقط على مجهودها السياسي والاقتصادي والعسكري الخاص، سوف تكون على الأرجح غير قادرة على تطوير سياسة تسوية، وسياستها سوف تصطدم بالانتقادات القومية من طرف الجميع (بما فيها الداخل الروسي)، ولهذا فالتحامل على الإمبراطورية الروسية الجديدة يكون أكثر إقناعا. وحسب هؤلاء المتحمسين لهذا البديل، فإن أخطار هذا الخيار هي الفشل في ضمان شروط تفضيلية لصياغة منهج امبريالي جديد يخافه شركاء روسيا⁵¹².

- **وضعية قوات حفظ السلام الروسية** : يعتبر الوضع المستقبلي لقوات حفظ السلام الروسية أهم مشكل يواجه المفاوضات، في كل صراعات جنوب القوقاز. ومبدئيا، لم تستبعد روسيا أحد الخيارات الثلاث الممكنة لنشر قوات حفظ السلام في المنطقة، في إطار المجهودات الدولية للتسوية.

- قبول عمليات حفظ سلام أممية (في إطار المعايير المقبولة في الأمم المتحدة)، أين نسبة الجنود الروس لا يجب أن تتجاوز 25%.
- قوات حفظ سلام دولية بتفويض من مجلس الأمن، ولكن خارج عملياته لحفظ السلام، وتشكل روسيا أساس هذه القوات (حوالي 80%).
- نشر القوات المسلحة الروسية في مناطق النزاع تحت رعاية الأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوربي، بالتزامن مع مهلة لمراقبين دوليين .

ونظرا لهذه البدائل المختلفة فإن الزعماء الروس يفضلون الخيار الثاني، لكن مع اقتناعهم أن: "استحالة حصولهم على بطاقة بيضاء من طرف الأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوربي"، لعمل القوات الروسية كقبعات زرق"⁵¹³، أدى بهم تدريجيا إلى إتباع موقف أكثر حزما من عمليات حفظ السلام في جنوب القوقاز، نتيجة لـ:

511 Ibid, P. 153.

512 Ibid, P.154.

513 Françoise, THOM , Op. Cit., P. 306.

من ناحية، كان هذا بالتأكيد رد فعل لعدم وجود أي حل من حيث المبدأ من طرف الهيئات العالمية، حول استخدام وتنصيب قوات حفظ سلام في جنوب القوقاز، إلى جانب نداءات القادة القوقازيين من أجل حل مسألة إشراك القوات الروسية في عمليات حفظ السلام في أقرب وقت ممكن. ومن ناحية ثانية، تحصل روسيا على احتمالات جديدة لمتابعة سياسة أكثر صرامة في نشر قواتها لحفظ السلام في جنوب القوقاز⁵¹⁴.

أولاً : كما هو ملاحظ فيما سبق أن الاعتماد على مشاركة القوات المسلحة الروسية في أي شكل من أشكال إدارة الأزمات، كان مقبولاً من طرف الفصائل المتنازعة، وعليه يمكن أن تعتمد روسيا على تواجد قواتها لحفظ السلام في أنجازها لتمتد نحو الجنوب إلى ناجورنو كراباخ. خاصة بعد موافقة أذربيجان وشركائها من الدول المستقلة في 16 أبريل 1994م، على بروتوكول يقر تفويض تسوية النزاعات، بتحويله من صلاحيات الكومنولث إلى صلاحيات قوات حفظ السلام الروسية الخاصة. ورحبت بفكرة تنصيب قوات حفظ السلام للكومنولث، في منطقة ناجورنو كراباخ⁵¹⁵.

ثانياً: بانضمام جورجيا إلى منظمة الدول المستقلة، تم توحيد كل الجمهوريات السوفياتية السابقة (باستثناء البلطيق)، في إطار شرعية طموحات روسيا لحفظ السلام. خاصة في قمة الكومنولث في أبريل 1994م، أين تم تبني تصريح ثان حول النزاع الجورجي - الأنجزي، أنه إذا تأخرت القوات الأممية في الوصول على المنطقة، فإن قوات الكومنولث ستتدخل في المنطقة بموافقة الأطراف المتنازعة⁵¹⁶. و قد صرح رئيس الأركان الجورجي آنذاك أن: "جورجيا سوف توافق على تولي روسيا لدور منفرد لحفظ السلام، إذا ما كان التعاون بينها وبين روسيا والأمم المتحدة لا يزال بطيئاً"⁵¹⁷.

ثالثاً: كانت الخيارات العسكرية والسياسية لروسيا تتسع إلى حد بعيد، فعملية نشر القوات المسلحة الروسية في الدول المستقلة، وفقاً لمبادئ ومعايير مقبولة دولياً كانت قائمة حيث نشرت القوات الروسية في جورجيا على أساس معاهدة ثنائية وقعت بين الطرفين، كما أن الاتفاقات مع أذربيجان وأرمينيا أيضاً كانت على أساس دور روسيا في مراقبة حدودها الخارجية.

514 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P.P. 155 –157.

515 Ibid, P. 156.

516 Rebert, BARYLSK V., Op. Cit., P. 123.

517 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P.P. 157 – 159.

وبالموازاة مع ذلك، كانت الآليات العسكرية والسياسية للكونولث بالكامل تتقدم بشكل ملحوظ، كخطوة هامة لتكوين اتحاد موحد في إطار معاهدة الأمن الروسي: "إن الطموحات لخلق قوات ملحة موحدة، في إطار معاهدة الأمن الجماعية ستصبح واقعية"⁵¹⁸.

رابعاً: أحرزت روسيا تقدماً واضحاً في تكوين قواتها لحفظ السلام على المستوى القانوني والعسكري، إضافة إلى قوات حفظ السلام للكونولث وهكذا: "مع بداية 1994م، كان أكثر من 16 ألف جندي روسي في الحدود القريبة، كما انتقل الإنفاق العسكري الروسي من 2.5 مليون روبل في سنة 1992م، إلى 26 مليون روبل في سنة 1993"⁵¹⁹، وهذا تماشياً مع تزايد حجم قوات حفظ السلام على طول أولويات سياسة الدولة وبناءها العسكري.

و لهذا، كان واضحاً منذ 1994م أن روسيا تحاول وضع حقائق على الأرض بامتلاكها لحواجز واحتمالات كبيرة لحفظ سلام نشيط حتى ولو بالوسائل العسكرية.

ب- سياسة الجوار القريب:

إذا كانت سياسة التسوية التي انتهجتها روسيا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي تمثل الموقف المعلن للقادة الروس اتجاه الوضع العام في منظمة الدول المستقلة، أين رفضت وتعمدت روسيا عدم التدخل في الصراع، في الوقت الذي نادى فيه بتسوية سلمية للنزاعات تحت إشراف قواتها لحفظ السلام. فإن الموقف الفعلي لهؤلاء اتجاه هذه المنطقة هو اعتبارها منطقة "الجوار القريب" لروسيا، يجب أن يكون لها دور بارز في رسم معالمها وسماتها. بحيث تحافظ على النفوذ الروسي هناك، بشكل يسمح لها من مراقبة المنطقة والتأثير فيها عبر عدة قضايا⁵²⁰.

-اتجاه النزاعات العرقية: بخلاف روسيا السوفيتية في 1920م، روسيا لم تحاول منع المسار الاستقلالي لأرمينيا، جورجيا، و أذربيجان. حيث كانت تريد ترك جيرانها الجدد لقدرهم المحتوم، في مواجهة

518 Ibid, P. 159.

519 Ibid, P.158.

520 Frederic., GRARE , OP. Cit.

التناقضات العرقية والنزاعات المتصاعدة. لكن وما إن اجتازت روسيا فترة الغموض في سياستها حتى أعادت اهتمامها بهذه المنطقة، وأسقطت مواقفها بخصوص الاستقلال الكامل لهذه الجمهوريات لصالح إشراك مباشر أكثر لسلطتها هناك، حيث بدا وكأن روسيا تحاول استعادة نفوذها خلال كامل منطقة الدول المستقلة، من كل الجهات وفي كل النزاعات، من أجل سد الطريق أمام أي محاولات خارجية إقليمية أو عالمية للتدخل في حزامها الأمني.

فبالنسبة لأرمينيا كانت علاقتها مع روسيا جد خاصة، و بامتلاك روسيا لعلاقات جيدة مع القيادة الأرمينية بزعامة ليفون -تير- بتروسيان كتحالف استراتيجي يضمن الحيوية الوطنية لأرمينيا. أما جورجيا زفياد جامساخورديا بكل ادعاءاتها وممارساتها المعادية لروسيا، فكانت بعيدة عن تطوير علاقات حسنة مع روسيا، إلا أن الصفوة السياسية الروسية كان لها دور أساسي تلعبه في تبليسي مع صعود أو ادوار شيفرنادزه للسلطة، وسقوط جورجيا في أزمة الاضطرابات السياسية من عدة جوانب. فكان على روسيا أن تدعم الفصائل المنشقة في ابخازيا واسيتيا الجنوبية، والتغاضي عن سلوكيات أنصار جامساخورديا من أجل الضغط على تبليسي. حيث أجبرت هذه الأخيرة، وفي ظل تزايد الضغط عليها إلى العودة للحظيرة الروسية والانضمام إلى مجموعة الدول المستقلة، وتوقيع معاهدة تنصيب القواعد العسكرية الروسية في الأراضي الجورجية.

في أذربيجان عندما وصلت الجبهة الشعبية إلى الحكم، كان واضحا أن سياستها معادية للروس، والذي تحقق فعلا مع التحالف الاستراتيجي بين حكومة التسبيبي وحكومة أنقرة. مما جعل روسيا تتدخل لمساعدة الشعب في الإطاحة بالتسبيبي، وتنصيب حيدر علييف رئيس الحزب الشيوعي وعضو المكتب السياسي مكانه.

وهكذا يتضح بجلاء أن روسيا كانت تمتلك اليد العليا في إدارة الأوضاع السياسية والأمنية في الدول المستقلة، إذ لم تقتصر في ذلك على وظيفة تنصيب القيادات العليا، وإنما في اتصالاتها الجيدة مع قادة الحركات الاستقلالية في كل من ناجورنو كاراباخ، ابخازيا واسيتيا الجنوبية.

- من الناحية الاقتصادية: اعتمدت السياسة الروسية في مد نفوذها على منطقة جنوب القوقاز على التأثير الاقتصادي، فقرابة 60% من إيرادات الميزانية العامة لأرمينيا تعتمد بشكل أساسي على القروض والمساعدات الروسية، بالإضافة إلى تدفق الغذاء والوقود الروسي إلى أرمينيا، و مساهمته بشكل كامل في دعم الاقتصاد الأرميني المتضرر من جراء الحصار المفروض عليه من طرف تركيا وأذربيجان. جورجيا هي

الأخرى، تعتمد على الإمدادات الروسية من الوقود. أما أذربيجان فقد استطاعت التخلص من هذه التبعية، نتيجة كفايتها الذاتية في هذا الصدد⁵²¹.

لكن ومع تعاضم أهمية النفط القز ويني والغاز في آسيا الوسطى، وظهور الحاجة الملحة لنقل هذه الثروات إلى الأسواق العالمية، و اقتراح عدة بدائل لخطوط أنابيب النقل، بدأت الدول المنطقة في إظهار نيتها من أجل نيل امتياز مرور خطوط الأنابيب بأراضيها. و إصرار روسيا على مرور الأنابيب الرئيسي للنقل عبر أراضيها، نابع من إدراكها لحقيقة أن إمساكها بهذا الشريان الحيوي لاقتصاديات الجمهوريات المستقلة في آسيا الوسطى والقوقاز، فضلا عن فوائده الاقتصادية المباشرة (عائدات النقل)، سيساهم في إبقاء هذه الجمهوريات ضمن دائرة النفوذ الروسي، و يحافظ على ما تبقى من المدى الاقتصادي السوفييتي السابق، ويضع في يد روسيا أداة بالغة الأهمية في مواجهة مخطط الهيمنة الأمريكي على المنطقة⁵²².

ولهذا أبدت إصرارها على خط النقل الذي يربط ميناء باكو الأذربيجاني على بحر قزوين، بميناء نافوروسيسيك الروسي على البحر الأسود، ومن ثم إلى أوروبا وباقي الأسواق العالمية. بالإضافة إلى خط آخر، ينقل نفط حقل تنغيز الكازاخي إلى نافوروسيك. بيد أن هذا الخط الروسي كان ينافس خط آخر كبير، وهو خط باكورجيهان، الذي تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية في إطار رفضها أن تكون الأراضي الروسية أو الإيرانية ممرا لأنابيب النفط⁵²³.

لكن ورغم حسم الموقف لصالح خط باكو-جيهان، وذلك بتوقيع إعلان أنقرة في نوفمبر 1998م، بين أذربيجان، كازاخستان، أوزباكستان وجورجيا، برعاية واشنطن⁵²⁴. إلا أن روسيا لم تستسلم، وسارعت إلى إنشاء بنية تحتية جديدة لنقل النفط والغاز، فشرعت في بناء خط جديد نحو بحر البلطيق، وأنجزت بسرعة فائقة وصلة باكو-نافوروسيسيك التي تؤمن الإلتفاف حول الأراضي الشيشانية، كما أنشأت أنبوبا لنقل الغاز الكازاخي يصب في ميناء نافوروسيسيك⁵²⁵.

521 Dimitri, DANILOV, Op. Cit., P.P. 160 –161.

522 Smith, VANER, Op. Cit.

523 Anne, DETINGUY, Op. Cit., P.147.

وهكذا فإن الصراع متواصل على هذه الجبهة، ولا يبدو أنه سيتوقف، ومن الواضح أن الاعتبارات الجيوسياسية وأهداف السيطرة على المنطقة، هي التي تملئ قبل الاعتبارات الاقتصادية خيارات ومواقف الدول في شأن هذه المسألة.

ج-التواجد العسكري الروسي: تحتفظ روسيا بقواعد عسكرية في كل من أرمينيا، أذربيجان، جورجيا، كازاخستان وطاجيكستان. وفي معظم الحالات نشرت هذه القوات في المنطقة أثناء العهد السوفيتي، بموجب بنود معاهدة الأمن الجماعي الموقعة من قبل أعضاء كومنولث الدول المستقلة في عام 1992م⁵²⁶، (بالرغم من أن أذربيجان وجورجيا اختارتا الانسحاب من المعاهدة عندما تم تجديدها في عام 1999م، لم تسحب روسيا كل جنودها أو تغلق قواعدهما في هذين البلدين). ويعمل الجنود الروس أيضا في وحدات حفظ السلام في أبخازيا وأسيتيا الجنوبية، ومنذ أواخر 1999م كان ثمة حوالي 22 ألف جندي روسي في منطقة القوقاز، إلى جانب أفراد هامة من العسكريين المختصين⁵²⁷.

كما وقعت روسيا عدة اتفاقات ثنائية، منها توقيع اتفاقيات مع أرمينيا وجورجيا في 1995م، تجيز لروسيا تشغيل بضعة قواعد صاروخية في هذين البلدين، وتشكيل قوات عسكرية مشتركة⁵²⁸. كما تعددت الأشكال الأخرى من التعاون العسكري، ففي 1996م مثلاً، أقامت روسيا نظام دفاع جوي متكامل مع أرمينيا، كازاخستان، قرغيزستان و طاجيكستان، تمت تقويته في عام 1999م، بعد مناورات مشتركة شملت كافة الدول المستقلة⁵²⁹.

لقد تراوحت السياسة الروسية في منطقة جنوب القوقاز ما بين الانعزالية والإمبريالية الجديدة، ووصولاً إلى المسؤولية الخاصة. وعلى العموم فإن الاتجاه الأكثر وضوحاً فيها هو: الإقلاع على الهيمنة المباشرة باستثناء القضايا الإستراتيجية، لكن مع الاحتفاظ بشيء من التأثير. فعودة المسؤولية أعاد إحياء الآمال لعودة الإمبراطورية لدى فئات كثيرة من الشيوعيين السابقين، لكن العلاقة ما بين الروس والشعوب القوقازية كانت في الحقيقة أعقد من سهولة فكرة استعادة موسكو الهيمنة، حيث كان القلق بادياً في باكو، تبليسي وحتى يارفان. إذن فاستبعاد خيار السيطرة المباشرة واستبداله بمحاولة لعب الدور البارز يمثل أحسن اختيار

526 Iam, CUTHBERSON, « Notre destin est entrain de ce jouer en Asie Centrale», Le Temps Strategique, Septembre 1995, P.P. 30-45.

527 Ibid, P. 45.

528 Alexe, DAN, «Le nouveau grand jeu et le petrole a Bakou» , Bulletin de l'observatoire de l'Asie Centrale et du Caucase, n° 1, février 1996, P. 17.

529 Ibid, P. 17.

لمصالح موسكو، خاصة مع نقص الموارد واختفاء العديد من التقاليد السابقة لصالح حقائق جيوسياسية جديدة.

المطلب الثاني: الاهتمام الإيراني بمنطقة جنوب القوقاز وفكرة الشرق الأوسط الجديد:

تمتلك إيران في حقيقة الأمر، دورا استراتيجيا في منطقة جنوب القوقاز، وذلك لما تمثله روابطها العرقية، الثقافية والتاريخية كميراث ضخم يسهم في بناء سياسة خاصة بها في هذه المنطقة، خاصة وأن جنوب القوقاز جزء لا يتجزأ من المجال الحيوي الذي يحيط بإيران، ويشكل معها ما اعتبر شرق أوسط جديد، أين الموقع الجيوسياسي لإيران يمنحها تفضيلا للعب دور أكثر نجاحا.

وسنحاول في هذا الجزء التطرق للكيفية التي تنتظر بها إيران لجنوب القوقاز بدوله الثلاث، من خلال تحليل الموقف الإيراني لما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، المصالح الخاصة لإيران مروراً بسياساتها اتجاه النزعات العرقية لاسيما نزاع ناجورنو كاراباخ، و إنتهاءا بإستراتيجيتها في تعزيز التعاون الاقتصادي الإقليمي.

1 - الموقف الإيراني بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

إن زوال الدولة السوفيتية على الحدود الشمالية لمنطقة الشرق الأوسط حدث بصورة سريعة وغير متوقعة، ولذلك فإن دول شمال غرب آسيا وجيرانها مثل إيران لم يكن لديها فرصة للاستعداد لمثل هذه المتغيرات المستجدة، و لا للتكيف مع قيام مجموعة جديدة من العلاقات. وخلافا للإمبراطورية العثمانية التي كان انحدارها ظاهرا قبل سقوطها بعقود طويلة، والإمبراطوريات الأوربية التي هيأت مستعمراتها لمرحلة الاستقلال بدرجات متفاوتة من النجاح، فإن الإتحاد السوفيتي انفجر من الداخل⁵³⁰.

لم تلعب منطقة آسيا الوسطى-جنوب القوقاز دورا يذكر في الأحداث الحاسمة التي حددت مصير الإتحاد السوفيتي، وخلافا لجمهوريات البلطيق وغيرها من جمهوريات الإتحاد السوفيتي فإن هذه الجمهوريات حققت الاستقلال دون أن يظهر بها حركات حقيقية تعمل من أجل الاستقلال. ونتيجة لذلك، حرمت هذه الجمهوريات من أبسط فرص لرسم معالم هويتها المتميزة المشتركة، وصياغة تطلعاتها، أو تشكيل مؤسساتها،

530 Thomas, LAND, «Pipelines and politics», The Middle East, jan 1996, P.P.25-26.

قبل أن يلقى على عاتقها مشكلات الاستقلال ومسؤولياته⁵³¹. و نظرا لأن الأنظمة والشعوب في هذه الجمهوريات لم تلعب دورا مهما في تحررها النهائي، فلم يكن لديها مبرر كي تطلب الدعم من الدول المجاورة مثل إيران وتركيا.

أ-: التحفظ الإيراني:

لعبت إيران دور المنفرد السلبي على الزلزال السياسي الخطير، الذي أعاد ما قطعه عقود السيطرة الروسية والسوفيتية من روابط عرقية وثقافية وهناك ما يشير إلى أن طهران لم تضع ضمن أولويات طموحاتها استعادة التواصل مع الشعوب الأصلية في منطقة شمال غرب آسيا، ولم تكن هذه المنطقة ضمن أولويات السياسة الخارجية الإيرانية، لأن اهتمام إيران الرئيسي ينحصر أساسا في المحافظة على علاقة عملية خالية من التهديد مع جارها السوفيتي القوي، لأسباب متعلقة بالأمن القومي⁵³². و حتى لو قامت حركات متمسكة بين الشعوب الأصلية في المنطقة تطالب بالاستقلال عن السيطرة السوفيتية، لاعتبرت إيران أنه من الحكمة تجنب استعداد موسكو⁵³³.

بسبب هذه القضية، وفي غياب مثل هذه الحركات أصلا، وجدت إيران نفسها تفتقر إلى الأسس الإيديولوجية أو السجل الدبلوماسي، الذي يمكن الاستناد إليه في وضع إستراتيجية فعالة إزاء المنطقة الواقعة على حدودها الشمالية.

ولأول مرة خلال قرنين من الزمن تقريبا، لم يعد لإيران حدود مع دولة أقوى منها، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفكك جمهورياته. وقد كانت العلاقة بين طهران وموسكو مستقرة بعد الحرب العالمية الأولى، لكن الباعث المسيطر على هذه العلاقة كان التوسع والضغط الروسية⁵³⁴، وبرغم أن إيران استطاعت في النهاية التكيف مع تفاوت درجة القوة بينها وبين جارها الشمالي، فقد ظلت المبادرة أساسا في يد موسكو، حيث يمكن استخدام القوة والنفوذ باتجاه الجنوب، ولكن ليس في الاتجاه المعاكس.

531 Alexandre, MATVEEV, « Le statut de la Mer Caspienne: le point de vue Russe », *le courrier des Pays de l'Est*, n° 411, Aout – 1996, P. 58.

532 Smith, VANER, Op. Cit.

533 Frederic,, GRARE, OP. Cit.

534 Jamri, KACHIA, Op. Cit., P. 51.

إن انهيار الاتحاد السوفيتي، وظهور دول مستقلة هشة على طول حدود إيران (التي تبلغ 1600 ميل شرقي وغربي بحر قزوين)، أدى من الناحية النظرية إلى قلب القطبية التي تنطوي عليها معادلة القوة، ويمكن القول أن إيران أقوى وأكثر استقراراً من جيرانها الجدد، ولم تعد معرضة للتهديد التقليدي أو التخويف من اتجاه الشمال، لكن من المشكوك فيه أن تشعر إيران بالراحة، والثقة التامة اتجاه هذا الانقلاب المفاجئ في الأوضاع⁵³⁵.

وقد لمح أحد السفراء الإيرانيين إلى حالة التناقض التي تعيشها طهران بقوله: "كنا ننظر إلى حدودنا الشمالية فنرى قوة معادية عملاقة، ولكنها كانت تعطينا انطباعاً بأنها تتمتع بالاستقرار، وكنا نعرف ما ستفعله هذه القوة وتعلمنا كيفية التعامل معها. أما اليوم فإننا ننظر شمالاً فنرى سبع دول مختلفة في تلك المنطقة، وكلها تفتقر إلى الاستقرار، الأمر الذي يغير المعادلة الإستراتيجية... برغم المظهر المصطنع للجمهوريات الجديدة وتنوعها العرقي، اللغوي والديني المتأصل، فقد عارضت إيران باستمرار إجراء تعديلات حدودية، على أساس أن أي تغيير في الخطوط الحدودية الحالية، في أي بقعة من المنطقة من شأنه أن يفاقم التوتر في المنطقة بأكملها⁵³⁶.

وبالقدر الذي يمكن فيه التكهن بوجهة نظر إيران الجيوستراتيجية، من خلال الدلائل المتوافرة. فإن إيران تتصرف على أساس الافتراض بأن مصالحها المتعلقة بالأمن القومي، وتطلعاتها لإقامة نفوذ طويل الأمد في شمال غرب آسيا، سيكون وفق الحقائق الميدانية الجديدة.

ب-: الموقع الجيو- سياسي الجديد لإيران:

من وجهة النظر الجيوسياسية ترى إيران نفسها كجزء من الشرق الأوسط، وبتحديد أكثر بوابته الشرقية، هذا الأخير الذي يتميز كمنطقة:

- مالكة لأكبر كمية من مصادر الطاقة العالمية و الإنتاج (حوالي 50% من النفط العالمي وموارد الغاز).
- تتميز بثقافة عربية ولغة عربية مهيمنة (ما عدا إيران وتركيا).

535 Ibid, P. 51.

536 جمال، سند السويدي، "إيران و الخليج: البحث عن الاستقرار"، ط1، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، 1996، ص148.

- كل دولة لها مدخل للبحر (سواء البحر الأبيض المتوسط، البحر الأحمر، الخليج الفارسي، خليج عمان).
- الإسلام هو السمة البارزة المتقاسمة بين إيران ودول المنطقة⁵³⁷.

وعليه فإن انهيار الإمبراطورية السوفيتية قد أدى إلى نقلة جذرية في التقسيم الجيوسياسي للشرق الأوسط، حيث ظهر ما يعرف بـ: "الشرق الأوسط الجديد" أو "شمال غرب آسيا"، كمنطقة جديدة تمتد إلى قلب آسيا على طول 7 ملايين كلم، مأهولة بحوالي 320 مليون نسمة، متضمنة: باكستان، أفغانستان، إيران، تركمانستان، طاجكستان، أوزبكستان، كوردستان، كازاخستان، أذربيجان، أرمينيا و تركيا⁵³⁸. و هكذا، وبمعكس التحليل الذي تنبأ بتدهور الأهمية الجيوسياسية لإيران ما بعد الاتحاد السوفيتي، فإن إيران من المقرر أن تجني فوائد جمة من وضعها الجيوسياسي الجديد في هذه المنطقة الجديدة:⁵³⁹

- ستكون للمنطقة أهمية اقتصادية كبيرة، خاصة فيما يتعلق بالمواد الخام والسلع الإستراتيجية.
- ثقافيا ولغويا، تتميز المنطقة باختلاف شديد وتباين واضح، فالرابطة الثقافية المشتركة الوحيدة هي الإسلام (باستثناء أرمينيا).
- إيران تتموقع في مركز المنطقة الجديدة، فقربها من باكستان، أفغانستان، تركمانستان، كازاخستان، أذربيجان، أرمينيا، تركيا ومعظم الدول الداخلية، تكون هي المدخل الأكثر حيوية لأعالي البحار.
- تتقاسم إيران لغة مشتركة مع بعض البلدان، والدين المشترك مع جميعها (ما عدا أرمينيا)، كما أنه على المستوى الديني لدى إيران تشابه كبير مع أذربيجان (كلاهما شيعي)، وتاريخيا تمتلك إيران تأثير ثقافي كبير على الدول المستقلة حديثا⁵⁴⁰.

ج-: التأثيرات الجيوسياسية لانحصار الاتحاد السوفيتي على إيران:

- من الناحية الأمنية: طوال القرون الثلاثة الأخيرة، السياسة الخارجية الإيرانية تأثرت كثيرا بموقعها القريب من روسيا- الاتحاد السوفيتي - من جهة. ومن جهة ثانية، موضعها كمواجهة مستمرة بين جارتها

537 المرجع نفسه، ص ص 149-150.

538 Edmund, HERZIG, «Iran and the former Soviet South» _Londres: the Royal institute of international affairs , 1995, P.P. 21-

24.

539 Ibid, P. 24.

540 جمال, سند السويدي, مرجع سبق ذكره, ص 150.

الشمالي والغرب، فلطالما اعتبرت روسيا-الاتحاد السوفيتي إيران كأكبر حاجز يمنعه عن البحار الجنوبية، إضافة للثورة البلشفية في روسيا والثورة الإسلامية في إيران والاحتلال السوفيتي لأفغانستان، كلها زادت من تعقيد الوضع الجيوسراتيجي لإيران.

ومن وجهة النظر الإيرانية فإن روسيا-الاتحاد السوفيتي- عادة ما مثلت التهديد الرئيسي لوحدة إيران واستقلاله، حيث فقدت إيران أراضي شاسعة لصالح جارها الشمالي على مدى القرنين الفائتين، كما واصلت الثورة البلشفية سياستها التوسعية فأقامت دولتين تابعتين في أقاليم إيران الكردية والأذربية.⁵⁴¹ ومع ظهور الدول المستقلة حديثاً، فإن الوضع الإستراتيجي لحدود إيران الشمالية قد تغير إلى حد بعيد، تمثل في ظهور منطقة عازلة بين روسيا و إيران أزلت التهديد المباشر لوحدة و استقلال إيران من جهة. و من جهة أخرى، تتقاسم إيران وجيرانها الجدد خلفية ثقافية متشابهة، و لا أحد منهم يمثل أو يعتبر تهديدا كبيرا لإيران.

هذه الفرص الجديدة المتاحة لإيران خلقت و جلبت معها تحديات أمنية جديدة تتمثل في:

- الاختلال السياسي في الدول المستقلة حديثاً إذ تفتقر للصفوة السياسية الخبيرة القادرة على كبح النزاعات العرقية والإقليمية، كما أن سياستهم الخارجية لم تكن أكيدة وبدرجة كبيرة غير متوقعة.
- تواجه إيران خطر نزوح اللاجئين الفارين من النزاعات العرقية في البلاد المجاورة، فأذربيو وتركمان إيران الذين يعيشون بشكل رئيسي في المناطق الحدودية، قد يصبحون هدفا لسياسات المجموعات التحررية أو حتى هدفا للحكومتين الأذربية والتركمانية، كما حدث مع السيبلي.
- أكثرية زعماء الدول المستقلة هم شيوعيون سابقون، مع خبرة طويلة في معاداة السياسات الدينية، وبالتالي ف نموذج الإيراني كحكومة دينية لا يمثل لهم أي اجتذاب، بل بالعكس قد يعربون عن تخوفهم من التهديد الإيراني للمصالح الغربية في المنطقة (هذا التهديد المزعوم استخدام لفترة طويلة من طرف تركيا لتحدي النفوذ الإيراني والحصول على دعم غربي أكبر).
- العلاقات بين مختلف الجيران المستقلين حديثاً هي بدرجة كبيرة غير مستقرة، ويمكن أن تتدهور في أي وقت، مما قد يشير بأصابع الاتهام لإيران في تفضيلها جهة على أخرى، أو حتى محاولة تصدير إيديولوجيتها الثورية والنضالية⁵⁴².

541 Edmund, HERZIG, Op. Cit., P. 23.

542 جمال, سند السويدي, مرجع سبق ذكره, ص ص 150-152.

-من الناحية الاقتصادية : بسبب وضعها الجيوستراتيجي في قلب المنطقة الجديدة، حصلت إيران على مجموعة فرص اقتصادية لا يمكن إغفالها في أي تحليل للسياسة الخارجية الإيرانية، خاصة عندما تؤخذ في الاعتبار الحواجز السياسية الحالية، والعلاقات التجارية العادية مع الشركاء الغربيين:

- تمتلك إيران أطول حافة شاطئ على الخليج الفارسي وخليج عمان، وبالنسبة لمعظم الدول المستقلة حديثاً، فإن الممر البري الوحيد لأعالي البحار و ثروات العالم العربي يمر بإيران.
- تمتلك إيران في هذا الوضع مدخلا أسهل للصين والشرق الأقصى عبر آسيا الوسطى، التي تحن لطريق الحرير التاريخي.
- ظهور الطرق البديلة الجديدة على الخارطة بين إيران وأوروبا، خاصة وأن أوروبا لا تزال المصدر الرئيسي لواردات إيران حيث أنه في العقود الأخيرة كانت التبادلات تتم عبر تركيا، أما الآن فالطريق متاحة عبر أرمينيا وجورجيا، كما أن الخارطة الجديدة، تظهر اعتماد تركيا على إيران كمدخل لآسيا الوسطى وأذربيجان.
- تنتظر إيران للدول المستقلة حديثاً كأهداف اقتصادية مهمة، لتسويق صادراتها من منتجات زراعية وصناعية⁵⁴³.

2 - الحساسية الإيرانية للنزاع الاثنوسياسي في ناجورنو كاراباخ:

تبدي إيران حساسية خاصة اتجاه الصراعات العرقية التي تتدلع على حدودها الشمالية، أو بالقرب منها، حيث أن مثل هذه الصراعات من المحتمل أن تمتد بطرق لا يمكن التنبؤ بها، مما يعطي الذريعة لروسيا الفدرالية بزيادة التدخل في الأجزاء القريبة من المحيط الخارجي المجاور⁵⁴⁴. وعليه فإن صناع السياسة الإيرانية عليهم أن يأخذوا بعين الاعتبار الأقليات العرقية داخل حدود دولتهم، فنسبة 20% تقريبا من سكان إيران هم أذربيون، بينها يبلغ الأرمن والتركمان 1%. ووجود جمهوريات مستقلة في شمال غرب آسيا منذ 1991م، تضم الأعراق نفسها التي تنتمي إليها هذه الأقليات الإيرانية المهمة، يعطي لإيران مبررا إضافيا للتدخل، من أجل إخماد التوتر الذي يمكن أن يمتد تأثيره إلى المواطنين الإيرانيين أنفسهم⁵⁴⁵. ويتجلى اهتمام طهران الشديد بتأمين الاستقرار على حدودها، في السياسة التي تنتهجها بشأن النزاع الذي نشب بين أذربيجان وأرمينيا حول إقليم ناجورنو كاراباخ.

543 Abdollah, RAMEZANZADEH, « Iran's Role as Mediator in the Nagorno- Karabakh crises », Belgium: V. U. B., 1996, P. 17.

544 Ibid, P. 173.

545 Ibid, P. 174.

أ - الاهتمام الإيراني بناجورنو كاراباخ:

حكمت عائلة كاجار (Qajar Dynasty) إيران منذ العقد الأخير من القرن 18م إلى غاية 1920م، ويكن الشعب الإيراني كراهية شديدة لهذه العائلة، باعتبارها المسؤولة عن الهزائم الكبيرة التي منو بها على أيدي الجيش الروسي في 1813م و 1828م، والتي أدت إلى خسارة شاسعة في الأراضي الإيرانية، خاصة في الشمال الغربي لإيران (متضمنة أذربيجان الحالية وأجزاء من أرمينيا وجورجيا)، في حين كم تبد هذه العائلة أي قلق لمصير سكان هذه المناطق، خاصة الآذريون⁵⁴⁶.

منذ بدايته في عام 1988م، أصبح النزاع في ناجورنو كاراباخ تحديا كبيرا للسياسات الخارجية والمحلية الإيرانية، وكان على الحكومة الإيرانية أن تواجه الضغط الشعبي، خاصة سكانها الآذريون المطالبون بوقوف إيران بجانب المسلمين الشيعة في أذربيجان ضد الكفار الأرمن. حتى المجموعات الوطنية الإيرانية قد خلقت ضغطا مماثلا على الحكومة، مع ادعاءاتهم بأن معظم المنطقة القوقازية كانت تخص إيران، وأن خسارة هذه الأراضي كان مرده التوسع الإمبريالي الروسي. ومع ذلك، فقد مثل آذريو إيران ضغطا أقوى على سياسات الحكومة اتجاه ناجورنو-كاراباخ⁵⁴⁷، خاصة مع عبور بعض الشباب الآذري للحدود بشكل غير قانوني لمساندة إخوانهم.

ب - دوافع الوساطة الإيرانية في ناجورنو كاراباخ:

إن دور إيران كوسيط في أزمة ناجونو-كاراباخ يجب أن ينظر إليه كجزء من الإستراتيجية الكلية الإيرانية نحو الشمال، حيث تؤكد إيران على قدسية الحدود الدولية المعروفة، وبالتالي فهي لا تقبل الإدعاءات الإقليمية على أساس مناقشات المشروعات التاريخية، التي غالبا ما تؤدي إلى نزاعات مستمرة في المنطقة⁵⁴⁸. كما أن اشتراك إيران في النزاع يمكن أن يفسر كحاولة إيرانية لتفادي النزاع عبر حدوده، مما يشكل تهديدا

⁵⁴⁶ Ibid, P.P. 174-175.

⁵⁴⁷ Alexondre, ADLER, “ Moscou, Tehéran, Damas , nouvel axe contre l’équilibre du monde ” , Courier International, n ° 286 , le 25/ 04 – 01/05 , 1996.:

⁵⁴⁸ Mohammad, DJALILI RIZE, “ Le Caucase Post Sovietique: La transition dans le conflit » , Bruxelles : L.G. D. G., 1995, P.188.

محتملا للجزء الشمالي للبلاد. وقد يفسر كمجهود إيراني لإثبات قدراته كسلطة إقليمية، تتبع سياسة خارجية تتعامل بنجاح مع التحديات والتهديدات الجديدة.

ويرجع الدبلوماسيون الإيرانيون دور الوساطة الخاص بهم كعملية "رد واضح على الطلب الطبيعي للمقاتلين في كلا الجانبين، حتى المعارضة السياسية في كلتا الجمهوريتين تظهر نوع من الثقة في سياسات إيران في المنطقة"⁵⁴⁹.

استهدفت إيران حلا سريعا للنزاع لأسباب أمنية واضحة:

- إن العمليات العسكرية على طول حدودها تمثل خطرا فوريا للأمن الإيراني، فإطالة أمد النزاع سيقوي الدور الروسي لخدمة مصالحه على حساب المصالح الإيرانية، خاصة مع إعلان مبدأها العسكري الجديد الذي يقضي بأن الحدود الإستراتيجية لروسيا في آسيا الوسطى هي مجاورة إيران وأفغانستان، وفي القوقاز هي إيران تركيا.
- إطالة النزاع ستؤدي إلى زيادة تدفق اللاجئين الهاربين من الحرب نحو إيران، خاصة وأنها تستضيف 4 ملايين لاجئ على طول حدودها العراقية والأفغانية.
- النزاع الآذري- الأرمني يمنع إيران من الاستفادة من مدخلها الأرضي الجديد نحو أوروبا، عبر أرمينيا وجورجيا.
- المحافظة على توازن القوى بين أذربيجان وأرمينيا، خاصة وأن لا أرمينيا مسيحية قوية ولا أذربيجان مسلمة قوية، يخدم المصالح الإيرانية في أقاليمها الآذرية الشمالية.
- محاولة إيران احتواء النفوذ التركي في المنطقة والمدعوم من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك تستغل إيران العداوة التركية الأرمينية للوقوف أمام التدخل التركي في النزاع⁵⁵⁰.

من أجل كل هذه الأهداف بالإضافة للتناقضات في السياسات الروسية، تعتبر إيران اللاعب الإقليمي الوحيد الذي يمتلك كل الحوافز والفرص للعب دور الوسيط، يأخذ موقف عادل بشكل ملحوظ في النزاع .

ج- وقائع الوساطة :

549 Frederic,, GRARE , OP. Cit.

550 جمال, سند السويدي, مرجع سبق ذكره, ص 153.

بدأت مبادرات وساطة إيران في مارس 1992م، عندما دعت الوفود الأرمينية والأذربيجانية لطهران من أجل التفاوض، وعقب عدة لقاءات استطاع الرئيس رافسنجاني تقريب وجهات النظر، كللت بتوقيع البيان المشترك على استعادة الاستقرار في المنطقة في 10 ماي 1992م⁵⁵¹. لكن هذا الاتفاق تعرض لضربة قاضية إثر الهجوم العسكري الأرميني المتزامن مع توقيع الاتفاق واحتلال الموقع الأخير لأذربيجان في منطقة ناجوركاراباخ وهو ساشا، وكذا فتح ممر لاشين المؤدي إلى جمهورية أرمينيا.⁵⁵² مما زاد الضغط الداخلي في إيران يطالبها بموقف أكثر حزماً مع أرمينيا، خاصة مع موجة الاتهامات التي قدمها الرئيس الآذري السبيي واستعداءه إيران، زاعماً أن ما حققته أرمينيا من انتصارات ميدانية لم يكن ليحدث لولا الوساطة الإيرانية. كما دعا آذريو إيران للثورة والتوحد مع أذربيجان، لكن اعتقال حيدر علييف ذو الشعبية الكبيرة للسلطة الأذربيجانية رآب الصدع الذي حدث في العلاقات الآذرية- الإيرانية⁵⁵³.

وأعلنت إيران دعمها للقيادة الآذرية الجديدة، وعدم قبولها بأي تغييرات جديدة في ميزان القوة في المنطقة، وعليه فما إن بدأ الهجوم الجديد للأرمن على ناخيتشغان في سبتمبر 1993م، حتى تدخلت القوات الإيرانية بهدف تأمين السدود المتواجدة على طول نهر آراس، وكذا لتأمين قواعد ومعسكرات للاجئين الآذريين⁵⁵⁴، هذا الإجراء بدوره استثار روسيا الداعمة لأرمينيا، فردت فوراً بتحذير لإيران من عدم التدخل في النزاع. هذه الأخيرة استمرت في مجهودات وساطتها وكللت بإعلان وقف إطلاق النار جديد في 31 أكتوبر 1993م، استمر لأيام فقط⁵⁵⁵.

د - نتائج الوساطة الإيرانية في ناجورنو-كاراباخ:

بالرغم من أن محاولات إيران للوساطة لم يحدث أي تسوية لأزمة ناجورنو-كاراباخ، إلا أنها تمكنت من وقف إطلاق نار أول سهل للأمم المتحدة إرسال بعثة تقصي حقائق، ومن ثم مشاركة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في حل النزاع. وهذا ما يعتبر نجاح للسياسة الخارجية الإيرانية التي ساهمت بمجهودات

551 المرجع نفسه، ص 154.

552 المرجع نفسه، ص 155-156.

553 Hadjibeyli, TIMOUTCHINE, « La question de Haut-Karabakh », *Revue du Monde Musulment et de la Mediteranee*, n ° 48-49, 1989, P.P. 280-290.

554 «le message de l'islam », *publication officielle iranienne*, n ° 92 Juin . 1992 , P.P. 25-26 .

555 Mohammad, DJALILI RIZE, Op. Cit., P. 176.

دولية لتثبيت المنطقة بشهادة الأمين العام للأمم المتحدة، وكذا مختلف الهيئات العالمية والإقليمية، رغم محاولات الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها عزل طهران دولياً⁵⁵⁶.

ولعل أهم الصعوبات التي واجهت مجهودات الوساطة الإيرانية ترجع للعوامل التالية:

- اتهام إيران من طرف كلا من الدول الإقليمية وغير الإقليمية بامتلاكها طموحات إستراتيجية خاصة في المنطقة، وبالتالي عدم حيادها.
- عدم تلقيها للدعم الضروري من الدول والمؤسسات الأخرى، فبالرغم من نجاحها في عقد وقف إطلاق نار أول إلا أن منظمة الأمن والتعاون الأوروبي لم تشركها ولم تستشرها في الوساطة، حيث كان ينظر لأي دعم لإيران استضعافاً للحليف التركي في المنطقة⁵⁵⁷.
- سياسة أذربيجان أثناء تولي الجبهة الشعبية الأذرية بزعامة السيبي الحكم، واتهام إيران بتقديم دعم لأرمينيا، والمطالبة باستقلال أذربيو إيران.
- عجز الطرفين المتنازعين عن التوصل لحل وسط حول القضايا جوهر الصراع، والتي تمثل لعبة صفرية بين الطرفين.
- افتقار إيران للوسائل الضرورية المؤثرة في إجبار الطرفين للتوصل إلى حل وسط، فبالرغم من أن كلا الطرفين تفهما مخاوف إيران، إلا أنهما لم يكونا يشعران بإجبارية قبول اقتراحاتها⁵⁵⁸.

3 - الإستراتيجية الإيرانية في تعزيز التعاون الاقتصادي الإقليمي:

القوة الرئيسية للنشاط الإيراني في الدول الفتية تركز على خلق شبكة من العلاقات في مجال الاتصال والبنية التحتية، عن طريق تعزيز التعاون الاقتصادي الإقليمي من خلال منظمة التعاون الاقتصادي (O.C.E.) القائمة حالياً، والتي كان لإيران دور كبير في توسيعها عام 1992م، لتشمل: أذربيجان، تركمانستان، أوزباكستان، قيرغيزستان، طاجاكستان وكازاخستان، وأفغانستان⁵⁵⁹. كما كان لها مبادرة أخرى عام 1992م، نتج عنها إنشاء منظمة بحر قزوين للتعاون التي تربط إيران، أذربيجان، روسيا، كازاخستان وتركمانستان⁵⁶⁰. و من الواضح أن مثل هذه الإجراءات المتعددة الأطراف لا تهدف فقط إلى تقوية العلاقات

556 - « le message de l'islam », Op. Cit ., P.26.

557 Smith, VANER, « Les Ambition de l'Azerbaïdjan », politique internationale , n ° 57 , 1992 , P.P. 353 – 363.

558 Abdollah, RAMEZANZADEH, Op. Cit., P. 178.

559 Ibid, P.179.

560 Josef, ZAPATR, «Refugées et Personnes Deplacées en Azerbaïdjan », CEMOTI, n°20, Juil – dec 1995, P.P. 285 –306.

الاقتصادية بين طهران والحكومات الجديدة، بل أيضا لترسيخ دور إيران كمحور من الناحيتين الجغرافية والتنظيمية لمجموعة من المحافل الدولية المتشابكة.

أ - أهمية خطوط الأنابيب:

في سنوات ما بعد الحرب مع العراق، تعويضات الحرب في الجنوب الإيراني لم تكن كافية، والعديد من السكان نزحوا نحو الشمال. وفي أثناء ذلك، شهدت الأقاليم الشمالية الشرقية تطورا هائلا، أسرع مما هو عليه في الجنوب، أو غرب البلاد. وهذا هو السبب في النقلة التدريجية لمركز ثقل الاقتصاد الإيراني والكثافة الديموغرافية من الجنوب نحو الشمال، مما يفسر ازدياد الروابط مع آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين⁵⁶¹.

فحاليا البنية التحتية الإيرانية والسكان تتمركز في الجزء الشمالي للبلاد، بينما تقع معظم احتياطات النفط و الغاز في الجنوب. مما يعني أن ما يزيد عن 700 ألف برميل تضخ يوميا إلى محطات التكرير الواقعة في الأقاليم الشمالية من أجل الاستهلاك المحلي، كما يضخ يوميا حوالي 400 مليون م³ من الغاز من الجزء الجنوبي نحو الشمال، بالإضافة إلى أن الطلب الداخلي على النفط الرخيص في تزايد مستمر، وهذا ما يفسر الاهتمام الكبير لإيران بحوض قزوين⁵⁶².

فنفط قزوين يمكن أن ينقل نحو محطات التكرير في شمال إيران ويستخدم للاستهلاك المحلي هناك، في حين كمية مماثلة تنتج في خزانات إيران الجنوبية، وتشحن من السواحل الإيرانية نحو الخليج الفارسي⁵⁶³. وهكذا، فإن إيران في لعبة خطوط الأنابيب لربط بحر قزوين، تظهر أن بديلها لنقل النفط يعتبر وعلى نطاق واسع أرخص كثيرا من أي طريق نقل ممكن آخر، خاصة وأن دورها في هذا الخط ليس فقط طريق نقل، وإنما أيضا سوق نهائي للنفط القزويني. فطهران لا تدعي فقط أنها عرضت أرخص طريق نقل في المنطقة، بل هو تنافسي من وجهة النظر الأمنية. ذلك لأنه في حالة خطوط الأنابيب الدولية، دور إيران كمستهلك نهائي للنفط و الغاز القزويني يمثل ضمانا لعدم قطع تدفق النفط و الغاز، خاصة و أن حركية الأنشطة الإنتاجية ستتأثر فورا في حالة المقاطعات⁵⁶⁴.

561 Abdollah, RAMEZANZADEH, Op. Cit., P.P.180-183.

562 Ibid, P. 184.

563 Ibid, P.P. 185 –186.

لكن و بالنظر للخطوط الدولية فإن السعر لا يمثل إلا عاملا وحيدا ضمن عدة عوامل، حيث القضايا الإستراتيجية أكثر هيمنة، و هو سبب المعارضة الشديدة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية لهذا الخط. على أساس أن أي انجذاب سياسي قوي نحو خط طاقة من القوقاز إلى الغرب -حسب وجهة النظر الأمريكية- يعتمد أساسا على إنكار الدور الهام لإيران كمصدر طاقة قزوين، و كذا التقليل من إعتقاد جنوب القوقاز و وسط آسيا على شبكة خطوط الأنابيب الروسية⁵⁶⁵.

ب - الاهتمام الإيراني بتعريف بحر قزوين:

اهتمام كبير آخر للسياسة الخارجية الإيرانية نحو حوض قزوين، يتمثل في الوضع القانوني المعقد لبحر قزوين، فلغاية 1991م كانت إيران والاتحاد السوفييتي هما الدولتان الوحيدتان المطلتان على بحر قزوين، و كانت الاتفاقيات الثنائية وحدها كافية لوضع تصور مشترك حول استغلال قاع و سطح بحر قزوين. لكن مع انهيار الاتحاد السوفياتي و ظهور خمس دول جديدة مشاطئة لبحر قزوين (أذربيجان، إيران، روسيا، كازاخستان، تركمانستان)، خلق حالة طوارئ لتعريف جديد لوضع بحر قزوين، خاصة مع اكتشاف المخزونات الهيدرو-كاربونية البعيدة عن الشواطئ⁵⁶⁶.

بإسقاط قانون اتفاقية البحار (1982) على بحر قزوين، فإنه يجب أن تكون هناك قسمة متساوية لثروات البحر، وما تحته بين كل الدول المشاطئة له، لكن إذا لم يتم اعتبار قزوين كبحر فإن موارده يجب أن يتم تطويرها معا، على أساس مقترح المشاركة⁵⁶⁷.

في بادئ الأمر كان الطرفان الأكثر تطرفا هما أذربيجان وإيران، حيث ترى الأولى بضرورة التقسيم الكامل لسطح وقاع البحر، أما إيران فتفضل الاستغلال الكامل دون تقسيم القطاعات القومية المحلية، لكن التطوير الجزئي لموارد بحر قزوين من طرف الدول أصبح يعتبر عموما قضية قومية. وهكذا بدأت الوضعيات السابقة تتطور مع موافقة إيران عام 1997م على خيار السيادة المشتركة، وبدأ الاستحسان لخيار التقسيم الكامل للموارد السطحية والباطنية لبحر قزوين⁵⁶⁸. لكن معايير هذا التقسيم لم يتفق عليها بعد، حيث

565 المرجع نفسه، ص 163.

566 Paola, CERAGIOLI and Maurizio, MARTELLINI, " the geopolitics of pipelines »,Asia Times, 29 may 2003.

567 Ibid.

568 Ibid.

تتمثل أهم المعوقات في الاختلاف حول أحجام القطاعات المتقاسمة، و استغلال بعض المخزونات البعيدة عن الشاطئ.

بخصوص المياه السطحية توجد عدة خيارات مفتوحة حتى الآن، من التقسيم الكلي إلى استقرار المياه الإقليمية، بالإضافة إلى اعتراض ثان يمكن أن يؤدي إلى اختلافات الخيارات الممكنة، فنظام المياه السطحية يتطلب دراسة للمسافرين، الملاحة المحمولة، البيئة، الصيد البحري (خاصة سمك الحفش المنتج لأجود أنواع الكافيار)، بالإضافة إلى ملاحه السفن الحربية⁵⁶⁹.

آخر وثيقة تتحدث عن الحدود الرسمية ترجع إلى عام 1957م في العهد السوفييتي، أين اعتبرت كل من أسترا وحسن جالي نقاط حدود أرضية بين إيران والاتحاد السوفييتي السابق، لكن بدون أن تبين ما إذا كان الخط الفاصل تحت البحر هو خط مستقيم بين النقطتين الأرضيتين. أما حالياً، فالمبدأ الأساسي في تقسيم بحر قزوين هو "الخط الوسط"، أين تتلاقى المناطق القومية في وسط البحر، بحيث تكون الحدود على نفس البعد عن الشواطئ. لكن عن طريق هذا المبدأ يستحسن تقسيم البحر بالنظر للشواطئ المحدبة والمقعرة بخصوص بحر قزوين، وعليه ستأخذ كازاخستان 28-29% من بحر قزوين، أذربيجان 21%، روسيا 19%، تركمانستان 18%، وأخيراً إيران بأصغر قطاع من 13-14%. لكن إيران راغبة بخيار المشاركة الذي على أساسه تأخذ كل دولة 20%⁵⁷⁰.

في خضم كل هذا، قامت عدة دول بتوقيع اتفاقيات ثنائية تتخذ نظم مختلفة لقاء وسطح البحر، لكن إيران ترفض وتعتبر أن كل الاتفاقيات الثنائية والأحادية هي "غير قانونية". ففقط الاتفاقيات القديمة الإيرانية-السوفييتية يمكن أن تعتبر صالحة حتى يتم تعريف الوضع القانوني الجديد لبحر قزوين بين كل الدول.

مع ذلك، و إضافة إلى تطوير المخزونات البعيدة المتواجدة في قيعان البحر المعروفة والمتفق عليها، فإن عمليات الاستكشاف قد بدأت في بعض المناطق المتنازع عليها، مما تسبب في بروز توترات شديدة في المنطقة، كما أن مشروع ربط خطوط ما بين قزوين عارضته بشدة كل من إيران وروسيا في

569 John, ROBERTS, "Caspian Pipelines", Londres: the Royal Institut of International Affairs, 1996.

570 Michéle, KAHN, et Hervé GICQUIUN, « Azerbaïdjan », le courrier de pays de l'est, n ° 397-398 mars -avril 1995, P.P. 20-26.

البداية، ثم هجرته الدول الأخرى، ليتم إنعاشه من جديد من طرف الولايات المتحدة الأمريكية مع اعتماد خط باكو-جيهان الآن⁵⁷¹.

ج- العلاقات الإيرانية مع جيرانها:

- للمرة الأولى بعد قرون لا تمتلك إيران حدودا مع روسيا، حيث اختفت قوة المعادلة الروسية في 1991م، خاصة بعد أن أعطت حرب الخليج مبررات التواجد العسكري الأمريكي طويل الأمد في الخليج الفارسي، فحاولت إيران إيقاف الانهيار السوفييتي، لأن تدهور النفوذ الروسي حول قزوين سيسمح بتنامي الاختراق السياسي والتجاري الأمريكي وحتى الأوروبي للمنطقة⁵⁷². و للمحافظة على نفوذها فقد تولد اهتمام إيراني-روسي مشترك، خاصة بعد تعزيز النفوذ العسكري الأمريكي في المنطقة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م.

فروسيا وإيران تتقاسمان نفس الأحلاف ونفس الإستراتيجية في نزاع ناجونو كاراباخ، فبالرغم من إدعائهما الحياد إلا أنهما لم تخفيا مواقفهما الموالية للأرمن. وفي مارس 2001م، وقع الرئيسين فلاديمير بوتين ومحمد خاتمي أول اتفاقية تعاون موسعة منذ الثورة الإسلامية عام 1979م⁵⁷³.

وبالنظر للسياسة النفطية فإن روسيا وإيران هما منافسان إقليميان قويان حيث يمتلكان أكبر احتياطات الغاز في العالم، كما أنهما يعتبران منتجا النفط الثالث والرابع في العالم. مما يجعلهما يمثلان الطرق البديلة لخطوط الأنابيب في بحر قزوين، وموردين للطاقة البديلة. كما تمثل روسيا غطاء لإيران فيما يخص مفاعلاتها النووية رغم المعارضة الأمريكية⁵⁷⁴ الشيء الذي جعل الإدارة الإيرانية لا تقلق من تدعيم النفوذ الروسي في جنوب القوقاز، قلقها من تدعيم الوجود التركي-الأمريكي الداعم لأذربيجان.

- إن الترابط الثقافي والتاريخي بين إيران وأذربيجان و تقاسمهما حوالي 618 كلم من الحدود، و مشاطئتهما لبحر قزوين، كل ذلك يؤدي إلى وضع مميز ومؤثر في العلاقات المعقدة ما بين البلدين، ففي إيران توجد أكبر نسبة من الأذريين، إلا أن إيران لم تقم بمداعبة الوتر العرقي أبدا، لأنه سينقلب عليها بنتائج

571 Paola, CERAGIOLI and Maurizio, MARTELLINI, OP. Cit.

572 Bundy, RODMAN R., "The Caspian, Sea or Lake?: Consequences in International Law » . Londres: Menas Associates, 1995 , P.P. 15-25.

573 Irina, EGOROVA et Anatoli, CHESTAKOV, « Tempete sur la mer caspienne », Courrier International, Kouranty (Mouscou) , 21 Mai 1992, P. 12.

574 -Frédère, GRARE , OP. Cit.

عكسية نظرا لتنوعها العرقي، إذ من الممكن أن يُوَجَّح ذلك المشاعر العرقية الأذرية داخل حدودها، خاصة بعد أحداث 1994م المطالبة باستقلال الإقليم⁵⁷⁵.

أما من وجهة نظر دينية فإن سكان أذربيجان يمثلون ثاني أكبر طائفة شيعية في العالم بعد إيران، إلا أن ذلك لم يمنع توتر العلاقات ما بين البلدين. حيث أنه حتى إذا كان من الجانب الرسمي هناك حياد إيراني، فإنها ساندت أرمينيا في نزاع ناجورنو كاراباخ، وفق تقليد إيراني بدعم أرمينيا ضد الأتراك. علاوة على ذلك، معارضة إيران لعلاقات أذربيجان الودية مع تركيا والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل⁵⁷⁶.

من وجهة نظر تجارية، قامت الدولتان بإدارة مختلف المشاريع الهيدروليكية على طول ضفاف نهر آراس. كما أن شبكة الغاز الإيرانية هي مرتبطة بالكامل مع الشبكة السوفييتية في أذربيجان من أجل تصدير الغاز الإيراني نحو الاتحاد السوفيتي سابقا، عن طريق خط أنبوب باكو-أسترا، الذي لا يزال يعمل لحد الآن. لكن في جويلية 2001م، بدأ التوتر الدبلوماسي بين البلدين بعد تهديد سفينة حربية إيرانية لسفن الشركة القابضة للنفط PB Amoco، التي كانت تجري استكشافات في منطقة تنازع إيراني-آذري بمقتضى اتفاقية مع أذربيجان، وعليه فقد قامت الشركة بوقف نشاطاتها في المنطقة حتى يتم إيضاح الجدل القائم حول بحر قزوين⁵⁷⁷.

- نتيجة لمصالح و سياسات إيران في المنطقة، أرمينيا ترى طهران كقوة إقليمية يمكنها مراقبة ميزان القوى في مقابل تركيا، كما أن المسائل الدينية لم يكن لها أي تأثير في العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأرمينيا المسيحية. فبالنسبة لإيران تمثل أرمينيا حاجزا أمام التأثيرات التركية على حدودها الغربية والشمالية، وحتى آسيا الوسطى⁵⁷⁸.

و من الناحية التجارية يمكن ملاحظة أن أرمينيا لا تمتلك أي موارد نفطية (حيث تمثل الطاقة المائية والنووية مصادر الطاقة المحلية الوحيدة)، ولذا يجب أن تعتمد على واردات الغاز الأجنبية⁵⁷⁹. لذا صادقت إيران وأرمينيا على اتفاقية عامة في 1992م، تقضي بربط شبكتهما للغاز ببعضهما عن طريق خط أنبوب

575 Fred, HOLLIDAY, « Iran and The Caspian », Landres: Menas Associates, 1995, P. 10.

576 Paola, CERAGIOLI and Maurizio, MARTELLINI, Op. Cit.

577 Alexondre, ADLER, Op. Cit.

578 Paola, CERAGIOLI and Maurizio, MARTELLINI, Op. Cit.

579 Ibid.

غاز بطول 141 كلم، يمتد من تبريز الإيرانية إلى ماجري الأرمينية ليمتد إلى ساحل البحر الأسود بجورجيا، ويزود أوربا بالوقود كبديل لخط إيران - تركيا - اليونان⁵⁸⁰.

من خلال كل ما تم ذكره، يتبين أن النهج المحافظ المنضبط الذي اتبعته إيران اتجاه دول جنوب القوقاز، يدخل ضمن استراتيجياتها الكلية اتجاه منطقة شمال غرب آسيا والشرق الأوسط الجديد، حيث تقدم دلائل مهمة على أن السياسة الإيرانية هي سياسة تهدف إلى منع الجمهوريات الجديدة من تشكيل تهديد جديد، وتمكين إيران من قطف الثمار الاقتصادية التي يتيحها موقعها بين الجمهوريات السوفيتية السابقة والخليج، ويمكن النظر للأهداف الإيرانية من أبعادها الأربع:

- منع احتمالات تفجر الصراع على النفوذ بين روسيا و إيران، أو تقليصها إلى الحد الأدنى.
- المساهمة في السيطرة على الصراعات العرقية، الإيديولوجية و القومية التي يمكن أن تمتد إلى داخل الأراضي الإيرانية، أو تتسبب في تدفق المزيد من اللاجئين إلى إيران.
- ربط الاقتصاديات الجديدة للمنطقة بالاقتصاد الإيراني من أجل دعم الدخل القومي، وتحفيز التنمية الاقتصادية.
- تعزيز النفوذ الإيراني بطريقة لا تؤدي إلى إثارة المعارضة النشطة من جانب الروس، أو من جانب أنظمة الحكم في هذه الجمهوريات، مع قلق من تدعيم الوجود التركي-الأمريكي في المنطقة.

المطلب الثالث: الاهتمام التركي بمنطقة جنوب القوقاز والمفهوم الطوراني:

تعد تركيا هي الأخرى لاعبا أساسيا في توازن القوى بمنطقة جنوب القوقاز، إذ حاولت استغلال انهيار الاتحاد السوفيتي لاستخدام هذه المنطقة كجسر طبيعي يوصلها إلى آسيا الوسطى، بغية إزاحة روسيا وتقديم نموذجها العلماني بديلا عن النموذج الإيراني "الإسلامي"، و كذا تحقيق الحلم الطوراني الذي ما برح يراودها. فإلى أي مدى نجحت تركيا في تحقيق سياستها في جنوب القوقاز خاصة وأن الواقع يؤكد أن طموحاتها النظرية تفوق بكثير قدراتها العملية؟ و هل يمكن أن تكتفي بدور البطل الثاني في الرواية القوقازية، بعد دخول البطل الجديد "الأمريكي" والاستفادة أكثر من هذا الدور؟

1 - أهمية جنوب القوقاز بالنسبة لتركيا:
أ - التوقعات التركية لما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي:

إن الاهتمام التركي بالمنطقة قد تجدد مع انهيار الاتحاد السوفيتي، فاستقلال الجمهوريات السوفيتية السابقة أحياء الطموحات والآمال لدى الأتراك:

1. حتى ذلك الوقت، كان إدراك الساسة الأتراك يشوبه الغموض حول الانتشار التركي في الاتحاد السوفيتي، لكن انهيار هذا الأخير أدى إلى إعادة اكتشاف تركيا لما يعرف بمجتمع توران (TURAN)، أو مجتمع 120 مليون متحدث باللغة التركية. وبالتالي فإن استقلال كل من أذربيجان وجمهوريات وسط آسيا، نظر إليه كبداية تمهيد الطريق لتوحيد كل السكان المتحدثين باللغة التركية في المنطقة، بمن فيهم التتار-الأتراك داخل روسيا الفيدرالية ذاتها⁵⁸¹.

2. كما يرجع هذا الاهتمام إلى نظرة تركيا لإمكانية نشر نموذجها كدولة دنيوية علمانية في العالم الإسلامي عبر هذه المنطقة، وهو ما يقوي موقعها الاستراتيجي كنقطة التقاء الشرق والغرب، خاصة وأن تركيا تناضل من أجل إفتكاك دور بارز في المنطقة الممتدة من البحر الأدرياتيكي إلى الصين، متضمنة: جمهوريات وسط آسيا، القوقاز، منطقة البحر الأسود والبلقان⁵⁸².

3. وأخيرا، وبالرغم من تلقي تركيا لدعم الاتحاد السوفيتي السابق، إلا أنها تتوقع حصولها على منافع ومصالح اقتصادية أكثر مع انهياره، بدعمها للدول المستقلة وربط اقتصادياتها بالاقتصاد التركي خاصة وأن العديد من هذه الدول أبدت رغبتها في التوجه نحو تركيا، مثل رغبة الزعيم الأوزبستاني إسلام كريموف في برلمان موحد مع تركيا، وطلب جاجا وزيانز في مولدوفيا التحول نحو أنقرة⁵⁸³.

ب - الموقع الاستراتيجي ما بين الطموح و الواقع:

إن الدعم الغربي لتركيا من أجل مد نفوذها، ومجال تأثيرها في المنطقة كان واضحا. فأتثناء الحرب الباردة أعطت الحدود المشتركة الطويلة لتركيا مع الاتحاد السوفيتي موقعا استراتيجيا جد متقدم في المعسكر الغربي، بالإضافة إلى كونها مجاورة لأعداء إسرائيل وهما: سوريا (التي كانت على خلاف حدودي معها)

581 المرجع نفسه، ص163.

582 Paola, CERAGIOLI and Maurizio, MARTELLINI, Op. Cit.

583 Ibid.

وإيران . كما تم استخدام هذا الموقع الاستراتيجي قبل وأثناء حرب الخليج ضد العراق، بالإضافة إلى كونها دولة غنية بمصادر ومنابع المياه، وأثر ذلك في علاقاتها مع جيرانها العرب.

لخصت مجلة الـوول ستريت في نوفمبر 1992م هذا الإدراك الجديد لتركيا في تصدر الدوائر الغربية : " تحاول تركيا تقديم الدعم للدول الإسلامية الحديثة في التحول إلى دول علمانية دنيوية ديمقراطية، كما تعمل كجسر يربط الغرب والبلقان والشرق الأوسط، كما تستكمل دورها كذراع أمني قوي للغرب... ففي منطقة توتر قديمة، أين الأسلحة السوفيتية السابقة منتشرة في كل مكان، و الاضطراب العرقي شائع، فإن صداقة تركيا مع الغرب تصبح أكثر حيوية من أي وقت آخر"⁵⁸⁴.

في الواقع وبعد كل هذه الأعوام، فإن التوقعات التركية لم تتحقق، حيث واجهتها عدة عقبات خطيرة في مد مجال نفوذها. فانقطعت عن العالم التركي الجديد - مجتمع طوران - باستثناء بعض الكيلومترات الحدودية المشتركة مع الجيب الأذربيجاني في أرمينيا (ناخيتشفان)، أما في المجال الثقافي فقد حققت مكاسب محدودة، تمثلت في انتصارها في حرب كتابة الحروف مع إيران والمملكة العربية السعودية، لاستبدال الحروف السريالية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية في الكتابة الأذربيجانية⁵⁸⁵.

تمتلك تركيا موارد سياسية واقتصادية جد محدودة لمد نفوذها في الاتحاد السوفيتي السابق، فدخولها في حرب ضد المطالبين بحكم ذاتي كردي، أثلف أوراق اعتمادها كنموذج لدولة ديمقراطية راعية لحقوق الإنسان في باقي دول العالم. كما أنه وبوجه عام، رغم جنيها لفائدة كبيرة من علاقاتها بالغرب إلا أنه ما زال ينظر إليها كأداة غربية، بالإضافة إلى أن الاقتصاد التركي (بمعدل تضخمه المرتفع وبطالته البنوية العالية) ليست بالحالة الجيدة التي تسمح له بمواجهة التحديات الجديدة⁵⁸⁶.

إن كل الطموحات التركية التي انبثقت ما بعد الاتحاد السوفيتي لم تتحقق، لكن هذا الفشل في التحول إلى سلطة بارزة في المنطقة يتضح بوضوح من خلال السياسات التركية في عدة قضايا، مما أدى إلى اتساع الفجوة ما بين التوقعات والاحتمالات الكبيرة.

2 - السياسة التركية في ناجورنو كاراباخ:

584 Ibid.

585 Ibid.

586 Abramowitz, MORTON, « Deteline Ankara: Turkey after Ozal », *Foreign Policy*, n ° 91, été, 1993.

لم يكن بإمكان تركيا تجنب أخذ موضع خاص بها في النزاع الأرميني-الأذربيجاني حول ناجورنو كاراباخ، فالقضية لم تكن عبارة عن شأن دبلوماسي فقط، بل أكثر من ذلك، لها امتداداتها في السياسات الداخلية التركية.

أ - العلاقات التركية مع أذربيجان:

لأسباب الجغرافية الواضحة، تشكل أذربيجان الرابطة الرئيسية بين تركيا وآسيا الوسطى، كما أنها كانت مهد فكرة الجسر التركي Pan-Turkism، حيث ظهرت هذه الفكرة بين مفكري اللغة التركية الأذريين، في محاولة منهم لتطوير مفهوم وحدة لغوية وثقافية "الطورانية"، تحميهم من سياسات المد والجزر الروسية تحت الحكم القيصري. ثم انتقلت هذه الفكرة إلى جيرانهم الأتراك في الإمبراطورية العثمانية المحتضرة آنذاك، لكن هذه الفكرة تم إنعاشها مجددا مع انهيار الاتحاد السوفيتي، ورغبة تركية في توحيد الشعوب الناطقة باللغة التركية في الجمهوريات المستقلة.⁵⁸⁷ ولهذا فإن تركيا تنظر لأذربيجان كنقطة وصل بينها وبين آسيا الوسطى.

لهذا، ما إن استقلت أذربيجان في 1991م حتى سارع زعمائها لربط علاقات من الدرجة الأولى مع تركيا، من أجل تلقي الدعم التقني والثقافي، ولمعادلة النفوذ الروسي. كما تدعمت هذه العلاقات مع وصول مرشح الجبهة الشعبية أيبولفاز إلسيبي لرئاسة الجمهورية الأذربيجانية في انتخابات 1992م، وتعهده بمشاركة تركيا في استغلال الثروة البترولية الأذربيجانية⁵⁸⁸.

ب - الالتباس التركي:

بصرف النظر عن هذه الروابط الثقافية وتصريحات القيادة الأذربيجانية، فضلا عن اعتماد المقترح التركي في كتابة اللغة الأذرية بالحروف اللاتينية. فشلت تركيا في لعب دور بارز في النزاع الأذري-الأرميني، وذلك بخلاف علاقاتها مع باكو فإن أنقرة وضعت في الاعتبار عدة عوامل أخرى:

- محاولة بناء علاقات جيدة مع روسيا.
- تأثيرات الشتات الأرميني الكبير Large Arminian Diaspora في توجيه السياسات الفرنسية والأمريكية للضغط القوي لصالح أرمينيا، مما أعاق الجهود الدبلوماسية التركية لدعم أذربيجان.
- إجماع شركائها في حلف شمال الأطلسي على التدخل في هذه المنطقة المتفجرة.

587 Mouradian, CLAIRE, « le caucase des independances ». Documentation Française, n ° 718, 1993, P.44.

588 محمد، ذياب، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص 159 .

- الوضع السياسي الداخلي في تركيا أعاق طموحات الحكومة⁵⁸⁹.

يتضح الالتباس التركي بوضوح أكبر في التعامل مع هذا النزاع في الفترة (1992م-1993م)، فمن ناحية: صدم الرأي العام في تركيا بالمذابح على يد الميليشيات الأرمنية في حق الآذريين، مما ولد ضغطا على الحكومة التي أعلنت في لهجة شديدة التحذير لأرمينيا: "... تركيا ليس في إمكانها البقاء مكتوفة الأيدي، وهي تشاهد ما يحدث من مجازر على الأراضي الإذربيجانية"⁵⁹⁰. كما أن احتمال التدخل العسكري نوقش بجدية في انقرة، خاصة مع وصول القوات الأرمنية إلى الجيب الآذري في أرمينيا "تاخينشان". ومن ناحية أخرى، وفي أثناء الحصار المفروض على أرمينيا، كان الشتات الأرمني وبكفاءة عالية، ينظم دعمه المادي، ويضغط على الحكومات الفرنسية والأمريكية لإرسال المساعدات عبر تركيا. هذه الأخيرة سمحت بمرور المساعدات الإنسانية عبر أراضيها نحو أرمينيا المحاصرة بثلوج الشتاء، مما اعتبر في نظر الكثير من الأذربيجانيين ضربة قوية للمصداقية والشرف التركيين، خاصة مع عودة الاعتداءات الأرمنية من جديد على الجنوب الأذربيجاني⁵⁹¹.

ج - الدعم الدبلوماسي التركي لأذربيجان:

أرادت تركيا منع إيران من لعب دور صانع السلام، و منع روسيا من تقوية وضعها في جنوب القوقاز بالوسائل العسكرية أو غيرها. فقامت بتولي عدة مبادرات دبلوماسية، بشكل رئيسي في الأمم المتحدة، ومؤتمر الأمن والتعاون الأوربي، ونقلت رؤاها لمجلس الأمن حول: "...أرمينيا لم تمثل لقرارات الأمم المتحدة، وأن سياستها التوسعية غير مقبولة"⁵⁹². لذا ابتكرت مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الفدرالي الروسي، خطة سلام ناجورنوكاراباخ في ماي 1993م، ثم في جويلية 1993م، بدأت ما أسمته الصحافة التركية هجوما دبلوماسيا، بتكثيف الاتصالات مع الرؤساء بيل كلينتون، بوريس يلتسين، فرانسوا ميتران و ممثلي مجموعة منسك للضغط على أرمينيا⁵⁹³. وكذا في قمة منظمة التعاون الاقتصادي (التي تضم تركيا،

589 Freddy, DELAUW, « Turkey's Policies in Transcaucasia », Belgium: V. U. B., 1996, P.188.

590 Ibid, P.P. 198-191.

591 Mehmet, OGUTC, « Eurasian Energy Prospects: need for a long term European Strategy », Bruxelles : the Trans Enopean studies association (T.E.P.S.A.), février , 1994 , P. 28.

592 Abramowitz, MORTON, Op. Cit.

593 Karam, PATRICK, « les Guerre du Caucase », Paris: perrin, 1995, P.P. 105-108.

أفغانستان، باكستان، إيران، كازاخستان، كيرغستان، أوزباكستان، تركمانستان، طاجكستان، أذربيجان) في اسطنبول في جويلية 1993م، أين كانت فرصة أخرى لإدانة أرمينيا والمطالبة بوقف فوري لإطلاق النار⁵⁹⁴.

رغم كل هذا لم تتوقف الحرب في ناجورنو كاراباخ، و تواصلت الهجمات الأرمينية على فيزيولي وسييريل وآجام، فجددت تركيا إثارة القضية في مجلس الأمن في 17 أوت 1993م، الذي أصدر في 18 أوت تصريحاً يطلب: "الانسحاب الفوري والكامل وغير المشروط للقوات الأرمينية، من المناطق المحتلة حديثاً"⁵⁹⁵. و أصرت تركيا على أنه إذا استمرت أرمينيا في تجاهل هذا التصريح، فإن العقوبات ستكون قاسية، الشيء الذي عارضته روسيا، باعتبار امتلاكها لمصالح اقتصادية، سياسية وتاريخية كبيرة في المنطقة، ولن تسمح بأي تدخل.

بعد توقيع اتفاقية "الشراكة من أجل السلام" ببروكسل في 05 ماي 1994م من طرف الرئيس علفيف، استنكرت تركيا مرة أخرى الاعتداءات الأرمينية على استقرار أذربيجان، وقدمت دعمها لمجهودات مجموعة منسك التابعة لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي و أعربت عن رغبتها في التعاون معها ، كما حاولت إقناع موسكو باستخدام نفوذها للضغط على أرمينيا⁵⁹⁶.

لم يكن من الممكن، أن تمنع تركيا النفوذ الروسي المتنامي في جنوب القوقاز، فحتى عندما صرح رئيس الأركان العام للقوات المسلحة التركية دوجان جريز Dogan Gures: " أنه جاهز لإرسال قواته لناجورنو كاراباخ"⁵⁹⁷. جاء الرد السريع من طرف وزير الدفاع الروسي بافال جراتشيف Pavel Grachev: " إن مثل هذا التدخل يمكن أن يطلق المجال لحرب عالمية ثالثة"⁵⁹⁸.

3 - السياسات التركية اتجاه نفط قزوين:

أعطى انهيار الاتحاد السوفيتي فرصاً جديدة لتركيا ليس فقط في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة، لكن داخل روسيا نفسها، خاصة في الميدان الاقتصادي فوصل حجم التبادلات التجارية بين أنقرة وموسكو حوالي 3.5 مليار دولار أمريكي، مما يمثل 6% من حجم تبادلاتها الكلية، كما أنه أكثر من 250

594 Smith, VANER, Op. Cit.

595 Freddy, DELAUW, Op. Cit., P. 192.

596 Karam, PATRICK, Op. Cit., P.P. 110-140.

597 Freddy, DELAUW, OP. Cit., P. 193.

598 Ibid, P.P. 194-198.

شركة تركية تنشط في السوق الروسية بقيمة 10 مليارات دولار في عام 1995⁵⁹⁹. وبكلمة بسيطة: روسيا الشريك التجاري الأهم لتركيا في كومنولث الدول المستقلة.

أ - الطموحات التركية لنقل النفط:

في الفترة السوفييتية كانت الثروة البترولية لأذربيجان وكازخستان بالفعل مركز صراع بين عدة دول وشركات بترولية، وكانت تركيا تأمل في الحصول على نصيبها من ثروة قزوين، بالمشاركة في استغلال ونقل النفط إلى سواحلها على البحر البيض المتوسط، وفي مارس 1993م، عندما وصل التسبيبي إلى السلطة في أذربيجان، وقع أول اتفاقية مع تركيا لإنشاء خط أنابيب لنقل النفط، من أذربيجان (ومن الممكن كازخستان عبر إيران) إلى ميناء جيهان التركي على البحر الأبيض المتوسط، بحيث ينقل 40 مليون طن من النفط في السنة (25 مليون طن من أذربيجان و 15 مليون طن من كازخستان)، ونظرا لكون هذا الخط يمر عبر أرمينيا، فإن إنهاء الاضطراب⁶⁰⁰ هناك، كان أكثر من ضرورة من أي وقت مضى، ولذا قامت تركيا بالضغط على التسبيبي لقبول اقتراح سلام روسي - تركي⁶⁰¹.

ب - حالة المد والجزر بين تركيا وروسيا:

عارضت روسيا أي مشروع خط أنابيب لا يضع في الاعتبار المصالح الروسية، فهي تفضل خيار النقل عبر مينائها على البحر الأسود نوفوروسيسك، مرورا بمضايق البوسفور والدرديل ومن ثم إلى البحر الأبيض المتوسط. لكن تركيا ترفض هذا المشروع لاعتبارات بيئية وأمنية، حيث وطبقا لتقرير شركة البترول التركية "بوتاس"، و وزارة المواصلات الخاص بالمضايق في أبريل 1994م فإن: "المرور عبر المضائق التركية كان جد ثقيل، لدرجة أن أي إضافة إليه بخاصة ناقلات النفط قد تؤدي إلى كوارث بيئية وأمنية."⁶⁰²

مع وصول عليف إلى السلطة، قام بتغيير سياسات أذربيجان النفطية، بحيث يضمن المصالح الأذربيجانية في إطار العلاقة التناقضية بين المصالح الإقليمية، فلعب على الحبلين. ألغى المشروع التركي

599 John, ROBERTS, Op. Cit.

601 Freddy, DELAUW, Op. Cit., P. 198.

للحصول على دعم روسيا بالضغط على أرمينيا، وفي المقابل في ماي 1994م رحب بالخيار التركي من أجل الضغط على موسكو. وقد حاولت تركيا إقناع روسيا أن هذا المشروع سيخدم المصالح الروسية عن طريق توسيعها للتعاون الاقتصادي بينهما، بحيث تلتزم تركيا بشراء النفط والمعدات العسكرية من روسيا في مقابل موافقة روسيا على هذا المشروع⁶⁰³.

في 03 أوت 1993م، ونظرا للعمليات العسكرية الأرمينية في المنطقة تم تطوير خطة المشروع ليتجنب الأراضي الأرمينية المتوترة، ويمر بدلا من ذلك عبر جورجيا، وينتهي بجيهان التركية. وهنا تبادلت كل من أنقرة وموسكو التصريحات المشككة:

بحيث أعربت أنقرة عن مخاوفها من نقل النفط عبر المضائق التركية، فكانت تشحن حوالي 05 ملايين طن من النفط الخام سنويا عبر المضائق. و أنه مع نجاح المشروع الروسي، فمن المحتمل أن تصل الكمية من 45 إلى 50 مليون طن سنويا، مما يشكل تهديدا مباشرا للأمن والبيئة في المنطقة. وفي المقابل شككت موسكو في جدوى المشروع التركي باكو-جيهان، خاصة وأنه يمر بالقرب من منطقة النزاع الكردي - التركي⁶⁰⁴.

ج - اعتماد خط باكو - جيهان:

في 14 مارس 1994م ، شكل اصطدام ناقلتا النفط القبرصية واليونانية كارثة راح ضحيتها العديد من الأشخاص، فاستخدمتها تركيا لإثبات مخاوفها، ووضعت شروط جديدة للنقل عبر المضائق، اعتمدها المنظمة البحرية الدولية التابعة للأمم المتحدة. وهكذا أحرزت أنقرة نصرا دبلوماسيا كبيرا على روسيا⁶⁰⁵.

وفي 20 سبتمبر 1994م، مع توقيع مجموعة التسع أعضاء (مجموعة شركات بترولية) لعقد استثماري بـ 08 ملايين دولار أمريكي، يقضي بتطوير ثلاث حقول آزرية (THE AZERI CHIRAGE .GUMESHLI). تحتوي على 04 ملايين برميل سيضاعف الإنتاج الأزري ثلاث مرات.⁶⁰⁶ فطفت إلى السطح مجددا مشكلة أي خيار يعتمد لنقل النفط من قزوين إلى الأسواق العالمية، فالتزمت موسكو بميناءها نوفوروسيسك لكن هذه المرة بالنقل عبر البحر السود إلى الميناء البلغاري بورغاس Bourgas ، ثم عبر خط

603 Freddy, DELAUW, Op. Cit., P.P. 198-199.

604 Ibid, P. 200.

605 محمد, ذياب، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص 160.

606 Mohammad, DJALILI RIZE, Op. Cit., P.P. 169-179.

أنابيب إلى الميناء اليوناني الكسندروبوليس Alexandropolis . لكن ولاعتبارات سياسية بحتة تم اعتماد خط باكو-جيهان، بتدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح تركيا في محاولة لتجنب الأراضي الروسية والإيرانية.

رغم هذا، تبقى الأوراق التركية ضعيفة مقارنة بروسيا في لعب دور أكبر في منطقة جنوب القوقاز.

المبحث الثالث: اهتمام دول الجوار البعيد بمنطقة جنوب القوقاز

بعرضنا لكل من الرؤيتين الإيرانية والتركية اتجاه منطقة جنوب القوقاز، نكون قد استعرضنا المستوى الأول للتحليل في دراستنا هذه وهو مستوى التحليل الإقليمي في إطار الجوار القريب لننتقل في هذا المبحث مستوى أعلى من التحليل والخاص مستوى الجوار البعيد.

أين سنطرق لكل من الرؤية الأوروبية من خلال تبيان المصالح والإستراتيجية التي تتبعها أوربا اتجاه هذه المنطقة، وكذا الصعوبات والمعوقات التي تحد من تشكل إستراتيجية أوروبية فاعلة. ثم سنطرق للحديث عن الرؤية الصينية للمنطقة.

المطلب الأول: الاهتمام الأوروبي بجنوب القوقاز.

مع استقلال دول جنوب القوقاز الثلاث قامت أوروبا بالتوجه الدبلوماسي نحوها، نظرا للخلفية التاريخية الجيدة التي تمتلكها مع كل منها، والتي تعود إلى 1921م، أين اعترفت الدول الأوروبية بأذربيجان وجورجيا وأرمينيا كدول مستقلة قبل اجتياح الجيش الأحمر لها، وضمها إلى الإتحاد السوفييتي. ولهذا، ما إن أعلنت الدول الحديثة استقلالها بعد انهيار الإتحاد السوفييتي حتى أعلنتها أوروبا منطقة جارة لها، وقامت بربط علاقات دبلوماسية معها⁶⁰⁷.

1 - المصالح والمشاريع الأوروبية في المنطقة:

607 Rene, LERAY, « European Union Policy and Action Toward Central Asia and The Caspian Sea Countries », Washington : Friedrich Ebert Foundation ,1999 , P.35.

تدفع أوروبا نحو هذه المنطقة كلا من الأهداف والمصالح السياسية و الاقتصادية المتمثلة في:

- استغلال انفتاح هذه الدول الجديدة من أجل الاستقلال عن الشرق الأوسط، وبالتالي الاستقلال عن تبعيتها الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية.
- التقارب السياسي مع روسيا عن طريق سياسة تعاون اقتصادي، واتفاقيات سياسية مع شركاء أقل شأن.
- تفضيل التعاون الإقليمي ما بين الدول المستقلة من أجل خلق مناخ استثماري للشركات الأوروبية العالمية.
- قلقها من الدور التركي، وإحلال اليونان محلها بتفضيلها لخط نقل يربط أوروبا بإيران مروراً باليونان وأرمينيا.
- الرغبة في استقرار سياسي في كامل الموروث السوفيتي السابق، كأساس متين من أجل عملية التحول نحو الديمقراطية واقتصاد السوق. فالنظرة الأوروبية تنطلق من أن الاستقرار والتطوير الحر للنزاع في المنطقة ستكون ناجحة فقط إذا ما كان هناك توازن ليس بين الدول القوقازية الثلاث فقط ولكن أيضاً بين المنطقة والأقاليم المجاورة الأخرى، ناهيك عن قوى العالم الكبرى المؤثرة، المتضمنة لروسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن تركيا وإيران ودول عبور خطوط الأنابيب أفغانستان، باكستان، والدول المشاطئة للبحر الأسود، أين يبقى النموذج الاحتكاري حول موارد النفط والغاز وطرق النقل حجرة عثرة في تحقيق توازن المصالح⁶⁰⁸.
- مصالح الأسواق الأوروبية تتطلب استقراراً سياسياً كشرط أولي، واتحاد دورهم على أساس الحاجة الطاقوية الموضوعية الخاصة بهم، هو المخطط الأوروبي للمشاركة المباشرة في استغلال ثروات حوض قزوين، ولهذا فالشركات المتعددة الجنسيات الأوروبية مثل: Agib, British gas, B.p, Royal ..⁶⁰⁹ deutch shell, State oil, Total, قد أخذت جزءاً من نشاطات أعالي البحار، ومشاريع خطوط الأنابيب، إلا أنها لم تصل إلى مستوى الشركات الأمريكية التي تمتلك أفضل العقود هناك. وبهذا نجد أن الشركات الأوروبية خاصة الألمانية قد اختارت التوسع أكثر في عقود البنى التحتية مثل: إنشاء الطرق وبناء أنظمة النقل، والبنى التحتية المحلية كالاتصالات وقطاع الإذاعة والتلفزيون، وإنتاج وتوزيع الكهرباء... (ملحق 9).

608 Françoise, THOM, Op. Cit.

609 Hugh, POPE, « Great Game 2, Oil Companies Rush into The Caucasus to Tap The Caspian », Wall Street Journal, 25 Avril 1997, P. 85.

كل هذا ساعد نمو الاستثمارات الأوروبية في المنطقة، خاصة بعد قرار عدم الاعتماد فقط على قطاع النفط والغاز، وعدم الخلط مابين سياسات الشركات والمصالح الجيوسياسية والجيوسراتيجية لدولها الأصلية مما خلق الفرصة لنشر وتنويع المصالح الأوروبية في المنطقة.

ونظرا لأن استقرار هذه المنطقة المحاذية لأوروبا خاصة بعد توسيع الإتحاد الأوروبي، فإن دعم استقلال كل من جورجيا، أذربيجان، أرمينيا، يدخل ضمن ما يعرف بالمواضيع الإستراتيجية التي تهتم الإتحاد الأوروبي والمتمثلة:

- **المواضيع السياسية:** الديمقراطية، المساعدة الانتخابية، النظام السياسي والاجتماعي القائم على القانون، حرية الصحافة، سن قوانين جديدة...
- **المواضيع الاقتصادية:** تطوير نظام سوق حرة، إنشاء مختلف الأعمال الصغيرة والمتوسطة، نظام زراعي فعال، تطوير الصناعة الموروثة عن الحقبة السوفيتية.
- **المواضيع الإقليمية:** تحقيق التوازن الإقليمي والعالمي ما بين القوى المتنافسة من أجل تأمين استقرار خط TRA.C.E.C.A⁶¹⁰.

ولتنفيذ هذه الأهداف وتحقيق هذه المصالح المتعلقة بمواضيعها الإستراتيجية فقد عملت أوروبا على انجاز عدة مشاريع تخص مجموعة الدول المستقلة معا وفق محورين:

المحور الأول : يغطي الحاجة الاقتصادية والتنمية السياسية لمجموعة الدول المستقلة:

- الاتفاقيات الأوروبية للشراكة والتعاون مع كل دولة من مجموعة الدول المستقلة (E.U. :P.C.A.-N.I.S.): التي تغطي المسائل الاقتصادية والحوار السياسي وبناء مؤسسات ديمقراطية.
- برامج المساعدة التقنية الأوروبية (E.U.-T.A.N.I.S) : التي تؤمن الدعم المالي لمجموعة الدول المستقلة من طرف المانحين الكبار في العالم، والتي وضعت منذ 1991م أكثر من 2.3 مليار دولار في عهدة مجموعة الدول المستقلة، لتتقاسمها الدول الثمانية لآسيا الوسطى وجنوب القوقاز⁶¹¹.

المحور الثاني: ويتمثل في خلق فرص للمنطقة من أجل استغلال وتصدير مصادر الطاقة كأساس مهم لتنميتها الاقتصادية واستقلالها السياسي، فيما يعرف بمشروع TRA.C.E.C.A حيث أنه عند توزيع

610 Rene, LERAY, Op. Cit., P.P. 59- 62.

611 Mehmet, OGUTC, Op. Cit., P. 75.

المساعدات الإنسانية للجمهوريات السوفيتية السابقة في نزاعاتها ما بين 1990-1992، لم يتمكن الأوروبيون من القيام بذلك من دون استخدام شبكة النقل الروسية، وتزامن ذلك مع إعادة الاستكشافات الهيدروكربونية في قزوين. فكان من الحكمة إعطاء الدول الثمانية فرصة التخلص من الاحتكار الروسي لأكبر محاور التصدير الرئيسية الموجودة في إطار: برنامج ممر النقل أوروبا-قوقاز-آسيا Programme Transport Coridr Europe -Caucasus - Asia الذي أعلنه الإتحاد الأوروبي في 1993م⁶¹²، و تم توسيعه فيما بعد من أوكرانيا إلى منغوليا، حيث يركز على:

- تطوير وسائل النقل الكلاسيكية (الطرق، الموانئ، السكك الحديدية...).
- الاهتمام بالنفط (IN.O.GA.T.E. ، ميثاق الطاقة...).
- إنشاء رواق جوي بشكل إسفين جنوبي يمثل ممرا أوراسيا.

بخصوص ميثاق الطاقة هو وثيقة متعددة الأوجه تخص المجموعة الأوروبية منذ فيفري 1991م، أين وضعت العديد من خطوط الإرشاد والمبادئ من أجل الاستثمار. هذه المبادئ بما فيها المعالجة المتساوية للاستثمارات الأجنبية والمحلية، الحماية ضد التحريض على التقسيم السياسي علاقات تجارية عادلة مع منظمة التجارة، تم التفاوض حولها في 1991م ، لتنتهي ثلاث سنوات من بعد، بوضع آلية قانونية أطلق عليها اسم اتفاقية ميثاق الطاقة دخلت حيز التنفيذ في نوفمبر 1998م⁶¹³.

أما بخصوص برنامج المساعدة التقنية الخاصة (IN.O.GA.T.E) Interstate Oil And Gas (Transport To Europe) فإن أصوله ترجع إلى 1992م، لكنه لم يكتسب أهميته الإستراتيجية إلا في 1994م-1995م، أين أصبح جليا أنه بدون مدخل حر ودائم نحو الأسواق الدولية، فإن دول القوقاز و وسط آسيا لن تحظى بأية دعم لاستقلالها السياسي وازدهارها الاقتصادي. ومع 1995م، أصبح الإتحاد الأوروبي أكثر تحديدا لمصالحه الإستراتيجية في كل من القوقاز وآسيا الوسطى، و قرر تدعيم نشاطه خاصة في مجال الطاقة والبنية التحتية لها، وأنشأ مجموعة عمل برنامج IN.O.GA.T.E. رصدت 50 مليون أورو للبرنامج ما بين 1996-1999. كما تم اعتماد عدة مشاريع ملموسة تم إنجازها، تخص إصلاح وتوسيع وتحديث أنظمة النقل الإقليمي للغاز، و كذا أنظمة الإمداد النفطي ومنتجاته.

612 Ibid, P. 76.

613 Thomas, LAND, Op. Cit., P. 83.

ومن أجل تقوية جاذبية مشروع TRA.C.E.C.A، فقد أعيد تسميته بطريق الحرير للقرن 21⁶¹⁴، و دعمته الولايات المتحدة الأميركية لأنه يتضمن محور جنوب قوقازي، يقدم أفضلية مزدوجة في تقاديه لروسيا و إيران، وتقويته لدور الحليف الرئيسي للولايات المتحدة الأميركية في المنطقة، و هو تركيا.

2 - الإستراتيجية السياسية الأوربية اتجاه دول جنوب القوقاز

على ما يبدو أنه في الوقت الراهن منطقة جنوب القوقاز لا تزال بعيدة عن كونها منطقة سلام خاصة، إذا ما اعتبرنا أن لكل من الازدهار و الاستقرار السياسي شروطه الخاصة. كما أن تدخل الدول الغربية وحتى التكتلات والشركات المتعددة الجنسيات إلى المنطقة، يضيف درجة من المسؤولية هناك. ولذا، فإن وجود إستراتيجية أوربية كلية اتجاه جنوب القوقاز هو أمر مطلوب، ورغم أن هذه الإستراتيجية لم تتجسد لحد الآن إلا أنه يمكن رصد ثلاث محاور أساسية لها وهي:

أ - التحول نحو الديمقراطية واقتصاد السوق كمتطلب أولي للسلام:

لعل مبدأ الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون حول أن الدول الديمقراطية لا تحارب بعضها البعض، وإنما تسوي اختلافات مصالحها بالطرق غير العسكرية هو في هذا المحور يبقى سليما، ويبرر كل مطلب مشجع للتحول الديمقراطي في منطقة جنوب القوقاز، خاصة مع كثرة النزاعات بالمنطقة⁶¹⁵.

ففي الدول التي تمتلك ثروة جديدة، تشهد اليوم أنظمتها استيلاء على أحد أجزاء هذه الثروة من طرف: العائلات، الجماعات وصفوة الأقلية، بشكل يجعل من استخدام الثروة لتوسيع الازدهار الجماهيري أمرا غير وارد. بل بالعكس، التعارض ما بين الترف المفرط لأقلية والفقر المدقع لأكثرية هو في تمام. كما أن وسائل القهر والظلم والاضطهاد التي تنال الحظوة من أجل إدامة هذه الفوارق والنسب، هي مستمرة في خلق انتهاكات حقوق الإنسان. فهذا التوزيع غير المتكافئ لبقايا الثروة، سيجعل من الصعب وقف المعارضات المناهضة لهذه الأقلية المترفة. مما استخدمته الأطراف الخارجية كوسيلة لتحقيق مصالحها المتنافسة، في ظل أزمة الاستقرار والتوترات عبر كامل المنطقة. فهذه الأقلية الأوليغارشية المتخفية وراء ربوع الموارد

185 Michael, SCHMUNK, « German Policy To word The Caspian Sea Region », Washington: Friendrich Ebert Foundation , 1999, P. 72.

615 Fiona, HILL, «The Great Game, The 2020 Edition », The Globalist, July 12,2002, P. 20.

الخام كنظام، غير واعية اقتصاديا، أين اللامساواة و اللاعدالة العمودية في شكل صفوة تحتكر الثروة ستؤدي بالضرورة إلى فقدان الأفقي للمساواة و العدالة اتجاه أجيال المستقبل⁶¹⁶.

إن نجاح التحول الديمقراطي سيكون أولوية ضرورية قبيل توجه أغلبية المواطنين للمطالبة بالحماية البيئية من نتائج استغلال الموارد الطبيعية، ففي المقابل الاستغلال الجائر للمصادر الطبيعية سيؤدي ليس فقط إلى الإضرار بالبيئة، ولكن سيعدد المخاطر الأمنية في كامل المنطقة.

فالتوازن البيئي للمنطقة على المحك، خاصة الدول المشاطئة لبحر قزوين التي تواجه لوحدها مشاكل عويصة ناجمة عن ارتفاع منسوب المياه باحتمال 40سم في السنة، ما بين 2010 إلى 2020⁶¹⁷ . بالإضافة للانتشار الواسع للهياكل والبنائات القديمة عبر المنطقة، وتوسيع شبكات خطوط الأنابيب المائية التي تهدد نمط معيشة الكثير من السكان، القائم على الصيد وإنتاج الكافيار. فالمنطقة ليس بمقدورها مكافحة الكارثة البيئية الجديدة، فهي تبقى لا تملك إجابة حول كيفية مواجهة آثار التلوث النووي في المنطقة جراء مجموعة التجارب النووية السوفييتية السابقة⁶¹⁸.

لكل هذه الظروف، وللمعرفة اليقينية بأن الأنظمة السلطوية ستستمر في انتهاك سياسات الاستغلال الموروثة عن الحقبة السوفييتية التي أدت إلى كوارث بيئية رهيبية، فإن الأهداف السياسية للتحول الديمقراطي يمكن تبريرها بما يسمى غريزة حب البقاء. ولهذا لا يمكن أن تكون سياسة أوربية تغض الطرف عن انتهاكات حقوق الإنسان، أو عن الرفض الواضح للنظام الإقليمي للعملية الديمقراطية.

ب - التعاون الإقليمي في إطار إستراتيجية التحالفات:

إن أحد أهم الأسباب التي تملي تعاون إقليمي يقوم على توحيد سوق جنوب قوقازي-وسط آسيوي هي المنافع الاقتصادية المرجوة من الاستثمارات الأجنبية الخاصة، التي تريد التأسيس لمخططات إنتاجية في

616 Rene, LERAY, Op. Cit., P.59.

617 Samuel, LUSSAC, « Géopolitique du Caucase : Au carrefour énergétique de l'Europe de l'Ouest », Journal of Peace, Conflict and Development, Editions Technip, 16, November 2010.P.146.

618 Fiona, HILL, Op. Cit., P. 25.

المنطقة بسرعة تتجاوز عقبة انقسام السوق. و عليه، فإن سوق موحدة عبر كامل المنطقة تشمل 70 مليون نسمة، ستكون لها أهمية ذات جاذبية عالية⁶¹⁹.

كما أن التعاون الإقليمي، هو استجابة لحقيقة أن كل المنطقة محاصرة، ولا تمتلك منافذ للبحار المفتوحة. ولذا، فإن تحقيق الازدهار باستغلال هذه الموارد سيبقى مرهون بمدى توفر طرق النقل، هذه الأخيرة لا تتطلب إلى ثلاثة شروط أولية مهمة وهي: اتخاذ القرار، البناء والتشييد و توفير الحماية و الأمن⁶²⁰.

وبالتالي، فإن الاعتماد المتبادل والتبعية الفعلية تدفع بقوة نحو حل سلمي لمشكلة خط الأنابيب النفطية، بشكل يضع في الاعتبار مصالح كل الأطراف المعنية، مما يجعل مطالب الشركات النفطية الكبرى حول مسائل خطوط الأنابيب واضحة و جلية، بوقوفها مع الحل التعاوني السلمي والرفض القاطع لأي وصاية سياسية مهما كان سببها.

لكن و لسوء الحظ، فإن التطورات السياسية في المنطقة تتحرك في اتجاه قدر عدائي مشؤوم، فتحت تأثير القوى الخارجية برزت للوجود مجموعتين متعارضتين تصنف نفسها في إطار تحالفات إستراتيجية: المجموعة الأولى تضم أندريجان، جورجيا مع قوى خارجية: تركيا، الولايات المتحدة الأمريكية. أما المجموعة الأخرى فتضم: إيران، أرمينيا، روسيا، وتركمانستان كلاعب احتياطي⁶²¹.

فهذه العدائية بين هذه التحالفات الإستراتيجية تجلب للذهن الاعتلال الحتمي للتطورات الجيوسياسية للقرن 19م، أين كانت أوروبا الخاسر الأكبر فيها. ولهذا فإن السياسة الأوروبية الموحدة يجب أن تركز على محاولة الابتعاد عن إعادة مثل تلك التطورات، فأوروبا تشجع التعاون الإقليمي في: البلطيق (اتحاد جمركي) ، شرق وسط أوروبا C.E.F.T.A. ، و البلقان⁶²². لأن مثل هذه الضمانات التعاونية تخلق إمكانية حل النزاعات وتحضر للاندماج المطلوب لتوسيع الاتحاد الأوروبي. ولهذا، فالاتحاد الأوروبي يشجع انتشار المفاهيم السياسية في منطقة جنوب القوقاز قزوين، ويمثل تشجيعه لها في شرق وجنوب شرق أوروبا كخطوات مبكرة لتجاوز مخاطر الكتلة المتشكلة.

619 Ibid. P.25

620 Oliven, PAYED, « U. N. and O.S.C.E. Policies in Transcaucasia », Belgium: V.U.B., 1996, P. 103.

621 Ibid, P. 106.

622 Michael, SCHMUNK, OP. Cit., P. 73.

ت - التكامل في عمليات صنع القرار الأوربي : "ميثاق الطاقة ومنظمة الأمن والتعاون الأوربي":

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وجدت دول منطقة جنوب القوقاز - آسيا الوسطى نفسها في مواجهة فراغ أمني وسياسي لا يمكن لروسيا أو N.I.S. ملأه، وبالتالي كانت النظرة لـ C.S.C.E. بمجهود دائم في طاجكستان، جورجيا، الشيشان وناجورنو كاراباخ في مؤتمر منسك، تكسب المزيد من الثقة.⁶²³ أهلتها لتكون المنظمة الأمنية الوحيدة الناشطة في المنطقة التي تمتلك الأفضلية الكبرى لعدم تمثيلها لأي من مصالح القوى الكبرى من ناحية. لكن من الناحية الأخرى لا يمكنها ترك روسيا خارج عمليات التسوية والتي أعربت عن أملها في التعاون مع المنظمة، خاصة بعد عدم تمكنها من منع تصاعد الدور الأوربي في المنطقة. فيما بعد دول المنظمة بدأت في رفعت توقعاتها بشأن دور C.S.C.E. حيث أنه ولغاية أبريل 1998م، كانت C.S.C.E. تعمل عن طريق مكتب إقليمي محتشم لها في طشقند. لكن رغبة رؤساء وحكومات آسيا الوسطى - جنوب القوقاز في ترقية الصالح الأمنية، وبدور أكثر نشاط واختصاص لـ C.S.C.E. للاضطلاع بالمسؤوليات الجديدة في المنطقة، حيث الديمقراطية وحقوق الإنسان قضايا لا يمكن تجاهلها⁶²⁴.

ف C.S.C.E. يمكنها الإسهام في تهدئة الأوضاع، وفق نموذج حوار غربي يمكنه من سد الفراغ السياسي والأمني بدون تحيز وبعيدا عن الأهداف الجيوسياسية. وفي هذا الإطار C.S.C.E. وبمقارنتها بالمؤسسات الدولية الأخرى تتسم بإنجازات وجهود مؤثرة لكنها تبقى تحتاج لوسائل إضافية لعملها.

معاهدة ميثاق الطاقة E.C.T. التي ظهرت للوجود في افريل 1998م، تقدم فرصة كبيرة لدول المنطقة جنوب القوقاز - آسيا الوسطى لأنها تخلق شروط موثوقة ومتساوية للاستثمار في الاستكشاف و مشاريع خطوط أنابيب النقل. كما تتضمن إعداد العقود، تأمين تدفق النفط والغاز وعملية تحكيم فعالة في حالة خرق الاتفاقيات⁶²⁵، فهي بوسعها العمل كواق ضد المخاطر السياسية التي تواجه انتقال وترقية الموارد الخام ونقاط العبور.

بالإضافة لإمكانية اعتمادها كخيار لخلق استقرار اقتصادي وطني حول مختلف المسائل، كما أن المستثمرين العالميين من مصلحتهم بقاء عملهم في إطار ورقة قانونية دولية، وليس في إطار تنافسي

623 Ibid, P. 74

624 Thomas, LAND, Op. Cit., P.85.

625 Michael, SCHMUNK, Op. Cit., P.P. 76- 77.

لمجموعات المصالح الخاصة. ولهذا، فإن تلقي هذه المعاهدة للتشجيع العالمي مستقبلاً، من شأنه أن يعود بالخير والفائدة على المنطقة بالكامل.

لكن على أوروبا القيام بمجهودات كبيرة لتدعيم أمن مختلف مصادر الطاقة، وكل الشركات العاملة هناك. وأهم هذه المجهودات التوفيق والتقريب و إشراك الأطراف الأمريكية في المعاهدة، وكذا إيران و روسيا.

3 - المعوقات و الأخطار التي تواجه التوجهات الأوروبية

إن واقع جنوب القوقاز الحالي يعيق درجة سرعة التنمية في العلاقات الاقتصادية ونشاطات الأعمال، خاصة تلك المشاكل المرتبطة بمخلفات عملية التحول الديمقراطي. أين التشابك بين خطوط حماية الحقوق وبين العقبات الإدارية من الصعب تجاوزه، مع تفشي الفساد والبيروقراطية وتسييس الأعمال. ففي هذه المنطقة، هناك روابط قوية وعلاقات شخصية وطيدة ما بين قادة الحكومات وقادة الشركات العمومية والخاصة، تخلق مجموعة مصالح ربحية متواصلة⁶²⁶.

كما أن الصراعات العرقية ونزاعات الأقليات تؤسس لفضاء معقد، أين كل دولة على طول سياستها ومصالحها هي في تعارض مع جيرانها، مما يجعل الحالة السائدة هي الشعور بعدم الرضا واختلال التوازن مع المحيط، فبقاء جنوب القوقاز في حالة لا سلم ولا حرب يجعل المنطقة تجلس على قنبلة قابلة للانفجار⁶²⁷.

بالإضافة إلى ذلك، التأثيرات الخارجية للقوى الكبرى في تتبع مصالحها الخاصة، ورسم سياساتها تسهم في توجيه تلك النزاعات.

في إطار تضارب المصالح الأمريكية والروسية، وتصور إيران وتركيا لمواقعهما الجديدة في المنطقة، وتطلع الصين للاستفادة من المنطقة مستقبلاً وتقديمها لوضع تنافسي في إطار التحالفات المتشكلة. كل هذا التعارض في مشاركة القوى وتعارض مصالحها السياسية والاقتصادية يمثل أحد الشروط العامة

626 Thomas, LAND, Op. Cit., P. 87.

627 Ibid, P.87.

التي تخلق اللعبة الكبرى في وقت مبكر من هذا القرن، وبالموازاة الشركات العامة التي تخلق اللعبة الكبرى في وقت مبكر من هذا القرن، وبالموازاة الشركات المتعددة الجنسيات الكبرى للنفط والغاز تؤسس للاعب كبير جديد في اللعبة⁶²⁸.

كل هذا التعارض في مشاركة القوى، واختلاف مصالحها السياسية والاقتصادية، يمثل أحد الشروط العامة التي تخلق اللعبة الكبرى في وقت مبكر من هذا القرن. وبالموازاة، الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات للنفط والغاز تؤسس للاعب كبير جديد في المنطقة.

كل هذه الإشارات لتنامي الاهتمام الدولي، ومحاولة التدخل باستغلال النزاعات الموجود من أجل أهداف سياسية واقتصادية خاصة، تجعل من المستحيل تنفيذ الإستراتيجية الأوربية في المنطقة.

وهكذا فإن الفشل الأوربي في تحقيق إستراتيجيته، جعل من أوربا الغائب الأكبر عن اللعبة الكبرى. خاصة، مع عدم قدرتها في منافسة روسيا والولايات المتحدة الأميركية، وعدم وجود مصلحة في مواجهة هاتين القوتين العظمتين. فاكتفت بمنح دول جنوب القوقاز العضوية في C.S.C.E ، من أجل تحقيق الاستقرار السياسي و التنمية الاقتصادية، وإتباع سياسة السلام البارد⁶²⁹ ، في إطار توسيع الناتو، و الشراكة مع روسيا، ومحاولة الخروج من الهيمنة الأميركية.

المطلب الثاني: الاهتمام الصيني

تعتبر الصين كذلك من القوى الكبرى المهمة التي لها مصالح واضحة و معروفة في منطقة جنوب القوقاز - آسيا الوسطى. و هو ما يفسر سعيها الدائم لان يكون لها نفوذ واضح فيها لاسيما و أن الصين مجاورة لبعض دول المنطقة و بالتالي فهي تشعر بالقلق و الريبة من محاولات إقصائها من المنطقة سواء كانت أمريكية أم غربية⁶³⁰.

وقبل أن نستعرض الإستراتيجية المتبعة من طرف الصين في المنطقة كان لزاما علينا تبيان تنامي القوة الصينية بعد الحرب الباردة و أهمية موارد الطاقة بالنسبة لها.

628 Mehmet, OGUTC, Op. Cit., P. 75.

629 Ibid, P. 76.

630 مظفر، نذير الطالب، " التنافس الدولي في آسيا الوسطى"، مجلة علوم إنسانية، لندن، عدد28، ماي 2006، ص ص97-132، ص 126.

1 - بروز الصين بعد الحرب الباردة:

إن مكانة الصين الدولية و نصيبها من القوة يكتنفها تعقيد و غموض، فالصين العضو النووي في النادي النووي العالمي، و صاحبة حق الفيتو في مجلس الأمن، تصنفها الدول الغربية ضمن دول العالم الثالث، أي كدولة متخلفة، ومع ذلك فهذا التصنيف قد لا يعكس الحقيقة كاملة، فالصين باتت تملك قوة متعددة الأبعاد تسمح لها بالمطالبة و السعي لأخذ مكانتها التي تستحقها على الصعيد العالمي.

فمن الناحية الاقتصادية، تعتبر القوة الاقتصادية عصب السياسة الصينية و نقطة ارتكازها في تحركها و تعاملها مع القوى الكبرى. خاصة، في ظل تنامي دور العامل الاقتصادي في السياسات العالمية. مما زاد من أهمية الصين الدولية، و قدرتها على المساومة و الضغط و الاستقلال بقراراتها السياسي و الاقتصادي⁶³¹.

فكل المؤشرات الاقتصادية الصينية تنبئ بثورة حقيقية في الاقتصاد العالمي بكامله، تنصدها الصين إذا ما حافظت على معدل نمو 9 بالمئة، بحلول 2020. مما يكسبها وزنا دوليا اكبر، من خلال مد مناطق نفوذها و الانتشار على مستوى عالمي. و ما يعنيه ذلك من انتشار لنفوذها الاقتصادي و السياسي. خاصة مع كسبها لتأييد الدول الضعيفة التي تتلقى مساعدات مالية من الصين في شكل هبات أو قروض ذات نسب فوائد منخفضة⁶³².

أما من الناحية السياسية و الدبلوماسية، فعظمة تاريخ الصين يكسبها مكانة احترام خاصة تضيف عليها طابع القوة الكبرى المميزة في العالم و لو كانت هذه القوة ذات طيبة لينة. بالإضافة إلى الوضع الذي تتمتع به الصين والمتمثل في انتمائها إلى المجال ما بين القوى الكبرى و دول العالم الثالث يسمح لها بممارسة نفوذ سياسي كبير، و بالنشاط في كلا المجالين على حد سواء⁶³³.

631 منير، مباركية، "استراتيجيات القوى الكبرى في مواجهة سياسات الاحتواء الأمريكية: حالتى روسيا و الصين"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، 2008، ص38.

632 شينكار، اويد، "العصر الصيني: الاقتصاد الصيني الناهض و تأثيره على الاقتصاد العالمي و توازن القوى"، ترجمة: سعيد الحسنية، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005، ص56.

633 منير، مباركية، مرجع سبق ذكره، ص39.

كما أن تمتعها بمقعد دائم في مجلس الأمن و بحق النفاذ يسمح لها بمعارضة أو إبطال المشاريع المتعارضة مع مصالحها القومية. مما يعزز مكانتها السياسية و الدبلوماسية التي تتمتع بها. التي و إن بدت غير نشطة و فاعلة على المستوى العالمي، فهي قوية و نشطة على المستوى الإقليمي.

أما من الناحية العسكرية فالصين هي البلد الوحيد، بعد روسيا الذي يملك صواريخ باليستية قادرة على إصابة الأراضي الأمريكية، كما أنها ثالث دولة تقوم ببناء مواقع في الفضاء لتكون بذلك قد اقتحمت بعدا جيوبوليتيكا جديدا مما يكسبها قدرة ردعية معتبرة، و يجعلها بمنأى عن المواجهة العسكرية مع الدول المعادية لها، أو تلك التي تدخل معها في نزاعات⁶³⁴.

فتكامل القدرات العسكرية مع الوزن الاقتصادي المتزايد للصين سيسمح لها مستقبلا بتحريك قواتها خارج حدودها فيما لو رأت ذلك ضروريا لحماية مصالحها خارج إقليمها، خاصة و أنها تمتلك أكبر جيش في العالم من ناحية تعداد أفرادها، أو بتسخير قواتها العسكرية لمد نفوذها السياسي عبر المشاركة في عمليات حفظ السلم في مناطق متعددة من العالم.

أما من ناحية القوة التكنولوجية فالصين كانت بشكل أساسي تصدر سلعا من قطاعات تعتمد على كثافة اليد العاملة، لكن ومنذ عام 2000، و هي تحقق نجاحات في أسواق المنتجات عالية التكنولوجيا. فهي لم تعد تجذب فقط وحدات الإنتاج، و لكن أيضا نشاطات البحث و التطوير، تمكنها من تهديد المكانة العلمية و التكنولوجية لعدد الدول⁶³⁵.

فإصلاحات النظام العلمي و التكنولوجي التي باشرتها منذ نهاية الحرب الباردة آتت أوكلاها. إذ أصبحت المصدر الأول لمنتجات تكنولوجيات الإعلام و الاتصال حيث زادت صادراتها بسرعة. و أصبح بمقدورها اليوم أن تصبح لاعبا دوليا، بل قوة عظمى تكنولوجيا⁶³⁶.

2 - أهمية أمن الطاقة بالنسبة للصين:

634 المرجع نفسه، ص41.

635 *Frédérique, SACHWALD, « La Chine: Puissance Technologique Emergente », Paris, Ifri, 2007, P.01.*

636 منير، مباركية، مرجع سبق ذكره، ص46.

أدركت الصين باعتبارها دولة صاعدة في الاستهلاك النفطي ضرورة التعامل وفق معايير نقل من أثار مخاطر عدم الاستقرار السياسي في البلدان المنتجة، و ذلك بتطبيق العديد من الاستراتيجيات بهدف التخفيف من المخاطر التي تتعرض لها. فبالإضافة إلى شراء النفط مباشرة من سوق النفط العالمية و تنويع مصادر الإمداد بدأت الشركات النفطية الحكومية الصينية بشراء أسهم و حصص في مشاريع النفط و الغاز الطبيعي في الخارج، و تهدف الصين من خلال الامتلاك الفعلي لأصول نفطية أجنبية إلى التقليل من اعتمادها على الإنتاج النفطي العالمي الذي تسيطر عليه الشركات الغربية، و من أجل تقليل الاعتماد على السوق المفتوحة لشراء احتياجاتها من النفط و بذلك تقلل من التعرض لتقلبات أسعار النفط. و نتيجة لذلك عززت الصين علاقاتها الدبلوماسية مع المناطق و الدول الغنية بالنفط من خلال الزيارات التي يقوم بها زعماء الدولة و تقديم امتيازات اقتصادية و تجارية⁶³⁷.

و كذا تخشى الصين من زيادة تركيز مصادر صادرات الطاقة، فعلى سبيل المثال في عام 2002 جاء نحو 80 بالمئة من صادرات الصين من عشر دول، و جاء 60 بالمئة من هذه الكمية من خمس دول في الشرق الأوسط و إفريقيا، و هي مناطق يحتمل أن تحدث فيها انقطاعات في الإمداد بالنفط بسبب فقدان الاستقرار السياسي. كما تخشى الصين أيضا، من احتمال تعرض خطوط الملاحة البحرية للمخاطر، لان طرق الملاحة البحرية التي تمر بها يمكن أن تتعرض للمخاطر، خاصة فيما يعرف بنقاط الاعتداء مثل مضيق ملقا إذ يمكن أن تتعرض شحنات النفط للاعتداء على يد إرهابيين، أو عن طريق منافسين جيوسياسيين محتملين في أوقات الأزمات⁶³⁸.

إن اعتبارات عدم الاستقرار السياسي في اغلب مناطق العالم المنتجة للنفط، أظهرت حاجة الدول الكبرى المتنافسة لحماية أمنها النفطي، الذي لن يتأتى إلا من خلال حماية امدادات الطاقة. و لذلك فقد عدلت الصين في سياستها الأمنية، وفقا لأولوياتها الاقتصادية الجديدة من خلال التوجه الاوراسي البري، خاصة في منطقة حوض قزوين التي أعلنتها منطقة حيوية بالنسبة لها خاصة و أنها تشترك بحدود طويلة جدا مع كازاخستان، التي هي إحدى دول المنطقة⁶³⁹.

3 - الإستراتيجية الصينية في جنوب القوقاز:

637 سعد، حقي توفيق، "التنافس الدولي و ضمان امن الطاقة"، مجلة العلوم السياسية، عدد43، 2010، ص19.

638 المرجع نفسه، ص20.

639 المرجع نفسه، ص ص 21-22.

يُعتبر اهتمام الصين بجنوب القوقاز جديداً أو غير متوقع حتى، فمع أن الاستثمارات الصينية لم تلتفت الأنظار، إلا أنها كانت في ازدياد متواصل في هذه المنطقة خلال السنوات الأخيرة، بحثاً عن فرص استثمار ومكاسب دبلوماسية قليلة الكلفة، لكن اعتبار بكين لجنوب القوقاز منطقة إستراتيجية تستحق اهتماماً حقيقياً يشكل ظاهرة أكثر حداثة تعود في جزء كبير منها إلى مراهنة بكين الطموحة بمليارات الدولارات على طريق الحرير الجديد⁶⁴⁰. الذي يُفترض أن تؤدي فيه جنوب القوقاز دوراً حيوياً، فجنوب القوقاز بموقعها كمطقة تربط بين الداخل الأوراسي وأوروبا أثار اهتمام الصين.

أ - القوة الناعمة الصينية

لقد اعتمدت الصين في إستراتيجيتها تجاه دول منطقة جنوب القوقاز على قوتها الناعمة فبعد اقتصارها على المجال الاقتصادي، من خلال مشاريع عدة منفصلة وخطوط تمويل وإقراض، توسعت كثيراً في الآونة الأخيرة، حتى إنها حولت الصين إلى لاعب أساسي.

فالصين تشكل اليوم ثالث أكبر شريك تجاري في جورجيا من حيث الحجم، بعد تركيا وأذربيجان، متفوقة بقليل على روسيا، فيما أن هذه التجارة الثنائية لم تصطدم بأي عقبات، توسع حجمها من أقل من 115 مليون دولار عام 2006 إلى أكثر من 820 مليوناً عام 2014، ولكن من الطبيعي أن يكون العجز التجاري مركزاً في اتجاه واحد، خصوصاً أن قيمة صادرات جورجيا إلى الصين لم تتخطَ التسعين مليون دولار عام 2014، مع أن هذا الرقم يمثل زيادة تصل إلى نحو 1800%، مقارنة بصادرات عام 2009 مثلاً⁶⁴¹.

تبدو أرقام الاستثمارات الأجنبية المباشرة من الصين واعدة أيضاً بالنسبة إلى جورجيا، فبعد سنوات من الشح، بدأت الاستثمارات الأجنبية المباشرة الصينية تزداد في أواخر عام 2012، مرتفعة من 9.6 ملايين دولار (وهذا رقم متواضع) عام 2011 إلى نحو 200 مليون عام 2014، أي نحو خمس مجموع الاستثمارات الأجنبية المباشرة التي أفادت عنها جورجيا تلك السنة⁶⁴².

أما فيما يخص التعاون الصيني الأذربيجاني فيركز أساساً على توسيع العلاقات بين البلدين خاصة أن عشرات الشركات الصينية تعمل بنجاح في أذربيجان خاصة في المجالين الزراعي و الطاقوي و تبادل

640 مايكل، سيسيري، "الصين... اللاعب الكبير الجديد في القوقاز"، نشر بتاريخ، 5 نوفمبر 2015، على الرابط: <http://www.aljarida.com/articles>

641 المرجع نفسه.

642 المرجع نفسه.

الاستثمارات. حيث أن توسيع التعاون في مجال النقل والخدمات اللوجستية من خلال الاستفادة من الموقع الملائم لأذربيجان في ممر أوروبا-القوقاز-آسيا لنقل البضائع و إنشاء مؤسسات مشتركة في مجالي الزراعة والطاقة البديلة وزيادة الاستثمارات المتبادلة وجلب الشركات الصينية للمجمعات الصناعية والكيمائية الأذربيجانية سيكون مفيدا لكلا الطرفين⁶⁴³.

بالإضافة إلى الرغبة الصينية في المساهمة مع روسيا في التوصل إلى حل سلمي و نهائي للنزاع في ناجورنو كراباخ بين أرمينيا وأذربيجان الذي يمثل تهديدا للسلام والاستقرار في المنطقة و يشكل عقبة أمام النمو الاقتصادي فيها. خاصة أمام مشروع طريق الحرير الجديد، مشروع خط سكة الحديد باكو-تبليسي-قارص. ودور ميناء باكو البحري التجاري الدولي. قيل إن نقل البضائع إلى أوروبا والعكس عبر أذربيجان قد يتسبب في تضياع الوقت.

ب - التداعيات الجيو سياسية

يظل نطاق التعاون الصيني-القوقازي اقتصادياً في المقام الأول، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر تداعياته الجيو-سياسية، فعلى غرار أماكن كثيرة حول العالم، يترافق النفوذ الاقتصادي الصيني المتنامي غالباً مع التزام سياسي عميق، وبالنسبة إلى دول جنوب القوقاز، يشكل هذا بالتأكيد مخرجاً محتملاً مرحباً به من وضعها المقيد بين طموحاتها الأوروبية-الأطلسية التي لا تلقى أي تجاوب، وتنامي ميل روسيا إلى تأكيد هيمنتها الإقليمية بقوة. خاصة وان مكانة أراضي جنوب القوقاز كعنصر أساسي في طريق الحرير الجديد يجعل أمن المنطقة و استقرارها أولوية تزداد أهمية بالنسبة إلى الصين⁶⁴⁴.

ففي دول جنوب القوقاز، يبيث التشكيك في الغرب وفي عملياته البالغة البطء نحو الاندماج الأوروبي-الأطلسي حياة جديدة في مجموعات المجتمع المدنية والفرق السياسية الأوراسية الموالية لروسيا، وبما أن القيادات القوقازية من خلال الشعور الانهزامي العام المتفشي والمتنامي، تتعرض لضغوط متزايدة ترغمها على تقديم الأمن والازدهار في مرحلة ينمو فيها الخطر الروسي، وتبدو فيها العواصم الغربية مترددة في تعاطيها مع توسع الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي⁶⁴⁵. فرغم أن العلاقات مع الصين ما زالت في

<http://azertag.az/ar/xeber/arabic>

643 جون، شان، "أذربيجان شريك مهم للصين في جنوب القوقاز"، نشر بتاريخ، 27 نوفمبر 2015، على الرابط:

644 مايكل، سيسيري، مرجع سبق ذكره.

645 المرجع نفسه.

بدايتها، إلا أن بعض المسؤولين القوقازيين يرون في بكين فرصة لمواجهة الهيمنة الروسية في عهد أوصدت فيه الأبواب الأوروبية-الأطلسية.

يعود استثمار بكين الكبير، على ما يبدو، في وعود التكامل الاقتصادي عبر أوراسيا اليوم بفائدة كبيرة على جنوب القوقاز، فيبدو التعاون الإضافي وما يرافقه مجرد مسألة وقت، ولا شك أن المسؤولين القوقازيين سيرحبون بهذا التعاون بحفاوة، لكن الدول الغربية، خصوصاً الولايات المتحدة، ستنظر بعين الريبة إلى تنامي النفوذ الصيني في جنوب القوقاز، إلا أنها لا تملك أساساً كبيراً يسمح لها بالتشكي، في حال سعت جورجيا لمواجهة الهيمنة الروسية في ظل غياب الضمانات الأوروبية-الأطلسية. أما روسيا من جهتها، فلن تكون راضية على نمو وجود الصين في جوارها القريب، بيد أنها لا تملك مصادر نفوذ كبيرة لتعارض الصين، نظراً إلى عزلتها الدولية واعتمادها الكبير على صفقات الطاقة الصينية، وإن استمر هذا الميل، فمن المؤكد أن الصين ستصبح لاعباً حقيقياً وطويل الأمد على الأرجح في جنوب القوقاز⁶⁴⁶.

إن التوجه الصيني في المنطقة يعتمد على بعض الوسائل مثل: تعزيز العلاقات الثنائية مع دول المنطقة بشكل منفرد من خلال التوصل إلى مجموعة من الاتفاقيات الثنائية، وكذا من خلال التعاون مع روسيا في ظل وجود تقارب صيني روسي ملحوظ كما أسلفنا، و أيضاً من خلال منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي، و تحويلها إلى كيان فعال يمكن من خلاله زيادة نفوذها في المنطقة⁶⁴⁷.

فالصين لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تبدو غير مكترثة لما يجري في منطقة آسيا الوسطى-جنوب القوقاز، بسبب أن أي تواجد غربي هناك من شأنه تقييد حركتها من ناحية، و يؤثر على أمنها من ناحية أخرى. فضلا على أن ذلك يحرمها من الكثير من المزايا الاقتصادية التي تتمتع بها دول المنطقة و ربما يقف حائلا دون تغلغل النفوذ السياسي و الاقتصادي فيها و هو مالا ترضيه الصين إطلاقاً⁶⁴⁸.

المطلب الثالث : الاهتمام الأميركي بجنوب القوقاز

646 المرجع نفسه.

647 مظفر، نذير الطالب، مرجع سبق ذكره، ص128.

648 المرجع نفسه.

بصرف النظر عن يقف وراء التفجيرات في نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر 2001، وعمن خطط لها ونفذها، وعن أهدافه المباشرة أو بعيدة المدى، فإن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الولايات المتحدة سعت للاستفادة من هذه الأحداث إلى أقصى حد.

لقد قدم لها مخطو ومنفذو هذه التفجيرات فرصة ذهبية للمضي قدما في تنفيذ إستراتيجيتها في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، التي أعلنتها منذ مطلع التسعينات منطقة لمصالحها الحيوية وتمركزت جهودها، في إطار هذه الإستراتيجية، على إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية في تلك المنطقة على نحو يخدم تلك المصالح⁶⁴⁹، وهو أمر يشكل حلقة في العمل الدعوى الذي تقوم به واشنطن عقب انهيار القطب السوفيتي لإقامة "نظام عالمي جديد" يكرس زعامتها على العالم.

1 - الملامح المحيطة بالتوجه الأميركي نحو المنطقة

• -إعادة النظر بعقيدة الحلف الأطلسي، وتحويله من منظمة "دفاعية" يقتصر مجال عمله على القارة الأوروبية، إلى منظمة هجومية لا حدود جغرافية لنشاطه، ولا قيود قانونية دولية عليه، فقد تم العمل على توسيعه ليشمل بلدان أوروبا الشرقية وصولا إلى الحدود الغربية لروسيا. وبذلت الجهود لكي يتمدد لاحقا نحو الحدود الجنوبية لروسيا، فيمتد ميدان عمله على شكل إسفين بين روسيا ليصل إلى أعماق آسيا الوسطى و"يطل" على الصين⁶⁵⁰، القوة الصاعدة التي تعتبر القطب المستقبلي والمنافس الأكثر خطورة بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

• للحد من تطلعات اللاعبين الإقليميين الكبار في المنطقة والذين يتطلع كل منهم إلى تحسين موقعه ونفوذه ودوره في المنطقة، وهم روسيا والصين وإيران، فإن الولايات المتحدة تسعى لمواجهة ذلك بمنع استعادة نفوذ أحدهم (روسيا)، ودرء صعود وتوسع آخر (الصين)، ولاحتواء أو ربما توجيه ضربة قاصمة للثالث (إيران)، إذ توافرت الفرصة المناسبة. و قبل كل شيء الحيلولة دون قيام محور ثلاثي يقف سدا في وجه تقدمها⁶⁵¹.

649 John, LICHTBLAU, «U.S. Policy and Action Toward Central Asia and The Caspian Sea Countries», Washington: Friedrich Ebert Foundation, 1999, P.P. 67- 69.

650 Ariel, COHEN, «U. S. Policy in The Caucasus and Centre Asia; Building a NEW SILK ROAD To Economic Prosperity », The Heritage Foundation, July24,1997, P.95.

651 محمد، نياي، " الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص150.

- ثروات المنطقة الهائلة التي تتركز في حوض بحر قزوين والبلدان المطلة عليه وكذلك في بلدان آسيا الوسطى الأخرى، تغري الإستراتيجيين الأمريكيين والشركات الأمريكية العملاقة (النفطية منها على وجه الخصوص) من اجل السيطرة عليها، ولاسيما أن التقديرات تشير إلى تحول تلك المنطقة إلى ثاني أو ثالث أكبر مصدر للنفط والغاز في العالم.
 - اشتمال المنطقة أيضا على لاعبين إقليميين آخرين (تركيا، باكستان، الهند) يسعى كل واحد منهم ، ولو ضمن الإستراتيجية الأمريكية ومن دون الخروج عن الحدود التي يفرضها الانضباط في سياقها، إلى الإطلاع بدور مؤثر على المستوى الإقليمي⁶⁵².
 - هناك دول آسيا الوسطى والقوقاز ، الجمهوريات السوفيتية السابقة، وكذلك أفغانستان والتي ليست إلا ساحة العراك وميدانا تتنافس فيه مصالح القوى الكبرى، رغم طموحات زعماء بعض هذه الدول للاضطلاع بدور ما، يعتقد واهما أن ثروته وكذلك حاجة هذه القوة الكبرى أو تلك إليه تمكنه من القيام به⁶⁵³.
- في إطار كل هذه العوامل والظروف والقوى تتحرك الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة ، وتعتقد واشنطن أن نجاحها في حسم مسألة وجودها ونفوذها هناك من خلال الحرب على أفغانستان و العراق سيمكنها من "امتلاك" جسر النفوذ متواصل يبدأ بتركيا مرورا بـجورجيا وأذربيجان وأوزبكستان وأفغانستان وباكستان وصولا إلى الهند، الحليف المستجد للولايات المتحدة.

2 - الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة:

تتمحور الإستراتيجية الأمريكية في منطقة قزوين وآسيا الوسطى حول الأهداف التالية:

- 1- إزاحة ما تبقى من نفوذ روسي في المنطقة، التي شكلت على امتداد قرون جزءا لا يتجزأ من المدى الحيوي الروسي، ورأس جسر لتحقيق الحلم الروسي الدائم أو ما يسميه الإستراتيجيين الروس "القفزة نحو الجنوب"، أي الوصول إلى المياه الدافئة⁶⁵⁴. إن الوجود الأمريكي المباشر في تلك المنطقة (هو ما صار في حكم الأمر الواقع اليوم)، وانتزاع جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز من مجال النفوذ الروسي (بالأمس جورجيا وأذربيجان، واليوم أوزبكستان وربما كازاخستان وتركمانستان غدا)، سيخلق سدا منيعا، ولفترة طويلة، في وجه

⁶⁵² المرجع نفسه، ص 151.

⁶⁵³ Dieter, DETTKE, «A great Game Not More :Oil, Gaz and Stability in The Caspian Region », Washington: Friendrich Ebert Foundation, 1999, P. 79.

⁶⁵⁴ Vicken, CHETARIAN, « Escalade militaire dans le Caucase », le monde diplomatique, juillet 2007, P.7.

هذا الهدف الروسي. كما أنه يشكل عائقا أمام تشكل نواة حلف أسويي ثلاثي ، يضم روسيا وإيران والصين ، ويحول دون إمكانية تواصل روسيا مع المنطقة الممتدة جنوبا نحو الشرق الأوسط⁶⁵⁵.

وفي سعيها لتحقيق هدفها محاصرة روسيا، تعمل واشنطن على استغلال رغبة زعماء جمهوريات آسيا والقوقاز في الخروج من دائرة النفوذ الروسي، مستخدمة وسائل الترغيب المتمثلة بوعود تقديم مساعدات متنوعة، وخصوصا في مجال استثمار الثروة المتوفرة في المنطقة من النفط والغاز. والترهيب الذي رجحت كفته اليوم، مع تحول الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة إلى أمرا واقعا⁶⁵⁶، والتخويف من مخاطر انتشار "الإرهاب"، والحركات الأصولية في تلك البلدان. وتمثل أذربيجان نموذجا صارخا على "سلوك" هذه الجمهوريات، فالرئيس الأذري عليليف، لا يخفي رغبته في استخدام ثروة بلاده النفطية، وموقعها الإستراتيجي، وقدرتها على التحكم بخطوط نقل النفط، لمنح بلاده دورا أكبر في الصراع الدائر في المنطقة، وتحقيق المزيد من الاستقلالية عن النفوذ الروسي. وتجسد نهج عليليف هذا، بتعزيز التقارب مع الولايات المتحدة، الذي تمثل باتفاق التعاون العسكري بين الجانبين لعام 1997⁶⁵⁷. وبالتواجد العسكري الأمريكي غير المعلن في أذربيجان، مع دور تركي منسق في هذا المجال. وتحذو أوزباكستان اليوم حذو أذربيجان، حيث أن قادتها هم الأكثر حماسا في تقديم التسهيلات للقوات الأمريكية، وفي فتح قواعدهم العسكرية سابقا أمام هذه القوات في حملتها على أفغانستان، على أمل نيل حظوة لدى واشنطن.

تضطلع تركيا، العضو في حلف الأطلسي، بدور لا يستهان به في سياق الإستراتيجية الأميركية، لقد سعت تركيا منذ انهيار الإتحاد السوفيتي إلى استغلال حالة "انعدام وزن"، الذي أصاب روسيا عقب هذا الانهيار، لملاً الفراغ الناشئ آنذاك. مستفيدة من الروابط الأتنية واللغوية التي تربطها ببعض جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، وكذلك اشتداد النزعة الاستقلالية عن النفوذ الروسي لدى هذه الجمهوريات⁶⁵⁸. لكنها لم تنجح في مهمة سد الفراغ والتحول إلى دولة إقليمية كبرى، فاكتفت بدور الشريك الصغير للولايات المتحدة في المنطقة، وهي لا تزال تضطلع بهذا الدور في الحملة الأمريكية الجديدة.

2- العمل لاحتواء إيران، وتحقيق خطة العزل الجيوسياسي لهذا البلد. وإذا كانت الولايات المتحدة تسعى في المرحلة الأولى من حملتها على أفغانستان و العراق لتحييد إيران، فإنها لا تتخلى عن خطتها

655 Ariel, COHEN, Op. Cit., P. 95.

656 محمد، نيا، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص 152.

657 Lutz, KLEVEMAN, « Haw America makes Terrorist of its Allies », *The Ecologist*, Febrery16,2004 , p. 30.

658 - Vicken, CHETARIAN,, Op. Cit. , P. 8.

الأساسية المتمثلة بممارسة الضغوط عليها لجعلها أمام خيار بين أمرين : إما الرضوخ لشروط واشنطن، وأما مواجهة محيط معاد من جميع الحدود، في حال نجاح واشنطن في فرض أنظمة حكم موالية لها في أفغانستان والعراق. وعلى الحدود الشمالية، خصوصا في أذربيجان والمناطق الإيرانية التي تقطنها الأكثرية الأتنية الأذرية⁶⁵⁹.

فتفكك الاتحاد السوفيتي أوجد حقائق جيوسياسية جديدة في الجوار الشمالي لإيران، وأدى إلى تغيرات في المنطقة تجلت في بروز دول جديدة هناك، تربط بعض شعوبها بإيران روابط تاريخية، وإثنية، ودينية، ولغوية وثيقة، الأمر الذي طرح مهمات جديدة أمام السياسة الإيرانية⁶⁶⁰.

فدخل الولايات المتحدة بقوة لحلبة الصراع في المنطقة، وسعيها السافر للسيطرة عليها، سواء من خلال شركاتها النفطية، أو عبر معادلات جيو سياسية وإستراتيجية جديدة، ومخاوف شديدة لدى طهران، يدفعها إلى التحرك وبنشاط، لمواجهة هذه الخطة الأمريكية. وهذا ما يفسر الحرص الإيراني على توطيد العلاقات التعاونية مع موسكو⁶⁶¹، حذر شديد في التعامل مع الأزمة الراهنة حول أفغانستان و العراق، وكذلك التوتر الذي ساد العلاقات الإيرانية -الأذربيجانية صيف 2002، على خلفية استغلال نفط قزوين.

لإنجاح خطة واشنطن لعزل إيران، فإنها تمارس مع حليفها إسرائيل ضغوطا شديدة على موسكو (لا تخلو من الإغراءات) لوقف تعاونها، وخصوصا في الميدان العسكري والتكنولوجي. كما أنها تسعى لمنع طهران من الدخول طرفا في استثمارات مشتركة في مجال التنقيب عن النفط واستخراجه وحرمانها من فوائد نقله عبر أراضيها⁶⁶².

3- تأمين الأرضية الملائمة، والظروف والشروط المناسبة، لسيطرة شركات النفط الأميركية الكبرى على ثروات المنطقة. وقد عملت الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي على مساعدة هذه الشركات للاستثمار بحصة الأسد من الاستثمارات النفطية في منطقة قزوين بخاصة. وقد تم لها ذلك، حيث استأثرت الشركات الأميركية مثل: شيفرون، رامكو، أموكو، اكسون، نزيويل وانكال بمعظم العقود النفطية. وخصوصا في أذربيجان، التي أبرمت أربعة عقود مع شركات أمريكية بقيمة 10 مليارات دولار، للتنقيب عن

659 Lutz, KLEVEMAN, Op. Cit., P. 32.

660 محمد، نيا، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص 153.

661 Ehsan, AHRARI, « The Schizofrenie Russia Iranian Nexus », *Asia Times*, 22 May 2002, p. 29.

662 Alexondre, ADLER, Op. Cit., P. 17.

النفط واستخراجه. وفي كازاخستان، حيث تملك شركة شيفرون الأمريكية 50 في المئة من أسهم شركة تنغيز شيفرون، التي تستثمر حقل تنغيز، و هو أغنى الحقول النفطية في المنطقة⁶⁶³.

4-فرض خطة لبناء منظومة متكاملة لنقل النفط و الغاز من منطقة قزوين وأسيا الوسطى، من دون المرور عبر أراضي روسيا وإيران والصين. إدراكا منها للأهمية الإستراتيجية القصوى للإمساك بهذه الشرايين الحيوية، التي تؤمن وصول نفط المنطقة وغناها إلى الأسواق العالمية. وحول هذه المسألة يدور صراع عنيف، عرف بـ"حرب الأتابيب"⁶⁶⁴,

⁶⁶³ Seila, HESLIN, « American Commercial Interests, Commitments and Strategies in the Caspian Sea», Washington: Friedrich Ebert Foundation, 1999, P.P.56-57.

⁶⁶⁴ John, LICHTBLAU, Op. Cit., P.69.

الفصل الرابع:

التنافس الروسي-الأمريكي و اللعبة
الكبرى الثانية في جنوب القوقاز.

الفصل الرابع: التنافس الروسي-الأمريكي و اللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز.

تمثل ظاهرة الصراع جوهر السياسة الدولية، و ينشأ الصراع بين الدول الكبرى، نتيجة للتنافس على بسط السيطرة، في المناطق التي تؤثر على إستراتيجية كل منهما، في مواجهة الأخرى. كما يشتد الصراع، أو تخف حدته، من منطقة إلى أخرى، تبعا لأهمية المنطقة التي يدور حولها الصراع. و لقد أصبحت منطقة جنوب القوقاز مسرحا للتنافس، بل أضحت مرشحة للصراع الدولي بين القوى العظمى بشكل عام، و الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا بوجه خاص. ناهيك عن إمكانية حدوث صراعات بين دول المنطقة نفسها، من اجل السيطرة على الثروات، و استغلال المنطقة ذات الطابع الجغرافي و الاستراتيجي الهام. فما هي يا ترى ملامح هذا الصراع الاستراتيجي بين روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية ؟

للإجابة عن هذا التساؤل، ارتأينا أن نقوم بتحليل الإطار العام للعلاقات الروسية الأمريكية، خاصة بعد الحرب الباردة، من خلال إبراز مختلف العوامل التي ساعدت في تطوير الصراع، بانقاله من شراكة تكتيكية إلى منافسة جيوسياسية.

ثم نقوم باستعراض لإستراتيجية كل منهما في إطار ما عرف باللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز، و كيف تضاربت هاتين الإستراتيجيتين. لنخلص في النهاية للآثار و الانعكاسات التي خلفها الصراع على مختلف الأطراف، و نبني عليه رؤيتنا المستقبلية للسيناريوهات المحتملة لهذا الصراع.

المبحث الأول: العلاقات الروسية الأمريكية بعد الحرب الباردة.

أدخل تفكك الاتحاد السوفييتي بيانات جديدة في معادلات العلاقات الدولية بشكل عام، و على معادلة العلاقات البينية بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا -وريثة الاتحاد السوفييتي-، بشكل خاص. فالعلاقات الدولية ما عادت مبنية على ثنائية القطبين المهيمنين على الشؤون العالمية، بل أصبحت مبنية على أساس قوة واحدة مهيمنة، هي الولايات المتحدة الأمريكية، بدون أي ند لها. وبطبيعة الحال، انعكس ذلك على العلاقات الروسية الأمريكية، حيث انتهجت روسيا سياسة الاتجاه نحو الغرب، في شكل شراكة. هذا التحول في سياسة روسيا تجاه الولايات المتحدة، قوبل بسياسة استعلائية أمريكية، تهدف إلى مزيد من الإخضاع لروسيا، و جعلها تابعا لها. إلا أن هذا التحول في السياسة الروسية، من شكل الصراع إلى شكل التعاون، ما لبث أن شهد تحولا آخر. ولكن، نحو التنافس من جديد، أملتة أيضا الظروف الواقعية، حيث استطاعت روسيا تجاوز مشكلة الزعامة. وكذا، تحقيق نجاحات اقتصادية مكنتها من التخلص من التبعية للغرب، و تطوير قوتها و البحث من جديد عن دور لها في الشؤون العالمية.

المطلب الأول: عوامل تطور التنافس الاستراتيجي الروسي الأمريكي بعد الحرب الباردة.

اتضح لنا منذ البداية، أن ظاهرة الصراع تمثل جوهر السياسة الدولية. و ينشأ الصراع بين الدول الكبرى نتيجة للتنافس على بسط السيطرة، و النفوذ، في المناطق التي تؤثر على إستراتيجية كل منها في مواجهة الأخرى. كما يشتد الصراع، أو تخف حدته، من منطقة إلى أخرى، تبعا لأهمية المنطقة التي يدور حولها هذا الصراع. و لقد أصبحت جنوب القوقاز مسرحا للتنافس، بل و أضحت، مرشحة للصراع الدولي بين القوى الكبرى، بشكل عام، و الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا، بشكل خاص. ناهيك عن، إمكانية حدوث صراعات بين دول المنطقة نفسها، من اجل السيطرة على ثروات، و استغلال المنطقة، ذات الطابع الجغرافي و الاستراتيجي الهام.

إجمالا، طرأت منذ مطلع التسعينات من القرن العشرين، و تحديدا منذ انتهاء الحرب الباردة، عدة تطورات، في النطاق الاستراتيجي لمنطقة جنوب القوقاز و بحر قزوين. و هذه التطورات، تركت آثارها، على إستراتيجية كل من الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا، تجاه المنطقة. و من ابرز هذه التطورات، ما يلي:

1 - انهيار الاتحاد السوفييتي:

أفرز انهيار الاتحاد السوفييتي، و استقلال جمهورياته السابقة، تحديات كبيرة، أمام دول العالم. و وضع هذه الدول، في مستقبل غامض. و كان بمثابة تدشين لمرحلة جديدة من الصراع، بين القوى العالمية. و أصبحت منطقة دول جنوب القوقاز - حوض قزوين، ساحة مهمة، لصراع هذه القوى.

إن جنوب القوقاز، على مدار الحرب الباردة، كانت شعوبه، تعيش في مناخ سياسي، و بيئة عسكرية مغلقة، نظرا لطبيعة أنظمة الحكم السائدة. و ألفت القوى الغربية، بما يمكن تسميته بطوق النجاة للجمهوريات السوفييتية السابقة، من خلال، تقديم المساعدات لها، مقابل الالتزام بانتهاج النظام الليبرالي-الغربي، سواء في بعده السياسي، أو الاقتصادي. و تسابقت هذه الدول، نحو تدعيم هذه العلاقات بالدول الغربية، و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. لذا، فإن تطورات ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، و انهيار الثنائية القطبية، دفعت بالولايات المتحدة الأمريكية، إلى القيام بمهام أوسع، على الساحة الدولية، لدرجة جعلتها تقوم بدور الشرطي الدولي. و بالتالي، كثفت وجودها في منطقة حوض قزوين - جنوب القوقاز، لما تمتلكه من ثروات هائلة، من نفط، و غاز طبيعي، و معادن، ولما تمتاز به، كمنطقة عبور نحو أوروبا أيضا.

بمعنى آخر، فإن سقوط الاتحاد السوفييتي، أحدث في المنطقة، متغيرات عديدة. فقد تغيرت القوى المهيمنة على المسرح الدولي، المفاهيم، و طبيعة الصراع، و طرق إدارته. كما، تغيرت جغرافية المنطقة، فأصبحت تحمل أسماء متعددة، لمناطق و دول جديدة، مثل: جنوب القوقاز، آسيا الوسطى، دول الكومنولث، و دول أخرى. و أصبح طبيعيا، أن تتوزع الثروات، بين دول متعددة، لكل منها توجهاتها، و علاقاتها الدولية

الخاصة. و أضحت المنطقة، مسرحا ساخنا، لسباق قوى دولية عديدة، أبرزها: الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا⁶⁶⁵.

2 - التقارب الروسي الإيراني:

نظرا لتموقع إيران وسط أكبر أماكن تواجد الطاقة، و هي منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط، و منطقة بحر قزوين ، فإنها اكتسبت أهمية إستراتيجية كبيرة، مما جعلها، همزة وصل بين هاتين المنطقتين. كما أن امتلاكها لحوالي 130 مليار برميل من احتياطي النفط الخام، و حوالي 26 تريليون متر مكعب من احتياطي الغاز الطبيعي⁶⁶⁶، مكنها من احتلال المرتبة الثانية عالميا، من حيث الاحتياطيات. هذا إلى جانب، موقعها الجغرافي و الاستراتيجي المميز، الذي جعلها دوما بؤرة اهتمام العالمي. و أيضا، قربها من دول منطقة جنوب القوقاز و منطقة آسيا الوسطى المطلة على بحر قزوين.

و يشكل ملف التعاون النووي الروسي مع إيران، خلافا مزمنا في العلاقات الأمريكية-الروسية. خصوصا، مع تصريحات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في العديد من المناسبات، بان بلاده ستواصل تعاونها مع طهران، في كافة المجالات، بما في ذلك المجال النووي⁶⁶⁷.

و جاء هذا التعاون و التقارب، ثمرة لجهود الطرفين. و لكن، ما الدوافع الروسية، وراء ذلك؟⁶⁶⁸

أ - تسعى روسيا إلى إنهاء حالة العزلة، التي سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرضها عليها. فمن خلال إيران، تستطيع موسكو خلق قدم لها، و تأكيد وجودها في منطقة آسيا الوسطى و القوقاز. و هي المناطق التي تتمتع فيها إيران، بتأثير ثقافي و حضاري مباشر عليها.

ب - التقارب الروسي الإيراني في المجال العسكري و الاستراتيجي، سوف يساعد على تسوية الخلاف، بين مجموعة دول بحر قزوين، بشأن توقيع اتفاقية استغلال ثروات البحر من النفط و الغاز، بين تلك الدول المشاطئة له. و محاولة إبعاد الدور الأمريكي، الذي يعيق الاتفاق.

ت - استعادة روسيا لمكانتها الدولية بالبحث عن حلفاء، و تكوين جبهة تصدي للهيمنة الأمريكية، المتغلغلة في القوقاز و قزوين و آسيا الوسطى.

665 عبد الناصر، سرور، "الصراع الاستراتيجي الأمريكي-الروسي في آسيا الوسطى و بحر قزوين و تداعياته على دول المنطقة: 1991-2007"، مجلة جامعة الأزهر، غزة، المجلد 11، العدد 1أب، 2009، ص 53.

666 بشير، عبد الفتاح، "أبعاد التعاون العسكري بين روسي و إيران"، مختارات إيرانية، العدد 9، افريل 2001.

667 احمد، دياب، "أمريكا و روسيا...حدود الاختلاف و آفاق التعاون"، السياسة الدولية، عدد 160، جويلية 2005، ص 164.

668 بشير، عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره.

- ث - مواجهة روسيا و إيران لتوسيع حلف الأطلسي شرقا، ليضم جنوب القوقاز و آسيا الوسطى.
ج - الحد من التأثير التركي المدعوم أمريكيا، في دول المنطقة⁶⁶⁹.

إجمالاً، يمكن القول أن، عدم مقدرة إيران على إيجاد قاعدة إيديولوجية لها، في الجمهوريات السوفيتية السابقة، لجنوب القوقاز و آسيا الوسطى. أدى بها، إلى التحرك بصفة براغماتية، حيث تقربت من هذه الدول، مع إبقائها لعلاقات مميزة مع موسكو، تعترف من خلالها بعلو كعب روسيا في المنطقة. مما سمح لها، بالحصول على معدات عسكرية، و مفاعل نووي من روسيا.

3 - الاهتمام الصيني في مجالي النفط والتسلح:

قامت الصين بنشر 752 صاروخا باليستيا قبالة سواحل جزيرة تايوان ، بما يضمن تفوقها العسكري في حال نشوب صراع عسكري محتمل في منطقة المضيق، كما قامت بإنتاج الجيل الجديد من الغواصات المزودة بالرؤوس النووية، و تتجاوز أهداف القوة العسكرية الصينية في نطاق منع استقلال تايوان إلى حماية المواقع المنتجة للبتروول و معابر نقله برا و بحرا.

و قد اعتبر الجانب الأمريكي أن هذه التطورات أسبابا كافية لنشوب صراع عسكري بين بيكين و واشنطن، الأمر الذي يتعين أخذه بعين الاعتبار و إعداد الخطط اللازمة لمواجهته خاصة و أن : " الجيش الصيني لم يعد مجرد قوة عسكرية متفوقة على الصعيد العالم النامي، بل أصبح على الصعيد العالمي"⁶⁷⁰.

أما فيما يتعلق باهتمام الصين و تطلعها نحو منطقة جنوب القوقاز فيأتي في إطار الاهتمام الصيني بمنطقة قزوين و آسيا الوسطى من خلال تخوفها من تناقص مصادر إمداد الطاقة لها، مما دفعها إلى تنويع اعتمادها على مصادر بديلة و أهمها سيبيريا الروسية و نفط كازاخستان و بالتالي فان نفط قزوين يعتبر أهم المصادر التي تعول عليها بكين لتغذية صناعاتها المتزايدة. و لقد نجحت الصين في تثبيت أقدامها في غربي كازاخستان، عندما قامت باستثمار ثلاث حقول رئيسية و توقيع عدة اتفاقيات لمد خط أنابيب ينقل النفط من قزوين إلى إقليم شينجيانغ في غربي الصين و منه إلى شنغهاي⁶⁷¹.

و يمثل التحدي الأكبر للصين في قزوين، الحضور المتنامي لشركات النفط الأمريكية، و الذي يجعل الصراع على النفط في حقيقته حربا على الأنابيب، بين الصين التي تريد توجيهه شرقا عبر آسيا الوسطى، و

669 عبد الناصر، سرور، مرجع سبق ذكره، ص 54.

670 خالد، عبد العظيم، "الصراع على النفوذ على الاوراسيا"، السياسة الدولية، عدد 161، جويلية 2005، ص 269.

671 عبد الناصر، سرور، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة .

الولايات المتحدة الأمريكية التي تريد توجيهه غربا عبر جنوب القوقاز، نحو أوروبا. ولقد أعرب بعض رؤساء الشركة الصينية للنفط في كازاخستان عن تخوفاتهم، باعتبار أن وجود قواعد عسكرية أمريكية في آسيا الوسطى يولد ضغطا و إرهابا على حكومات دول المنطقة، من أجل عدم إبرام صفقات مستقبلية لاستخراج و نقل النفط مع شركات غير أمريكية. و خاصة، مع الشركات الصينية⁶⁷².

لذلك، يتابع الخبراء العسكريون الأمريكيون بدقة متناهية التحركات الصينية و المحاولات الدعوية التي تبذلها الصين لتأمين احتياجاتها النفطية خاصة في منطقة حوض قزوين⁶⁷³.

4- أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001:

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 اتجه الفكر الاستراتيجي الأمريكي إلى إعادة التفكير في طريقة نشر و تمركز القوات الأمريكية في العالم، بما يتلاءم مع طبيعة التهديدات التي أفرزتها هذه الأحداث و مثلت الحرب على أفغانستان و العراق، و تزايد التواجد العسكري الأمريكي في جنوب القوقاز و آسيا الوسطى نماذج عن هذه الإستراتيجية الجديدة. حيث شرعت وزارة الدفاع في تنفيذ عملية واسعة النطاق لإعادة نشر قواتها في العديد من مناطق العالم⁶⁷⁴. و تشير الدلائل إلى أن جنوب القوقاز و خاصة جورجيا و أذربيجان تمثل مناطق معنية بهذه الإستراتيجية⁶⁷⁵.

5 - القواعد العسكرية الدائمة في أفغانستان:

لم يكن غزو أفغانستان مجرد رد فعل تلقائي عن هجمات 11 سبتمبر 2001، لان التحضيرات و خطط العمليات العسكرية كانت مجهزة من قبل. فالغزو كان سيحدث تحت أي مبرر لأهمية وضع أفغانستان في الجغرافيا السياسية للنفط و الغاز الطبيعي لمجمل المنطقة الممتدة من الصين إلى ألمانيا، و هو الحوض الضخم المسمى اوراسيا. بمعنى آخر، " تكمن مقاصد التدخل الأمريكي في أفغانستان في هدف قصير المدى و هو إسقاط طالبان و استئصال شبكة القاعدة، و هدف بعيد المدى، و هو التموقع الاستراتيجي في قلب منطقة اوراسيا"⁶⁷⁶.

672 Kleveman, LUTZ, "The new great game: blood and oil in central Asia", The Guardian, 2004.

673 عمار، كمال حمودة، "النفط في السياسة الخارجية الأمريكية"، السياسة الدولية، عدد 164، افريل 2006، ص52.

674 محمود، خليل، "إعادة توزيع انتشار القوات الأمريكية"، السياسة الدولية، عدد 157، جويلية 2004، ص244.

675 المرجع نفسه، ص 246.

676 عبد الناصر، سرور، مرجع سبق ذكره، ص 55.

وقد جعلت الولايات المتحدة الأمريكية من نفسها أهم اللاعبين على الإطلاق و اختارت أفغانستان لتكون نقطة الارتكاز و قاعدة أمريكية لعملياتها العسكرية في اوراسيا. لذلك قامت بإنشاء عدة قواعد عسكرية في الولايات الأفغانية مثل: كابول، هرات، بلخ، بكتيكا، خوست، قندهار. من أجل تأمين أنابيب نقل الغاز و النفط من منطقة قزوين من قبل تجمع لشركات النفط الكبيرة ، و التي تقوده يونوكال الأمريكية⁶⁷⁷.

6 - التقارب الأمريكي- الأذربيجاني:

ارتبطت أذربيجان بعلاقات وثيقة مع الولايات الأمريكية المتحدة ، وهذا بدوره أدى إلى تطوير العلاقات التركية من جهة و الإسرائيلية من جهة أخرى، و اللتين تعتمد عليهما الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط لتقويض أي تحالف محتمل بين إيران و روسيا، كما تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على حكومة أذربيجان في إمداد تركيا و إسرائيل بالنفط و الغاز، و إكمال مشروع الطاقة الشهير باكو- جيهان⁶⁷⁸. و حسب التخطيط الأمريكي لمواجهة التقارب الإيراني الروسي، سيتم نقل النفط و الغاز إلى إسرائيل عبر مد خط تحت البحر ميناء عسقلان على البحر الأبيض المتوسط و من ثم إلى ميناء ايلات على البحر الأحمر⁶⁷⁹.

وفي واقع الأمر، إن المعركة السياسية حول قزوين قد بدأت بمجابهة في افريل 1994، بين كل من أذربيجان و بريطانيا و روسيا، فقد رأت روسيا في وجود اتفاق بين انجلترا و أذربيجان نوعا من التدخل في مصالحها القومية. كما حاولت الولايات المتحدة الأمريكية عدم السماح لروسيا من الدخول في أي ترتيبات حول أنابيب خط باكو-جيهان. و في هذا الصدد، وسعت أذربيجان نطاق التعاون الأمني مع واشنطن مع خلال السماح بإقامة قاعدة عسكرية أمريكية على أراضيها⁶⁸⁰. و فعلا تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من دعم خط الأنابيب باكو-جيهان " الذي افتتح عام 2007 بنكلفة تصل إلى أربعة مليارات دولار، و ينقل النفط من منطقة القوقاز دون مشاركة روسيا⁶⁸¹.

7 - التقارب الروسي- الصيني في إطار منظمة شنغهاي:

677 المرجع نفسه، ص 56.

678 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

679 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

680 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

681 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

شهدت العلاقات الصينية الروسية تطورا ملموسا في السنوات القليلة الماضية، نظرا لتقارب المصالح بين الدولتين، خاصة في منطقة حوض قزوين. فهذه المنطقة تعتبر جزءا من المجال الحيوي لروسيا، و تتفق الدولتان على ضرورة التصدي للنفوذ المتصاعد للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة لاستثماراتها الكبيرة، خاصة مع الدول الغنية بالبترول، مثل: كازاخستان و أذربيجان، بالإضافة لتواجدها العسكري. بمعنى آخر، الاتحاد السوفييتي جلب الطمأنينة للصين بنفس القدر الذي أقلقها، فاخفاء تهديده اوجد تهديدات أخرى. و عليه، اعترفت الصين بمركزية روسيا في القوقاز - آسيا الوسطى، مقابل إنهاؤها لعزلتها الدبلوماسية و الحصول على معدات عسكرية و مدنية ذات تكنولوجيا عالية⁶⁸².

لقد أدى التعاون الروسي- الصيني في هذا المجال، إلى الاهتمام بتفعيل منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي، التي تضم بالإضافة لروسيا و الصين كلا من كازاخستان، أوزباكستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، بالإضافة إلى إيران و منغوليا و باكستان و الهند كمراقبين. و لا ينفصل التعاون بين روسيا و الصين عن الصراع العالمي حول الطاقة، خاصة مع محاولة إغلاق الباب أمام المشروع الأمريكي لنقل الطاقة غربا - باكو- جيهان- و الذي تكمن أهميته الكبرى في تجاوز نقل نفط أذربيجان، إلى نقل نفط و غاز آسيا الوسطى كلها. و بالتالي، فروسيا باعتبارها من اكبر مصدري الطاقة في العالم، تسعى إلى تعزيز مكانتها الدولية عن طريق التحكم في إنتاج و تجارة و نقل منتجات النفط و الغاز.

حيث يتوقع المراقبون أن تصبح الصين خلال المستقبل القريب، قوة ذات ثقل مؤثر، تدعم الحركة نحو نظام دولي متعدد الأقطاب. خاصة، مع تزامن توقيع إعلان إنشاء منظمة شنغهاي مع توقيع معاهدة الدفاع المشترك ضد الإرهاب الدولي و التطرف الديني و الحركات الانفصالية. و تعهد كل من الصين و روسيا بمساعدة دول جنوب القوقاز و آسيا الوسطى في مواجهة مشاكلها المتعلقة بالإرهاب و التدخل الأمريكي. و يرى الكثير من المحللين أن روسيا ستصبح أكثر شدة و حزم، في التعامل مع دول جمهورياتها السابقة. خاصة، في إطار معاهدة الأمن الجماعي العسكري التي تضم روسيا، طاجيكستان، قيرغيزستان، أوزباكستان، أرمينيا و روسيا البيضاء⁶⁸³. و لعل الحرب مع جورجيا اكبر دليل على هذا التوجه. حيث أعلن بوتين في 2005 أن: "الهدف الأساسي من منظمة شنغهاي هو منع ظهور الثورات الملونة في الفضاء السوفييتي السابق"⁶⁸⁴. و هذا التوجه الروسي الجديد يتزامن مع عدم الرضي تجاه التواجد الأمريكي العسكري

682 المرجع نفسه، ص63.

683 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

684 جمال، مظلوم، "التعاون الصيني- الروسي في إطار منظمة شنغهاي"، السياسة الدولية، العدد 164، افريل 2006، ص60.

في المنطقة، و اعتباره مصدرا للتوتر الإقليمي. كما يؤكد المساعي الروسية في التصدي للإستراتيجية الأمريكية الهادفة إلى اختراق و زعزعة المثلث الاستراتيجي الذي تسعى موسكو لإقامته مع الصين و إيران. هذه العوامل مجتمعة و غيرها، تفاعلت مع بعضها البعض في السنوات القليلة الماضية، لتدفع إلى تصاعد حدة التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا في منطقة حوض قزوين، و خاصة في جانبه الغربي على طول منطقة جنوب القوقاز.

المطلب الثالث: العلاقات الروسية الأمريكية بين الشراكة الإستراتيجية و المنافسة الجيوسياسية.

لقد تحولت الشراكة الأمريكية- الروسية لمحاربة الإرهاب تحت شعار الشراكة الإستراتيجية التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م. إلى منافسة جيوسياسية يحاول فيها كل طرف تعزيز قدرات نفوذه النسبية على جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

و لما كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه روسيا الاتحادية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، هي سياسة ثابتة. تتمثل في العمل على إعاقة إعادة ظهور روسيا كقوة إقليمية مهيمنة دبلوماسيا و استراتيجيا، أو كقوة شاملة منافسة أو ندا لها، فان حرب صيف 2008 في القوقاز، تفسر ذلك. بعدما تطورت السياسة الخارجية الروسية بالقدر الذي يسمح لها بالتأكيد على أنها قوة لا يستهان بها. فسرعة و قوة الرد الروسي على الاستفزاز الجورجي، و من ورائه حلف الناتو و الولايات المتحدة الأمريكية، بالاعتداء على اوسيتيا الجنوبية. هو في واقع الحال، رسالة من الكرملين على أن حقبة التساهل قد ولت نهائيا، و أن روسيا الجديدة قد عادت و بقوة إلى الساحة الدولية⁶⁸⁵.

1 - إشكالية العلاقات الروسية- الأمريكية بعد الحرب الباردة:

إن سياسة الإعاقة الأمريكية لدور روسيا الإقليمي و الدولي، ماثلة لدى القيادة الروسية. و لذلك، فإنها تشكل حافزا للروس لإسقاط هذه السياسة، لان روسيا ليست كتلة جامدة بل إنها قوة كبرى حتى قبل أن تتأسس الولايات المتحدة الأمريكية. و قد علمتنا حقائق التاريخ أن روسيا قد تخبو في حقبة تاريخية معينة، لكنها تنهض من جديد في حقبة أخرى. و لعل، الحرب الروسية على جورجيا، و انتزاع كل من اوسيتيا الجنوبية و ابخازيا منها، رغم تحالف هذه الأخيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، دليل على العودة الجديدة لروسيا. بل إن هذه العودة قد تتبعها منافسة حقيقية في أقاليم جيوسراتيجية أخرى، ذات أهمية للمصالح الأمريكية، في القوقاز و البلقان و آسيا الوسطى و حتى الشرق الأوسط. إذا، فهذه الانطلاقة الروسية

685 جان، رادفاني، "عندما يلعب الكبار في اوسيتيا"، لوموند ديبلوماتيك، الطبعة العربية، سبتمبر 2008.

الجديدة، قد تكون لها انعكاسات على مجمل العلاقات الروسية- الأمريكية، بخلقها لدى القيادة الروسية إرادة الصعود نحو العالمية من جديد.

2 - تطور السياستين الروسية و الأمريكية بعد الحرب الباردة:

لقد عرفت روسيا تراجعاً على الساحة السياسية الدولية في الفترة من 1991-2001، و قد غدى عجزها الجيوسياسي و انسحابها الاستراتيجي و اندثارها الاقتصادي و خسارتها لتتابعها السابقة - ماعداً بلاروسيا- فضلاً عن تقلص دائرة نفوذها لاحقاً، غدى الحركية الكبرى للنظام الدولي لما بعد الحرب الباردة.

و قد استطاعت الإدارة الأمريكية تحت رئاسة بيل كلينتون، أن ترسم هذا التراجع الدولي لروسيا في عهد الرئيس بوريس يلتسين من خلال تطويقها و حصر قوتها العظمى، و الحيلولة دون إعادة ظهورها كقوة إقليمية مهيمنة، و قوة شاملة ندا لها. خاصة، و أنها القوة الوحيدة في العالم القادرة على إحراج الولايات المتحدة الأمريكية⁶⁸⁶.

لقد استطاعت الإدارة الأمريكية أن تفكك تنازلات جيوسياسية ثمينة من الكريملين من قبيل دمج روسيا شكلياً في النظام الاقتصادي الدولي، من خلال انضمامها إلى مجموعة الثمانية الكبار في جوان 2002⁶⁸⁷. كما سحبت روسيا جيوشها من أوروبا، و سمحت للولايات المتحدة الأمريكية بتعزيز و تقوية مؤسسات الحرب الباردة، مثل: حلف شمال الأطلسي. حيث لم تصمد روسيا أبداً أمام التوسع الأول للحلف عام 1999، بانضمام كل من المجر، بولندا، جمهورية التشيك إلى الحلف⁶⁸⁸. و ما تلا ذلك من تعرض روسيا للاهانة، باستسلام الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوزوفيتش في العام نفسه، لقوات حلف الناتو، و خسارة روسيا لأقوى حليف تاريخي في البلقان و هو صربيا الأرثوذكسية⁶⁸⁹.

لكن غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر حاولت موسكو استرجاع بعضاً من خسارتها الجيوسراتيجية، بمحاولتها الدخول في شراكة مع واشنطن، من خلال استغلال التغير في بيئة صانع القرار

686 Paul-Marie, DE LA GORCE, « Washington et la maîtrise du monde », *Le Monde diplomatique*, avril 1992.

687 نورهان، الشيخ، "العلاقات الروسية- الأورواظنطية بين المصالح الوطنية و الشراكة الإستراتيجية"، السياسة الدولية، عدد 175، القاهرة 2007، ص46.

688 Nicolas, MARTIN-LALANDE, « Washington et Moscou: du partenariat (dit) stratégique à la confrontation géopolitique », France : Centre d'études transatlantiques. 17/07/2007.

689 موسى، الزعبي، "الجيوسياسية والعلاقات الدولية: أبحاث في الجيوسياسية وفي الشؤون والعلاقات الدولية المتنوعة"، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2004،

الأمريكي، بإعطائه الأولوية للأمن القومي الأمريكي، في الحرب على الإرهاب⁶⁹⁰. حيث في هذا الإطار، أيدت الغزو الأمريكي لأفغانستان في أكتوبر، 2001 بل سهلت على الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على قواعد عسكرية في بعض دول آسيا الوسطى. كما في أوزباكستان، و حتى أنها اقترحت على الولايات المتحدة الأمريكية في 23 ماي 2002، التعاون في مجال الدفاع الصاروخي⁶⁹¹.

أمام هذه التنازلات الروسية، أعلن حلف شمال الأطلسي التوسع الثاني له، على الجبهة الغربية نحو الدول العازلة لروسيا في البلطيق و أوروبا الوسطى و الشرقية في عام 2004. في أكبر توسع للحلف منذ تأسيسه عام 1949، حيث تم انضمام كل من: بلغاريا، استونيا، لاتفيا، ليتوانيا، رومانيا، سلوفاكيا و سلوفينيا⁶⁹².

كما أن هذه التنازلات لم تمنع سياسة إدارة الرئيس جورج بوش الابن من مواصلة نفس نهج الإدارة التي سبقتها، من خلال إتباع إستراتيجية الإطاحة بروسيا، و زعزعة مكانتها في المجال السوفييتي السابق، بالحيلولة دون ظهورها ثانية كقوة منافسة لها، بالعمل على إضعافها من خلال التحرك و التدخل في دوائر النفوذ التي يصعب على موسكو التحكم بها، و مساندة القوى السياسية الموالية للديمقراطية، فضلا عن العمل على تشكيل المعارضة التي تولد عبر المظاهرات الديمقراطية، و كذا زيادة المناورات العسكرية في محيطها⁶⁹³.

لقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مع حلف الناتو الفاعل الرئيسي، من خارج المنطقة الإقليمية، في المجال السوفييتي السابق. بإعادة نشر التشكيلات العسكرية الأمريكية القائمة منذ الحرب الباردة، في كل من بلغاريا، رومانيا و بولندا. كما قدمت المؤسسات و المنظمات الأمريكية الدعم المالي و التنظيمي للثورات الملونة التي اجتاحت جورجيا، أوكرانيا و قيرغيزستان. و هيجت النعرات الاثنية و العرقية من البلقان إلى البلطيق إلى آسيا الوسطى مرورا بالقوقاز⁶⁹⁴.

690 نزار، إسماعيل الحياي، مرجع سبق ذكره، ص 45.

691 محمد، السيد سليم، "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، السياسة الدولية، عدد 170، مركز الأهرام القاهرة 2007، ص 43.

692 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

692 نزار، إسماعيل الحياي، "العلاقات الروسية-الأمريكية من الشراكة الإستراتيجية إلى المنافسة الجيوسياسية"، قضايا سياسية، ص 44.

693 Nicolas, MARTIN-LALANDE, Op. Cit.

694 موسى، الزعبي، مرجع سبق ذكره، ص 101.

بالنظر إلى كل ذلك، كان لزاماً أن تحل المصالح الجيوسياسية المتنافسة محل المصالح النادرة في ميداني الطاقة و الاقتصاد. لاسيما، و أن التجارة البينية بينهما ما تزال في أدنى مستوياتها. فضلا عن عدم تمكن اللوبي الروسي في واشنطن، من لعب أي دور فاعل. لاسيما وان، أي ضغط على موسكو عن طريق التجارة سيكون مكلفا و مضرا للأوروبيين و الأمريكيين على حد سواء، أكثر من تكاليفه و أضراره على روسيا⁶⁹⁵.

امتلكت الإدارة الروسية الجديدة منذ 2004، كل الوسائل لتحقيق سياساتها و ذلك راجع لهامش الحركة السياسي و الدبلوماسي الذي يتمتع به الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بفضل دعم الرأي العام المعبأ بشعارات القومية، فضلا عن دبلوماسية البترول التي حققت رفاهية القطاع العام⁶⁹⁶. و كذا نجاح الإدارة الروسية في تطوير المجال الاجتماعي و محاربة الفساد. باستغلالها لارتفاع أسعار النفط و ارتفاع عائدات مبيعات الأسلحة في تحسين الوضع المالي للدولة. و بالتالي، إعادة زرع عامل الثقة في فريق عمل بوتين، على خلفية نجاحه في معالجة آثار كوارث حقبة التسعينات، التي كادت أن تقلس فيها روسيا، و تجردها حتى من وجودها الجيوسياسي في اقرب المناطق لها⁶⁹⁷.

إن انتفاضة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بوصفه انهيار الاتحاد السوفييتي بأكبر كارثة جيوبوليتيكية في القرن العشرين. و وضعه حدا لمرحلة الانتظار، و الانتقال من الدفاع إلى الهجوم البلاغي، و الجيوسياسي، من اجل تعزيز الوحدة الإقليمية للفيدرالية الروسية، و من ثم إرساء مكانتها. يبرز بشدة، من خلال سعيه إلى تعميق التوجه الاوراسي، و السهر على إعادة بعث الكريملين دبلوماسيا، و استراتيجيا، كقوة إقليمية، باستغلال خسارة هيئة البيت الأبيض، كسلطة أخلاقية، و كمصادقية إستراتيجية، في العراق و أفغانستان⁶⁹⁸. بإعلانه لمبدأ بوتين، المتضمن للعناصر التالية:

- التركيز على برامج الإصلاح الداخلي على حساب السياسة الخارجية.
- التركيز على تطوير دور روسيا الاتحادية في عالم متعدد الأقطاب، لا يخضع لهيمنة قوة عظمى واحدة.

695 احمد، السيد نجار، "روسيا و الغرب: هل تصلح العقوبات لإدارة العلاقات"، تحليلات عربية دولية، منشورات مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية، الأهرام، العدد

44467، القاهرة، سبتمبر 2008.

696 Nicolas, MARTIN-LALANDE, Op. Cit.

697 نزار، إسماعيل الحياي، مرجع سبق ذكره، ص45.

698 المرجع نفسه، ص46.

- العمل على استعادة دور روسيا في آسيا و الشرق الأوسط.
- عدم السماح للغرب بتهميش دور روسيا في العلاقات الدولية.

ثم أضاف ثلاث عناصر جديدة في السياسة الخارجية، و هي:

- إذا استمر توسع حلف الناتو شرقاً، فإن روسيا ستسعى إلى دعم الترابط بين جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق لحماية منطقة دفاعها الأول.
- معارضة روسيا للأحادية القطبية، و لكنها ستعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية في قضايا عدة مثل: الحد من التسلح و حقوق الإنسان.
- إن روسيا ستعمل على دعم بيئتها الأمنية في الشرق و من ثم تقوية علاقاتها مع الصين و الهند و اليابان⁶⁹⁹.

و لعل سبب هذا التوجه نحو اوراسيا، يعود لعدة عوامل، أهمها السياسة الانفرادية للولايات المتحدة الأمريكية، التي همشت الدور الروسي. عن طريق عدم اكتراثها بالمعارضة الروسية لغزو العراق عام 2003، أو التشاور مع روسيا حول مستقبل كوسوفو، فضلاً عن ارتفاع أسعار النفط، التي سمحت بتحقيق زيادة في الناتج القومي الروسي⁷⁰⁰. مما جعل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يجاهر عدة مرات برفضه للسياسة الأمريكية، وامتعاضه منها. حيث حذر في فيفري 2007. إدارة بوش من أن لجوئها الأحادي إلى استخدام القوة المسلحة و مشروعها لنظام الدفاع المضاد للصواريخ الباليستية في أوروبا، من شأنه أن يشجع الدول المارقة على حيازة السلاح النووي. و كذا، السياق نحو التسلح⁷⁰¹. كما أشار أيضاً، في انتقاده للنازية، بقوله: "إن الأخطار التي شكلتها النازية لم تختف، وإنما اتخذت أشكالاً جديدة، فأفكار الرايخ الثالث التي تتسم باحتقار الشعوب و السعي للهيمنة على العالم مازالت قائمة"⁷⁰². في استعارة مكنية على أن الخطر الأمريكي يعادل الخطر النازي. بالإضافة إلى انه لم يخفي أبداً، رغبته في عودة التعددية القطبية بدل الأحادية القطبية غير المرغوبة و المستحيلة، وانه على روسيا، أن تكون احد هاته الأقطاب العالمية⁷⁰³.

699 محمد، السيد سليم، مرجع سبق ذكره، ص ص 42 - 43.

700 المرجع نفسه، ص 43.

701 Nicolas, MARTIN-LALANDE, Op. Cit.

702 محمد، السيد سليم، مرجع سبق ذكره ، ص 44.

703 المرجع نفسه، ص 43.

و عليه يمكن القول إن التفاعلات بين الهيمنة الشاملة الأمريكية المتعاضمة و المتعطرسة، و القوة الإقليمية الروسية الساعية إلى الانبعاث من جديد، ولدت خلافات عدة جيوسياسية، رغم الشراكة التي عقدت فيما بينهما عادة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، التي انكشف أنها شراكة لمرحلة عارضة تكتيكية، أكثر من كونها لمرحلة إستراتيجية. و مع ذلك، من المبكر الحديث عن حرب باردة جديدة. إذ أن التنافس على النفوذ لا يزال على مستوى الكلمات و العبارات⁷⁰⁴.

أما السياسة الأمريكية تجاه روسيا، فهي ما تزال نفس السياسة البراغماتية الواقعية، سيما، و أن الحرب الجديدة ما تزال محدودة جغرافيا في المجال السوفيتي السابق من ناحية، و من ناحية أخرى، فإن أي تهديد أمريكي أوروبي لعرقلة استكمال انضمام روسيا إلى منظمة التجارة العالمية، قد استبفته موسكو بالإعلان عن قدرتها الاستغناء عنه. فضلا عن، أن هذا التوجه سيضر بتوجه الغرب، فيما يتعلق بتحرير العلاقات الاقتصادية الدولية⁷⁰⁵.

3 - الملفات المؤدية للصراع في العلاقات الروسية الأمريكية:

تكتسي العديد من المناطق، أهمية جيوسراتيجية لروسيا الاتحادية، و الولايات المتحدة الأمريكية، في الوقت نفسه. نظرا لما تتمتع به تلك المناطق من مميزات إستراتيجية، اقتصادية و سياسية. و لعل أهم هاته المناطق: أوروبا الوسطى و الشرقية، منطقة البلقان، منطقة القوقاز، منطقة آسيا الوسطى، ومنطقة الشرق الأوسط. و لكن ما يهمنا هنا في دراستنا، هو منطقة القوقاز، ذات الأهمية الإستراتيجية المتزايدة. خاصة، وان هناك العديد من القضايا و الملفات المرتبطة بها، و المؤثرة في العلاقات الروسية الأمريكية. هذه الملفات، شديدة التعقيد و التشابك، لكن يمكن حصرها في أربع ملفات أثرت بشكل واضح في رفع حالة الصراع و هي:

أ - مسألة توسيع حلف شمال الأطلسي:

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى توسيع حلف شمال الأطلسي، من خلال زيادة أعضائه، حيث أصبحت جمهورية التشيك و هنغاريا و بولندا، أولى دول حلف وارسو المنحل، التي تنضم إلى حلف شمال

704 نزار، إسماعيل الحياي، مرجع سبق ذكره، ص46.

705 المرجع نفسه، ص47.

الأطلسي. ثم قرر وزراء الناتو في اجتماع لهم في براغ في نوفمبر 2002 ، توجيه دعوات رسمية لكل من: استونيا، لاتفيا، سلوفينيا، سلوفاكيا، بلغاريا و رومانيا للانضمام للحلف. كما تقدمت كل من كرواتيا، ألبانيا و الجبل الأسود بطلبات الانضمام إلى الحلف الأطلسي. الأمر الذي زاد من قلق و مخاوف روسيا، التي اعتبرته تحدياً أمريكياً يهدف إلى وصول الناتو إلى حدودها⁷⁰⁶.

بالرغم من عدم حماسة أعضاء الحلف، باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية لتوسيعه، في أعقاب التوسع الكبير عام 2004. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية و بغرض تطويق روسيا، قامت بدعم جهود الدول الأخرى الراغبة في الانضمام إليه، مثل: ألبانيا، كرواتيا، مقدونيا، اوكرانيا و جورجيا⁷⁰⁷.

أما روسيا فقد رفضت رفضاً قاطعاً خطط التوسيع، ووجهت تحذيرات صريحة للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة فيما يخص توسيعه ليشمل أوكرانيا و جورجيا. إذ اعتبرت انه تم استغلال حالة الضعف الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، من أجل رسم خريطة جيوسياسية جديدة للمنطقة. بحيث تكون خارج النفوذ الروسي، وعليه فروسيا ترفض أي تدخل على حدودها.

إن بقاء مسألة توسيع شمال حلف الأطلسي مطروحة، ستسهم بشده في استمرار التوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا في المستقبل المنظور.

ب - برنامج الدرع الصاروخي الأمريكي:

يعد ملف برنامج الدرع الصاروخي الأمريكي من أبرز الملفات التي تركت بصمتها الواضحة في العلاقات الروسية الأمريكية، حيث انه قد تم اعتباره من كلا الطرفين ذو علاقة مباشرة، بالأمن القومي. فبينما اعتبرته الولايات المتحدة الأمريكية، عاملاً فاعلاً لصالح حفاظها على أمنها القومي، و امن مصالحها في مختلف أرجاء العالم. فقد اعتبرته روسيا في المقابل عاملاً مهدداً لأمنها القومي. حيث شكل خروجاً عن المؤلف العالمي بعد 1972، عندما اتفقت القوتان العظمتان آنذاك، على إبقاء العلاقة البنينة بينهما محكومة وفق مبدأ الردع المتبادل، فقدره الطرف الأول على الهجوم وقدره الطرف الثاني على الرد، تردع الطرف الأول و تمنعه من التفكير بالهجوم، حتى و لو امتلك القدرة على ذلك. فروسيا تعتبر استكمال المشروع هو

706 عامر، هاشم عواد، " التحول في العلاقات الروسية الأمريكية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد26، سبتمبر 2010، ص59.

707 بال، دوناي و زدسلو، لاتشوفسكي، " الأمن و المؤسسات الأوروبية" في، التسلح و نزع السلاح والأمن الدولي: الكتاب السنوي 2007 ، ترجمة عمر الأيوبي،

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ص114.

نهاية للردع المتبادل، لأنه يعني تفوق أمريكي غير مسبوق، و انكشاف استراتيجي لروسيا، بعد فقدانها لميزة الردع المقابل⁷⁰⁸.

من خلال كل هذا، فقد اثر ملف الدرع الصاروخي الأمريكي سلبا في العلاقات الروسية الأمريكية، للأسباب الواردة سلفا. فكلما تصاعدت الدعوات الأمريكية لاستكمال بناء المشروع، خاصة الإدارات الجمهورية، زاد ذلك من توتر العلاقات بين الطرفين. و على العكس، كلما صدرت تلميحات أو إشارات بإمكانية وقف البرنامج، ازداد الحديث عن قرب انفراج في العلاقات بينهما. و ذلك فضلا عن عوامل التكلفة الكبيرة و عدم وضوح الجدوى العملية للبرنامج، و رفض الكثير من الأطراف الأوروبية له. فالرفض الروسي، و اتخاذ روسيا لإجراءات متعددة، أبرزها البدء بسباق تسلح عالمي جديد، تعد من العوامل التي وقفت في وجه استكمال المشروع⁷⁰⁹.

رفض روسيا لهذا المشروع و رفض التبريرات الأمريكية، بأنه موجه نحو إيران وليس نحوها، عبر عنه في العديد من المرات سواء من الرئيس الروسي السابق ميديديف، حين اعتبر أن النظام الصاروخي لا يخدم امن أوروبا، و هو دعوة صريحة للمشاركة في سباق التسلح. أو من خلال الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين، الذي اعتبر أن نشر النظام الراداري في التشيك بمثابة نشر نظام كامل للتجسس عليها، وان إقامة أمريكا لمثل هذه النظم الصاروخية في بولندا، أو أي دولة في المجال السوفييتي السابق، هي اكبر دليل على عدم احترام المصالح الروسية⁷¹⁰.

على ما تقدم، يمكن اعتبار استمرار الولايات المتحدة الأمريكية في تنفيذ المشروع، سيقود العلاقات الروسية الأمريكية إلى مزيد من التوتر، و سيضاعف من سرعة سباق التسلح العالمي. أما العكس، أي التوقف عن البرنامج، سيقود إلى نتائج أخرى ايجابية حتما.

ت - القضية الجورجية :

ترتبط القضية الجورجية ارتباطا وثيقا و مباشرة بقضية توسيع حلف شمال الأطلسي، فروسيا تعتبر انضمام جورجيا إلى الحلف بمثابة خط احمر، لا يمكن تجاوزه. و لذلك، نظرت بعدائية إلى المطالب الجورجية، بالانضمام إلى الحلف. وكان لذلك أثره الواضح في اشتداد العداء مابين روسيا و جورجيا.

708 عامر، هاشم عواد، مرجع سبق ذكره، ص60.

709 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

710 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

بالعودة إلى تاريخ العلاقات الروسية الجورجية، تسهل ملاحظة أجواء المد و الجزر التي سادته. فلطالما رغبت روسيا في القضاء على التوجهات و الخيارات الأطلسية لجورجيا. إلى أن تطورت الأحداث إلى تدهور العلاقات ما بين البلدين. و رغم الخطوات التي اتخذها الكرملن الروسي من تهديد بالتدخل العسكري على الحدود مع الشيشان، و الغارات الجوية، و رفع الحصار عن أبخازيا⁷¹¹. إلا أن جملة هذه التهديدات زادت من تدعيم العلاقات ما بين تبليسي و واشنطن بشكل ملحوظ، إذ اتخذت في المقابل الولايات المتحدة الأمريكية، عدة خطوات مضادة للسياسات الروسية. فقد تم تشكيل جمعية الدول المعارضة للموقف الروسي، في المناطق الانفصالية G.U.M.A برعاية أمريكية. كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بنشر مستشاريها العسكريين في جورجيا، في الوقت الذي أصبحت فيه هذه الأخيرة، همزة وصل بين قزوين و الغرب في نقل النفط .

إلا أن العلاقات الروسية الجورجية وصلت إلى ذروة تأزمها في صيف 2008، أين أعلنت موسكو الحرب على جورجيا، على خلفية اوسيتيا الجنوبية و ابخازيا. وفي المقابل، لم يستطع الغرب شيئاً تجاه هذا التحرك الروسي المفاجئ، و غير المسبوق⁷¹².

وفي ضوء ما سبق، يجب أن يقرأ أثر الحرب الروسية الجورجية في العلاقات الروسية الأمريكية، حيث عملت الولايات المتحدة الأمريكية، بدرجة عالية من التنسيق مع الجانب الجورجي. وكشف عن ذلك التنسيق، قيام الولايات المتحدة الأمريكية بنقل المقاتلين الجورجيين من ساحة الحرب في العراق، إلى ساحة الحرب في جورجيا. فضلا عن الحشد الإعلامي الأمريكي ضد روسيا⁷¹³ وإذا كان من أهم تداعيات حرب القوقاز، أنها أعادت لروسيا هبة الدولة الكبرى عسكريا، وبخاصة أوروبا، فان هذا الملف لا يمكن أن يغلق، إلا إذا انتهت خطط توسيع الناتو، أو إذا تخلت جورجيا عن خططها بالابتعاد عن المنظومة الروسية.

ث - الملف النووي الإيراني:

يعتبر الملف النووي الإيراني من أهم ملفات الصراع بين روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تجلى أثره بوضوح في العلاقات ما بين البلدين. فإيران من وجهة النظر الأمريكية تشكل أكبر التحديات التي

711 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

712 المرجع نفسه، ص 61.

713 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

يجب التعامل معها على وجه السرعة⁷¹⁴، بينما لا ترى روسيا في البرنامج النووي الإيراني ما يستدعي تخوف الولايات المتحدة الأمريكية، أو المجتمع الدولي، وتعتبره سلمياً⁷¹⁵.

لقد أصبح هذا الملف واحد من الملفات التي تثيرها الولايات المتحدة الأمريكية في كل المناسبات، ومع كل الأطراف. و كان من الطبيعي، أن تثار هذه القضية مع روسيا، التي تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية الحليف العسكري لإيران. في سعي منها لفك طلاس ذلك الحلف، ومنع تصدير التكنولوجيا النووية لإيران، لما في ذلك من تهديد للمصالح الأمريكية و الغربية، في كل من الخليج العربي و تأثير ذلك في الصراع العربي الإسرائيلي⁷¹⁶. وفي ضوء مواصلة روسيا موقفها الداعم لإيران بامتلاك التقنية النووية، لم يكن مستبعداً لجوء الكونغرس الأمريكي إلى صياغة قانون يفرض حظراً على الشركات الروسية المتعاملة مع طهران⁷¹⁷.

وعلى ما تقدم، فإن هذا الملف يعد مهماً في تحديد العلاقات التي ستقام مستقبلاً بين روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية، رغم الاتفاق التاريخي الذي تم التوصل إليه في هذا الصدد. إلا أن بذور الشك و الريبة مازالت تحوم حوله. خاصة بعد دعوة الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب إلى إعادة النظر في بنود ذلك الاتفاق.

من خلال كل ذلك، فإن طريقة معالجة هذه الملفات، ستكون لها الأثر الواضح في العلاقات الروسية الأمريكية. خاصة إذا تم الاستمرار في النهج ذاته، مما يعني إبقاءها كأدوات للصراع الروسي الأمريكي.

المبحث الثاني: اللعبة الكبرى الثانية و الصراع في جنوب القوقاز.

يرشح الكثير من الباحثين منطقة القوقاز، المحصورة بين بحر قزوين بثرواته الاقتصادية، والبحر الأسود بأهميته العسكرية، كأحد أبرز بؤر التنافس العالمي في القرن الواحد والعشرين، إن لم نقل المنطقة الأولى بعد الخليج العربي، حتى وصفت من قبل بعضهم بكونها خليج عربي ثاني في القرن الحادي والعشرين، والأرقام المؤكدة وحدها تكفي لإبراز أهمية هذه المنطقة ومكانتها القادمة في الإستراتيجية الدولية.

714 المرجع نفسه، ص 61.

715 عماد، فوزي شعبي، "البرنامج النووي الإيراني بين الحقائق و التضخيم"، آراء حول الخليج، عدد48، سبتمبر 2008، ص29.

716 احمد، عبد الله ناهي، "روسيا و الملف النووي الإيراني"، آراء حول الخليج، عدد48، سبتمبر 2008، ص55.

717 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

إن هذه المكانة ليست واضحة اليوم كما ينبغي، بحكم الاهتمام الدولي الذي لا يزال مركزا على منطقة الشرق الأوسط و الخليج العربي بقضاياها الشائكة و العالقة، وبحكم أن دول القوقاز وما جاورها، لم يبدأ الاستثمار الحقيقي فيها حتى الآن، ولم تتحول إلى قوة مالية ذات شأن، مع ذلك، فإن مجموعة من الدول الفاعلة على المستوى الإقليمي والدولي، تدرك كما يجب، الأهمية المستقبلية لدول المنطقة. فسواء لأسباب اقتصادية أو جيواستراتيجية أو ثقافية أو أمنية... هذه العوامل مجتمعة أو منفردة، ستدفع بهذه الدول لدخول تنافس حاد للفوز بهذه المنطقة⁷¹⁸.

إن العالم في وقتنا الحاضر، يدخل مرحلة انتقالية من العالم الثنائي القطبين إلى الصيغة العالمية من تعدد الأقطاب، والتي تبدو حسب البروفيسور سانتورو، أنها تعكس المنطق القديم للجيوبوليتيكا في الثنائية القطبية أي: التيلوروكراتيا في مواجهة التالاسوكراتيا. فبالرغم من سقوط الاتحاد السوفيتي، إلا أن العالم كله لا يزال يحمل الطابع الثابت للحرب الباردة، والتي يبقى منطقها الجيوبوليتيكي مسيطرا. فإذا كانت كل من تركيا وإيران من أهم هذه الدول المتنافسة على المنطقة على المستوى الإقليمي، تبرز على المستوى الدولي كل من روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية، كقطبين متنافسين يسعىان بكل ما توفر لديهما من مهارات جيواستراتيجية و إمكانيات مادية إلى إخضاع واحدة من أهم وأكثر مناطق العالم ثراء، بشكل يعيد سيناريو الصراع الأمريكي الروسي أثناء الحرب الباردة، بكل ما يحمله هذا الصراع من أبعاد أمنية و جيوبوليتيكية. مستحضرا من جديد مصطلح اللعبة الكبرى، الذي كان قد أطلق على الصراع الروسي البريطاني حول ثروات هذه المنطقة في بدايات القرن الماضي⁷¹⁹.

المطلب الأول: الإستراتيجية الروسية.

لا يمكن بأي حال من الأحوال تشكيل تصور وفهم متكامل لمنطق سلوك خارجي لدولة ما تجاه قضية أو منطقة محددة، ما لم يتم التعرف على السياق الاستراتيجي العام الذي جاء في إطاره هذا السلوك لاسيما عندما يتعلق الأمر بسلوك خارجي لدولة كبرى، أين يكون أي تصرف خارجي لها مضبوطا بقواعد محددة مسبقا، ومتماشيا مع التطورات الكبرى لهذه الدولة تجاه العالم ومناطقه الحيوية، وهنا تتحول هذه السلوكات كتكتيكات مدروسة مكرسة لخدمة الإستراتيجية الكبرى لهذه الدولة الفاعلة⁷²⁰.

718 صابر، ايت عبد السلام، "التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة"، منونة جسور الدراسات الدولية، يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على

الرابط: http://internationalstudiesbridges.blogspot.com/2012/04/blog-post_3335.html

719 المرجع نفسه.

720 المرجع نفسه.

1 - التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة:

تعتبر روسيا الجديدة واحدة من الدول الفاعلة والمؤثرة في النظام الدولي الراهن، فعلى الرغم من بعض المشاكل التي تواجهها حاليا والمتعلقة أساسا بتبعات الأزمة الاقتصادية العالمية وبعض المشاكل الأمنية التي يسعى المسؤولون الروس إلى علاجها إلا أنها وبلغة الأرقام تمتلك أكثر من ورقة رابحة تؤهلها للعب دور قيادي على خشبة المسرح الدولي، فهي تتمتع بثقل سياسي يمثل المقعد الدائم في مجلس الأمن الدولي، وهي الوريث الشرعي لتركبة الاتحاد السوفيتي القوة العظمى إلى غاية نهاية الثمانينات، وهي التي تشغل 76.5% من مساحة هذا الأخير لتعتبر بذلك أكبر دولة في العالم من حيث المساحة، كما ورثت 51% من عدد سكانه أي ما يقارب 148 مليون نسمة مشكلة خامس أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان، دون أن ننسى امتلاكها لثاني أكبر قوة عسكرية تقليدية في العالم، وأكبر قوة عسكرية في كل من أوروبا وآسيا، كل هذه الأرقام تعطي لهذه الدولة هامشا معتبرا للمناورة والمشاركة الفعالة في صناعة القرارات الإقليمية والدولية المهمة⁷²¹.

ولعل التغيرات الجوهرية التي أصابت الدولة الروسية الحديثة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والمتمثلة في التحول من قوة عظمى إلى قوة كبرى أو إقليمية، ومن دولة ذات نظام اشتراكي يسيطر عليه حزب وحيد ونظام اقتصادي يعتمد على التخطيط المركزي إلى دولة تبنت رسميا نظام اقتصاد السوق والانفتاح على التعددية الحزبية، كل هذه التغيرات جعلت من دراسة سلوك روسيا الخارجي أمرا غاية في الصعوبة⁷²².

سنحاول التطرق في هذا الجزء، إلى أهم المحددات التي نراها محورية في توجيه سلوك روسيا الخارجي:

أ - بيئة صناعة القرار الروسي:

إن المصالح الوطنية للدول تصنعها، النقاشات والتداخلات والتفاعلات الداخلية بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين في الدولة بحيث تسعى كل مجموعة للتأثير على صانع القرار بما يتماشى ومصالحها، وهذا بالاعتماد على تحالفات وطنية أو قد تكون فوق قومية، تفرض على الحكومة أخذها بعين الاعتبار أثناء صناعة القرار سواء الداخلي أو الخارجي للدولة، وتتم عملية صنع القرار في روسيا في إطار بيئة عامة تتضمن أربع عوامل رئيسية هي:

721 المرجع نفسه.

722 المرجع نفسه.

• الإطار الدستوري للدولة الروسية: تنقسم روسيا إلى 89 مقاطعة موزعة كالآتي: 21 جمهورية، 06 مقاطعات، 49 إقليم، مدينتان فدراليتان (موسكو، وسان بطرسبرغ)، إقليم واحد ذو حكم ذاتي (الإقليم اليهودي)، عشر مناطق ذات حكم ذاتي. وتتفرد الحكومة المركزية في موسكو (الفدرالية) حسب دستور 1993 بالأمور الخاصة بالتجارة الخارجية و رسم سياسة الخارجية للدولة وتوقيع المعاهدات وأمور الحرب والسلام. وكل ما يتعلق بالدفاع والأمن القومي والإنتاج الحربي وبيع الأسلحة والمعدات العسكرية. وكذا الأمور المتعلقة بالدفاع عن حدود الدولة وإقليمها البري، البحري والجوي. و الأمور الخاصة بالطاقة النووية والأنشطة الفضائية⁷²³.

• الثقافة-السياسية: ترتبط الثقافة السياسية الروسية بشكل أساسي بأزمة الهوية والبحث عن دور جديد لروسيا ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي خاصة و أن التفتت المذهل، السريع وغير المتوقع للإمبراطورية السوفيتية أدى إلى موجة كبيرة من الانتقاد الذاتي في روسيا وإلى جدال واسع حول ما ينبغي أن يكون عليه التعريف الذاتي الروسي في المرحلة التاريخية الراهنة، وإلى نقاشات مكثفة على المستويين الرسمي والعام حول قضايا محورية مثل: ماهية روسيا؟ أين تقع روسيا؟ ما الذي يعنيه أن تكون روسيا؟ لاسيما وأن الجواب على هذه الأسئلة يحمل دلالات جيوبوليتيكية هامة جدا، فهل أن روسيا دولة قومية تستند إلى عرقية روسية محضة، أم أن تحمل في تعريفها دلالات أكبر، ثم ما هي الحدود الحقيقية لروسيا، تاريخيا، جغرافيا، استراتيجيا وعرقيا؟⁷²⁴

• التكوين الاجتماعي: تعتبر روسيا دولة متعددة القوميات، وتعتبر خامس أكبر دولة من حيث عدد السكان في العالم بحسب إحصاء 2008، كما ينتمي سكانها إلى 130 جماعة عرقية، مختلفة بشكل الروس أربع أخماس السكان أي ما يقارب 130 مليون أما الخمس المتبقي فينتهي أفراده إلى قوميات وأعراق أخرى أهمها: التتر 5 مليون نسمة، الأوكرانيون 4 مليون، الشوفاشيون 1.7 مليون، اليهود 1.7 مليون، البشكيريون 1.3 مليون...الخ. أما من حيث الديانة فتعتبر روسيا دولة متعددة الأديان حيث تقدر نسبة معتقي الديانات المختلفة ب: 40% حيث يوجد حوالي 9000 طائفة دينية تسيطر عليها الطائفات المسيحية الأرثوذكسية، في حين يمثل البروتستانت أقلية ب: 2 مليون بروتستانت أما الإسلام فيشكل ثاني أكبر ديانة في روسيا بحوالي 19 مليون مسلم متمركزون في جمهوريات الاتحاد الروسي المسلمة هي: بشكيريا، داغستان، كاباردا بالكاريا، أوسيتيا الشمالية، نترستان، أنغوشيا والشيشان⁷²⁵.

723 المرجع نفسه.

724 المرجع نفسه.

725 المرجع نفسه.

• الأوضاع الاقتصادية: بالرغم من بعض الاضطرابات البنيوية والاعتماد الكبير على تصدير المواد الطاقوية، قلة الاستثمارات الخارجية المباشرة وعدم وجود سياسة واضحة للتنوع الاقتصادي. إلا أن الاقتصاد الروسي استطاع استرجاع عافيته حيث تم تسجيل إنجازات ماكرو-اقتصادية معتبرة، بفعل الارتفاع الذي شهدته أسعار البترول والغاز باعتبارهما يشكلان المصدر الاستراتيجي في الصادرات، حيث تحتل روسيا المرتبة الأولى في الإنتاج وثاني أكبر مصدر للبترول الخام الشيء الذي صنفها ضمن قائمة الدول البترولية وسمح لها بتسجيل ارتفاع ملحوظ لاحتياطي الصرف الروسي بالعملة الصعبة، بالإضافة إلى تحسن لأداء المؤسسات الاقتصادية وارتفاع الدخل الوطني الخام ليلعب 6880 دولار للفرد، كذلك ارتفعت وتيرة الاستثمارات الحكومية الشيء خلق جو ملائم للاستثمار الخارجي، بالإضافة إلى اعتماد الإستراتيجية الروسية على هذه المادة الحيوية لتسديد الديون الخارجية بحيث تذهب 50% من المداخيل لهذا الغرض كذلك تركز الإستراتيجية الطاقوية الروسية على السوق الأوروبية حيث تزوده ب: 50% من حاجياته من البترول كوسيلة لتنويع الزبائن وعدم البقاء تحت رحمة الزبون الأمريكي. كما أن استحواذ روسيا على 26.7% من احتياطي الغاز في العالم واعتبارها أول منتج للغاز في العالم بنسبة 22.1% من الإنتاج العالمي جعل منه ورقة رابحة بالنسبة للسياسيين الروس خاصة في الوقت الذي تعرف فيه منطقة الشرق الأوسط حالة عدم استقرار دائم⁷²⁶.

ب - النظام الجيوبوليتيكي الجديد في القوقاز:

يعطي دوغين أهمية لثنائية الشمال و الجنوب من خلال تقسيمه للمناطق إلى أنظمة جيوبوليتيكية جديدة و فق خطوط الطول و دوائر العرض و استخدامه ذلك في تدعيم ركائز الإمبراطورية الاوراسية بزعامة روسيا⁷²⁷.

فبما أن غالبية الأراضي الجنوبية في روسيا و مناطقها الإستراتيجية تتفق و الأراضي المتميزة عرقيا ، ثقافيا و دينيا عن حضارة الروس- باستثناء البلقان و أوكرانيا- فالمحاور الجيوبوليتيكية يجب أن تبنى بكل صلابة وفقا لخطوط الطول. و من هنا نصل إلى نتيجة انه ينبغي تعزيز جميع العمليات التكاملية العمودية وفق خطوط الطول و الحيلولة دون إقامة كافة العمليات الأفقية و فق دوائر العرض⁷²⁸.

نفس المبدأ يجب أن يطبق على منطقة القوقاز التي تتكون من مستويين جيوبوليتيكيين هما القوقاز الشمالي و أراضي ثلاث جمهوريات قوقازية في الجنوب هي جورجيا ، أذربيجان و أرمينيا. فهذه المنطقة ما

726 المرجع نفسه.

727 الكسندر ، دوغين، مرجع سبق ذكره، ص ص 118-128.

728 المرجع نفسه، ص 397.

بين البحر الأسود و قزوين تمثل مجموعها عقدة إستراتيجية في غاية من الأهمية، لأن الشعوب التي تسكنها تتميز بديناميكية اجتماعية هائلة و بتقاليد جيوبوليتيكية عريقة جدا، ثم إن المنطقة تتاخم مباشرة تركيا الأطلسية، التي تهيمن استراتيجيا بدورها على المنطقة المحاذية⁷²⁹.

فهذه المنطقة هي واحدة من أضعف نقاط المدى الجيوبوليتيكي الروسي، و ليس من قبيل الصدفة أن تكون هذه الأراضي بالذات مسرحا لأهم الحروب بين روسيا ، إيران و تركيا. فالسيطرة على القوقاز، تفتح بوابة على البحار الدافئة. و أي زحزحة للحدود- نحو الجنوب أو نحو الشمال- تعد نصرا ، أو هزيمة لمجموع القوى القارية التيلوروكراتية⁷³⁰.

إن الطبقات العمودية الثلاث لمجموع هذه المنطقة: الأراضي الروسية، القوقاز الشمالي الداخل في روسيا، ثم جنوب القوقاز بامتداداته نحو تركيا و إيران. ترسم لنا حدود المناطق الاثنية فيما وراء القوقاز و التي يجب دعمها. و من المهم مثلا ، العمل بكل الوسائل، على قطع الشيشان الانفصالية الفعالة عن داغستان و انغوشيا، بإغلاق المنفذ على بحر قزوين. فإذا تركنا للشيشان جورجيا الممتدة من الجنوب فقط، كان ممكنا السيطرة عليها جيوبوليتيكيًا من جميع الأرجاء، و تصبح إدارتها ممكنة عن طريق جورجيا الأرثوذكسية . كما، و ينبغي ربط داغستان و انغوشيا جزئيا بجورجيا، و هو ما يمكن أن يؤدي إلى إيجاد منطقة قوقازية شمالية، ذات حكم ذاتي، متطورة اقتصاديا. إلا أنها ، من الناحية الإستراتيجية، خاضعة خضوعا كليا لروسيا، و ذات توجه أوراسي. و يمكن لإعادة التقسيم المشتركة لشمال القوقاز، أن تحل أيضا، المشكلة الأوسيتية. لأن التشكيلات الاثنية الجديدة، مثل: اوسيتيا الموحدة، يمكن أن تفقد معنى التشكيلات القومية-الحكومية، إذا ما اكتسبت معنى: اثنيا و ثقافيا و لغويا و دينيا. و إتباعا لمنطق خطوط الطول نفسه، من المهم أيضا، ربط أبخازيا بروسيا⁷³¹.

هذه الخطوات موجهة جميعا، نحو تحقيق هدف جيوبوليتيكي واحد، هو تدعيم المجمع الأوراسي القاري، و تجهيزه، للصراع مع الأطلسية. و لهذا، يمكن تسمية هذه الخطة بالنظام الجيوبوليتيكي الجديد للقوقاز. و هو يفترض، التخلي عن النظرة التقليدية للتشكيلات السياسية كدول - أمم، من خلال إعادة

729 المرجع نفسه، ص 401.

730 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

731 المرجع نفسه، ص ص 401-403.

التقسيم للوقائع السياسية القائمة حالياً، و الانتقال إلى نموذج المركز-الأطراف، حيث يجب أن تتحدد بنية الأطراف، لا وفق التعددية السياسية، بل وفق التعددية الأثنية - الثقافية⁷³².

كما يمكن تطبيق هذا، من خلال خطة إقامة الفدرالية القوقازية، التي يمكن أن تتضمن في داخلها جمهوريات قوقازية، ثلاثاً من مجموعة الدول المستقلة، مثلما تتضمن أيضاً، تشكيلات ذات حكم ذاتي داخل روسيا. و بهذا، يكون المركز قد تنازل لمجموع هذه المنطقة عن الاكتفاء الذاتي الثقافي- الاقتصادي، و لكن، يكون قد ضمن المركزية الإستراتيجية، في حدودها القصوى. ومن شأن ذلك، أن يؤدي إلى نظام مرن، حتى أقصى الحدود، يقوم لا على العنف و الاحتلال و صب التنوع القوقازي الكثير في قالب واحد، بل على وعي وحدة المصير القاري و روحه الجماعية⁷³³.

يمكن هنا أن تلعب أرمينيا دوراً جيوبوليتيكياً خاصاً، فهي تمثل الحلف التقليدي و المأمون بالنسبة لروسيا في القوقاز، باعتبارها القاعدة الإستراتيجية الأهم، من أجل الحيلولة دون التوسع التركي نحو الشمال و الشرق، أي نحو مناطق العالم الطوراني، في آسيا الوسطى. و على العكس من ذلك، تكتسب أرمينيا في الأفق الجيوبوليتيكي الهجومي، أهميتها كجماعة اثنو- ثقافية، تتواصل بصورة مستمرة نحو الجنوب نحو الأراضي التركية، بمحاذاة جبل أرارات، رمز أرمينيا القديمة المقدس. كما أن، القرابة اللغوية و العرقية التي تربط الأرمن بالأكراد، تمثل عامل اثني مهم، يمكن استخدامه للضغط على تركيا. بالإضافة إلى، أهميتها كمعبر بري، يخترق القوقاز بكامله، و يربطه ربطاً محكماً بروسيا. كما انه، لأرمينيا أهمية أخرى، من خلال قربتها الأثنية مع إيران، مما يسهل إقامة محور موسكو- يرفان- طهران ذو التوجه الأوراسي⁷³⁴.

و نحو إيران أيضاً، يجب ربط أذربيجان، من خلال التأكيد على الهوية الشيعية، و الروابط التاريخية بين أذربيجان الجنوبية و إيران، مما يعني، أن الشعاع الاستراتيجي الأهم لموسكو نحو طهران عبر يرفان، يمكن أن يتدعم أيضاً، بشعاع موسكو- باكو- طهران⁷³⁵.

و الأهم، في كل هذا النظام الجيوبوليتيكي يتجلى بوضوح، القانون الجيوبوليتيكي، القائم على أن العمليات الأفقية (دوائر العرض) تثير النزاع و الصراع و العلاقات الطولية (خطوط الطول) تؤدي إلى الاستقرار و الثبات. و يلقي هذا، أفضل تعبير له، في النزاع الأرميني- الأذري، حول ناجورنو كاراباخ.

732 المرجع نفسه، ص ص 403-404.

733 المرجع نفسه، ص 404.

734 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

735 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

لهذا، على موسكو لضمان استقرار المنطقة كلها، أن تقيم صلات مباشرة مع كاراباخ، لتجعل من هذه البقعة نقطة التوازن في مجموع النظام الجيوبوليتيكي القوقازي. ومن أجل ذلك، يجب أن تتخذ المفاوضات الكاراباخية في صورتها الأفضل أربعة أطراف هي: أذربيجان، أرمينيا، روسيا و إيران، مع استبعاد، لكافة المشاركين الأطلسيين، الذين لا جدوى من حضورهم السياسي في المنطقة، بسبب تصورات جيوبوليتيكية⁷³⁶.

ت - مرتكزات صنع السياسة الخارجية الروسية:

فرضت المقتضيات الأمنية التي سادت في فترة الحرب الباردة على الإتحاد السوفيتي دعم إستراتيجية الردع والسباق نحو التسلح في محاولة دائمة لتفادي أي خلل أو تغيير يطرأ على مسألة توازن القوى بحيث تأخذ ضرورة المواجهة العقائدية بين الاشتراكية والرأسمالية النصيب الأكثر أثناء اتخاذ أي قرار فيما يخص السياسة الخارجية. و بالتالي، فقد ظلت سياسة الردع القائمة على استعراض القوة تسيطر على مرحلة الثنائية القطبية مع الحرص على عدم الدخول في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ما أدى إلى تبني سياسة خارجية، تحكمها الأسس العقائدية والتحدي في ظل دبلوماسية تدعمها قوة السلاح⁷³⁷. لكن مع سقوط الاتحاد السوفيتي، فإن أولويات السياسة الخارجية الروسية عرفت تغيرا واضحا:

• أولويات السياسة الخارجية الروسية في السنوات الأولى بعد سقوط الإتحاد السوفيتي

كانت السياسة الخارجية الروسية تعتمد على مبدأ التقليل من أضرار تفكك المعسكر الشيوعي ومحاولة إعادة تنظيم البيت الداخلي في محاولة لإعادة النهوض حيث تم التخلي على المنطق العسكري الهجومي وقد ظهر ذلك من خلال الإعلان عن سحب قواتها على مسافة 1500 كلم نحو الشرق وبالتالي التخلي عن منطقة وسط أوروبا. والتخلي عن فكرة توازن القوى و التخلي عن مبدأ الاستفادة من التناقضات الإمبريالية⁷³⁸.

هذا ولقد تأثرت السياسة الخارجية الروسية في فترة حكم بوريس يلتسين بالفوضى التي لحقت سقوط الاتحاد السوفيتي والمشاكل التي واجهتها روسيا في تطبيق النموذج الغربي الليبرالي بحيث تبنى يلتسين ما يعرف بنموذج العلاج بالصدمة في المجال الاقتصادي. بالإضافة إلى الأزمات والنزاعات الحدودية على

736 المرجع نفسه، ص 405.

737 المرجع نفسه.

738 المرجع نفسه.

أطراف الدولة التي دفعت بيلتسين إلى طي صفحة الخلاف مع الغرب والاهتمام بالمشاكل الداخلية و الإعلان عن جملة من الركائز الأساسية والمتمثلة في:⁷³⁹

- صياغة مفهوم الخارج القريب ويقصد به ضمان الصلة التي تربط بين روسيا من جهة، والدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي سابقا.

- ضمان حصول روسيا على وضع خاص ومميز عند صياغة أمن أوروبي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، وإعطائها دور يليق بمكانتها كدولة كبرى ومؤثرة إقليميا، حيث لم تدخر الدبلوماسية الروسية جهدا في التأكيد على طرح هذا المفهوم للعظمة في الساحة الدولية وما يتبع ذلك من حقوق لها في مجال نفوذها الطبيعي كما ورثته عن الإتحاد السوفيتي.

- الوضعية الجغرافية لروسيا بين القارتين الآسيوية والأوروبية تعني أنها مهمة بجميع المسائل الهامة في القارتين، ولا يجوز أن تعالج أي من هذه المسائل من دون مشاركة روسيا.

- استثمار عضوية روسيا في مجلس الأمن في إقامة علاقات ودية ومثمرة مع جميع دول العالم.

- سعي روسيا إلى المشاركة في جميع المحافل الدولية، والانتماء إلى المنظمات الدولية، والدخول في مجموعة السبعة على الرغم من أن مشاكلها الاقتصادية لا تسمح لها بمشاركة فعالة والتأثير على القرارات في هذه المجموعة.

- إقامة علاقات وثيقة مع الاتحاد الأوروبي، واعتباره شريك أساسي ومهم خاصة في المجال الاقتصادي، والتخلي عن فكرة أن هذا الاتحاد يعتبر "الركيزة الأوروبية للحلف الأطلسي".

- الحرص على الاحتفاظ بترسانة الأسلحة النووية واعتباره كعنصر في التفاوض مع الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الحصول على مزايا وتدعيم وضع روسيا في الساحة الدولية.

- العمل على تأمين الحدود الأورو-آسيوية، وضمان أمن الأقليات العرقية في روسيا من خلال تشكيل منظمة تجمع الدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي (كومنولث الدول المستقلة) تحت زعامة روسيا والقيام بدور الضامن الشرعي للاستقرار السياسي والعسكري في هذه المنطقة، وتحقيق الاعتماد المتبادل و تشابك المصالح مع هذه الدول.

• أولويات السياسة الخارجية الروسية في عهد فلاديمير بوتين:

شهدت روسيا مرحلة جديدة من تاريخها بوصول فلاديمير بوتين للحكم حيث كان الوضع الاقتصادي مستقرًا نسبيًا حيث سجل الاقتصاد تحسناً ملحوظًا بلغ 11% ما أدى إلى حدوث فائض في الميزانية دعمه ارتفاع سعر برميل البترول، كذلك حظيت الحرب في الشيشان بالدعم الشعبي، ما يعني أن بوتين كان يتمتع بهامش معتبر للتحرك⁷⁴⁰. أما عن سياسته الخارجية فيمكن تقسمها إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى (2000-2004) فترة عهده الأولى: بدأت ملامحها بالظهور حتى قبل تعيين بوتين رئيسًا، حيث أولى اهتمامًا كبيرًا بتطوير علاقة روسيا مع الغرب معتمداً بذلك خيار الاستمرارية مع الدبلوماسية البييلتسينية من خلال إقامة علاقات أكثر دفئًا بين روسيا والغرب وإلى إعادة بناء جسور الثقة التي هدمتها طائرات حلف الأطلسي مع هجومها على كوسوفو 1999م. كما سعى الخطاب الرسمي إلى الترويج لفكرة "العالم متعدد الأقطاب" مع مراعاة عدم إثارة توترات مع الغرب، خاصة وأن البلاد خرجت لتوها من أصعب الأزمات الاقتصادية لفترة ما بعد الاتحاد السوفيتي وهي "أزمة 1998" وعليه لا يمكن السماح لروسيا بارتكاب أي أخطاء في سياستها الخارجية وأكثر من ذلك السعي لعدم الدخول في صراع مع أي من الدول الغربية⁷⁴¹.

- المرحلة الثانية (2004-2008) فترة العهدة الثانية: ظهرت ملامحها مع إعادة تنصيب بوتين للمرة الثانية على رأس هرم السلطة في روسيا عام 2004. و تميزت هذه المرحلة بتدهور العلاقات بين روسيا والدول الغربية بصفة عامة ومع الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص ولعل ذلك يرجع إلى تشابك العديد من العوامل والظروف كالتناقضات الواضحة داخل المجتمعات الغربية فيما يخص مسألة دعم روسيا واعتبرها دولة غريبة، و كذا خيبة أمل موسكو بشأن مدى صدق نوايا العواصم الغربية في مرافقة ودعم التحولات في روسيا، الحرب الأمريكية في العراق، القلق الأمريكي الرسمي من تنامي القوة الروسية وانتهاكها لحقوق الملكية الخاصة، وإتباعها سياسات حمائية واتهام بوتين بأنه رئيس شيوعي بثوب ليبرالي، ومعاد للاقتصاد الحر⁷⁴². مما أدى ببوتين إلى الإعلان عن النقاط الخمس للاستراتيجية الروسية في السياسة الخارجية:⁷⁴³

- ✓ اعتماد السياسة الخارجية كأداة من أدوات تطوير البلاد.
- ✓ أولوية العلاقات مع دول الخارج القريب.

740 المرجع نفسه.

741 المرجع نفسه.

742 المرجع نفسه.

743 المرجع نفسه.

- ✓ الحرص على إقامة علاقات متوازنة مع أوروبا وحلف الأطلسي.
- ✓ الحاجة إلى الشراكة مع الولايات المتحدة الأمريكية.
- ✓ البدء بالتعاون مع الدول الواقعة في الساحل الآسيوي من المحيط الهادي بهدف تطوير سيبيريا.

هذه النقاط الخمس تحمل في طياتها العديد من الدلالات حيث أصبحت السياسة الخارجية في عهد بوتين أكثر تحديدا ووضوحا، من خلال:

- ✓ تراجع الكريملين عن فكرة الاندماج في المجمع الأوروبي على الأقل في المدى القريب.
- ✓ التحرر من العقدة الهوياتية المتمثلة في الانتماء الروسي هل يكون ضمن الحضارة الغربية أم الشرقية.
- ✓ اللجوء إلى سياسة أكثر واقعية تحاول إحداث توازن بين الطموحات الكبيرة لروسيا وإمكاناتها التي تبقى محدودة.
- ✓ محاولة الابتعاد عن فكرة المواجهة مع الغرب وتكثيف الجهود الرامية إلى ضمان دور مهمين لروسيا في خارجها القريب⁷⁴⁴.

هذه السياسة الخارجية الجديدة تسعى للبحث عن طريق ثالث في العلاقات الدولية، طريق لا يسعى إلى الاندماج مع الغرب، وفي نفس الوقت لا يسعى إلى المواجهة معه، أو إلى "شراكة انتقائية" مع الغرب قائمة على أساس الحفاظ على المبادئ والأسس والقيم الروسية، طريق يمكن أن نختصره بالعبارة "معا ولكن منفصلين" حيث كتب المفكر ديمتري ترينين محللا السياسة الخارجية لبوتين قائلا: "بعد تغلبها على أزمة هويتها تقدم روسيا نفسها كلاعب دولي مستقل، مبعدة نفسها عن الغرب، وأفضل ما يمكن أن تقول هو أنها تسعى للعب دور القوة العظمى تحت ظروف دولية جديدة." بينما وصف أندرو كوتشينز الصيغة الجديدة لدور روسيا الدولي بأنه تفاعل أكبر، بدل من تكامل مع الغرب"⁷⁴⁵.

رغم تعدد التحليلات واختلافها إلا أنه من المؤكد أن روسيا في عهد بوتين سعت إلى التكيف مع واقعها الجيوسياسي الجديد في وقت كان تحولها الداخلي لا يزال ناقصا وهذا بالرغم من كون شكل هذه الدولة الخارجي يوحى بالعظمة (ترسانة نووية إستراتيجية، احتياطي ضخم من البترول والغاز، مستوى عالي من

744 المرجع نفسه.

1 صابر، ايت عبد السلام، "التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة"، مدونة جسر الدراسات الدولية، يوم 17.07.2016 على الساعة

البحث العلمي...) إلا أن أداءها الاقتصادي على وجه الخصوص يشير إلى ضعف كبير حيث يضعها في مرتبة بلجيكا أو هولندا، حيث صرح بوتين في خطابه للأمة قائلا: "إن الهوة المتزايدة بين الدول الصناعية وروسيا جعلتنا نتقهقر إلى مصاف دول العالم الثالث"⁷⁴⁶.

• أولويات السياسة الخارجية الروسية في ظل حكم ديمتري ميدفيدف:

حدد الرئيس السابق لروسيا ديمتري ميدفيدف السياسة الخارجية الروسية في 5 نقاط أساسية أطلق عليها اسم مبادئ ميدفيدف⁷⁴⁷، وهي:

- اعتراف روسيا بمبادئ القانون الدولي التي تحدد العلاقات بين الشعوب المتحضرة وبناء علاقاتها مع الدول الأخرى ضمن إطار هذه المبادئ وهذا المفهوم للقانون الدولي.
- العمل من أجل عالم متعدد الأقطاب، ورفض فكرة الأحادية القطبية والهيمنة حيث قال مدفيدف: "ليس في وسعنا قبول نظام عالمي تكون ناصية اتخاذ القرار فيه ملك دولة واحدة حتى لو كان بلدا قويا وناظدا كالولايات المتحدة الأمريكية. فعالم كهذا سيكون عالم غير مستقر ومهدد بالصراعات.
- التأكيد على أن روسيا دولة تحب السلام، ولا تسعى إلى الدخول في مواجهة مع أي بلد، كما انه ليس لدى روسيا أي نية في عزل نفسها. بحيث تسعى إلى إقامة علاقات ودية مع أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية وأكبر عدد ممكن من الدول الأخرى.
- إن حماية أرواح وكرامة المواطنين الروس حيثما كانوا تعتبر أولوية بالنسبة لروسيا، وستبنى قرارات السياسة الخارجية على هذه الضرورة، كذلك حماية مصالح رجال الأعمال الروس في الخارج والردّ على أي أعمال عدوانية ترتكب ضد روسيا ومصالحها.
- إعطاء أهمية لدول الجوار الروسي التي سماها ميدفيدف ببلدان صديقة وجارات حميمة ستولي لها روسيا اهتماما بالغا.

وختم ميدفيدف خطابه قائلا: "هذه المبادئ التي سأتبعتها في تطبيق سياستنا الخارجية، أما بالنسبة إلى المستقبل فإنه لا يتوقف علينا وحسب بل على شركائنا وأصدقائنا في المجتمع الدولي والخيار متاح لهم"⁷⁴⁸.

⁷⁴⁶المرجع نفسه.

⁷⁴⁷المرجع نفسه.

⁷⁴⁸ المرجع نفسه.

تحمل هذه النقاط العديد من الدلائل، فالنقطة الثانية، توضح عدم قبول روسيا بالهيمنة الأمريكية على النظام الدولي، والنقطة الثالثة توضح أنه في الوقت الذي تريد فيه روسيا علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إلا أن هذا الأمر مرهون بسلوكهما اتجاه روسيا، كما توضح النقطة الرابعة أن روسيا سوف لن تدخر جهدا في حماية مصالح الروس في العالم وهذا قد يضع إمكانية التدخل في شؤون الدول الأخرى لتحقيق هذا الغرض، أما النقطة الخامسة فهي جد أساسية حيث تشير أن للروس مصالح مميزة في دول الإتحاد السوفيتي السابق وأنها ستسعى لبناء علاقات ودية معها وسيعتبر أي تدخل بمثابة تهديد للأمن الروسي الذي يستوجب الرد.

ث - العقيدة الدفاعية الروسية:

مند انهيار الاتحاد السوفيتي، شهدت قضايا الأمن والتوجهات الإستراتيجية العامة للكيان الروسي الجديد جدلا وخلافا شديدين في داخل مراكز صنع القرار الروسي لاسيما بين القيادتين السياسية والعسكرية، حيث أدى انتهاء الحرب الباردة إلى تغيرات كبرى في الفكر الاستراتيجي بحيث ظهرت الحاجة إلى إعادة صياغة توجهات إستراتيجية جديدة تراعي طبيعة المرحلة الجديدة وتكون أكثر تجاوبا مع المعطيات الدولية، الإقليمية أو الداخلية. من خلال إعادة النظر في بعض مصادر العقيدة العسكرية السوفييتية و ذلك انطلاقا من:

- التخلي عن الأيديولوجيا، حيث تم إلغاء النظرية الماركسية- اللينينية كمصدر من مصادر العقيدة العسكرية الروسية، وتم استبدالها بمقتربات فكرية، أكثر واقعية ترجع أسباب الحروب إلى حالة الفوضى التي تطبع النظام الدولي، وإلى أسباب ذات طبيعة سياسية، واقتصادية، وإثنية-عرقية.
- التخلي عن فكرة المواجهة الإستراتيجية الكونية، بحيث تغيرت نظرة روسيا إلى المعضلة الأمنية، و لم تعد عالمية الأبعاد، بل أصبحت هذه الاهتمامات ذات طبيعة إقليمية، تقتصر على فكرة الأمن القومي للدولة الروسية، و الأقاليم التي تشترك معها في الرقعة الجغرافية المجاورة لها.
- تعديل مبادئ بناء القوات المسلحة الروسية بحيث أصبحت تهدف إلى تحقيق الحد الأدنى من الاحتياجات الأمنية الدفاعية، و ما ينطوي عليه ذلك من تخفيض لوتيرة الإنفاق العسكري، و إلغاء حالة الاستنفار وعسكرة المجتمع.
- تغيير القواعد التي تحكم التصعيد النووي، و التخلي عن فكرة الحرب النووية، و وضع التصعيد النووي في آخر سلم التصعيدات. بحيث لا يتم اللجوء إليه، إلا في حالة حرب تقليدية واسعة

النطاق، مع استبعاد استعمال هذه الأسلحة ضد دولة غير نووية، و موقعة على معاهدة منع الانتشار النووي، ما لم تكن متحالفة مع دولة نووية⁷⁴⁹.

وعليه، فقد تم بناء العقيدة العسكرية الروسية على خمسة مبادئ تحوي القضايا ذات الأهمية في الفكر العسكري الروسي:

- مبدأ احتواء العدوان: حيث ركزت القوات المسلحة الروسية على بناء قوات كافية للتصدي لأي تهديد محتمل بما يولد صورة لدى العدو المحتمل أن الخسارة التي يتكبدها أثناء الهجوم على روسيا ستفوق بكثير الأرباح.

- الإعداد للحروب المحلية والإقليمية: بعد أن كان الإعداد في وقت سابق يكون للحروب الكونية، حيث تم إعداد القوات الروسية للحروب المحلية.

- الاهتمام بتطوير التكنولوجيا العسكرية: حيث زاد الاهتمام بالقوة الجوية وأنظمة الدفاع الصاروخي والأسلحة ذات التقنية العالية.

- الاهتمام بقضايا الانتشار الاستراتيجي: سيما الانتقال بالقوات من حالة السلم إلى حالة الحرب، ونقل الجنود والمعدات من وسط روسيا إلى أطراف الدولة.

- الواقعية في فن الحرب: التركيز على البحث العلمي وتوجيهه نحو خدمة الأهداف الراهنة⁷⁵⁰.

أما عن العقيدة العسكرية الروسية مطلع القرن الواحد والعشرين فقد تم الإعلان عنها في وثيقة الأمن القومي لروسيا الاتحادية في بداية القرن 21م و تضمنت ما يقارب 3000 توصية موجهة للقيادتين المدنية والعسكرية، بحيث تتألف من ثلاث أبواب رئيسية هي:

- الأسس العسكرية والسياسية: وقد تناول هذا الباب الأوضاع السياسية والعسكرية في الداخل و في الخارج و الأخطار الرئيسية على أمن الدولة الروسية مع تحديد هيكل القيادة والتنظيمات العسكرية.

- الأسس العسكرية الإستراتيجية: تتناول طبيعة الحروب والنزاعات المحتملة وكذلك تشكيل بنية القوات المسلحة ومهامها، وعلاقات روسيا تجاه الدول الأخرى.

- الأسس العسكرية الاقتصادية: حيث تناول أساليب التمويل للصناعات والمؤسسات العسكرية المنوط بها عملية التدريب، التطوير والبحوث⁷⁵¹.

749 المرجع نفسه.

750 المرجع نفسه.

751 المرجع نفسه.

استكمالاً لوثيقة الأمن القومي صدرت وثيقة أخرى تتعلق بالعقيدة العسكرية الروسية، تم التركيز فيها

على:

- الموقف الجيوبوليتيكي: الذي أدخل محاولة بعض الدول منع النفوذ الروسي في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى والتهديد الذي يمثله حلف الناتو.

- الأخطار العسكرية: وتتمثل في خطر حدوث حروب على الحدود من الدولة الروسية.

- تدهور الموقف الاقتصادي والاجتماعي: الذي يستلزم إعادة النظر في تقوية قوات الحدود وظروف تمويل هذه الإصلاحات⁷⁵².

وفي 5 مارس 2007 أعلن مجلس الأمن القومي الروسي عن وضع عقيدة عسكرية جديدة حيث صرح وزير الدفاع الروسي إيفانوف قائلاً: "يجب على عقيدتنا العسكرية أن تأخذ بعين الاعتبار التوسعات التي تقوم بها آلة الحرب الغربية والمتمثلة في حلف شمال الأطلسي التي أخذت تقترب من حدود دولتنا، ولهذا فإننا مرغمون على التصدي لهؤلاء الذين يريدون ربح مواقع بدعم أوكراي وجورجي" وقد برر مجلس الأمن القومي الروسي اللجوء إلى تعديل العقيدة العسكرية بما يلي:

- سعي السياسات العسكرية للدول الرئيسية إلى تحديث و عصرنة قواتها المسلحة تفرض على روسيا مواكبة هذا الركب.

- سعي بعض الدول إلى تغيير هيكله قواتها المسلحة وتواجدها المسلح وكسب حلفاء والمقصود هنا دائماً هو حلف الناتو.

- الانتشار الأمريكي الاقتصادي، السياسي والعسكري المقلق في منطقة النفوذ التقليدي الروسي والتي اعتبرها "تهديد على الأمن الوطني"⁷⁵³.

2 - تنفيذ الإستراتيجية الروسية في منطقة جنوب القوقاز:

رغم أن النفوذ الروسي في جنوب القوقاز قد تراجع بشكل ملحوظ إلا أن القيادة الروسية تصر على الإبقاء والضغط في الاتجاه المعاكس. من خلال سياستها المدفوعة بطموح مرحلة ما بعد الإمبراطورية حيث أنها عازمة على البقاء اللاعب الخارجي الرئيسي في المنطقة على المدى القصير والمتوسط، باستخدام موارد قوتها الناعمة لتعزيز موقعها الإقليمي. من خلال التركيز على الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية.

752 المرجع نفسه.

753 المرجع نفسه.

إن جنوب القوقاز مع صراعاته البينية المحتملة، يقدم ساحة معقدة لاستخدامات القوة الناعمة الروسية. حيث تأثيرات النفوذ الروسي متنوعة. فنجدها اقتصادية وعسكريه في أرمينيا، وقليلة و نادرة في أذربيجان، أما جورجيا فمرتبطة أساسا بالنظرة السلبية لاقتصادها. فكيف يمكن ترجمة التأثير الاقتصادي إلى تأثير سياسي. إن الاستثمارات الروسية في دول جنوب القوقاز تتطوي على دوافع سياسية قوية أساسها إحباط التوغل الغربي هناك وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ساعد على ذلك ضعف اقتصاديات هاته البلدان.

فروسيا تمتلك نفوذا ضخما في أرمينيا بحيث أصبح هذا النفوذ يشكل دعامة للسلطة الأرمينية، وعدم وجوده يشكل مصدر قلق للقيادة الأرمينية. أما في أذربيجان و كذا جورجيا فالنظرة لروسيا مازالت تحكمها المخاوف الأمنية التقليدية، مما جعل تأثير القوة الناعمة الروسية في اقل مستوياتها، خاصة وأنهما تشتركان في اعتبار أن 20% من أراضيها محتلة، وبدعم روسي.

1 - الدمج بين القوة الصلبة والقوة الناعمة:

إن استعراض روسيا لقوتها الصلبة في جورجيا في أوت 2008 كانت له آثار اقل فعالية مما كان يبدو في البداية. فرغم أن روسيا حققت معظم أهدافها من الحرب من خلال تقديم دفعة معنوية لقوتها العسكرية، استعراض لقوتها أمام الغرب ، اهانة الحكومة الجورجية و إذلالها، والأهم من ذلك كله إيقاف توسيع حلف شمال الأطلسي، إلا أنها دفعت ثمنا لذلك من خلال زعزعة صورتها في المجتمع الدولي. كما كشفت الحرب على نقاط ضعف في الهياكل شبه الإقليمية من خلال هيمنة روسيا عليها مثل رابطة الدول المستقلة (C.I.S.)، ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي (C.S.T.O.). رغم انه لم تعترف أي دولة من هاته الدول باستقلال كل من اوسيتيا الجنوبية وأبخازيا.

فرغم أن روسيا عموما تفضل عدم اللجوء إلى التدخلات العسكرية غير المجدية ، ولكن البعض يعتبر أن حرب 2008 كانت بمثابة إعلانا بنهاية أي نوع من أنواع القوة الناعمة الروسية. فجلسات الاستماع لمجلس الدوما بعد الحرب حول السياسة الروسية تجاه جورجيا و أثارها على المستوى الدولي اتسمت بالنقاش الساخن . حيث ركزت على تضائل النفوذ الروسي المباشر في جورجيا إلى حد كبير منذ توليها فعليا السيطرة على أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية، اللتان كانتا بمثابة ورقة ضغط على جورجيا وفقدتا أهميتهما الآن، خصوصا بعد العزلة التي أصبحت تعيشها جورجيا دوليا مما جعل التأثير الروسي الآن الأقل منذ سقوط الاتحاد السوفيتي.

ومع ذلك، واصلت روسيا استثماراتها في بعض البنى التحتية الجورجية، فالعداء السياسي وقطع العلاقات الرسمية لم تمنع استمرار الاستثمارات الروسية في جورجيا⁷⁵⁴. فعلى الرغم من أن روسيا ليست من المرجح أن تجني أي فائدة سياسية هناك إلا أنها لا تزال تدعم سياستها تجاه مواطنيها 68,000 الذين يعيشون في جورجيا، كما أنها لا تزال تدعم نشاط عدد من المنظمات غير الحكومية و أحزاب المعارضة الموالية لها. كما أنها استخدمت دبلوماسيتها وقوتها الناعمة في وجه جورجيا من خلال تشويه سمعتها وتبرير الغزو الروسي عام 2008. باعتبارها راعية للسلام هناك⁷⁵⁵.

- أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا:

على النقيض من ذلك، ازداد النفوذ الروسي في أوسيتيا الجنوبية و أبخازيا. أكثر مما كان عليه قبل 2008، فالكيانين يعتمدان بشكل كامل على روسيا، فبالإضافة إلى التواجد العسكري الروسي فان روسيا لا تزال تصدر جوازات سفر الروسية لسكان الإقليمين، وكذا تشجيع السياحة والاستثمار في مجال الرعاية الصحية، وتبرم العقود و الاتفاقيات مع الحكومات الانفصالية، من خلال دعم الاستثمارات الروسية هناك، وزيادة معدلات تدريس اللغة الروسية في المدارس، وتوفير وتطوير شبكات النقل البري الجوي. كما تم إجراء الاستكشافات الجيولوجية والتنقيب عن النفط قبالة سواحل أبخازيا⁷⁵⁶.

لم تكن بالطبع، الوصاية الروسية على نحو سهل فالتكاليف و المشاكل المرتبطة بها تجعل من هذه النجاحات هي على الأرجح مؤقتة. فليست هناك رغبة شعبية في أبخازيا أن تكون جزءا من روسيا. خاصة وان لديها تقليد طويل من الحكم الذاتي، وتطمح إلى الاستقلال الكلي. في حين أن أوسيتيا الجنوبية، كانت دائما تعتمد بشدة على موسكو.

وينظر لعلاقة روسيا مع جنوب القوقاز عموما في إطار علاقتها مع شمال القوقاز. فمنذ فترة طويلة تعتمد روسيا رؤية موحدة منطقة "القوقاز الكبير"، حيث لطالما كانت مشاكل الشمال لديها أصول في الجنوب. فالاستقرار في الشمال يعني ضرورة السيطرة على الجنوب. حتى أن ميدفيديف كان واضحا في اعتبار أن التعاون بين أرمينيا وأذربيجان، والقاعدة العسكرية الروسية في غيومري بأرمينيا، هي لضمان السلام في كامل القوقاز⁷⁵⁷.

⁷⁵⁴ James, NIXEY, «The Long Goodbye: Waning Russian Influence in the South Caucasus and Central Asia », In *The Means and Ends of Russian Influence Abroad Series*, London : The Chatham House, June, 2012. P.3.

⁷⁵⁵ Ibid.

⁷⁵⁶ Ibid.

⁷⁵⁷ Ibid. P.4.

ناجورنو كاراباخ

لقد استند دعم روسيا لأرمينيا في نزاع ناجورنو كاراباخ على عدة مصالح: الحد من النفوذ التركي، والتصدي للتمرد الأذربيجاني في السنوات الأولى من الاستقلال، وتأثير اللوبي الأرميني الكبير في روسيا. وقد كان لموقع روسيا الدور الفاعل في التأثير على طرفي النزاع. ومع ذلك، لم يتغير دعمها لموقف أرمينيا في السنوات الأخيرة: فرغم جهود الوساطة الروسية إلا أن أصحاب المصالح يصرون على استمرار التوتر والوضع الراهن من أجل تحقيق المزيد من الربح المالي والنفوذ السياسي. فوساطة روسيا مرتبطة ارتباطا وثيقا بلعبة النفوذ حول إقليم ناجورنو كاراباخ. فالانتقاد الروسي لقوة حفظ السلام الدولية والتغييرات المتتالية في واجهة مجموعة مينسك، التي تتوسط في النزاع منذ 1992⁷⁵⁸. واقترح روسيا نشر قواتها بدلا من ذلك. كلها تدل على استفادة روسيا من الوضع الحالي. كما أن الغموض حول إمكانية دعم روسيا لأرمينيا عسكريا إذا ما قررت أذربيجان استعادة السيطرة على الأراضي بالقوة. هو عامل ضبط النفس الأذربيجاني حتى الآن. ففي القمة الثلاثية في قازان في جوان 2011 أعربت أذربيجان عن شكوكها حول مبادرة السلام الروسية الجديدة. حيث أنها لا تزال تعتبر روسيا وسيط غير نزيه، وربما يرجع ذلك جزئيا إلى الخلفية الأرمينية لكبير المفاوضين الروس سيرجي لافروف⁷⁵⁹. في الحقيقة إن أي تجدد للمواجهة في ناجورنو كاراباخ من شأنه أن يضر بمصالح روسيا في أذربيجان وتركيا. خاصة، إذا تمكنت أرمينيا من الحصول على المساعدات العسكرية. فأمن خط أنابيب نقل الطاقة من شأنه أيضا أن يتأثر، وروسيا تعطي الأولوية لأمن الطاقة والربح المالي على التلاعب بالصراع.

2 - الاستثمارات الاقتصادية الروسية:

إن الاستثمارات المباشرة لروسيا في جنوب القوقاز ليست كبيرة، لكنها كبيرة بالنسبة لحجم اقتصاديات الدول المتلقية، وتدفق الاستثمارات عموما. وعلاوة على ذلك، فهي تتركز في قطاعات رئيسية مما نتج عنها آثار سياسية غير متناسبة. فجورجيا وأذربيجان يبقيان على استخدام أنظمة الطاقة والنقل الروسية لتعزيز نفوذهما في الأقاليم المتمردة مما سهل عليهما ممارسة سلطتهما المركزية.

⁷⁵⁸ Ibid.

⁷⁵⁹ Thomas, DE WAAI, «Can The “Medvedev Moment” Be Saved for Karabakh? », RFE/RL Commentary, 28 July 2011, http://www.rferl.org/content/medvedev_moment_saved_nagorno_karabakh_kazan/24279692.html.

في عام 2003، قامت شركة أنظمة الطاقة المتحدة (UES)، بدمج جنوب القوقاز في شبكة إمدادات الطاقة بقيادة روسيا من خلال عشرة جمهوريات سوفيتية سابقة، فضلا عن خطط لضمان تدفق الكهرباء من أرمينيا إلى تركيا وأذربيجان. مما أعطى لروسيا السيطرة الكاملة تقريبا على سوق الطاقة في أرمينيا. من خلال سيطرة جازبروم الفرعية الأرمينية، على 80% من هيكل الطاقة في أرمينيا، بما في ذلك غالبية خط أنابيب نقل الغاز بين إيران وأرمينيا نحو الأسواق الأوروبية، وبالتالي ضمان أن أرمينيا لا يمكن أن تصبح بلد عبور مستقل. كما اشترت روسيا أيضا جل أسهم محطتي الطاقة الكهرومائية والطاقة النووية الأرمينية، في مقابل شطب ديونها⁷⁶⁰.

أما في مجالات التجارة خارج قطاع الطاقة، تملك شركة الطيران الروسية 70% من شركة الطيران الأرمينية، والبنك الروسي المركزي يمتلك 70% من بنك الدين الأرميني. كما استثمرت روسيا في شبكة السكك الحديدية الأرمينية 570 مليون دولار، وتسيطر أيضا على غالبية عمليات التعدين في أرمينيا، كما حققت نجاحا كبيرا في قطاع الاتصالات السلكية واللاسلكية. و في عام 2010، منحت روسيا أرمينيا قرض تفضيلي ب 500 مليون دولار لأكثر من 15 عاما لمساعدتها في تجاوز أزمته المالية⁷⁶¹. لكن، و رغم كل هذه الامتيازات تبقى مسألة استفادة روسيا سياسيا من هذه الوضعية مسألة مثيرة للجدل.

أما في أذربيجان، و رغم كونها بلدا نفطيا بامتياز إلا أن تأثير النفوذ الروسي كان ضئيلا، ولم تحقق فيه روسيا سوى نجاحات صغيرة، وعلى وجه الخصوص في مجال الطاقة. حيث تسيطر على خط أنابيب نفط واحد فقط - باكو-نوفوروسيسك. فقد كان لافتتاح خط أنابيب باكو-تيليسي-جيهان، عام 2003، وتجاوزه لروسيا، دور كبير في تقليص اعتماد أذربيجان على روسيا. كما أن لوك أويل، هي شركة النفط الروسية الوحيدة الموجودة في أذربيجان. لكن ورغم ذلك، فإن نصف احتياجات أذربيجان من الغاز، مصدره روسيا. مما يجعلها اقرب إلى الشريكين المتساويين⁷⁶². كما أن شركة أنظمة الطاقة المتحدة الروسية، هي أيضا لاعب مؤثر، باحتكارها لسوق الكهرباء الأذربيجانية.

وخارج مجال الطاقة، استثمرت شركة الألمونيوم الروسية العملاقة مليون دولار في مصنع أذربيجاني سابق، كما نجحت في التوصل إلى اتفاق ثلاثي مع أذربيجان وإيران، من اجل بناء خط السكك الحديدية

⁷⁶⁰ James, NIXEY, Op. Cit., P. 5.

⁷⁶¹ Ibid. P.5.

⁷⁶² Maciej, FALKOWSKI, «Russia's Policy in the Southern Caucasus and Central Asia», CES Studies, Centre for Eastern Studies, June 2006, p. 58.

شمال- جنوب. غير أن عدد مشاريع التعاون الموعودة، غير المنجزة يتجاوز بكثير عدد المشاريع المنجزة، مما زاد الشكوك لدى القيادة الأذربيجانية حول جدية روسيا في تنفيذها.

وبخصوص جورجيا، حاولت روسيا ضمان عدم ازدهار جورجيا-ساكاشفيلي ماليا، من خلال تحذير الشركات الأجنبية وحتى الدول من الاستثمار فيها، بالإضافة إلى الحصار الاقتصادي المفروض على الصادرات الجورجية نحو روسيا منذ عام 2006. لكن تبقى لروسيا بعض العقود مع جورجيا، كما هو الحال في بناء السكك الحديدية والموانئ من باتومي و بوتوي. وكذا، امتلاك روسيا لاستثمارات في البنى التحتية و الخدمات. وسيطرة شركة أنظمة الطاقة المتحدة الروسية على حصة الأسد في توزيع الكهرباء، خاصة في إدارتها لمحطة الطاقة في انغوري. بالإضافة إلى مواصلة رجال الأعمال الروس لاستثماراتهم هناك عبر واجهات شركات دول أخرى.

لحد الآن، أعلى فائدة اقتصادية روسية لأذربيجان و أرمينيا تتمثل في العمال المهاجرين وتحويلاتهم. فعلى سبيل المثال، أذربيجان لديها ما يقرب من مليون مواطن يعملون في روسيا، بتحويلات سنوية تقارب مليارين و خمس مئة مليون دولار⁷⁶³. مما يجعلهم ورقة ضغط بيد روسيا تستعملها وقت الحاجة، من خلال تهديدها بترحيل العمال الأذربيجانيين غير الشرعيين وفرض نظام التأشيرات.

على الرغم من العوائد المادية الربحية للشركات الروسية في جنوب القوقاز. إلا أن المصالح المالية لروسيا هناك، غالبا ما تكون موضع شك من الناحية الاقتصادية.

3 - النفوذ السياسي والمنظمات متعددة الجنسيات

إن النفوذ الروسي في منطقة جنوب القوقاز ينبع في الأساس من تواجدها الاقتصادي، كما انه أيضا وسيلة لتحقيق غاية، مثلما هو الحال في جورجيا. أما في أرمينيا فيمكن ملاحظته في: إلغاء نظام التأشيرة بينهما، في تحالف الأحزاب السياسية الحاكمة وفي التوافق على اعتماد نمط واحد من القوانين الوطنية ومفاهيم السياسة الخارجية.

هذه التنازلات الاقتصادية لروسيا قدمت القليل من الضمانات لأمن أرمينيا، فرغم التأكيد الظاهري من خلال العضوية في منظمة معاهدة الأمن الجماعي على مبدأ التدخل لحماية أرمينيا من أي اعتداء خارجي إلا أنه حتى الآن لم تعترف أي دولة بناغورنو كاراباخ كجزء من أرمينيا، حتى روسيا نفسها ومنظمة

⁷⁶³ Valery, TISHKOV, «Migration in the Countries of the Former Soviet Union», A Paper Prepared for the Policy Analysis and Research Programme of the Global Commission on International Migration, Global Commission on International Migration (GCIM), September 2005, <http://www.gcim.org/attachements/RS3.pdf>.

معاهدة الأمن الجماعي. كما أن التدخل العسكري لن يكون سهلا خاصة و أن روسيا وأرمينيا لا تمتلكان حدود مشتركة بينهما، حيث تفصل بينها جورجيا. مما يشكك في الغاية من تواجد قاعدة غيومري الروسية على الأراضي الأرمينية خاصة بعد تمديد عقد إيجارها إلى غاية 2044 و تدعيمها بالقوات المنسحبة من جورجيا بعد حرب 2008⁷⁶⁴.

أما بالنسبة لأذربيجان، فإن الصورة السياسية انعكاس للصورة الاقتصادية، فرغم امتلاك روسيا لنفوذ مباشر أقل نسبيا، لكنها راضية عن الحكومة الحالية التي تعتبر أقل موالاة للغرب من سابقتها.

وأخيرا، فإن حركة عدم الانحياز، منظمة التعاون الاقتصادي، غوام (جورجيا وأوكرانيا وأذربيجان ومولدافيا) ومنظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود (منظمة التعاون الاقتصادي - تحتوي على جميع الدول الثلاث المعنية وتسعة أعضاء آخرين المطللة وغير المطللة). تعتبر تذكيرا لدول جنوب القوقاز لمكانتهم الصغيرة في العالم إذا ما عملوا بصورة منفردة⁷⁶⁵. فهذه المنظمات تعتبرها روسيا أدوات للنفوذ السياسي و التأثير على دول جنوب القوقاز. خاصة في التعريف بالرؤية الروسية حول مفهومها للاتحاد الاوراسي كفكرة.

4 - الثقافة والتعليم والدين

خلافا لما هو عليه الحال في دول آسيا الوسطى، فإن نسبة السكان من أصل روسي تشكل نسبة ضئيلة في جنوب القوقاز: 0.5% في أرمينيا، و 1.8% في أذربيجان و 1.5%⁷⁶⁶. مما يجعل من سياسة روسيا تجاه شتاتها في جنوب القوقاز تأخذ بعدا ثقافيا فضلا عن البعد الأمني. حيث أن الاعتبارات التجارية والاقتصادية أثبتت فشلها. وعليه يجب الإبقاء على اللغة الروسية كلغة مشتركة للمنطقة. من خلال دعم التعليم بواسطتها و نشر العادات والتقاليد الروسية. لكن هذه السياسة بدورها باءت بالفشل نتيجة للقيود المفروضة على البث باللغة الروسية وزيادة الاهتمام باللغات الأخرى. حيث أصبح مستقبل اللغة الروسية كلغة ثانية يتوقف على صحة روسيا السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية⁷⁶⁷.

يبقى الأمل في مهاجرو جنوب القوقاز في روسيا، لتدعيم السياسة الروسية في المنطقة، فعلى سبيل المثال، الأرمن و الجورجيين هم المهاجرون الأكثر استقرارا في روسيا من المجموعات العرقية الأخرى التي

⁷⁶⁴ Gregory, GLEASON, «Financing Central Asia's Expansion», CACI Analyst (Central Asia and the Caucasus Institute Analyst), 11 March 2004, <http://www.cacianalyst.org/?q=node/2535/print>.

⁷⁶⁵ Michael, B. BISHKU, «The South Caucasus Republics and Russia's Growing Influence: Balancing on a Tightrope», MERIA Journal, Vol. 15, No. 1, March 2011

⁷⁶⁶ James, NIXEY, Op. Cit., P. 7.

⁷⁶⁷ Aneta, PAVELENKO, «Russian in Post-Soviet Countries», Russian Linguistics, Vol. 32 (2008), pp. 59-80.

تهاجر إلى روسيا للعمل. فالجورجيين في روسيا، على عكس أية مجموعة من السكان المهاجرين الآخرين، يمثلون جميع الطبقات الاجتماعية تقريبا. والكثير منهم مواطنون روس أو مزدوجو الجنسية، وعدد كبير منهم متزوجون من الروس. مما قد يساعد روسيا في صياغة سياسة أفضل نحو جورجيا.

ومن ناحية التعليم، فقد أنشأت جامعة موسكو الحكومية فرع في باكو يضم أساتذة روس. وتقييم الفعاليات الثقافية والتعليمية الروسية في جميع أنحاء البلاد. وأيضا. افتتحت الجامعة المفتوحة لرابطة الدول المستقلة ومقرها موسكو بالإضافة إلى تدعيم تقليد الصداقة الروسية.

وبخصوص الدين، فرغم كون كل من جورجيا و أرمينيا يدينون بنفس الديانة الروسية و المتمثلة في الأرثوذكسية إلا أن لكل كنيسة طابعها المميز حيث لم تستطع الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في التأثير في الكنيستين الأرثوذكسية الجورجية و لا حتى الأرمينية ، حتى إنها تلاقى الترحيب بها عند علمانيي أذربيجان أكثر من الشارع الجورجي أو الأرميني، مما يعني أن الدين لم يصل إلى درجة التأثير و النفوذ السياسي⁷⁶⁸.

إن الصعوبة الرئيسية التي تواجه سياسة القوة الناعمة الروسية تكمن في صعوبة تمييز روسيا بين المصالح المشروعة لها وتطلعاتها المثيرة للجدل حول الإمبراطورية الليبرالية أو الاوراسية، حيث هذا يتعارض مع توجهات ومصالح الأمن لجيرانها. فتوظيف روسيا لطرق جديدة أكثر ليونة من اجل الحفاظ على ما لديها، حقق بعض النجاحات الهائلة لكنها تميل إلى الانحسار تحت عيون الحكومات الغربية والمنظمات الدولية.

المطلب الثاني: الإستراتيجية الأمريكية.

غداة استقلال جنوب القوقاز عن الاتحاد السوفيتي تبلورت لدى الولايات المتحدة رؤية إستراتيجية للتوازنات في هذه المنطقة، استندت على معطيات الواقع المشحون بالتداخل الاثني والصراع الجغرافي وتأثيرات الأهمية الجيوستراتيجية التي تمثلها المنطقة بالنسبة للسياسات الدولية المتنافسة والسياسة الأمريكية خاصة، والهادفة إلى بناء نظام دولي جديد. فكانت الرؤية الأمريكية باتجاه ضرورة الحملة الدبلوماسية في محاولة لإقناع دول المنطقة بأهمية الدور المستقبلي للولايات المتحدة في رسم معالم التحالفات اللازمة لإقامة شراكات إستراتيجية في مرحلة مهمة من مراحل تكون النظام الدولي والتي تشهد بروز قوة دولية تمتلك

⁷⁶⁸ Irina, PAPKOVA and Dimitry, P. GORENBURG, «_The Russian Orthodox Church and Russian Politics: Editors' Introduction», Russian Politics and Law, Vol. 49, No. 1, January–February 2011, pp. 3–7.

إمكانيات التأثير في توجهات دول المنطقة وبعيدا عن الانجرار وراء السياسة الروسية وباقي القوى الفاعلة في المنطقة.

وكانت الرؤية الأولية تذهب باتجاه خلق بيئة ملائمة تمهد لفتح حقول المنطقة النفطية أمام استثمارات الشركات النفطية الغربية عامة والأميركية خاصة. ويمكن تفسير اهتمام واشنطن بإعادة هيكلة وتأهيل القطاع النفطي لبحر قزوين بأن هذه الاحتياطات تأتي من خارج الإطار التقليدي لمنظمة الأوبك مما يوفر إمكانية الاستفادة من نفط هذه المنطقة لمواجهة التحديات المستقبلية للطاقة⁷⁶⁹.

لذا تكون تصور في الذهنية الأمريكية يقتضي إخراج الدول المنتجة للنفط من دائرة النفوذ الروسي ومحاولة احتواء التحركات الصينية التي تستهدف زيادة نفوذها ووجودها في منطقة حوض قزوين وتندرج الرؤية الأمريكية في هذا الشأن في إطار مساعي الولايات المتحدة لبناء نسيج من التحالفات التي توفر لها الاستغلال الأمثل للطاقة التي تستحوذ عليها هذه المنطقة وضمان تدفق إمدادات الطاقة إلى الأسواق العالمية دون أي تأثير وبانسيابية عالية مما يوفر للولايات المتحدة إمكانية التحكم والمناورة في موضوع الطاقة المستقبلية⁷⁷⁰.

كما تعد هذه الرؤية مزيجا من الإدراك الأمريكي لأهمية صياغة التوازنات الإستراتيجية بكل أبعادها في هذه المنطقة بالصورة التي تمهد لان تكون فيها هذه المنطقة جزءا من تفاعلات المرحلة المقبلة التي ستشهد بناء النظام الدولي، إلى جانب كونها اعترافا من قبل الولايات المتحدة لمنافسيها باعتبارها وهواجس الأمن الشرعية ولكنها ترفض في الآن نفسه الاعتراف بمجالات ومناطق النفوذ⁷⁷¹.

أما المرحلة الأخرى من التوجه الأمريكي لجنوب القوقاز يقوم بالاستناد إلى رؤية التوازنات التي ارتسمت في ذهنية صانع القرار الأمريكي فتبرز من خلال اعتبار هذه المنطقة بمثابة منشآت وقواعد مؤقتة، حيث تمثل أساسا للوجود العسكري الأمريكي الدائم هناك. فهذه الأخيرة باتت بحكم قربها الجغرافي من أفغانستان و العراق منطقة لا يمكن الاستغناء عن خدماتها⁷⁷². وتمتلك الولايات المتحدة تصورا واقعا متكاملا للانتشار وإعادة توزيع القوات في العالم ومن ضمن المناطق الحيوية هي إعادة الانتشار في محيط بحر

769 نور الدين، جينون، "علاقات الولايات المتحدة مع جمهوريات اسيا الوسطى"، الجزيرة نت على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/85c0ccdc-2492-4f9d-84b1-0dead39751e6>

770 المرجع نفسه.

771 Fraser, CAMERON, "US Foreign Policy after the Cold War: Global hegemon or reluctant sheriff", Second edition, London: Routledge, 2005 P.132.

772 نور الدين، جينون، "علاقات الولايات المتحدة مع جمهوريات اسيا الوسطى"، مرجع سبق ذكره

قزوين من القوقاز إلى آسيا الوسطى كجزء من رؤية متكاملة لإعادة صياغة التوازنات العسكرية فيها، حيث تحاكي الرؤية الأمريكية في إعادة الانتشار الاحتياجات الجيوستراتيجية الأمريكية التي بدأت تأخذ شكل البحث عن قواعد صغيرة و عملياتية بدلا من القواعد الكبيرة و الدائمة كما كانت عليه إبان الحرب الباردة.

ففي عملية ملء الفراغ في المناطق التي كانت خاضعة للهيمنة الروسية، وجدت الولايات المتحدة بحاجة إلى إسناد لوجيستيكي جديد، وتسهيلات و قواعد أخف وأكثر ملاءمة للتحديات الأمنية الجديدة، ومصممة للتناسب مع التكتيكات والتكنولوجيا العسكرية الحديثة التي روج لها العديد من المسؤولين الأميركيين وعلى رأسهم وزير الدفاع الأسبق دونالد ريمسفيدل الذي أوصى بضرورة بناء هذه القواعد في مناطق جغرافية إستراتيجية وحيث يكون لواشنطن أنظمة وأصدقاء، ونخب سياسية يمكن الاعتماد عليها عند الضرورة⁷⁷³.

وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الشأن إلى:

- 1- ضمان الأمن والاستقرار في آسيا الوسطى.
- 2- مقاومة الإرهاب والانفصال والتطرف الديني.
- 3- توسيع التعاون الاقتصادي
- 4- العمل على تعزيز دور الأمم المتحدة باعتبارها الآلية الرئيسية لدعم السلام والأمن الدوليين.
- 5- بناء نظام اقتصادي وسياسي عالمي جديد عادل وعقلاني⁷⁷⁴.

كما أسلفنا فان الولايات المتحدة امتلكت رؤية متكاملة لإستراتيجيتها في الانتشار والهيمنة وإعادة صياغة التوازنات الإستراتيجية بكل أبعادها في هذه المنطقة حيث اعتمدت الولايات المتحدة في تحديد رؤيتها للتوازنات الإستراتيجية على تشخيص نقاط ارتكاز جيوستراتيجية من الدول التي تعد مهمة بحكم موقعها الجغرافي، أو بحكم مواردها الطبيعية والمقومات الجيوستراتيجية. ومفهوم الدولة الركيزة، هو في غاية الأهمية في الإستراتيجية العالمية، إذ إن بناء القوة الإقليمية أو الدولية لا يتم عادة إلا من خلال قيام لاعب إستراتيجي بالتأثير في عدة دول ركائز كما حدث بالنسبة لبناء الاتحاد الأوروبي، وكما حدث بشكل جلي بالنسبة للاتحاد السوفيتي. وبالتالي فان الرؤية الجيوستراتيجية للتوازنات الجديدة في آسيا الوسطى والقوقاز، أصبحت تقوم على إعاقة عملية بناء قوة روسيا كلاعب إستراتيجي مؤثر في سياسات المنطقة لذا فان على الولايات المتحدة أن تعمل بكل قوة على حرمان روسيا من دول ركائز مثل أذربيجان باعتبارها دولة بالغة الأهمية في القوقاز، فهي الأكبر من حيث التعداد السكاني، وهي بمثابة المركز و دولة غنية بإمكانياتها

773 المرجع نفسه.

774 المرجع نفسه.

الهيدروليكية والزراعية. من خلال إطلالتها على بحر قزوين، وهي دولة جوار لروسيا التي تطل كذلك على البحر الأسود، ومن ثم فإن النفوذ السياسي الأمريكي في أذربيجان هو في حقيقته اقتراب و تواجد على البحر الأسود الذي يمثل منفذ روسيا إلى البحر المتوسط⁷⁷⁵.

إن الهدف السياسي الأمريكي هو إيجاد توازن في علاقات هذه الدول مع روسيا، حيث تسعى السياسة الأمريكية جاهدة إلى الولوج وبسرعة إلى هذه المنطقة الحيوية بهدف التأثير في قرارات وتوجهات دولها بالصيغة التي تخدم مصالحها إلى جانب هدف استراتيجي يتمثل في تطويق البحرين الأسود و قزوين والنفوذ إلى عمق آسيا الوسطى، وتحديدًا في أوزبكستان وإدخالها في دائرة النفوذ السياسي الأمريكي ومنعها من العودة إلى الفلك الروسي⁷⁷⁶.

إذا فمناطقة جنوب القوقاز تحتل مكانة كبيرة في التفكير الاستراتيجي الأمريكي منذ نهاية الحرب الباردة، وتزايدت هذه المكانة بشكل لافت قبل نهاية القرن الماضي لعدة أسباب يمكن تصنيفها إلى أسباب موضوعية و أخرى براغماتية. فالأسباب الموضوعية تتطوي بالدرجة الأولى في استمرار الصراعات المتعددة في المنطقة حيث تكلف هذه الصراعات الكثير من الإنفاق المالي وتستنزف العديد من الجهود الدبلوماسية و تبقى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة في مستوياتها الدنيا. كما أن مناطق النزاع في أبخازيا ، ناجورنو كاراباخ و أوسيتيا الجنوبية أصبحت مركزا لجميع أنواع الفوضى و الجريمة المنظمة من تهريب واتجار بالمخدرات وتلاعبات مالية و حتى الإرهاب. وكل ذلك بسبب عدم استقرارها السياسي⁷⁷⁷. بالإضافة إلى ذلك فإن العديد من المناطق القوقازية الأخرى هي مجالات محتملة للصراع وعدم الاستقرار، فحالة الشك سياسيا والركود الاقتصادي عطلت عجلة البناء السليم للهيكل الحكومية وفق مقتضيات تحقيق الديمقراطية. كما أن فشل روسيا في وضع سياسة شاملة للقوقاز وميل بعض الجماعات الروسية - مع أو بدون دعم من الحكومة - للتدخل في شؤون دول جنوب القوقاز المستقلة ساهم في تقاوم الوضع أكثر⁷⁷⁸.

ويمكن تلخيص الأسباب البراغمتية لزيادة المصالح الأمريكية في القوقاز تحت ثلاثة عناوين

رئيسية:

775 المرجع نفسه

776 المرجع نفسه

777 Stephen J. BLANK, "U.S. MILITARY ENGAGEMENT WITH TRANSCAUCASIA AND CENTRAL ASIA", New York S.S.I., June 2000, P.P. 9-11

778 Ibid. P.11.

أولها، مقدرات الطاقة سواء الغاز والنفط، أو الطاقة الكهرومائية على المدى الطويل والتي تتمتع بها هاته المنطقة.

ثانيها، مجاورة القوقاز لمنطقة الشرق الأوسط ذات الاهتمام الاستراتيجي الأميركي الأولي بالإضافة لتموقعها بجوار روسيا العدو الدائم للولايات المتحدة الأمريكية. و إطلالتها على بحر قزوين ذو الأهمية الطاقوية المستقبلية المتميزة.

ثالثها، و خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، والافتتاح بأن أي منطقة غير مستقرة يمكن أن تصبح ملجأ لأعداء السلام والنظام في العالم من إرهابيون وتجار مخدرات ومهربين ومجرمين من جميع الأنواع. وهذا من أجل تأمين الغطاء الشرعي لأي تحرك أمريكي مستقبلي محتمل هناك⁷⁷⁹.

بالإضافة إلى هذه الاعتبارات الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية هناك رغبة في التسويق للنموذج الأمريكي من خلال المناذاة ببعض المبادئ الأساسية مثل الديمقراطية وسيادة القانون، والتنمية البشرية وحقوق الإنسان والتجارة الحرة والتنمية الاقتصادية، احترام التنوع العرقي والحرية الدينية. والتي من حق شعوب الدول المستقلة في منطقة القوقاز وكذلك المناطق والمجموعات العرقية التي لا تزال تشكل جزءا من الاتحاد الروسي أن تتمتع بها⁷⁸⁰. ففي حين كانت الشركات النفطية الأمريكية السبابة للبدء في استكشاف إمكانيات لإنتاج جديد أو تطويره في القوقاز، كانت حكومة الولايات المتحدة بطيئة نسبيا في وضع سياسات خطوط الأنابيب لنقل النفط والغاز من آسيا الوسطى وبحر قزوين. إلى غاية نهاية التسعينات من القرن الماضي أين تبنت الولايات المتحدة نفسها بشكل كامل خيار خط أنابيب باكو-تيليسي-جيهان. فرغم عدم اعتراضها على تطوير الغاز والنفط الروسيين فإنها تعتقد بأن روسيا لا يحق له احتكار نقل الإنتاج من مناطق لم تعد تحت سيطرتها⁷⁸¹.

إن الولايات المتحدة دائما تؤكد حرصها على تنمية كل دول القوقاز من خلال تطوير قدرات كل بلد و جعله يلعب دورا بناء في الأمن الإقليمي. وعليه فقد قامت باختبار برنامج لتدريب وتجهيز الجيش الجورجي، مما زاد بالفعل من قدرة القوات المسلحة الجورجية لتلبية الاحتياجات الأمنية الأساسية، تمكنه من مواجهة أي اضطراب قادم من الشيشان على امتداد الجبال في جورجيا ومنع الإرهابيين تأسيس خلايا دعم

779 Ibid.

780 Fraser, CAMERON, Op. Cit., P.133.

781 Stephen J. BLANK, Op. Cit., P.12.

على الأراضي الجورجية. نفس الشيء أعلنته الولايات المتحدة مع أذربيجان خاصة بعد الدعم الذي قدمته جورجيا و أذربيجان في الحرب على العراق⁷⁸².

في الحقيقة ليس هناك أي سبب للاعتقاد بأن الخطوط الرئيسية لسياسة الولايات المتحدة في القوقاز يمكن أن تتغير حتى ولو تمت بشكل أكثر تطبيع العلاقات بينها وبين روسيا فلن يكون له أي تأثير سلبي على العلاقات الأميركية مع دول القوقاز المستقلة. فدعم جورجيا وأذربيجان القوي للعمليات العسكرية الأمريكية ضد صدام حسين واستمرار دعم الجهود الأميركية لإعادة بناء ودمقرطة العراق سوف تضع كل من هذه الدول في موقف أقوى في التطلع لعضوية حلف شمال الأطلسي. فالولايات المتحدة تنظر لخط أنابيب باكو-تبليسي-جيهان باعتباره سببا و ضمانا لاستقرار المنطقة و مساهما في التطور السياسي البناء لجميع دول جنوب القوقاز الثلاث⁷⁸³.

المطلب الثالث: تضارب المصالح بين الإستراتيجيتين الروسية والأميركية.

السؤال المطروح هو : هل ثمة إستراتيجية روسية واضحة في مواجهة الاندفاعية الأمريكية نحو هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة بالنسبة إلى روسيا، ولأمنها القومي ومصالحها الاقتصادية والإستراتيجية، وخصوصا اليوم، بعدما صار الوجود الأمريكي المباشر، العسكري وليس السياسي والاقتصادي فحسب، أمرا واقعا في بعض جمهوريات آسيا الوسطى و القوقاز السوفيتية السابقة؟ وهذه أول مرة تتواجد فيها قوات غير روسية هناك، منذ مطلع القرن الفائت على أقل تقدير.

1 - الارتباك الروسي اتجاه الاندفاع الأمريكي:

وإذا كانت روسيا تعاملت بعصية ظاهرة في خلال العقد المنصرم مع محاولات التقدم الأمريكي نحو المنطقة، تجلت في تصريحات قادتها، والمسؤولين فيها الراضة لهذا التقدم، واتسمت بنبرة حادة أحيانا، كرسد أجواء الحرب الباردة. وبذلت جهودا كبيرة، وخصوصا على الجبهة النفطية، في محاولة للتمسك بالمواقع السابقة ومواجهة الخطط الأميركية. فإن بعض المواقف الروسية التي برزت مع بدء الحرب الأميركية على أفغانستان، أثارت الدهشة وتتناقض مع المواقف المعلنة سابقا. كالتصريح الذي أدلى به الجنرال الكسندر فلاديميروف، نائب رئيس هيئة الخبراء العسكريين في روسيا الاتحادية، لصحيفة "فيك" الروسية إذ قال

782 Fraser, CAMERON, Op. Cit., P.133.

783 Stephen J. BLANK, Op. Cit., P.12.

بالحرف الواحد: "... إن أي وجود أمريكي في أفغانستان أو آسيا الوسطى مفيد لنا." معلا لا هذا الموقف بأنه من الضروري التعاون بين روسيا والغرب في مواجهة "خصم روسيا الوحيد"⁷⁸⁴, الذي هو الصين في نظره.

هذا الموقف يعبر عن رأي في روسيا، يلتقي إلى هذا الحد أو ذاك مع أجواء سائدة حتى في بعض أروقة الحكم في روسيا. ويشكل صدى للتوجه الغربي في السياسة الروسية، الذي لا يزال له أنصاره الكثيرين على مستويات عدة رسمية وغير رسمية، والذي يرى أن عناصر القوة التي كانت لها في الماضي استخدام العامل المذكور⁷⁸⁵.

أحد الباحثين الذين كتبوا حول هذه المسألة، هو دميتري يليسيف في مقال بعنوان: "دائرة النفط القوقازية"، نشر في مجلة "النفط ورأس المال"، عدد مارس 1998، وهي تمثل قطاع الاستثمار النفطي والشركات الروسية العاملة في هذا المجال، أي أن دوافع أصحاب الرأي فيها هي دوافع برغماتية، تتبع من مصالح رأس المال النفطي، أكثر مما هي "إيديولوجية" أو رأسمالية" كما هو الأمر بالنسبة إلى ممثلي التيار الأوراسي. يقول يليسيف: "إن التجربة السياسية الروسية في قزوين ناجمة إلى حد كبير عن الاستخفاف بهذه الأداة أي عامل القوة، إن فهم دور عامل القوة يتسم بأهمية خاصة بالنسبة إلى روسيا. ثمة حساسية مفطرة في مجتمعنا، ولدى النخبة الحاكمة عندنا ضد حتى مجرد الإشارة إلى إمكانية استخدام القوة لتأمين المصالح الاقتصادية (...). ولكن يجب أن ندرك أن الصراع من أجل الهيمنة في منطقة قزوين يبقى رغم كل شيء، مسألة من مسائل سياسة القوة (...). إن إعلان الولايات المتحدة لقزوين والمناطق المحاذية له منطقة لمصالحها الحيوية، ليس كلاماً فارغاً. إنه يعني إمكانية فعلية لنشر قوات أميركية هناك، بعدما أصبحت الأرضية السياسية في بعض بلدان المنطقة مهياً لذلك (...). إن السياسة الاقتصادية الخارجية الفاعلة، سواء على مستوى الشركات الروسية أو على مستوى الدولة عامة، غير ممكنة من دون إعادة نظر جذرية في الإستراتيجية السياسية الخارجية، ووضع كل الوسائل المتاحة في خدمة هذه السياسة (...). إن ذلك لا يعني القعقة بالسلح، ولكن ينبغي أن ندرك أنه من دون قدرة عسكرية فاعلة، لا يمكننا مخاطبة الولايات المتحدة مخاطبة الند للند، حتى في المناطق المحاذية لروسيا"⁷⁸⁶.

وعليه بعدما أصبح الوجود العسكري أمراً واقعاً، بعدما صارت خسارة روسيا لجزء مهم من مصالحها الإستراتيجية، ومواقعها السياسية والاقتصادية والعسكرية، ونفوذها في آسيا الوسطى والقوقاز في حكم المؤكد. فان تعامل القيادة الروسية مع الوضع الناشئ كان يوحي في الظاهر على الأقل بشيء من الارتباك، وعدم

784 John, HELMER, « Russia Draws Fine Line in Caspian », *Asia Times*, 22 may 2002, P. 88.

785 Ibid, P. 89.

786 محمد، ذياب، " الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 150-154.

حسم الخيارات. فهي كانت تجهر من جهة، بسعيها لتوطيد علاقاتها مع أوروبا والولايات المتحدة، وسعت لكي تكون جزءا من العالم الغربي وعضوا فاعلا في مجموعة السبعة، التي أصبحت "مجموعة الثمانية بحضورها. وأعلنت أيضا عن دعمها للحملة الأمريكية على أفغانستان بالمشاركة في الجهود الدولية بقيادة واشنطن في إرساء دعائم السلم⁷⁸⁷.

رغم أن هذه الحملة مهدت الطريق لتحقيق الهدف الأمريكي الذي سعت له واشنطن بشتى السبل خلال التسعينات من القرن المنصرم، لدخول المنطقة عسكريا، وليس اقتصاديا وسياسيا فحسب. أعلنت موسكو عن تعاونها مع واشنطن، ودعمها لها. وتعاملت بقدر كبير من الهدوء مع تسابق بعض قادة دول آسيا الوسطى والقوقاز، لتقديم التسهيلات للقوات الأمريكية وصولا إلى حد فتح قواعدها وأراضيها لها. ولكن من جهة أخرى، أعلنت هذه القيادة منذ بضع سنوات عن رفضها للأحادية القطبية، ولسياسة التفرد الأمريكية، وسعت لتنسيق سياستها مع جارتها اللدود الصين⁷⁸⁸. فتكررت الزيارات المتبادلة بين زعماء البلدين، الذين تحدثوا مرارا عن ضرورة قيام عالم متعدد الأقطاب، وأبرموا اتفاقيات التعاون في مختلف المجالات. وعملت موسكو أيضا على تعزيز علاقتها المتشعبة مع إيران، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، رغم كل الضغوطات الأمريكية والإسرائيلية. ونشأ بين البلدين نوع من التنسيق أو التفاهم إزاء مختلف الأوضاع في المنطقة. وهكذا، بدا في فترة ما وكأن ملامح تحالف ثلاثي روسي- صيني - إيراني بدأت تتكون في المنطقة، لمواجهة الاندفاعية الأمريكية التي توالى في حدة وزخم متزايدين خلال العقد المنصرم⁷⁸⁹. رغم ذلك كله، كانت موسكو الرسمية تنظر في آن واحد في اتجاهين، وكأنها غير قادرة على حسم خياراتها النهائية، ربما بسبب مجموعة من الأسباب أو العوامل:

فهي من جهة تتطلع إلى الغرب، لإقامة علاقات جيدة وثابتة معه، على أمل أن يساعدها ذلك في الخروج من أزمتها ووضعها الاقتصادي الصعب، ولدرء كل محاولات احتوائها وعزلها، خوفا من العودة إلى سياسة الحصار والانزواء خلف "الستار الحديدي". و هي في الوقت نفسه، كانت تخشى من الخطر الذي يمثله التقدم الأمريكي، وتزايد النفوذ الغربي عموما في منطقة اعتبرتها على الدوام بمثابة "الفناء الخلفي" لروسيا، وعمقا إستراتيجيا لها. وهي من جهة أخرى، لم ترتح كثيرا لتحالف إستراتيجي مع جمهورية إيران

787 Rebert, V. BARYLSK , « Russia, The West and The Caspian Energy Hub », *Middle East Journal*, june ,1995, P. 112.

788 Ibid, P.112

789 Kleveman, LUTZ, Op. Cit., P. 32.

الإسلامية، سواء بسبب الاختلاف الجذري في نظامي الحكم في البلدين، والإيديولوجية السياسية المتبعة في كل منهما، أو بسبب ما تعرضت له إيران من محاولات احتواء وعزل غربيين سعت روسيا لتجنبهما⁷⁹⁰.

أما بالنسبة إلى الصين، فهي تمثل بالنسبة إلى روسيا في أذهان قسم لا يستهان به من المحللين والإستراتيجيين والسياسيين، الخصم المستقبلي الرئيسي الذي ينبغي أن تخشاه روسيا بالدرجة الأولى⁷⁹¹. سواء بسبب النزاع على مناطق حدودية شاسعة، أم بسبب التنافس على الزعامة في آسيا، وتاريخ العلاقات بين البلدين مثقل بالصراعات السياسية والعسكرية.

رغم ذلك، رأت القيادة الروسية أن الخطر الأساسي و الداهم ، كان خطر خسارة روسيا مواقعها أمام الهجمة الأمريكية. لذا، فقد عملت في اتجاهات عدة، فعلى صعيد النفط القزويني، حاولت موسكو في خلال السنوات العشرين التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي استخدام كل ما لديها من وسائل لتعزيز دور ومشاركة شركات النفط الروسية في استثمار الثروات النفطية، التي انتقلت ملكيتها إلى الجمهوريات المستقلة حديثا. وسعت لإقرار وضع قانوني لبحر قزوين يتفق مع مصالحها، وبذلت الجهود لإنشاء بنية تحتية من مرافئ، وخطوط نقل للنفط والغاز ، تحول دون انتزاع هذه الورقة الإستراتيجية من يدها⁷⁹².

وعلى مستوى آخر، بذلت روسيا جهودا حثيثة لإبقاء جمهوريات آسيا-جنوب القوقاز ضمن دائرة نفوذها، من خلال "مجموعة الدول المستقلة". رغم أن هذه الجهود لم تثمر قيام كتل متماسك كما كانت تأمل. وسعت للحيلولة دون حل المسألة الأفغانية و العراقية و الإيرانية على حساب مصالحها، من خلال اللقاءات مع بعض حكام الدول المحيطة ، لكي لا تتأثر واشنطن بالهيمنة والنفوذ في مرحلة ما بعد الحرب الأمريكية على الإرهاب. وفي الوقت نفسه، عملت موسكو على تعزيز وجودها العسكري في دول الجوار القريب سواء من خلال الاتفاقيات و المعاهدات أو حتى باستخدام القوة.

2 - حرب القوقاز و التحول في الإستراتيجية الروسية:

تحول الحدث القوقازي إلى محطة مفصلية في تاريخ الصراع العالمي. من جهة يؤشر على نهاية "القطبية الواحدة" حيث فشلت الولايات المتحدة في التفرّد بإدارة العالم ومن جهة أخرى يبشّر ببداية صحوة قومية عبّرت عنها روسيا من خلال سعيها لحماية مصالحها في مداها الحيويّ فالأحداث الأخيرة التي شهدتها

790 Alexondre, ADLER, Op. Cit., P. 18.

791 John, HELMER, Op. Cit., P. 89.

792 Ibid, P.89.

منطقة القوقاز لم تشكل تغييراً في موازين القوى، بل كانت الحرب الخاطفة التي نشبت بين روسيا الاتحادية وجمهورية جورجيا مؤشراً على أنّ هذا التغيير في موازين القوى قد حصل بالفعل.

أ - الأسباب والدوافع التي أدت إلى حدوث حرب القوقاز:

استقلال كوسوفو:

شهدت العلاقات الروسية الأمريكية تازماً ملحوظاً من خلال التتابع الزمني للأزمات التي ظهرت أيام حكم فلاديمير بوتين، ولعل من القضايا التي أضحت تشكل بؤرة جديدة للتوتر بين الدولتين السعي الحثيث للإدارة الأمريكية إلى تحقيق استقلال إقليم كوسوفو عن جمهورية صربيا المقربة من روسيا، وهذه المرحلة التي يمكن أن نطلق عليها بدايات التوتر بين الطرفين حيث كانت بمثابة مؤشر بعودة الحرب الباردة على غرار ما كان موجود سابقاً، وهذا الأجراء الذي لعبت فيه الإدارة الأمريكية دوراً كبيراً كانت تراه روسيا تحدياً واضحاً لها، ما دعا الولايات المتحدة إلى التلويح بإمكانية الاعتراف باستقلال الإقليم من واشنطن والاتحاد الأوروبي⁷⁹³، وأنها ستقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع كوسوفو كون استقلال الإقليم سيجلب السلام إلى منطقة البلقان، وهو ما يعتبر هدفاً للإدارة الأمريكية من أجل ضمان عدم عودة هيمنة روسيا على منطقة البلقان⁷⁹⁴.

وكان الموقف الروسي الراض لاستقلال كوسوفو انطلاقاً من ضرورة احترام قواعد القانون الدولي الذي يقتضي باحترام الحدود القائمة بين الدول وأهمية السلامة الإقليمية لكل دولة، حيث تعتبر روسيا أن منح إقليم كوسوفو الاستقلال باعتراف ومباركة أمريكية غريبة يشكل سابقة خطيرة من شأنها أن تدعم نزعات الانفصال في مناطق أخرى من العالم⁷⁹⁵، كون الإقليم يتمتع بحكم ذاتي يمكن له أن يعلن الاستقلال بالتوافق مع السلطة المركزية التي تحكمها وتشرف عليها، أو من خلال موافقة مجلس الأمن على هذا الاستقلال، ومن دون ذلك يعتبر بمثابة تمرد وعصيان وليس لأحد من الخارج أن يتدخل في هذا الشأن الداخلي إلا بمقدار ما تسمح به القوانين والأنظمة الدولية⁷⁹⁶.

الدرع الصاروخي الأمريكي:

793 هاني، صلاح، "تحديات ما بعد الاستقلال"، مجلة السياسة الدولية، المجلد 43، العدد 172، أبريل 2008، ص 170-173.

794 أحمد، ذياب، "استقلال كوسوفو... المواقف الإقليمية والدولية"، مجلة السياسة الدولية، المجلد 43، العدد 172، أبريل 2008، ص 176-180.

795 نورهان، الشيخ، "العلاقات الروسية الأورو أطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية"، مرجع سبق ذكره، ص 20-25.

796 محمد، نور الدين، "النظام العالمي الجديد من كوسوفو إلى فلسطين"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 128، شتاء 2008، ص 2.

تعود الحرب الباردة من جديد، ولكن هذه المرة من خلال البوابة الجورجية، فمنذ وصول فلاديمير بوتين إلى الكرملين وحدة التوتر بين موسكو وواشنطن آخذة بالتصاعد، وقد تعاضمت عندما قررت الولايات المتحدة نصب قواعد للصواريخ على حدود روسيا في جمهوريتي التشيك وبولونيا حليفتي موسكو السابقتين، والذي قوبل بانتقادات روسية شديدة وتهديد بتطوير أنظمة مضادة للصواريخ للتغلب على هذه الصواريخ تعبيراً عن رفض روسيا لها لما تمثله من تهديد مباشر للمصالح الروسية⁷⁹⁷، عندها تحركت روسيا ولا يمكن تصوّرها صامتاً لاسيما إزاء هذه التطورات التي تهدد أمنها الإستراتيجي حيث ازداد الموقف تعقيداً خصوصاً أن شعوب أوروبا الشرقية لا يروق لها العودة إلى الحظيرة الروسية⁷⁹⁸.

وقد أسهمت قضية الدرع الصاروخي الأمريكي في تعزيز التوتر بين البلدين من خلال تعزيز الإدارة الأمريكية لموقفها في المنطقة، لاسيما بعد موافقة بولندا على نصب الدرع الصاروخي لديها بحلول عامي 2011-2012، وهذا العمل جزء من الإستراتيجية الأمريكية الاستنزائية في المناطق السوفيتية السابقة، فقد اتجهت في بعض الأحيان إلى إتباع سياسة تفضيلية من خلال التقارب مع بعض الدول الاشتراكية التي كانت تقع ضمن دولة الاتحاد السوفيتي وتحسين علاقاتها معها وتشجيعها على القيام بإصلاحات جديدة في نظام الحكم وفق المنظور الغربي الأمريكي على اعتبار أنه النموذج الوحيد في العالم الذي خرج منتصراً في الحرب الباردة⁷⁹⁹، حيث عارضت روسيا إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية للدرع الصاروخية ومحطة الرادار في بولندا وجمهورية التشيك كونها ترى فيه خطراً على أمنها القومي معتبرتها أنها موجهة ضد روسيا وليس إيران كما تدعي واشنطن بأن إقامة نظام دفاعي مضاد للصواريخ سيحميها من صواريخ بالستية إيرانية مزودة برؤوس نووية وخصوصاً أنها تقع في القسم الآخر من العالم⁸⁰⁰، حيث تعارض روسيا هذا المشروع وتؤكد أنها على جاهزية لأن تقف وجهاً لوجه مع الموقف الأميركي وأنها مستعدة لاحتمالات المواجهة العسكرية رداً على منظومة الدرع الصاروخية الأميركية في أوروبا⁸⁰¹.

797 المرجع نفسه، ص3.

798 فارس، فائق ظاهر، مرجع سبق ذكره.

799 محمد، السيد سليم، "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، مجلة السياسة الدولية، المجلد42، العدد170، أكتوبر 2007، ص44.

800 فارس، فائق ظاهر، مرجع سبق ذكره.

801 عادل، مالك، "من البحر الأبيض إلى البحر الأسود، مشاريع حروب ساخنة و باردة... بداية سقوط الأحادية الأمريكية وانبعاث الثنائية التقليدية"، القدس،

وفي أيار 2002 تعهدت الولايات المتحدة لروسيا في معاهدة التخفيضات الهجومية الإستراتيجية بتقليص عدد الرؤوس النووية الهجومية التي تمتلكها من 6000 إلى 2000. وكانت هذه المعاهدة استعراضية في أغلب التوقعات، فلم تكن تقصد تخفيض ونقلص الأسلحة، كما أنها لم تهدف إلى خلق توازن إستراتيجي في العالم ، فالأسلحة الروسية قياسا إلى الأمريكية يمكن اعتبارها أقل تطورا وقوة لان أمريكا قامت بتطوير أسلحتها النووية على الدوام، ولذلك فقد احتفظ الأميركيين رغم المعاهدة بحق امتلاك عشرة آلاف رأس نووي مخزونة يمكن إعادة تنشيطها خلال بضعة أيام عند الحاجة⁸⁰².

إجراء روسيا تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ عابر للقارات عام 2007:

ما قامت به روسيا في أيار 2007 بإجراء تجربة ناجحة عشية انعقاد مؤتمر الدول الثماني لإطلاق صاروخ عابر للقارات والتقارب مع دول غير صديقة لواشنطن يعتبر تحرك لاتخاذ إجراءات احتياطية تجد فيه الولايات المتحدة الأمريكية تصعيد يمثل نوع من التهديد الذي يصب في خدمة الحرب الباردة لتشتعل مرة أخرى بين الطرفين، ويمكن اعتبار هذا التصعيد الروسي جزء من الرد على نظام الدرع الصاروخي في بولندا، حيث عملت على نشر صواريخها في كالينغراد التي تشكل منطقة إستراتيجية من الناحية العسكرية كونها تطل على بولندا وأجزاء من أوروبا كرد فعل على نشر الصواريخ الأمريكية والذي يعتبر تهديدا للأمن القومي الأوروبي⁸⁰³.

- استفزاز جورجيا لروسيا:

إذا قامت جورجيا باستفزاز روسيا عسكريا بما فيه الكفاية وتصرفت روسيا برد فعل عسكري زائد، فإن ذلك سيتيح للدعاية الأميركية استعادة أجواء الحرب الباردة وانتقاد روسيا المتسلطة ضد جار صغير، هنا تستطيع الإدارة الأميركية إنجاز الخطوة قبل الأخيرة في خطة استكمال محاصرة روسيا بالكامل⁸⁰⁴، و الذي قوبل بشن القوات الروسية حربا على جورجيا حين اتهمت روسيا جورجيا باستخدام القوة بشكل مفرط في إقليم أوسيتيا الجنوبية وحثرتها من تصعيد الأزمة هناك مما دعا إلى التحرك العسكري في المنطقة وشن الحرب لإعلان انفصال إقليمي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا و الاعتراف بهما دولتين مستقلتين، ولم تكتفي بذلك بل استعرضت قوتها بتجاوز الحدود إلى أقاليم أخرى من جورجيا رغم جولات المدمرات الأمريكية في البحر

802 نورهان، الشيخ، مرجع سبق ذكره. ص22.

803 فارس، فائق ظاهر، مرجع سبق ذكره.

804 عزمي، بشارة، "عودة إلى الحرب الباردة أم واقع دولي جديد مختلف"، مجلة المستقبل العربي، العدد356، تشرين أول 2008، ص18.

الأسود⁸⁰⁵، حيث أثار هذا الإجراء الانفرادي من الجانب الروسي حفيظة الإدارة الأمريكية التي وجدت في الخطوة الروسية تصعيد ليس له مبرر خاصة و أن جورجيا دولة حليفة لها وموطئ قدمها في المنطقة، مما أدى إلى تبادل الاتهامات بين موسكو وواشنطن، فالروس ينظرون إلى الحرب بأنها عمل مشروع لحماية مواطنيها وأن ممارستهم لهذا الحق أمر طبيعي حتى لو أدى ذلك إلى قيام حرب باردة مع الغرب⁸⁰⁶، و أن تحجيم النفوذ الأمريكي في المنطقة سيكون بداية لانحسار وانكسار نفوذها انطلاقاً من إدراك موسكو بان جورجيا وليدة لمشروع الولايات المتحدة في المنطقة⁸⁰⁷.

ب - تداعيات حرب القوقاز على العلاقات الروسية الأمريكية:

- تداعياتها على المستوى السياسي:

أوضحت الأزمة أن روسيا استعادة مكانتها كقوة كبرى قادرة على الدفاع عن مصالحها وفرض إرادتها، فقد التزمت الصمت طويلاً إزاء التدخل الأمريكي في شؤونها الداخلية، فلم تكن في ذلك الوقت في وضع يسمح لها بمواجهة عنيفة مع الولايات المتحدة ولم تكن قد تعافت من كبوتها على النحو الذي تتيح لها قدراتها على المواجهة مع واشنطن، حيث اتسم السلوك الروسي على الصعيد الخارجي بالحدز وعدم إطلاق التهديدات أو الدخول في مواجهات غير محسوبة أو مأمونة النتائج مع أمريكا، ومن ثم فإن الموقف من الأزمة في أوسيتيا عكس تغيراً له دلالاته فيما يتعلق بالسياسة الروسية وتوازن القوى الدولية، فقد عكست رغبة القيادة الروسية في تأكيد دور روسيا كلاعب دولي لا يمكن تجاوزه أو اختراق أمنه القومي في محاولة لاستعادة بعض مواقع النفوذ التي فقدتها منذ سقوط الاتحاد السوفيتي، وتصحيح الخلل في توازن القوى مع الولايات المتحدة في علاقة أكثر تكافؤاً بين شريكين على قدم المساواة في إطار نظام متعدد القوى ينهي الاحتكار والتفرد الأمريكي في إدارة الشأن الدولي، كما أن تحدي روسيا الواضح للضغوط الأمريكية والذي بدأ غير متوقع ليس فقط من جانب جورجيا بل وواشنطن ذاتها يشير إلى بداية الانكسار الأمريكي وانتهاء هيمنتها على الساحة الدولية والإقليمية⁸⁰⁸.

805 زياد، عبد الوهاب النعيمي، "العلاقات الروسية الأمريكية ملامح أولية لحرب باردة"، على الرابط: <http://pulpit.alwatanvoice.com/content-151415.html>

806 نورهان، الشيخ، "روسيا وأزمة أوسيتيا الجنوبية...توازن جديد للقوى الدولية"، مجلة السياسة الدولية، المجلد 43، العدد 174، أكتوبر 2008، ص 204.

807 المرجع نفسه، ص 206.

808 Mamuka, TSERETELI, "The impact of the Russia Georgia war on the south Caucasus transportation corridor", Washington:

The Jamestown Foundation, 2009. P. 16.

إن المواجهة التي بدأت بين روسيا والولايات المتحدة خلال أزمة جورجيا تعتبر إيدان ببداية حقبة جديدة من العلاقات الدولية، فقد أخطأت واشنطن باستمرارها للتصعيد مع موسكو بتأكيد أنه سيتم ضم جورجيا إلى حلف الأطلسي مستقبلا، وما صاحب ذلك من مناورات أمريكية أوكرانية في البحر الأسود، مما دفع روسيا إلى الاستمرار في التصعيد وذلك بتوعد بولندا بإمكانية استخدام السلاح النووي ضدها، وتعليق تعاون روسيا مع حلف الأطلسي حيث أن هذه الأزمة كشفت عن التغيير في النظام الدولي وما ستتطوي عليه العلاقات المستقبلية من تفاعلات بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية⁸⁰⁹.

- تداعياتها على المستوى الاقتصادي:

إن أمن الطاقة بالنسبة لروسيا وضرورة السيطرة على خطوط نقل النفط والغاز من آسيا الوسطى وبحر قزوين عبر الموانئ الجورجية على البحر الأسود إلى أوروبا، وضمان بقائها تحت النفوذ الروسي من الاعتبارات الهامة بالنسبة لموسكو، فالصراع الدولي المحلي والمستقبلي هو صراع على مصادر الطاقة والنفوذ النفطي المتزايد لروسيا في الأسواق الأوروبية في ظل سعيها لإثبات وجودها ونفوذها في المنطقة وتكوين مشاريع مستقبلية لنقل الطاقة عبر أراضيها.

وفي ضوء الاعتبارات السابقة يمكن تفهم سلوك روسيا تجاه جورجيا والذي جاء حاسما ومحققا لمصالحها وفي مقدمتها تأكيد وضع روسيا كقوة كبرى قادرة على الدفاع عن مصالحها، حيث أن المبادئ التي تضمنتها خطة السلام التي تم توقيعها بين جورجيا وروسيا أثبتت أن موسكو استطاعت فرض إرادتها على جورجيا التي بدت مكتوفة الأيدي أمام الهيمنة الروسية على إدارة الأزمة، والذي يعكس نظاما دوليا جديدا في طور التشكيل⁸¹⁰.

- تداعياتها على المستوى الأمني والعسكري:

لقد ساعد التحسن الملحوظ في استعادة المؤسسة العسكرية الروسية لهيبتها وانضباطها وتطور قدراتها العسكرية ومكانتها كأكبر مصدر للسلاح، كما استطاعت موسكو إعادة طرح نفسها كقوة أوروبية ذات عمق آسيوي كما كان عليه الحال في العهد القيصري، حيث جاء رد الفعل الروسي على الهجوم الجورجي على

809 فارس، فائق ظاهر، مرجع سبق ذكره.

810 نورهان، الشيخ، "روسيا وأزمة أوسيتيا الجنوبية...توازن جديد للقوى الدولية"، مرجع سبق ذكره. ص 205.

أوسيتيا الجنوبية حاسما إلى حد أذهل الجميع, فروسيا لأول مرة منذ سبعينيات القرن الماضي تقف في مواجهة مباشرة مع النفوذ الأمريكي في إصرار وعزم على حماية مصالحها في منطقة كانت جزء منها⁸¹¹.

و يعتبر من أهم تداعيات حرب القوقاز أنها أعادت لروسيا هيبة الدولة الكبرى عسكريا وبخاصة في أوروبا، حيث أن خروج موسكو بطريقة سلمية بعد هذه الحرب جاء من مصلحتها في سياق بداية تغير في الإستراتيجية الأمريكية التي من المفترض أن تعمل على إعادة تقديرها لطبيعتها علاقاتها مع مختلف الدول، حيث سيرتبط المعيار للعلاقات بين الدول بالموقف من الأولويات التي ستحددها الإستراتيجية الجديدة، حيث من الواضح أن حرب جورجيا ستشكل في تداعياتها علامة لإعادة تقييم العلاقات الروسية الأمريكية بناء على معادلة دولية تحترم موازين القوى الحقيقية والواقعية، حيث وفرت حرب القوقاز لروسيا فرصة لاستعادة هيبتها العسكرية والسياسية، بعد أن تراجع دور موسكو إلى مستويات متدنية منذ انهيار الإتحاد السوفييتي عام 1991، وبدأت أشبه بالتابع لواشنطن قبل أن يبدأ بوتين بإعادة ترميم هيبة الدب الروسي و انعكاسات ذلك على الساحة الدولية⁸¹².

المبحث الثالث انعكاسات الصراع و سيناريوهات المستقبل.

تعيش الساحة الدولية منذ اندلاع شرارة المواجهة العسكرية بين روسيا وجورجيا على إيقاع تحولات سريعة في موازين الصراع والتحالفات بشكل لم يعرف العالم مثيلاً له منذ عقود من الزمن، وأن بزوغ روسيا كلاعب إستراتيجي على الساحة الدولية أمر ملاحظ بشكل واسع وقد قوبل بنوع من الرضا داخل روسيا وعدم ارتياح من قبل واشنطن التي تقوم على فكرة انحدار روسيا وتراجعها من الساحة الدولية، حيث أن هذه النظرة لم تعد قائمة في الوقت الذي تشارك فيه بصوت قوي حول قضايا رئيسية على الساحة الدولية، مما أدى إلى تبني الإدارة الأمريكية إستراتيجية تقوم على إعادة تقديرها لطبيعتها علاقاتها مع مختلف الدول والتي سترتبط بموقفها من الأولويات التي ستحددها الإستراتيجية الجديدة.

ورغم تضارب المصالح بين الإستراتيجيتين الروسية الأمريكية والذي يكمن في سعي واشنطن لجعل روسيا دولة ليبرالية ومعارضة موسكو لذلك مما أدى إلى تدهور العلاقات بين البلدين على الرغم من حاجة الإدارة الأمريكية لإبقاء نوع من التقارب مع روسيا خاصة بعد الحرب الباردة، فإن العلاقات التي تربط البلدين تؤخذ طابعا مغايرا لذلك الذي شهدته في حقبة الحرب الباردة والتي تحدد أولويات السياسة الخارجية للبلدين، ولكن يبدو عدم وضوح شكل العلاقات المستقبلية كونه لم يتضح بعد الوزن والأولوية الذي سيمنحه البيت

811 المرجع نفسه، ص206.

812 أحمد، نيبان، "تداعيات أزمة القوقاز"، على الموقع الإلكتروني: http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=155212

الأبيض للنفوذ الروسي رغم المؤشرات التي تشي بإعطاء الملف الروسي الأولوية في المرحلة القادمة. لذلك سنحاول في هذا المبحث استعراض انعكاسات هذه اللعبة على كل من الداخل القوقازي و كذا طرفي الصراع, حتى نتمكن من خلالهم من رسم أهم السيناريوهات المستقبلية المحتملة.

المطلب الأول: الانعكاسات الداخلية و الخارجية.

1 - تأثيرات التنافس الدولي على جنوب القوقاز:

أ - تأثير الرؤية المصلحية الأميركية على الثالوث القوقازي:

تتطلع الرؤية الأميركية إلى احتلال دور قيادي على المسرح القوقازي، إذ أنه إثر تداعيات السياسة النفطية القوقازية، سعت واشنطن إلى تدعيم أسس التعاون الأمني، ومنح ضمانات أمنية لأذربيجان وجورجيا وأرمينيا. ولا ريب أن ظهور وبروز الجماعات العسكرية الإسلامية، والإرهاب الدولي في إقليم القوقاز، سيؤد من بتزودلرة⁸¹³ Perodolarization الأنساق القوقازية وفقا للنموذج الأمريكي ، وهو ما سيؤثر سلبا على تنامي الثقافة الاستيرادية الاستهلاكية على حساب الإنتاجية القومية لدى الشعوب القوقازية.

ويذهب بعض الخبراء السياسيين والاستراتيجيين إلى أن الوجود العسكري الأمريكي في جنوب القوقاز سوف يهدد التماسك الإقليمي، ويضيف عاملا جيوسياسيا إلى دائرة التوتر، التي ستؤدي إلى تفاقم المشكلات الحدودية، واتساع فسيفساء العداوات الاثنية في القوس القوقازي. ولن تنعكس هذه التطورات على العلاقات السياسية بين دول القوقاز فحسب، ولكنها ستعكس على السياسة الداخلية في كل دولة على حدة.

إذ تحت شعار الحرب على الإرهاب الذي تتبناه واشنطن، يستطيع الرئيس الجورجي أن ينال من التيارات الانفصالية عن جورجيا في أبخازيا وأسيتيا الجنوبية. وترفع باكو شعار النفط مقابل الدعم الأمريكي في الصراع مع أرمينيا، من أجل تحرير الأراضي المحتل. في حين تسعى أرمينيا من خلال الجاليات الأرمينية العديدة المتواجدة في الدول الغربية، إلى الحصول على دعم هذه الدول، وفعلا فقد نجح اللوبي الأرميني في الولايات المتحدة الأميركية (1.5 مليون أرميني) من وضع تعاسة أرمينيا في برنامج المسؤولين الأميركيين، (يتلقى الفرد الأرميني أكبر مساعدة أمريكية بعد إسرائيل) عن طريق تصويت الكونغرس على القسم 907 من قانون دعم الحريات، الذي يحظر المساعدات الإنسانية لأذربيجان بسبب حصارها للإقليم الأرميني⁸¹⁴.

813 رفعت, الإمام, " مشكلات الأمن في القوقاز, تداخلات الأعراق والنفط والسياسة", مرجع سبق ذكره, ص165.

إن هذه الرؤية المصلحية للولايات المتحدة الأمريكية والغرب، هي التي ساعدت القيادات المحلية في الدول القوقازية الثلاث ، للتمادي في سياساتهم التعسفية إزاء شعوبهم، ما داموا يخدمون مصالح الغرب ومصالح شركاته هناك. فرغم التشدد الغربي بالديمقراطية وحقوق الإنسان ، إلا أن ما يحصل على أرض الواقع يجعل من ذلك مجرد شعارات لا أكثر.

فالحكام المحليون في هذه الدول متمسكون بالحكم، مستعملين كل الوسائل الإدارية المتاحة: من استخدام المؤسسة العسكرية ، وتحويل الإعلام إلى وسيلة ترويجية، وانتهاء بتزوير الانتخابات. مثل ما حدث في أرمينيا أين أعيد انتخاب الرئيس كوتشارين، وفي أذربيجان خلف إلهام عليف والده حيدر عليف، وفي جورجيا أطاح زعيم الجناح التغريبي ساكاشفيلي بشفنادزه بما عرف بالثورة الوردية⁸¹⁵. إلا أنه، ورغم انتقاد المجتمع الدولي للتزوير الحادث في الانتخابات، فإن الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية انتهت إلى إعادة علاقاتها العادية مع الأنظمة الحاكمة، غير مبالية بالحقوق السياسية والاجتماعية للمواطنين، ما دامت مصالحها الخاصة في مأمن.

ب - الخيارات الأمنية المطروحة

يمثل الثالث القوقازي : أرمينيا، أذربيجان وجورجيا، وجيرانه الكبار: روسيا ، تركيا وإيران، لاعبين أساسيين في اللعبة القوقازية. ولا ريب في أن تدعيم الأمن والاستقرار بين الثالث آنف الذكر من ناحية، وبينه وبين جيرانه من ناحية أخرى، سيثمر إيجابيا على كافة المستويات.

بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه : هل تدشين علاقات التعاون بينهم يكون قبل حل الصراعات أم بعدها؟ تطرح الأدبيات السياسية رؤيتين في هذه القضية:

أولاهما: ترجئ أي نوع من التعاون حتى حل الصراعات.

وثانيتهما: تنشُد فتح قنوات اقتصادية وثقافية وعلمية بين القوى الغارقة في الصراعات، مما سيؤتي أكله في تجديد الثقة فيما بينهم، واتساع آفاق التفاهم وخلق جو سياسي موات لحل الصراعات، بصورة يقبلها كل الخصوم. علاوة على عدم الانزلاق في أتون جولة قتالية جديدة، ستكون وخيمة العواقب ليس على الإقليم فحسب، بل وعلى جواراته أيضا. وطبيعيًا، يستلزم تحقيق هذا الطرح تغييرات جوهرية في البنية العقلية للنخب السياسية القوقازية، وخطابها، في خط متواز مع تغييرات سيكولوجية في العقل الجمعي للشعوب القوقازية. عندئذ فقط، تطرأ نقلة نوعية فريدة على المشهد السياسي.

ولا شك أن ما تشهده الكتلة القوقازية ناجم عن ضعف هياكلها الأمنية والسياسية والاقتصادية، فعلى سبيل المثال: تقف جورجيا على حافة الهاوية، مثقلة بالضغوط تحت نير عجزها عن كبح جماح الفساد، والمضي قدما في طريق الإصلاحات الاقتصادية، ناهيك عن أن صراعاتها الاثنية مع الأبخاز والاوزبانيين والأدجار، والتسلل المتكرر للشيشانيين داخل جورجيا، جعلها رهينة الأسر الروسي- الأمريكي- التركي. وهكذا، تفتقد دول القوقاز للقدرة على معالجة أزماتها دون المساعدات الخارجية. ولذا، تدرك القيادات القوقازية جيدا لموقع القوى الإقليمية ومصالحها في أية أطروحات أمنية. و رغم امتلاك هذه القوى لأدوات مؤثرة على استقرار الأمن القوقازي، إلا أنها لا تتدخل إلا بالقدر الذي يسمح بتغيير دفة الأحداث صوب مصالحها.

وخلال الآونة الأخيرة، ظهرت أطروحات متعلقة بالأمن والاستقرار القوقازيين تبنتها منظمات متباينة، وقيادات سياسية، فيما أطلق عليه " **ميثاق استقرار القوقاز** ". ورغم انقسام القوقاز إلى شطرين " شمالي " و " جنوبي " ، إلا أن أمن الشطرين ضروري، ومكمل لكليهما.

وفي هذا الصدد انبثقت ثلاث أطروحات أمنية جديرة بالذكر:

أولا: الطرح الأرميني الذي يبني المنظومة الأمنية القوقازية على ثلاثة محاور:

1. محور الثالوث القوقازي: أرمينيا وأذربيجان وجورجيا.
2. محور الجوار الإقليمي: روسيا وتركيا وإيران.
3. محور القوى الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية.

ثانيا: الطرح التركي الذي يقيم الطرح الأمني القوقازي على ثلاثة محاور:

1. الثالوث القوقازي أنف الذكر.
2. الجارتان تركيا وروسيا.
3. الجماعة الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية.

ثالثا: الطرح الروسي، الذي ارتكز في رؤيته الأمنية على دعامين فقط هما الثالوث القوقازي

وروسيا.

نلاحظ هنا أن الأطروحات السالفة الذكر تعكس علاقات وطموحات كل طرف، فالطرح الأرميني يتميز بالشمولية والتوفيقية و الاسترضائية لجميع القوى ذوات المصالح في القوقاز، ويمتلك أدوات ضاغطة

للتأثير في صياغة الأنساق السياسية وموازن القوى⁸¹⁶. ولذا، فإن إدراجهم في النظام الأمني سوف يجعلهم شركاء في مجموعة الأمن، و مسؤولين عن الممارسات المستقبلية.

ويلاحظ أن النموذج الأمني التركي، قد أزاح العدو والمنافس التقليدي إيران. كما أن المعادلة الأمنية الروسية التي سميت " بالرباعي القوقازي"، قد أقصت كل البلاد غير القوقازية.

كما أن أذربيجان وتركيا و إيران لم يقدموا نماذجهم الأمنية، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها لاعبا جديدا في الميدان القوقازي لم تقدم رؤيتها عن الميثاق القوقازي، رغم تبني البيت الأبيض سياسة قوقازية نشطة. وعليه فواشنطن سوف تتعامل مع المشكلات الأمنية القوقازية بالكيفية التي تعزز تواجدها، و مصالحها⁸¹⁷.

ت- الأمن القومي-الإقليمي القوقازي

يرى المنظرون القوقازيون ضرورة توافر قاعدتين أساسيتين لضمان الأمن القومي، ومن ثمة الأمن الإقليمي القوقازي:

أولاهما: إنشاء قوات عسكرية قومية، وجيش وطني. وفي هذا الصدد، تمكنت أرمينيا، وبكل وضوح، من تكوين جيش مدرب بأسلحة متطورة، وبالمثل أذربيجان وجورجيا. لكن، ولا واحدة منهن تحس، أو هي على يقين من أنها باستطاعتها ضمان أمنها القومي ، فرغم الجهود المبذولة، فإن الجيوش القوقازية حتى الوقت الراهن ليست على مستوى الموقف الأمني، وإن كانت قادرة نسبيا على التعامل مع الأزمات الداخلية.

ثانيهما: الأمن الوطني يتحدد بالطرق السياسية. وهذا ممكن في حالة ما إذا كانت الشروط السياسية ملائمة، والمناخ المساعد في المنطقة أنشأ نتيجة تحسين العلاقات بين جميع دول جنوب القوقاز، مما يتطلب استقرارا ماديا أو على أقل تقدير علاقات طبيعية ما بين دول جنوب القوقاز. إلا أن حسم المشكلات الأمنية داخل البيت القوقازي بالوسائل السياسية، وتدشين علاقات حميمة أو حتى عادية بين جميع دول الإقليم، يقتضي ضرورة فك شبكة الحصار في الداخل القوقازي وخارجه: الحصار التركي الأرميني، الإيراني الأذربيجاني، الروسي الأذربيجاني، الأذربيجاني الأرميني، الروسي الجورجي. وعندئذ فقط، يتحول القوقاز من شبكة حصار منغلقة إلى شبكة اتصالات منفتحة⁸¹⁸.

816 رفعت، الإمام، " مشكلات الأمن في القوقاز، تداخلات الأعراق والنفط والسياسة"، مرجع سبق ذكره، ص 166.

817 المرجع نفسه، ص 167.

818 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

لكن، سرعان ما يتبين أن فكرة علاقات ودية مستقرة بين دول جنوب القوقاز ما هو إلا وهم، وإخفاق لهذه النية. فأرمينيا وجورجيا وأذربيجان اشتملت على حروب اثنوسياسية، وبالرغم من حقيقة وقف إطلاق النار المحترمة منذ 1994، فإن اتفاقيات السلام لم توقع بعد. هذه إحدى الحقائق السياسية التي كان لها تأثيرات سلبية على مشكلة الأمن الإقليمي للقوقازي.

فأذربيجان تمتلك علاقات أخوية مع تركيا، وودية ودافئة مع جورجيا، وجيدة مع الولايات المتحدة الأميركية. أما علاقاتها مع إيران فهي أبعد ما تكون ودية، وغالبا ما اتسمت بالبرودة والتحفظ مع روسيا.

أما جورجيا فهي محظوظة في علاقاتها، فقد بنت علاقات اقتصادية وسياسية جد متقاربة مع أذربيجان وتركيا والولايات المتحدة الأميركية، وهو ما يمثل رسالة على أنها ستصبح ذات أهمية إستراتيجية. وعلاقاتها مع روسيا سيئة، ومع أرمينيا عادية من خلال قيادات البلدين، ومع إيران وانطلاقا من المعاملات الودية التقليدية بين الشعبين فإن هذا يرشح تطبيع العلاقات الجورجية الإيرانية.

تمتلك أرمينيا علاقات عدائية مع تركيا وأذربيجان، و استرضائية مع إيران وروسيا، وتضغط من خلال لوبيها على الولايات المتحدة الأميركية.

إن هذه الصفة المتضاربة في العلاقات بين جمهوريات جنوب القوقاز الثلاث، وفي علاقاتها الخارجية، تقدم لنا مكونات الحقيقة السياسية في منطقة لا يمكن تجاهلها.

وفي هذا الشأن نشرت مجلة TheEconomist ، في 18 أوت 2000، تحليلا لخبراء غربيين: "... بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، جنوب القوقاز أصبح يشبه دول البلطيق، يمكنه أن يتطور بصورة عالية. بفضل سياحة ومشروب الواين الجورجي، والتقنية الأرمينية مع كبر الشتات الأرميني، ونفط زراعة أذربيجان وعلاقاتها الودية مع الغرب...".

ففي هذا التحليل حاول الخبراء شرح حظوظ النجاح لكنهم لاحظوا:

- أن الحدود الخارجية للدول القوقازية الثلاث تمتد على مسافة ثلاثة آلاف كلم، في حين أن 9 كلم فقط هي حدود ودية، وبالتحديد الحدود التركية الأذرية في ناختشفان.
- أبعد من هذا فإن كلا التقنيتين الأرمينية و الأذرية هما في حالة حرب، كما أن تركيا لا زالت تحاصر أرمينيا، وإيران تستبقي أذربيجان كاحتياط.
- بالموازاة مع التأييد الجورجي لبرودة العلاقات مع أرمينيا، تصعد أذربيجان وجورجيا مجالهما وراء مكتسبات الحرب، وتتهمان أرمينيا و أبخازيا بالوضع غير المستقرة للمنطقة.

كل هذا يجعل من الوضعية السياسية في جنوب القوقاز، والحديث عن الأمن الإقليمي القوقازي غير مجدي، فالمنطقة تسيطر عليها أوضاع مختلفة بعيدة عن موضوعات التعاون والتكامل المرجوة (ملحق 8).

2 - انعكاسات الصراع على الطرفين:

أ - إستراتيجية العلاقات الروسية الأمريكية بعد حرب القوقاز:

لقد جاءت أزمة جورجيا لتشكل ذروة العلاقة المتأزمة بين موسكو وواشنطن، حتى أن كثيرين راحوا يتحدثون عن حرب باردة جديدة بين البلدين وما يمكن أن ينطوي عليه ذلك من افتراق في القضايا الدولية العالقة وتعارضهما في قضايا إستراتيجية ثنائية خصوصا فيما يتعلق بالحد من الأسلحة النووية والدرع الصاروخية، حيث أبدت القمة الثنائية بين الرئيس الأمريكي باراك أوباما ونظيره الروسي ديمتري ميدفيدف أن لدى الطرفين مصالح مشتركة تشكل أساسا للتعاون بين الجانبين من شأنه أن يترك أثارا على الملفات الإقليمية التي تعني البلدين⁸¹⁹

وتمثل العلاقات مع روسيا عنصرا بالغ الأهمية والحساسية بالنسبة للإدارة الأمريكية الجديدة فبرنامج السياسة الخارجية يضع علي رأس أولوياته ملفات معقدة لا يمكن حلها بدون الاستعانة بمساعدة موسكو من أجل التصدي لموضوعات شائكة، كالملف النووي الإيراني والوضع في أفغانستان والبرنامج النووي لكوريا الشمالية، فالصعوبات التي سبق أن واجهتها الإدارة الأمريكية السابقة والتي فضلت التصدي لها باعتماد سياسة خارجية انفرادية أفضت إلي حدوث تراجع للنفوذ والهيمنة الأمريكية⁸²⁰.

وتسعى الإدارة الأمريكية الجديدة إلى إقامة علاقات بناءة مع روسيا في المجالات التي يمكن التعاون فيها ضمن الاحترام والمصلحة المتبادلة في ظل قناعة أمريكية بأن المرحلة السابقة عرفت تضييقا كبيرا على موسكو وتميزت بأحادية مفرطة وصلت إلي درجة الرجوع إلي حقبة الحرب الباردة، حيث شكلت حرب روسيا ضد جورجيا إشارة قوية إلى واشنطن وحلفائها على مدى ما يمكن أن تذهب إليه موسكو في الدفاع عن مصالحها الحيوية فيما تسميه الجوار القريب، وعليه فالأولوية لدى الإدارة الأمريكية الجديدة تتجه

819 فارس، فائق ظاهر، مرجع سبق ذكره.

820 أحمد، ذياب، "أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية الروسية"، السياسة الدولية، المجلد 44، عدد 175، جانفي 2009، ص ص 20-25.

نحو التركيز في المرحلة المقبلة علي فتح صفحة جديدة في العلاقات بين الجانبين, من أجل احتواء ما يوصف بردود الفعل الروسية المتشنجة والناجمة عن إحساسها المتنامي بالعزلة والحصار.

وعلى الرغم من الموقف الأمريكي الداعم للتقارب مع روسيا إلى أنه ما زال لدى الأوساط السياسية الروسية اعتقاد بأن السياسة الأمريكية تجاه موسكو لن تشهد تغييرات جذرية, على إعتبار أن الولايات المتحدة لا تزال تحت تأثير بقايا الحرب الباردة, وأن أغلبية مؤسسات إنتاج السلاح وشركات النفط تجد في تصعيد التوتر بين البلدين مصالح مباشرة, كما لا تعتقد موسكو أن واشنطن ستترجع عن نشر أسلحتها الإستراتيجية الهجومية خارج أراضيها,⁸²¹ كما أن مضاعفات أحداث جورجيا لن تقتصر بالطبع على تدشين ولادة سياسة خارجية روسية نشطة, بل ستكون لها أيضاً تبعات مهمة في الشرق الأوسط, فعلى الرغم من إدعاءات واشنطن حول هيمنتها الدولية في عالم أحادي القطبية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي أثبتت أنها مبالغ فيها إلى حد كبير, فروسيا تقول الآن بأنها ستتحدى هذه الأحادية عبر تحويل نفسها إلى قطب عالمي من خلال تطوير علاقاتها مع دول الشرق الأوسط على الصعيد الاقتصادي والإستراتيجي.⁸²²

وعلى صعيد العلاقات الخارجية لروسيا فقد احتلت العلاقة مع الولايات المتحدة حيزا كبيرا في تفكير المؤسسة السياسية الروسية, حيث يمكن وصف العلاقات بين موسكو وواشنطن باحتوائها على قدر كبير من التشكيك المتبادل وعدم الثقة, لأن أمريكا تحاول إبقاء النظام الدولي الأحادي القطبية على حاله على الرغم من أن روسيا تسعى لتدشين نظام متعدد الأقطاب تجد فيه مكانا ملائما لها على الرغم من أنها لا تسعى بالوقت الحالي لان تصبح شريكا حليفا للإدارة الأمريكية على قدم المساواة في الشؤون الدولية, إلا أنها ما زالت تعترف بأولوية الولايات المتحدة في قيادة العالم والنظام الدولي بعيدا عن التفرد والاستبداد وسياسة فرض الأمر الواقع⁸²³, كما أن روسيا لا تقبل صدارة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي في الوقت الذي تريد إقامة علاقات طيبة معها وليس العكس, حيث تسعى لان تكون جزء من نظام عالمي تفقد فيه الإدارة الأمريكية إلى الصدارة والهيمنة⁸²⁴.

821 منير, شفيق, "الحرب الروسية الجورجية: مقدمات وأبعاد", عن الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F8D6BBA7-70D9-45FE->

-ACA2

822 فارس, فائق ظاهر, مرجع سبق ذكره.

823 أيمن, طلال يوسف, "روسيا البوتانية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولوية الجيوبولوتيكية الخارجية (2008-2009)", مجلة المستقبل العربي, العدد 358, كانون أول

2008, ص ص76-84.

824 جورج, فريدمان, "مبدأ مدفيدف والإستراتيجية الأمريكية", مجلة المستقبل العربي, العدد 356, تشرين أول 2008, ص ص122-128.

ب - انعكاسات الصراع على الوضع الجيوستراتيجي لروسيا:

تراود القادة الروس الرغبة في إعادة تعزيز الدور الروسي، كما كان حال الاتحاد السوفيتي، ولكن في إطار تنافسي، وليس تصارعي، وهو توجه تأكد بعدما استعادت روسيا إمكانية اعتمادها على نفسها في بناء قوتها الاقتصادية، وتمكنها من سداد ديونها، التي كانت تؤثر في استقلاليتها وتبعيتها السياسية للغرب في عقد التسعينيات، وبدأت في محاولة لقلب اللعبة مستغلة أنشطتها التجارية في مجالي النفط والغاز الطبيعي للتأثير سياسيا، من قريب أو بعيد، في الدول الأوروبية التي تعتمد بشكل أو آخر على صادرات روسيا من النفط والغاز⁸²⁵.

لا شك في أن أهم هدف تسعى إليه روسيا الاتحادية هو إعادة هيكلتها والحفاظ على أمنها وسيادتها من أي خطر يحيط بها، وهو أمر يدفعها إلى تعزيز وضعها العسكري في المناطق الحدودية... وهنا تظهر قضية انضمام جورجيا وأوكرانيا، وحتى أذربيجان، إلى حلف شمال الأطلسي، وهو ما يعني أن هذا الحلف يحد روسيا مباشرة، وهو أمر تعتبره روسيا خطرا كبيرا على أمنها القومي واستقرارها وإمكانية حركتها وتوجهاتها، سواء على المحيط القريب منها، دول الاتحاد السوفيتي السابق، أو على المحيط الأبعد، مثل الصين أو إيران أو غيرها من الدول⁸²⁶.

ليس هذه المسألة فحسب، وإنما يضاف إليها نشر الدرع الصاروخية الأمريكية في دول الاتحاد السوفيتي السابق، وتجاهل كل الدعوات الروسية لحل هذه المسألة بطريقة تزيل الشكوك الروسية من أنها هي المستهدفة من هذا المشروع، وأيضا تأتي مسألة استقلال كوسوفو وتجاهل الرفض الروسي لهذا الوضع⁸²⁷.

قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، كان الخصم المواجه، أي الولايات المتحدة، باعتبارها قائدة التحالف الغربي (حلف شمال الأطلسي) والقوة العظمى الموازية له، يمثل تهديدا يوميا لخيارات الاتحاد السوفيتي الإستراتيجية. وبعد تفكك هذا الاتحاد، ظلت الولايات المتحدة متربعة على قمة الهرم الدولي، ومتمتعة بعناصر القدرة التي استخدمتها بشكل غير مسبوق، بدءا بحرب الخليج الثانية، وما ظهر على الصعيد الدولي بعد ذلك في البلقان وأفغانستان. وقد شكلت أحداث 11 سبتمبر 2001، بالنسبة إلى الولايات المتحدة واقعا

825 "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية"، دراسة صدرت يوم 2016/4/6. على الرابط: <http://www.politics->

/dz.com/threads/qra-fi-alstratigi-alrusi-byd-alxhbr-albard-uanykasatxa-yl-almntq-alyrbi.4534

826 المرجع نفسه.

827 إيزابيل، ماندر، "العقيدة الروسية الدفاعية وحرب باردة جديدة" جريدة الحياة، 21 ديسمبر 2016: على الموقع: <http://www.alhayat.com/Opinion/Writers>

مهما زاد من شراستها في استخدام أدوات القدرة المتاحة لها. ومن هنا، انصب جهد كبير من جهود المخططين الاستراتيجيين الروس لمواجهة هذا الفعل الأمريكي، الذي لم يعد يرقى إلى مستوى التهديد اليومي لروسيا الاتحادية، ولكنه يظل عامل قلق يوميا تخشى عواقبه التي قد تؤثر في الخيارات الإستراتيجية الروسية الناتجة من سعي روسيا الاتحادية إلى تلبية مطامحها ومصالحها القومية. من هنا، فإن استثمارا كبيرا بالقيمة المعنوية للمصطلح قد وجه طوال عقد التسعينيات لمواجهة مساعي الولايات المتحدة لاحتواء روسيا الاتحادية وتحجيمها ومنعها من الانطلاق، تنفيذاً للإستراتيجية الأمريكية الداعية إلى عدم السماح لأي قوة إقليمية أو دولية مهما كانت بالتصاعد بقدراتها لتشكل تهديدا إستراتيجيا للولايات المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي⁸²⁸.

إلا أن الفرصة أصبحت مواتية لروسيا الاتحادية التي تحاول الاستفادة كثيرا من الوضع الحالي على الساحة الدولية، فالولايات المتحدة مشغولة بحربها على الإرهاب في كل من أفغانستان والعراق، والتي استنزفت الكثير من قدرات وإمكانيات الولايات المتحدة للتحرك بصورة أكثر حرية ومرونة.. زاد عليها الوضع الاقتصادي والأزمة المالية العالمية التي شغلت التفكير الأمريكي لإيجاد الحلول المناسبة، للخروج من هذه الأزمة بأقل الخسائر. وهذه كلها أمور صبت في رجحان كفة الميزان، ولو بشكل نسبي، لصالح روسيا الاتحادية. ولا سيما في توجهاتها نحو منطقة الجوار القريب، التي تعدها روسيا منطقة نفوذ إستراتيجي لها، وأي مساس أو تحرك سلبي في هذه المنطقة ترى روسيا أنه يؤثر تأثيرا مباشرا في أمنها القومي ومصالحها العليا⁸²⁹.

كل هذه القضايا وغيرها كانت المحرك الأساسي وراء قيام روسيا الاتحادية بانتهاز الفرصة المواتية لضرب جورجيا. الحليف الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية. والساعية بكل الوسائل للدخول في المنظومة الغربية والابتعاد عن كل ما هو روسي. وهو ما مكن روسيا من إعطاء درس قاس لجورجيا، وإعطاء إشارة تنبيه إلى أي دولة من دول الاتحاد السوفيتي السابق تحاول التحرك تجاه المنظومة الغربية على حساب مصلحة وأمن روسيا الاتحادية... إن النتيجة الطبيعية كانت أن القوات المسلحة الجورجية لم تستطع الصمود أمام القوة الروسية التي لاحقتها داخل جورجيا ذاتها، فقد ترتب على الحرب فقدان جورجيا السيطرة على ميناء بوتي، واقتطاع إقليمي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا منها. ويعد هذا التطور ترجمة سريعة لنتائج الحرب ضد روسيا. وظلت جورجيا تطالب المجتمع الدولي والولايات المتحدة الأمريكية ضمان سلامة أراضيها داعية حلف شمال الأطلسي كمنظمة سياسية وعسكرية بالقيام بهذه المهمة، معلنة استعدادها

⁸²⁸ "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية" مرجع سبق ذكره.

⁸²⁹ إيزابيل، ماندر، مرجع سبق ذكره.

لاستضافة القطع العسكرية التابعة للحلف والدول الأعضاء فيه في الموانئ والأراضي الجورجية. وقد صعدت جورجيا في موقفها عندما أعلنت عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع روسيا، والبدء بترحيل الممثلين الدبلوماسيين الروس لدى جورجيا.. ويقدر ما أن هذه الخطوة تعد بمثابة رد على الاعتراف الروسي بالجمهوريتين، فإنها تكشف عن طبيعة الأزمة المفتوحة على كل الاحتمالات والاتجاهات⁸³⁰.

لكن، يتبادر إلى الذهن التساؤل التالي: هل أن الأمور قد وصلت إلى الحد الذي سيطلق يد روسيا بشكل مطلق، وصولاً إلى تحدي القطبية الأحادية الأمريكية، وهل أن رياح الحرب الباردة قد هبت من جديد على الساحة الدولية بشكل يعيد إلى الأذهان ما كان عليه الوضع إبان الحرب الباردة السابقة التي انتهت بتفكك الاتحاد السوفيتي، وهل أن ضعاف العالم سيجدون ملجأً في روسيا بعيداً عن الهيمنة والسطوة الأمريكيتين التي فاقت التصور، وهل أن روسيا ما بعد حقبة جورجيا مستعدة لتحمل تبعات التنافس الجديد؟⁸³¹.

للإجابة عن هذه التساؤلات، لا بد أولاً من تحليل التبعات والالتزامات لروسيا للعب دورها الجديد. إن أول هذه الالتزامات هو تعهد وتمسك روسي بالمجابهة، وهو أمر بينت روسيا بوضوح أنها لن تذهب إلى هذا الخيار، بل ستسعى إلى الحوار، ثم إن هذا الخيار يتطلب اهتماماً روسياً حثيثاً بالدخول في ما يشبه سباق التسلح مع الولايات المتحدة، وهو أمر سبق لها أن جربته أيام الاتحاد السوفيتي وفشلت فيه. إن ذكريات حرب النجوم نجد لها صدى الآن في برنامج الدرع الصاروخية الأمريكية. وهنا، لا بد لنا من الإشارة إلى أن الترسانة العسكرية الروسية تحتاج بشقيها النووي والتقليدي إلى تطوير وتحديث، وقد بدأت روسيا بالفعل تحديث منظومة دفاعها الجوي، لكن من الواضح أن روسيا ستفكر طويلاً قبل أن تدفع بخيار التحديث ليصل إلى حافة سباق التسلح، لأسباب عدة ليس أقلها أن الاقتصاد الروسي وإن كان قد بدأ بتجاوز أزمته، إلا أنه لم يتعاف تماماً.. وقد استنزفت الأزمة المالية والاقتصادية العالمية الأخيرة نسبة لا بأس فيها من الاحتياطات المالية الروسية بالعملة الصعبة، فإذا ما أضفنا إلى هذا تراجع أسعار النفط بنسبة تزيد على خمسين بالمائة حتى الآن، سنجد أن روسيا ليست مستعدة بعد للذهاب إلى حدود الخطر في مجاببتها للولايات المتحدة، قائدة حلف شمال الأطلسي⁸³².

830 المرجع نفسه.

831 "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية" مرجع سبق ذكره.

832 المرجع نفسه.

من ناحية أخرى، نجد أن روسيا أبدت تصميمًا وحزمًا في ألا يصل حلف شمال الأطلسي إلى حمى دارها، وحذرت المعنيين (أوكرانيا وجورجيا) من مغبة الذهاب إلى خيار الانضمام إلى الحلف من ناحية، ونقلت على لسان مسؤوليها الكبار رسالة حازمة إلى بولندا (الحليف السابق، وفيها مقر حلف وارسو، وهي عضو في حلف شمال الأطلسي الحالي) أن لا تفتح أبوابها وتستضيف الدرع الصاروخية الأمريكية، ملمحة إلى احتمال إعادة توجيه أسلحتها دفاعًا عن أمنها القومي إذا ما شعرت بالتهديد⁸³³.

أما على الصعيد الأوروبي، فإن روسيا تنتظر إلى أوروبا نظرة يشوبها هي الأخرى شيء من الضبابية وعدم الوضوح. فمن جهة هنالك شعور روسي راسخ بالانتماء إلى أوروبا، الأمر الذي يدفع إلى التعامل معها، وفتح آفاق ليست بالقليلة لترسيخ هذا التعامل ودفعه قدمًا، ومن جهة أخرى، أضحت أوروبا كلها أو قسم كبير منها عضواً في حلف شمال الأطلسي. كما أنها تحولت فعلاً إلى قوة اقتصادية هائلة ممثلة بالاتحاد الأوروبي الساعي نحو التوسع ليضم أوروبا كلها، الأمر الذي يثير تساؤلات جدية حول موقف روسيا من الاتحاد الأوروبي، وهذا هو الآخر مبعث قلق دائم للمخطط الاستراتيجي الروسي⁸³⁴.

من المنظور الروسي، لا تبدو العلاقات الروسية - الغربية علاقات يشوبها العداء أو الصراع، وإنما تدخل في إطار تنافسي بحت، ولا سيما أن روسيا اليوم لا تسعى إلى الهيمنة العالمية وإعادة دور الاتحاد السوفيتي السابق بقدر ما تسعى إلى المحافظة على مصالحها وبناء دولة لها هيبتها. و بالفعل، بدأت روسيا في الظهور كعامل كبير في مجال الطاقة، الأمر الذي يثير بطبيعة الحال قلق الكثير من الأوروبيين والأمريكيين. ومن شأن الانجذاب العام لدى الروس تجاه أوروبا، وقربها الجغرافي من بلادهم، إحداث تقارب اجتماعي تدريجي بين الاتحاد الأوروبي وروسيا... إلا أنه على الرغم من غلبة الطابع الغربي على الطابع الآسيوي لدى روسيا، كونها من الناحية الجغرافية تعد دولة أور - آسيوية بطبيعتها، لكن هذا لا يعني ضرورة التوحد مع الدول الغربية على حساب السيادة والهيبة الدولية لروسيا. فالدعوات التي ظهرت بقوة في العقد الأول من ظهور الدولة إلى ضرورة التوحد والاندماج مع الحضارة الغربية، والميل نحو اتخاذ سياسات موالية للسياسات الغربية، بدأت بالتلاشي والاندثار مع النزوع نحو ضرورة تأكيد الهيبة والمكانة الروسييتين اللتين كانتا تملكهما أيام الاتحاد السوفيتي، وتعزز هذا التوجه مع تحسن الوضع الاقتصادي، فضلاً عن توفر القيادة الحازمة والعازمة على تنفيذ مثل هكذا توجهات⁸³⁵.

833 إيزابيل، ماندرو، مرجع سبق ذكره.

834 "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية" مرجع سبق ذكره.

835 إيزابيل، ماندرو، مرجع سبق ذكره.

وبخصوص عوامل القلق الأخرى، فلا بد من وضع الصين في حيز واضح في تصورات المخطط الاستراتيجي، وسيكون منطلق العلاقات بين البلدين عوامل التوافق في المصالح الإستراتيجية من جهة، أو الخلافات التي أضحت الآن خلافات حدودية بعد أن دفن الخلاف الفكري الأيديولوجي من جهة أخرى. لذلك، فإن صياغة شكل مقبول لتطوير العلاقات مع الصين والجوار الآسيوي قد أصبحت من أولويات الإستراتيجية الروسية الحالية⁸³⁶.

وتعد الهند من القوى التي توليها روسيا الاتحادية أهمية كبيرة، نظرا إلى وجود علاقات تاريخية تقليدية تعود إلى أيام الاتحاد السوفيتي السابق. وتظل علاقات روسيا مع دول عالم الجنوب، والأسواق التقليدية التي تسعى إلى الحفاظ عليها وتطويرها، من العناصر المهمة التي لا بد من إعطائها أهمية قصوى عند البحث في هذا المجال. وهنا يصبح دور وتأثير العلاقات الاقتصادية و التسليحية بين روسيا وإيران ذا أهمية كبرى في هذا المجال⁸³⁷.

ت - انعكاسات الصراع على الوضع الجيوستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية:

يتحدد هيكل النظام الدولي بنمط توزيع القوى فيما بين الدول الكبرى عند قمة ذلك النظام، وهو النمط الذي يحدد بدوره نمط القطبية في النظام الدولي، وليس هناك نوع واحد من القوة يتحدد به نمط هيكل النظام الدولي، ولكن بالقوة العسكرية والقوة التكنولوجية والقوة الاقتصادية جميعا يتحدد ذلك الهيكل وفي هذا الشأن فإن الولايات المتحدة تنفرد دون سواها من القوى الكبرى بوضع القطب الذي يجمع بين يديه الأنواع الثلاثة من القوة معا ولعل ذلك الوضع هو الذي يدعو كثيرا من الباحثين إلى وصف هيكل النظام الدولي بالأحادية القطبية.

إن القدرة الكبيرة التي تتمتع بها الولايات المتحدة الآن على إنفاذ تصوراتها وتحويلها إلى واقع معاش تعود إلى الفجوة الكبيرة التي تفصلها عن غيرها من القوى الكبرى الأخرى من حيث القوة العسكرية والقوة التكنولوجية العسكرية، وإلى تقدمها على تلك القوى الأخرى من حيث القوة الاقتصادية، وأيضا إلى امتلاكها لتصور استراتيجي متكامل لمستقبل النظام الدولي وعدم امتلاك الآخرين لتصور بديل كما يرى بعض المنظرين في واشنطن⁸³⁸.

⁸³⁶ "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية" مرجع سبق ذكره.

⁸³⁷ المرجع نفسه.

⁸³⁸ عمر، نجيب، "الشرق الأوسط في مآهات الحرب الباردة المتجددة: النزاعات بالوكالة أداة جديدة لتمزيق وحدة الدول"، يوم 2014/12/8 على الرابط:

تتطلق رؤية السياسة الأمريكية من اعتبار أحداث 11 سبتمبر نقطة انطلاق من أجل تغيير النظام الدولي والتغيير المتصور هنا هو تغيير في قواعد إدارة العلاقات الدولية، وتغيير في أنظمة بعض الدول أو الوحدات التي تشكل عضوية النظام الدولي، وعلى النحو الذي يكرس أحادية القطب الأمريكي وسيطرته على النظام الدولي وينشر مبدأ الحرية الذي اتخذته الولايات المتحدة معياراً لسياستها منذ لحظة انخراطها في شؤون العلاقات الدولية هذه الرؤية لا تقر سياسة الاحتواء، ولا توازنات القوى، ولا استراتيجيات الردع، كما أنها لا تقدس القواعد القانونية التي قامت عليها حركة العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والسبب في ذلك هو تغير الأساس الفلسفي للرؤية الأمريكية الراهنة لمستقبل النظام الدولي، فبعد أن كانت الولايات المتحدة تتزعم فريق الدول الداعية إلى الحفاظ على الوضع القائم، والاعتماد على مفاهيم وسياسات توازن القوى والاحتواء والردع، أصبح واجباً أن تتحول إلى قوة داعية إلى تغيير النظام الدولي حتى ولو استلزم ذلك عدم احترام مبادئ السيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وصنع التغيير لدى الغير بائتلاف مع الدول الحليفة الجاهزة للتدخل، والمؤمنة به مثل بريطانيا، وإلا فيجب أن يتم التغيير بتدخل أمريكي منفرد⁸³⁹. و وفقاً لهذه الرؤية الجديدة لفريق المحافظين الجدد فإن العبرة في شأن مشروعية التدخل من أجل التغيير ليست بما إذا كان ذلك العمل متوافقاً مع المبادئ والقواعد القانونية الدولية التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة أو الاتفاقيات والأعراف الدولية.

لكن عناصر القوة التي تصورت واشنطن امتلاكها بشكل منفرد أخذت تتفكك نتيجة أزمتها الاقتصادية وتقلص قدراتها العسكرية مقابل نهوض روسيا وتمكنها من إعادة وضع توازن الرعب بفضل قوتها العسكرية المتنامية، وبمعيار المساحة، والموارد الاقتصادية، والقدرات الكامنة العلمية والتكنولوجية، وكذلك نظراً لما شهدته، خلال السنوات الماضية، منذ تولي فلاديمير بوتين رئاستها عام 2000، من خطوات للعودة إلى مسرح السياسة العالمية، بعد سنوات من تفكك الإمبراطورية السوفيتية، وبروز بوادر خطر من احتمال التجزئة، وانفصال جمهوريات ومناطق عن جسد الدولة الروسية نفسها⁸⁴⁰.

تقدم الصين السريع نحو المرتبة الاقتصادية الأولى على الصعيد الدولي، المرفوق ببناء قوة عسكرية مرشحة لأن تصبح نداً مكافئاً للولايات المتحدة إذا ما أُضيفت إلى القوة الروسية تفرض تفوقاً كاملاً، هذه

839 عمر، نجيب، مرجع سبق ذكره.

840 "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية" مرجع سبق ذكره.

كانت كلها عوامل إضافية في تحجيم الهيمنة الأمريكية وعرقلة مشاريعها خاصة في المناطق الغنية بالطاقة، الذي يعتبر العديد من السياسيين التحكم فيها أحد العناصر الأساسية في إقامة نظام عالمي جديد⁸⁴¹.

المشكلة أن غالبية مخططي السياسة الأمريكية لا يعترفون بهذه التحولات ويواصلون سياسة التدخل بشكل أو بآخر، وخاصة عبر ما يسمى المواجهة الناعمة أو الحرب بالوكالة، وذلك باستخدام أطراف أخرى للقتال بدلا عنهم بشكل مباشر مثل المرتزقة والأحزاب والمنظمات التي تتبنى العنف للوصول إلى السلطة بالتعاون مع أطراف أخرى محلية و خارجية، حيث تأمل واشنطن أن تتمكن هذه الأطراف من ضرب أطراف أخرى والوصول في النهاية إلى النتيجة المرجوة دون الانجرار إلى حرب شاملة⁸⁴².

حدثت بعض الحروب بالوكالة في نفس الوقت الذي حدثت فيه حروب شاملة. ويعتقد بعض المحللين أنه من شبه المستحيل أن تحدث حروب خالصة بالوكالة، حيث أن الأطراف الوكيلة قد يكون لها أهدافها الخاصة التي قد تتحرف عن مصالح الأطراف التي وظفتها.

يعد مفهوم القوة الناعمة من المفاهيم الجديدة التي استحدثت في عالم الحروب وذلك باستخدام وسائل وأساليب للتأثير على الآخرين تخلو من الاستخدام المباشر للقوة العسكرية، وهذا ما عبر عنه جوزيف ناي الباحث والمتخصص في الشؤون العسكرية ووكيل وزير الدفاع الأمريكي الأسبق الذي تحدث عن القوة الناعمة بقوله: "استخدام كافة الوسائل المتاحة للتأثير على الآخرين باستثناء الاستخدام المباشر للقوة العسكرية"⁸⁴³.

خلال الثلث الأخير من سنة 2013 أكد زبيغنيو بريجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق أن مفهوم الهيمنة العالمية فقد بريقه وان حقبة سلطة أمريكا على العالم قد انتهت محذرا من مواصلة السياسات السابقة لما تمثله من تهديد للأمن الدولي. وأوضح بريجنسكي في كلمة له بجامعة "جون هوبكينز" أن حقبة الهيمنة الأمريكية على العالم بعد الحرب الباردة والتي استغرقت 13 عاما، انتهت أيضا، بسبب تقويض شرعيتها خلال الأعوام الأخيرة. و أن على أمريكا أن تواكب العالم الحديث الذي يواجه تعقيدات وتكيف معه. منتقدا التصريحات التي أطلقها الرئيس الأمريكي باراك اوباما و وصفه للشعب الأمريكي بأنه شعب استثنائي⁸⁴⁴.

841 عمر، نجيب، مرجع سبق ذكره.

842 المرجع نفسه.

843 "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية" مرجع سبق ذكره.

844 المرجع نفسه.

وجهة نظر زيبغنيو بريجنسكي وجدت دعماً نسبياً من جانب أحد رواد فكر المحافظين الجدد الذي يتخلّى ولو مرحلياً عن فكرة الهيمنة الأمريكية ولكنه في نفس الوقت يكشف جزءاً من مخططات إعادة رسم حدود الدول، حيث يقدم وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر في كتابه الجديد "النظام العالمي" الصادر سنة 2014 تأملاته وقراءته لمسار تاريخ النظام العالمي، وما سيؤول إليه الوضع في ظل تنامي الفوضى وانعدام الاستقرار وتداخل العلاقات الدولية⁸⁴⁵.

ويتحدث كيسنجر عن وضع عالمي جديد سيظهر نتيجة انهيار بعض الدول التي لم تعد قادرة على فرض هيبتها على أراضيها وظهور قوى جديدة في مكان سلطتها ومناطق سيادتها. هذا الوضع العالمي الراهن الذي تتشابك فيه الصراعات والأزمات من الشرق الأوسط إلى المحيط الهادئ، وتتعارض فيه مصالح القوى الدولية وتتلاقى في كثير من زواياها ومؤامراتها⁸⁴⁶.

من خلال هذه القراءة يؤكد رئيس الدبلوماسية الأمريكية، في عهدي الرئيسين نيكسون وفورد، انتماءه إلى المدرسة "الواقعية"، وفيها قدم أطروحته عن توازن القوى التي تفند نظيرتي صراع الحضارات ونهاية العالم، وتلخص حال النظام العالمي الحالي، مؤكداً للذين يتهمونهم بالتركيز على الواقعية على حساب كل الاعتبارات الأخرى، أن "المثاليين لا يحتكرون القيم الأخلاقية، أما الواقعيون فيجب عليهم أن يدركوا أن المثل هي أيضاً جزء من الواقع"⁸⁴⁷.

ويضيف أنه في عصر الإرهاب الانتحاري وانتشار أسلحة الدمار الشامل، يجب النظر إلى النزاع الطائفي الإقليمي على أنه تهديد للاستقرار العالمي، وأن عدم تحقيق ذلك الاستقرار يهدد مناطق شاسعة بالفوضى وبيانتشار التطرف في مناطق أخرى، وحتى من ساعد القوى المتطرفة لأي سبب من الأسباب، فهو ليس بمأمن من خطرهما⁸⁴⁸.

ولتفادي الانزلاق يقترح هنري كيسنجر أن تطرح الولايات المتحدة السؤال التالي أولاً: هل الأفضل التدخل أحادي الجانب أم متعدد الأطراف؟. أو هل يجدر بالولايات المتحدة أن تتسحب؟

845 المرجع نفسه.

846 المرجع نفسه.

847 المرجع نفسه.

848 المرجع نفسه.

وعليه يجب على الغرب أن يكون حذرا في منطقة أوراسيا في ما يخص الوضع الأوكراني والروسي. "نحن نقول إن أوكرانيا دولة، لكن بالنسبة إلى روسيا، أوكرانيا هي جزء من التاريخ الروسي. كل طرف يتصرف بعقلانية لكنهما يصعدان من التزامهما لتصل إلى أزمة لا تتناسب مع حجم الخلاف"⁸⁴⁹.

لا يختلف كثير من المحللين في أن عودة التوازن إلى الساحة الدولية يشكل أحد الدعائم التي تتعامل معها الدول في نطاق جهودها لمواجهة التحديات التي تفرضها السياسات الأمريكية. فخلال السنوات الأربع الأولى من العقد الحالي، تبنت روسيا مواقف في سياستها الخارجية أحييت التطلعات بعودة التوازن. وكانت خطوات ومواقف السياسة الروسية في مختلف مناطق العالم لافتة⁸⁵⁰.

وتمت الإشارة إليها تحت عنوان عريض، وهو "عودة روسيا"، في مشابهة بين الدور السوفيتي السابق في الخمسينيات والستينيات وما يتوقع من العودة الثانية لروسيا من تحالفات عسكرية، ومحاور مناهضة للسياسات الأمريكية. ويحمل هذا المذهب في طياته رؤية تري أن روسيا تستغل التوتر والاضطراب في علاقات دول العالم مع الولايات المتحدة في تسجيل نقاط قوة جديدة، واستعادة مواطئ قدم في دول لا تزال في الخندق الأمريكي⁸⁵¹.

إن التحول في النظام الدولي له دلالات عديدة، منها أن المواقع القيادية داخل هيكل ذلك النظام لم تعد مقصورة علي قوي غربية وأمريكية أساسا، أو قوي أوراسية مثل روسيا، وإنما تمتد لتشمل قوي آسيوية مثل الصين، ثم الهند، أو لاتينية مثل البرازيل. إن وجود مجموعة البريكس التي تضم الصين، والهند، وروسيا، والبرازيل، وجنوب إفريقيا، أو مجموعة ال20، هو من مؤشرات التعددية القطبية اقتصاديا، هو ما يجعل مساحة السيطرة، أو القيادة، أو التأثير لكل من الولايات المتحدة وروسيا أقل مما كانت عليه أيام الحرب الباردة وما بعدها⁸⁵².

مما يعني أن النظام الدولي أصبح أكثر تعقيدا، وأكثر اهتزازا، ويقبل فيه النفوذ الأمريكي، ويقبل فيه النفوذ الروسي عن سابقه السوفيتي، وإن كان أقوى من نظيره الروسي، خلال العقد الأول من زمن ما بعد الحرب الباردة. يؤدي ذلك كله إلي مسرح أكثر تركيبية وأجندة دولية أكثر تعقيدا على الجميع.

849 المرجع نفسه.

850 المرجع نفسه.

851 المرجع نفسه.

852 المرجع نفسه.

يسعى البيت الأبيض عبر وسائل إعلامه وتصريحات مسؤوليه إلى التقليل من خطورة التأزم المتواصل في العلاقات مع الكرملين، والتلويح بأن تفاهات مشتركة يمكن أن تتم وذلك في محاولة لإقناع بعض الدول بعدم رهن أمنها بالتقارب مع روسيا. ولكن الأحداث تشير إلى أن المواجهة ربما تكون الأخطر منذ الحرب الكورية ذلك أن موسكو تشعر أن الولايات المتحدة لا تسعى فقط لمنعها من استعادة مكانتها الدولية بل تعمل على تدميرها.

وقد وجه في 4 ديسمبر 2014 الرئيس الروسي فلاديمير بوتين جملة اتهامات خطيرة للغربيين خلال عرضه حصيلة السنة في كلمته السنوية أمام مجلسي البرلمان الروسي، حيث أكد أن روسيا أمة متماسكة قادرة على الدفاع عسكرياً "عن مواطنيها" وهي ضحية ساسة الغرب الساعين منذ القدم إلى إضعافها كلما أصبحت "قوية جداً ومستقلة"⁸⁵³.

وانتقد الرئيس الروسي "النفاق الصرف" الذي يمارسه الغربيون الذين لا يسعون، برأيه، إلا إلى البحث عن ذريعة لمعاينة روسيا. وقال إن "العقوبات التي فرضت نتيجة أزمة أوكرانيا لم تكن مجرد رد فعل عصبي من قبل الولايات المتحدة أو من قبل حلفائها"⁸⁵⁴.

واعتبر بوتين أنه "حتى بدون الأزمة الأوكرانية وضم القرم، لكانوا ابتكروا شيئاً آخر للحد من قدرات روسيا المتنامية". وشدد على أن "هذه الطريقة في التصرف ليست جديدة. هذا يعود لعقود وقرون. وبالفعل، فكل مرة يعتبر شخص ما في الغرب أن روسيا قوية للغاية ومستقلة، تظهر الآليات المتعلقة بوقف تقدم روسيا"⁸⁵⁵.

وانتقد أيضاً الولايات المتحدة التي "تسعى وراء التأثير من وراء الكواليس أو مباشرة على علاقاتنا مع جيراننا". وقال هازئاً: "أحياناً، لا نعرف مع من يجدر بنا أن نتكلم، مع الحكومات أو مباشرة مع حمايتها أو رعاتها الأمريكيين". وأعرب بوتين عن رغبته في "إعادة توطيد العلاقات التقليدية مع قارة أمريكا الجنوبية وكذلك مع أفريقيا ودول الشرق الأوسط.

وأكد بوتين أن التفوق على روسيا عسكرياً أمر مستحيل وجيشها قادر على الوقوف في وجه أي تحدي، وأعاد إلى الأذهان فترة كانت فيها روسيا أمام مخاطر تفتت جدية، وواجهت حركات انفصالية مدعومة من الخارج، لكنها تمكنت من الحفاظ على وحدة أراضيها ولم تتفكك رغم مساعي بعض الجهات

853 المرجع نفسه.

854 المرجع نفسه.

855 المرجع نفسه.

لتطبيق السيناريو اليوغسلافي فيها. وأشار بوتين إلى أنه على رغم انفتاح روسيا كان خطر تقسيمها قائما وفق سيناريو يوغوسلافيا بكل ما يترتب عليه من عواقب مأسوية، مشيرا إلى "حراك انفصالي مدعوم من الخارج إعلاميا وسياسيا وماليا وعبر قنوات استخباراتية"⁸⁵⁶.

واعتبر أن خطط واشنطن لنشر "درع صاروخية" في أوروبا تهدد الأمن الاستراتيجي الدولي، "لأنها تخلق وهما خطيرا لدى واشنطن بأنها في أمان مطلق، ما يدفعها نحو قرارات أحادية الجانب وغير مدروسة"، مشددا على أن بلاده "لن تهزّم أبدا، ولن تسمح لأي طرف بالتفوق عليها عسكريا". وأصر بوتين على أن "الحديث مع روسيا بلغة التهديدات ومنطق القوة ليس مجديا، ونحن لن نسير أبدا على طريق الانعزال وكرهية الآخر، والبحث عن الأعداء لأنها مظاهر ضعف، في حين نحن أقوياء ونثق بأنفسنا، وهدفنا إيجاد أكبر عدد من الشركاء المتكافئين في الغرب والشرق معا"⁸⁵⁷.

إن العالم يستعيد ملامح حرب باردة جديدة في ظل ما يحدث من استقزلات وتوترات، وإن ميزان قوى حديث يرتسم في الأفق. حيث قال سيرغي رادشكو، الخبير في شؤون روسيا في جامعة "بيرستويت" البريطانية "تعود الحرب الباردة إلى الواجهة لكن على نطاق اصغر بالتأكيد مع مخاطر تصعيد فعلية"⁸⁵⁸.

كما أكد من جانبه فيليب مورو ديفارغ، الباحث في معهد العلاقات الدولية الفرنسي "لقد كان الغرب في غالب الأحيان فظا مع روسيا. لقد قلل من شأن القومية الروسية وعزة نفس الروس. إن روسيا يديرها أيضا اليوم رجل مهووس بعظمة روسيا ويقوم بتشديد اللهجة بدلا من تهدئة الأمور"، وأضاف مورو "المخاطر هنا هي أن يتشكل تحالف مناهض للغرب"⁸⁵⁹.

أيا كانت نتائج الحرب على الإرهاب أو الحرب في القوقاز ، وأيا كانت انعكاساتهما على الأوضاع في آسيا الوسطى والقوقاز، وحتى ولو انتهت بهيمنة أمريكية أو روسية مباشرة على المنطقة، فمما لا شك فيه أن الصراع لن ينتهي عند هذا الحد. فهو صراع عميق الجور، بعيد الأهداف، له أبعاد اقتصادية وجيوسياسية. فنزوات المنطقة الهائلة، وموقعها الإستراتيجي البالغ الأهمية يجتذب على الدوام المتنافسين والمتصارعين. لذا، كانت دوما ساحة لـ"اللعبة الكبرى" بين الأمم، وإذا كان لاعبوها الكبار الخارجيون يتغيرون

856 المرجع نفسه.

857 المرجع نفسه.

858 المرجع نفسه.

859 المرجع نفسه.

وفقاً لتغير موازين القوى على الصعيد العالمي، فإن لاعبيها الإقليميين، كباراً أو صغاراً هم هم لا يتغيرون، إنهم موجودون هناك بحكم الجغرافيا والتاريخ أيضاً.

المطلب الثاني: السيناريوهات المستقبلية المحتملة للصراع.

يعتبر السيناريو أداة تخطيط، تشمل تصوراً مستقبلياً، مبني على فروض منطقية، و واقعية، ومبرهن بأدوات رياضية، تتناسب مع طبيعة السيناريو الاحتمالية. وفي الحقيقة، يوجد تعريفات عدة للسيناريو، تختلف باختلاف المنظور بين المجالات المتداخلة، بل و في المجال الواحد. فيعرف على أنه وصف لوضع مستقبلي ممكن الحدوث، عند توافر شروط معينة، في مجال معين. أو هو مجموعة من الافتراضات المتناسكة، لأوضاع مستقبلية محتملة الوقوع، في ظل معطيات معينة⁸⁶⁰.

فيعرف بورنير Porter ، السيناريو على أنه: "أداة منظمة، لتخيل المستقبل، الذي تتخذ فيه القرارات." أما ليندرين و باند هول Lindgren and Bandhold⁸⁶¹، فيعرفه بأنه: "رؤية مستقبلية، تحاول الإجابة عن مجموعة أسئلة، تتعلق بالمستقبل. والرؤى المرسومة بهدف تجنب المخاطر. حيث أن العقل البشري يولد مئات السيناريوهات يومياً، من خلال التوفيق بين المستقبل المحتمل، والمستقبل المرغوب، باستخدام مسارات المستقبل الممكنة. وما علينا إلا أن نقوم بتغذية طردية feed – forward ، مع التغذية العكسية feed back ، بحيث تتكامل الرؤية⁸⁶².

ويمكن تقديم التعريف الإجرائي التالي، الذي يعتبر السيناريو: وصف لوضع مستقبلي ممكن، أو محتمل، أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار، أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن، أو من وضع ابتدائي مفترض.

و ليس هناك إجماع بين المشتغلين بالدراسات المستقبلية حول الأهداف، التي يتعين السعي لتحقيقها، من خلال عمليتي بناء وتحليل السيناريوهات المستقبلية، إلا انه يمكن إجمالها في:

1 - عرض الاحتمالات، الإمكانيات و الخيارات البديلة، التي تتطوي عليها التطورات المستقبلية، كما تكشف عنها السيناريوهات المختلفة.

860 شافع، النيايدي، "تقرير عن السيناريوهات"، موسوعة التدريب والتعليم، 1 جويلية 2010. على الرابط:

:http://www.edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.thtml?id=594

861 المرجع نفسه.

862 المرجع نفسه.

- 2 - عرض النتائج المترتبة عن الخيارات المختلفة في السيناريو، وتركيز انتباه متخذي القرار على الفاعلين الرئيسيين، واستراتيجياتهم، وفي العمليات، أو العلاقات السببية، و النقاط الحرجة.
- 3 - تمكين الجماهير من التفكير في كل الأمور المتعلقة بالمستقبل، واستثارة النقاش فيها، واستدعاء ردود الفعل بشأنها.

4 - التوصل لصياغة توصيات بشأن الخيارات والقرارات، التي ينبغي اتخاذها من الآن، للوصول إلى الوضع المستقبلي المرغوب فيه، بعد فترة زمنية محددة⁸⁶³.

و تتضح أهمية أسلوب السيناريو فيما يلي:

1- إن دراسة المستقبل من خلال السيناريوهات، تعتبر ذات فائدة، ليس فقط لاستطلاع الآفاق المستقبلية لمجتمع ما وإنما هي، وسيلة أيضاً للتأمل في واقع هذا المجتمع، واستكشاف ما يحمله الواقع الراهن من مضامين، يكتنفها الغموض والالتباس.

2- يساعد في التنبؤ بحركة المجتمع المستقبلية، في حالة تغير المعطيات، سواء كانت موضوعية أو افتراضية، على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.

3- تزود رجال السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والتعليم، و متخذي القرار، إلى ما هو ممكن، وما هو محتمل. و كذا، نوع التغير الذي يمكن إحداثه، وهل هو تغير جذري، أو تطوري⁸⁶⁴.

تتخذ السيناريوهات أشكالاً مختلفة، باختلاف الاستخدامات المتنوعة. فمن المعتاد، أن يتم بناء عدد من السيناريوهات، في أي دراسة مستقبلية جادة. والأصل في تعدد السيناريوهات هو ما يحيط بالمستقبل، من غموض، واحتمالات. وإذا كان الأمر كذلك، ما هو العدد المناسب تحقيقه في الدراسات المستقبلية من هذه السيناريوهات المتعددة؟ خاصة و أن، معظم المشتغلين بالدراسات المستقبلية يميلون إلى استعمال عدد محدود من السيناريوهات، حتى لا يتشتت الفكر، وتتعدر المقارنات الجيدة بين السيناريوهات البديلة، من خلال المساعدة على تذكر ملامحها، و تبيان الفوارق بينها، وتيسير المقارنة بين آثارها ومنافعها. كما أن، السيناريو الواحد للموقف، مرفوض. لأنه يصبح قراراً مسبقاً، لا يراعي تطور الأحداث، و يفتقد السيناريو مبرره، و مصداقيته.

863 المرجع نفسه.

864 المرجع نفسه.

في هذا الإطار، يشير سلاتر Slaughter ، إلى أربعة أنواع من السيناريوهات، هي: السيناريو المرجعي، أين يستمر الوضع القائم. و سيناريو الانهيار، الذي يمثل عجز النظام عن الاستمرار، أو فقدانه لقدرته على النمو الذاتي، أو بلوغ التناقضات حداً يفجر النظام من داخله. و السيناريو السلفي، الذي يبنى بالعودة إلى فترة زمنية سابقة، يفترض أنها تمثل الحياة الآمنة الوديعة. و أخيراً، سيناريو التحول الجوهري، المنطوي على حدوث نقله نوعية، في حياة المجتمع، سواء كانت اقتصادية، أو تكنولوجية، أو سياسية، أو روحية⁸⁶⁵.

أما جوديه Godet ، فيقترح ثلاثة أنواع من السيناريوهات: السيناريو المرجعي، المعبر عن الوضع الأكبر احتمالاً لتطور الظاهرة، محل البحث. ثم السيناريوهان، المتفائل و المتشائم، اللذان يعبران عن الحالتين المتطرفتين، أو طرفي النقيض المحتمل أن ينتهي مسار تطور الظاهرة ضد أحدهما⁸⁶⁶.

وعلى العموم، يمكن التأكيد على أن السيناريوهات الممثلة بالثلاثية المشهورة: استمرار الاتجاه الحالي، و الانتقال إلى وضع أسوأ، و الانتقال إلى وضع أفضل، هي التصنيف الأكثر قبولا من طرف المختصين، خاصة في ميدان العلوم السياسية.

يعد حقل العلاقات الدولية من الحقول المهمة في علم السياسة وذلك إلى درجة التشابك والتعقيد العالية التي تحيط بأشخاص المجتمع الدولي و المتمثلة بالدول المختلفة المصالح و الأهداف التي تستمد إستراتيجيتها الدولية من طبيعة هذه الأهداف المستقبلية و الآنية دون أي انفصال عن تاريخها والظروف التي رافقتة و أحاطت به⁸⁶⁷.

كذلك فإن البحث في مستقبل الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز ليس بالأمر السهل نظرا إلى سرعة الحراك الدولي و تعقد الملفات المشتركة وطبيعة التغيرات التي من الممكن أن تحصل على مستوى الداخل في كلا الطرفين أو في الأطراف ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة.

عموما فإننا نضع صورة الصراع الروسي الأمريكي أمام ثلاثية السيناريوهات المذكورة سلفا:

1 - التوافق أو خيار التعاون المشترك: تؤدي إلى هذا السيناريو العوامل التالية:

• تراجع القوة الأمريكية.

865 المرجع نفسه.

866 المرجع نفسه.

867 عامر ، هاشم عواد، مرجع سبق ذكره، ص62.

- سياسات الإدارة الامريكية القائمة على التهدة و التعاون.
- القضايا العالمية التي تحتاج إلى تعاون مشترك.
- الرغبة الروسية بالتوصل إلى تفاهات مشتركة و حل المسائل العالقة.
- الإيمان من قبل الطرفين بان ما يجب أن يحكم العلاقات البينية هو توازن المصالح و ليس توازن القوى⁸⁶⁸.

2 - تصعيد وتيرة الصراع و المواجهة: تؤدي إليه العوامل التالية:

- تصاعد القوة الروسية.
- نوعية القيادة في روسيا التي تنظر إلى روسيا من منظور الدور القيصري أو السوفييتي و ليس من منظور الشريك التابع للغرب.
- استمرارية سياسة توسيع حلف شمال الأطلسي.
- استمرارية الحديث عن استكمال مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي المهدد للأمن الروسي.
- الدعم الروسي لبرنامج إيران النووي و رفض كافة المطالب بإنهاء هذا الدعم⁸⁶⁹.

3 - استمرار الصراع في وضعه الحالي أو عدم الاصطدام مع تعاون مهلهل: هو مزيج من

المشهورين السابقين إلا انه لا ينحدر إلى الصراع الشديد و لا يرتقي إلى درجة التعاون البناء إذ ستستمر وفق هذا السيناريو علامات التخوف المتبادل بين الطرفين و الشك و الريبة من السياسات التي من الممكن أن يتبعها كل طرف تجاه الآخر بهدف الحصول على مكاسب وفق نظرية اللعبة الصفرية⁸⁷⁰.

تشير التوقعات إلى اختلاف في وجهات النظر، فوزير الخارجية السابق يفغيني بريماكوف لا يرى أي فرق ما بين مختلف الإدارات الأمريكية في طبيعة التوجه نحو روسيا وخاصة في مسألة الدرع الصاروخية الأمريكي إذ أن أي تراخي في هذا الموضوع يعتبر تفريطاً بالمصالح القومية الأمريكية⁸⁷¹. بينما ينحو مدير الاستخبارات الروسية الخارجية الأسبق ميخائيل فرادكوف منحى مختلفاً حين يرى أن روسيا مستعدة للتعامل مع أي إدارة أمريكية من أجل إعادة الدفاء إلى العلاقات الروسية الأمريكية⁸⁷².

868 المرجع نفسه.

869 المرجع نفسه. ص 63.

870 المرجع نفسه.

871 المرجع نفسه. ص 64.

872 المرجع نفسه. ص 65.

أما على صعيد الخبراء الأمريكيين فتختلف التقديرات لما يجب أن تكون عليه السياسة الأمريكية القادمة تجاه روسيا ففي حين دعى وزير الخارجية السابقين هنري كيسنجر و جورج شلترز إلى ضرورة البدء بسياسات جديدة تضع حداً للانزلاق نحو المواجهة حيث اعتبرا أن عزل روسيا ليس سياسة يمكن اعتمادها على المدى الطويل واقترحا تأجيل توسيع الحلف الأطلسي ليشمل أوكرانيا و جورجيا معتبرين أن لدى روسيا دواعي لتشعر بأنها تحظى بالاحترام الكافي لدى الغرب⁸⁷³، في حين يرى ستيفن بيفر انه يتوجب معاقبة روسيا على تصرفها في جورجيا و كامل جنوب القوقاز لكن وفق العقاب المرتبط بسياسة العصا و الجزرة إذ ينبغي مواصلة التعاون حول أمور مثل مراقبة الموارد النووية من خلال إعادة إطلاق المفاوضات مع موسكو حول الحد من الأسلحة الإستراتيجية كبادرة حسن نية على اعتبار أن الروس يحبذون ذلك على الأقل لأنه بمثابة اعتراف بأنهم قوة نووية عظمى على قدم المساواة مع الولايات المتحدة الأمريكية⁸⁷⁴.

يبدو انه من الصعوبة أن نتصور اندلاع حروب بين القوى الفاعلة والرئيسية على غرار حروب القرن 19م والحربين العالميتين الأولى والثانية، فقد أصبحت القوى الكبرى اليوم تبتعد عن الحدود التي تكون فيها رهينة القوة العسكرية حيث لا خيار إلا الخيار العسكري، وباتت تترك حجم الدمار والخسائر الفادحة الناجمة عن لا عقلانية القرار السياسي بالاحتكام إلى القوة العسكرية لحل مشاكلها، لاسيما بعد منطقتي توازن الرعب الذي فرضته الحرب الباردة.

حيث أن القوة النووية قلصت خيارات المواجهة العسكرية مباشرة بين القوى الكبرى، إلا أن الإقرار بذلك ينفي بأي حال من الأحوال احتمالات المواجهة بين هذه القوى بشكل مطلق، إذ تتعدد آليات المواجهة ومنطق المجابهة بين هذه القوى، ويصير منطق المجابهة لا رجعة فيه في اللحظة التي تصل فيها هذه القوى إلى قناعة تامة بعجز آليات التعاون والمشاركة في تسوية الخلافات التي تتضارب فيها مصالح هذه القوى بشكل متناقض، هذا ما عبر عنه هنتنغتون حينما قال أنه: "من الممكن أن نهاية الحرب الباردة ستعوض بمجموعة واسعة ومتعددة من الحروب الباردة الصغيرة بين القوى الكبرى"⁸⁷⁵.

فبعد انتهاء الحرب الأيديولوجية بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي عرفت العلاقات الروسية – الأمريكية مراحل مختلفة من التوتر شكل فيها الشد والجذب بين القطبين الروسي والأمريكي السمة البارزة، لعل أهم ما ميزها حرب القوقاز واستقلال كوسوفو وتجارب روسيا الناجحة للصواريخ العابرة للقارات.

873 المرجع نفسه. ص 66.

874 المرجع نفسه.

875 صابر، ايت عبد السلام، مرجع سبق ذكره.

ورغم توقيع رئيسا البلدين في عام 2010 معاهدة للتقليص من الأسلحة النووية بنسبة 30% إلا انه اشتعلت في العام نفسه ما سميت بحرب الجواسيس إذ كشفت أجهزة الأمن الروسية عن شبكة من عملاء واشنطن وتم ترحيلهم، وردت واشنطن بالقبض على ما قالت إنهم جواسيس روس، وقد قوبل سعي واشنطن للاستئثار بالساحة الدولية، بسياسة روسية رادعة.

كما صبت أحداث ليبيا الزيت على النار بينهما، إذ استغلت واشنطن ومن خلفها عواصم غربية تحفظ روسيا على قرار مجلس الأمن الدولي بفرض حظر جوي فوق ليبيا ليتم تدمير البلد بحجة حماية المدنيين وهو ما عارضته روسيا واعتبرته التفافا على القرار. وفي سوريا ظهرت حدة العداء بين الطرفين فروسيا تدعم الحكومة السورية وتصر واشنطن بألا مكان للأسد في مستقبل سوريا، وما الحرب الدائرة هناك وظهور الإرهاب المتنقل إلا دليل على تقاطعات المصالح الدولية واختلافها على ما بات يعرف بحروب الوكالة بين الدول، كما شكلت إيران أيضا بملفها النووي خط تماس بين روسيا والغرب. هذا وكشفت الحرب في أوكرانيا و التحالفات المتناقضة بين موال للغرب وداع إلى التمسك بروسيا حليفا استراتيجيا وتاريخيا، عمق الهوة بين موسكو و واشنطن التي لم تستوعب الخطوة الروسية بعودة القرم والتي كان من المخطط أن تكون القاعدة الأساسية والأقرب لصواريخ الناتو، وتطويق روسيا بالدرع وهو ما تعتبره موسكو تهديدا مباشرا لأمنها القومي.

كل ذلك عجل باحتدام المواجهة على مستويات مختلفة وهذا ما نتلمسه بالرجوع إلى الأحداث الأخيرة التي شهدتها منطقة جنوب القوقاز خاصة في ناجورني كاراباخ في افريل 2016 أين احتدمت المواجهات بين القوات الأذربيجانية و نظيرتها الأرمنية في انعكاس لما يجري على الساحة الدولية بين روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية على خلفية الصراع الدائر في كل من أوكرانيا و سوريا.

الخاتمة

خلاصة

سلطت الدراسة الضوء على قضية برزت على مسرح الأحداث العالمي و أصبح لها حضورها في العقدين الأخيرين وهي الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز, حيث بدأت الدراسة بمحاولة تقديم إطار مفاهيمي نظري عام لظاهرة الصراع الدولي ومن ثمة الانتقال به إلى دراسة الصراع الروسي الأمريكي بصفة خاصة مع إعطاءها بعدا للمقارنة عبر التاريخ , أي أثناء و بعد الحرب الباردة, وما نتج عن نهاية الحرب الباردة من تحولات مست النظام الدولي على المستوى البنيوي و القيمي, حيث كان من بين ابرز ما نتج عنها بروز منطقة جنوب القوقاز المتكونة من أذربيجان , أرمينيا و جورجيا. ثم انتقلت الدراسة لتبيان مميزات هذه المنطقة وما رافق هذا البروز من تنامي للأهمية الإستراتيجية لها, مع تزايد الاهتمام الدولي بها, سواء على المستوى الإقليمي (روسيا, تركيا و إيران), أو الدولي (الولايات المتحدة الأمريكية, الاتحاد الأوروبي و الصين), وذلك من خلال التنافس على استغلال ثرواتها بما يخدم مصالح القوى الكبرى وفق أجندات محددة. لتصل الدراسة بنا إلى لب موضوعها, و المتمثل في استعراض أهم تنافس على المنطقة, و المتمثل في التنافس بين كل من روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية على جنوب القوقاز فيما أطلق عليه اللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز. أين اتسم هذا التنافس بصفة التصارع الذي ازدادت حدته مع تزايد أهمية المنطقة جيوستراتيجيا.

عبر جميع مراحل التاريخ كان إقليم جنوب القوقاز مسرحا للأحداث المهمة وهدفا توسعيا لكل قوة عالمية صاعدة نظرا لموقعه الاستراتيجي و غناه بالثروات الطبيعية, بالإضافة إلى التباين الشديد و عدم التجانس في البناء الاجتماعي و السكاني من حيث: القومية و الدين والعادات و التقاليد مما جعلها في اغلب فترات تاريخها عرضة للاستعمار من طرف جيرانها. و بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أصبحت المنطقة ميدانا للتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا. خاصة وان المناخ ملائم لمثل هذا التنافس نظرا لان الإقليم تتداخل فيه الجغرافيا مع التاريخ و السياسة مع الاقتصاد.

اكتسبت منطقة جنوب القوقاز أهمية جيوسراتيجية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية و روسيا, من الناحية العسكرية و الاقتصادية. فمن وجهة النظر العسكرية الأمريكية, تمتاز المنطقة بوصفها منطقة عازلة بين روسيا و المنطقة التقليدية للنفوذ الأميركي و حلفائه, و اقتصاديا تأمل الولايات المتحدة الأمريكية أن تحول جنوب القوقاز إلى منطقة عبور آمنة لموارد حوض بحر قزوين و اسيا الوسطى من نفط و غاز لسد حاجات الغرب من الطاقة بعيدا عن الأراضي الروسية و الإيرانية. أما بالنسبة لروسيا فان أراضي القوقاز هي فناءها الخلفي أو المجال الحيوي الدفاعي للأمن القومي الروسي, و ينظر الروس

لسواحل القوقاز على أنها إطلاقتهم البحرية على المياه الدافئة و المنفذ البحري الوحيد الفعال لانطلاق قوتهم البحرية نحو العالم. لهذا تصر القيادة العسكرية الروسية على الاحتفاظ بتواجد عسكري في هذا الإقليم تحت أي ذريعة و تحت أي ظرف. أما اقتصاديا، فطالما كانت الثروات القوقازية العمود الفقري للاقتصاد الروسي في مختلف العصور، و لا يمكن خسارتها كلها لصالح الهيمنة الأمريكية و الغربية. خاصة و أن الحسابات الاقتصادية لنقل هذه الثروات، تقوم على استبعاد روسيا من أي مشاريع مستقبلية لنقل الطاقة.

في السنوات القليلة السابقة اتسم الصراع في جنوب القوقاز بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا بأبعاد جديدة، أكثر خطورة حيث عملت الولايات المتحدة الأمريكية على توسيع نشاطات حلف شمال الأطلسي إلى جورجيا و دول جنوب القوقاز الأخرى و فعلت مشروع الدرع الصاروخي، حيث كانت جورجيا بقيادة ساكاشفيلي بمثابة رأس الحربة في المخططات الأمريكية الرامية لتحجيم الدور الروسي في المنطقة خاصة، و العالم بصفة عامة. حيث أعطت أحداث 11 سبتمبر 2001 الفرصة المواتية للإدارة الأميركية من أجل تنفيذ إستراتيجيتها، وطموحاتها في المنطقة. و التي كانت قد أعلنتها في التسعينات من القرن الماضي، منطقة مصالح حيوية لها. وقد ركزت هذه الإستراتيجية على إعادة رسم الخارطة الجيوسياسية على نحو يخدم تلك المصالح، و المتمثلة أساسا في الحد من تطلعات اللاعبين الكبار في المنطقة (روسيا، إيران والصين)، و تدعيم مركز حليفها تركيا، و محاولة الحصول على أكبر حصة من الثروات الطبيعية التي تتركز بها آسيا الوسطى - القوقاز.

لكن إستراتيجيتها هذه اصطدمت بالإستراتيجية الروسية، التي ترى المنطقة فناء خلفيا طبيعيا لها، ولهذا فقد جاء الرد الروسي حاسما وواعيا لخطورة الموقف من خلال الحرب في جورجيا صيف 2008 ، حيث أربك القيادة الأمريكية و حلفاءها الذين قاموا بتخفيض مستوى المواجهة في القوقاز و التقليل من اندفاعهم في مشروع الدرع الصاروخي و انضمام جورجيا إلى حلف الناتو. و بالمقابل كرست هذه الحرب التواجد الروسي في المنطقة عبر اوسيتيا الجنوبية و ابخازيا، و جاءت هذه الإجراءات كاستثمار للنصر المحقق في جورجيا من جهة، و من جهة أخرى تأكيدا لما أعلن عنه مسبقا من تحول في توجهات السياسة الخارجية الروسية الجديدة.

لقد كان لهذا الصراع العالمي في المنطقة أثره الواضح، خاصة في الداخل القوقازي ، حيث انتهج الحكام المحليين سياسات داعمة للولايات المتحدة الأمريكية، ما دامت الولايات المتحدة الأمريكية تغض الطرف عن سياساتهم الداخلية، و لا تتدخل فعليا في مسائل حقوق الإنسان و الديمقراطية التي تنادي بها ، المهم أن لا تتأذى مصالحها الاقتصادية و الإستراتيجية.

في هذا الإطار، تترك القيادات القوقازية جيدا مواقع القوى الإقليمية والعالمية، ومصالحها، في أي طرح أمني لجنوب القوقاز. حيث تمتلك هذه القوى أدوات مؤثرة في تدعيم الاستقرار والأمن القوقازيين، لكنها لا تتدخل إلا بالقدر الذي يسمح بتغيير الأحداث صوب مصالحها الخاصة. فكل طرف يتعامل مع المشكلات الأمنية القوقازية بالكيفية التي تعزز تواجهده، ومصالحه.

على العموم فقد استطاعت هاته الدراسة رغم تواضعها أن تتوصل إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة في مقدمتها، من خلال التأكيد على أن الأهمية الجيوستراتيجية المتزايدة لمنطقة جنوب القوقاز لعبت دورا فاعلا في إعطاء التنافس الروسي الأمريكي في المنطقة بعده التصارعي. وانه كلما زادت هذه الأهمية ازدادت معه حدة الصراع، بالإضافة إلى أن هذا الصراع الجزئي في جنوب القوقاز ما هو إلا جزء من الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا على مناطق النفوذ في العالم في إطاره الكلي، يتأثر و يؤثر فيه. على ضوء هذا الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا في منطقة جنوب القوقاز ذات الأهمية الجيوستراتيجية المتزايدة، وبعد محاولة دراسة هذا الصراع بكل أبعاده فان الباحث يرجح أن عدم الاستقرار في المنطقة سيكون هو السمة البارزة خلال المستقبل المنظور، و أن الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا سيستمر في وضعه الحالي أي عدم الاصطدام مع تعاون مهلهل، إذ انه لن ينحدر إلى الصراع الشديد و لن يرتقي إلى درجة التعاون البناء، بحيث ستستمر وفق هذا السيناريو، علامات التخوف المتبادل بين الطرفين، و الشك و الريبة في السياسات التي من الممكن أن يتبناها كل طرف تجاه الآخر، بهدف الحصول على مكاسب وفق نظرية اللعبة الصفرية. كما أن هذا الصراع لن يتوقف في جنوب القوقاز، بل سيمتد إلى مناطق أخرى من العالم، مثل ما حدث في أوكرانيا و سوريا . فإلى أي مدى سيستمر هذا الصراع؟ و في أي اتجاه ستتحرف بوصلته؟

النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- شهد النظام السياسي الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي و نهاية الحرب الباردة، انتهاء زمن الثنائية القطبية ليدخل العالم بعدها مرحلة جديدة اتسمت بهيمنة القطب الأمريكي، ولقد أكدت تداعيات 11 سبتمبر 2001 على هذه المرحلة. لكن هذا القطب أيضا، بات هو الآخر يواجه تحديات كبيرة تؤدي بالنتيجة إلى انحسار دوره الاستراتيجي في الساحة الدولية وظهور قوة موازنة لدوره في العالم، و المتمثلة بالقوة الروسية. مما أعطى للصراع بينهما على منطقة جنوب القوقاز بعده الاستراتيجي المهم، الذي يعكس أطماع و مصالح كلا القوتين في المنطقة للاستحواذ على ثرواتها و مقدراتها.

- رغم تزايد الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة جنوب القوقاز، إلا أن هذه الأهمية تتفاعل في إطار رباعية: الصراعات الاثنوسياسية، السياسات النفطية، المصالح الإقليمية وتضارب الطموحات الروسية الأمريكية. حيث أسهمت بشكل مباشر في تركيب الصورة الأمنية القوقازية المعقدة، فهناك علاقة وثيقة تتأثر سلبا و إيجابا بين أهمية جنوب القوقاز الجيوسياسية و حدة الصراع و شدة التنافس بين القوتين المتنافستين على المنطقة من جهة، و بين حدة الصراع ومدى الاستقرار السياسي و الاقتصادي، الذي يؤثر بصورة مباشرة على مدى تحقيق الاستقرار و الأمن في جنوب القوقاز.

- إن موارد الطاقة تعيد تكوين الخارطة الجيوسياسية لمنطقة جنوب القوقاز لان السيطرة النهائية على تطوير الاحتياطات النفطية و كذا السيطرة على الخطوط الناقلة له سوف تحدد المستقبل السياسي و الاقتصادي للدول المنتجة للطاقة و الدول المحيطة بها لما لها من أهمية في الاستراتيجيات الدولية. كما أن نتائج الحسم في هذه المنطقة ستنعكس حتما على مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا و حتى حلفائهم المحليين (أذربيجان ، جورجيا و أرمينيا)، أو الإقليميين (تركيا و إيران) ، أو الدوليين (الصين و الاتحاد الأوروبي). بالإضافة إلى أن أهمية طرق نقل الطاقة تؤثر على مدى حجم الصراع و حدته و قوة أطرافه، ليس من أجل موارد الطاقة فحسب، و إنما من أجل النفوذ الجيوبوليتيكي المؤثر و الفعال سواء إقليميا أو دوليا. و هذا ما يثبت صحة كل من الفرضيتان الثانية والثالثة من أن موارد بحر قزوين و طرق نقلها تعب دورا كبيرا في زيادة أهمية جنوب القوقاز جيوستراتيجيا و بالتالي تزايد المطامع الدولية حولها.

- بدأت روسيا تدرك منذ حرب القوقاز في 2008 بان عليها أن تضطلع بدور سياسي جديد استنادا لمقومات القوة المتنامية لديها خاصة و أنها لا تزال تمتلك ثاني اكبر ترسانة عسكرية في العالم كما أنها استطاعت أن تتجاوز أزمته الاقتصادية، و باتت اليوم تمتلك اقتصاد متين بالإضافة إلى امتلاكها

لسلسلة من التحالفات مع كثير من الدول مما اكسبها ميزة إستراتيجية جديدة لممارسة دور كبير و مؤثر في الشأن الدولي.

- اعتلت منطقة القوقاز لاسيما جنوبها منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي، أجندة السياسة الخارجية الأميركية ، وأعلنت واشنطن أن هذا الإقليم يمثل عمقا حيويا لمصالحها الإستراتيجية، وأنها تتطلع إلى تطوير الديمقراطية وخلق اقتصاد السوق الحرة واحتضان السلم والتعاون بين دوله، وإدماج الإقليم في منظومة الجماعة الدولية. بيد أن هذه الأهداف المثالية، بمثابة حصان طروادة الذي يخفي في أحشائه هدفا إستراتيجيا أميركيا ضد الجوار القوقازي : احتواء روسيا، إقصاء إيران، ومراقبة الصين. وتستند الخطة الأميركية في هذا الخصوص على: إنشاء بنية نفطية تحتية " التعددية الجيوسياسية" في القوقاز، بدء بجنوبه وانتهاء بشماله. وإنشاء منظومة ممرات نفطية أورواسيوية لا تمر عبر الأراضي الروسية والإيرانية، وحتى الصينية. وهكذا، يؤكد الوجود الأميركي قاعدة الارتباط العضوي بين النفط والسياسة الخارجية الأميركية.

- تنظر روسيا إلى السياسة الأميركية على أنها مصدر خطر على المصالح الإستراتيجية الروسية و الأمن القومي الروسي لاسيما و أن الولايات المتحدة الأميركية تمتلك قوات عسكرية كبيرة وواسعة الانتشار على طول الحدود الروسية مما يمثل تطويق شامل للدولة الروسية يتكامل مع امتداد حلف شمال الأطلسي و محاولة نشر الدرع الصاروخية في دول أوروبا الشرقية، الأمر الذي دفع بروسيا للقيام بدور أكثر فاعلية لمواجهة الزحف الأميركي لاحتوائها. و سعت روسيا بالمقابل لتطوير قدراتها العسكرية و تحالفاتها السياسية، من اجل استعادة بعض مواقع النفوذ التي فقدتها منذ انهيار الاتحاد السوفييتي. مما جعل المصالح الإيرانية الروسية تتلاقى عند نقطة أنهما لا يريدان تنامي النفوذ الأميركي في القوقاز، ناهيك عن أن السياسة النفطية قد أسهمت في إقامة شراكة طويلة المدى بين موسكو وطهران.

- كان لحرب القوقاز تأثيرا كبيرا على الواقع السياسي الروسي وعلى الدور الروسي الإقليمي و الدولي فقد أثبتت روسيا أنها دولة قوية و تستطيع مجابهة التحديات التي تواجهها الأمر الذي أدى بها إلى محاولة زحزحة صراعها مع الولايات المتحدة الأميركية بعيدا عن فنائها الخلفي و خلق مناطق صراع جديدة مثل أوكرانيا و سوريا.

- في السنوات الأخيرة أرغمت الإدارة الأميركية على تبني خيارات صبت في مجملها لصالح فاعلية الدور الروسي من خلال تخليها في 2009 عن خطط تركيب نظام الدرع الصاروخية في كل من التشيك و بولندا الأمر الذي يعني أن هناك تغييرات حقيقية في طبيعة الدور الأميركي تجاه روسيا خاصة في منطقة جنوب القوقاز. فالعودة القوية لروسيا كلاعب فاعل في الساحة الدولية كما افترضنا سابقا ساهمت و ستسهم في تعقيد السيناريوهات المستقبلية الممكنة خاصة في رسم السياسات و بناء التحالفات.

- إن الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز كان له أثره البالغ في عملية الدفع نحو تغيير أو إبقاء موازين القوى المحلية، فرغم مرور أكثر من 20 سنة على اتفاقيات وقف إطلاق النار، لم يتم بعد ترتيب معاهدات سلام. ولا زال الثالث القوقازي غارقا في النزاعات الاثنوسياسية، بوجه شطرا من موارد المالية والطبيعية والبشرية لتدعيم قدراته القتالية. وتحاول أذربيجان وجورجيا استرداد هيمنتها، سياسيا وقضائيا على كاراباخ، أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية. بيد أن الأخيرين الذين ظفروا في ميدان القتال، لم يرضخوا لهذه السياسة. وباعت بالفشل كل المفاوضات السياسية الرامية لحل الصراعات القوقازية سلميا، لتبقى المعضلة الاثنوسياسية على قمة مفردات الواقع القوقازي السياسي المعاصر، التي تؤثر سلبا على المنظومة الأمنية في الإقليم برمته. وتحبط المشاريع النفطية و الشركات المساهمة فيها بسبب عدم الاستقرار السياسي و المخاطر الأمنية و الصراع الدولي، مما يؤكد صحة فرضيتنا الرابعة حول انعكاسات هذا الصراع على الواقع القوقازي.

- بالعودة إلى الإطار النظري للدراسة فان النظرية البنوية تعتبر أن أي تغيير في عدد القوى الدولية يستوجب إعادة تشكيل قواعد النظام الدولي، و هذا ما حدث بالفعل، فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي تحول العالم إلى نظام دولي آخر لم تستقر أركانه بشكل محدد، و ذلك لأن تحوله لم يكن بفعل حرب عالمية، و إنما بشكل تدريجي. و لهذا السبب فالقوى الدولية تتبارى لتتبوأ مركزا استراتيجيا على سلم القوى الدولية منذ مطلع هذا القرن الجديد. وفي نفس هذا السياق فان الولايات المتحدة الأمريكية كدولة متطلعة لتحقيق الهيمنة تحاول إعادة هندسة البناء الدولي، وفي المقابل هناك دول عظمى تعارضها و تسعى إلى تحقيق التوازن الدولي، لمنع الولايات المتحدة الأمريكية من نظام قطبية واحدة، أو بناء العالم وفق مصفوفة مصالحها الإستراتيجية. حيث تمثل روسيا احد أهم الفاعلين في هذا الإطار خاصة إذا تعلق الأمر بمنطقة ذات أهمية جيوسراتيجية و جيوبوليتيكية مهمة مثل منطقة جنوب القوقاز. فكل من النظرية البنوية و النظرية الجيوبوليتيكية نجحتا في تفسير ظاهرة الصراع الدولي الاستراتيجي بين القوتين باعتباره لعبة كبرى غير صفرية.

توصيات و أفاق الموضوع:

توصلت الدراسة في ضوء النتائج السابقة إلى اقتراح التوصيات التالية:

- إن دول جنوب القوقاز هي دول حديثة العهد بالاستقلال وبالتالي حتى تتمكن من الانعناق التام من الهيمنة الروسية و كذا عدم السقوط في فخ النموذج الديمقراطي على الطريقة الأمريكية، فان انصب الطرق لتحقيق الاستقرار السياسي و التقدم الاقتصادي هو التعاون و

الاندماج فيما بينها على أسس تعاونية متكافئة يجعلها تحقق دورا مهما في ظل التكتلات الدولية الراهنة.

- يجب على منطقة جنوب القوقاز ألا تكون مجرد ساحة للصراع و التنافس الدولي بل عليها أن تكون فاعلا مؤثرا من خلال تشجيع بعض الأطراف على التنافس و الاعتراض على ادوار بعض الأطراف, بما يخدم مصالحها في تحقيق التنمية الاقتصادية و بناء البنية التحتية لها وفق نظرة واقعية غير إيديولوجية تقوم على تنويع علاقاتها الاقتصادية مما يتيح لهذا التنافس أن يصب في مصلحتها.

- أن السمة المميزة اليوم للساحة الدولية هي سمه الحروب بالوكالة أين تقوم الدول الكبرى في إطار صراعاها فيما بينها بمحاولة خلق و افتعال نزاعات و صراعات وهمية بين حلفاءهم الصغار من اجل تحقيق مصالحهم العليا وعليه يجب التفتن لمثل هذه السياسات خاصة في المنطقة العربية أين تم الكشف في العديد من المرات على مشاريع تصب في نفس هذا السياق.

- رغم أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا تمتلك توجهها إيديولوجيا معينة تمت مناقشته في هذه الدراسة من خلال استعراض أفكار كل من فرانسيس فوكوياما و صاموئيل هنتينغتون و الكسندر دوغين, المتنباة من طرف صانعو القرار في كلا القوتين, إلا أن المتمعن في مخرجات هذا الصراع الدائر في منطقة جنوب القوقاز يلاحظ أن البعد الديني و الحضاري لم يكن دوره واضحا و فاعلا أمام المصالح البراغماتية الخالصة. خاصة في سلسلة بناء التحالفات أين لاحظنا دعم الولايات المتحدة الأمريكية الكاثوليكية و تركيا الإسلامية السنية لجورجيا الأرثوذكسية و أذربيجان الإسلامية الشيعية, في مقابل روسيا الأرثوذكسية و أرمينيا الأرثوذكسية و إيران الشيعية. لذا نأمل أن تتم مناقشة هذا الموضوع من طرف باحثين آخرين في البعد الحضاري و الديني.

- رغم أن هذه الدراسة قد أثبتت عن طريق استخدام الأساليب العلمية و أدوات التحليل المنهجية أن الصراع الروسي الأمريكي في منطقة القوقاز كان و لايزال يلعب دورا بارزا في رسم معالم منطقة جنوب القوقاز من خلال سياسات الشد و الجذب في إطار رسم معالم النظام الدولي الجديد. إلا أن المتصفح لتاريخ الدوليتين يجد أنهما لم تتحاربا فيما بينهما أبدا, بل كانتا تدعمان بعضهما البعض على الدوام لاسيما في اللحظات الحرجة من التاريخ كما حصل في الحربين العالميتين الأولى و الثانية, باستثناء مرحلة التوتر في حقبة الحرب الباردة أين تأزمت

العلاقات الثنائية بينهما و التي لعب السلاح النووي فيها دورا فيما سمي بتوازن الرعب النووي. و مع ذلك, فان المبادلات التجارية ظلت قائمة بينهما بهذه الصورة أو تلك. و حتى اليوم ماتزال روسيا في قائمة الدول المتلقية للمساعدات من طرف الولايات المتحدة. مما يطرح التساؤل حول هذه المعادلة الشائكة و المعقدة. و التي يمكن أن تكون الإجابة عنه مقدمة لبداية بحوث أخرى.

الملاحق

الملحق رقم 1:

الخريطة السياسية لجمهوريات جنوب القوقاز الثلاث



المصدر على الرابط:

Sources : http://www.internet2.com/rd/results/rdq_transcaucasia.map/www.siteatlas.com/Maps/Maps/605.htm/f=searchemall&o=cqaFLbGMa

الملحق رقم 2:

خريطة جمهورية أذربيجان



المصدر على الرابط:

Sources : <http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/10/23>

خريطة جمهورية أرمينيا



المصدر على الرابط:

Sources : Map courtesy of the Perry-Castañeda Library Map Collection

الملحق رقم 4:

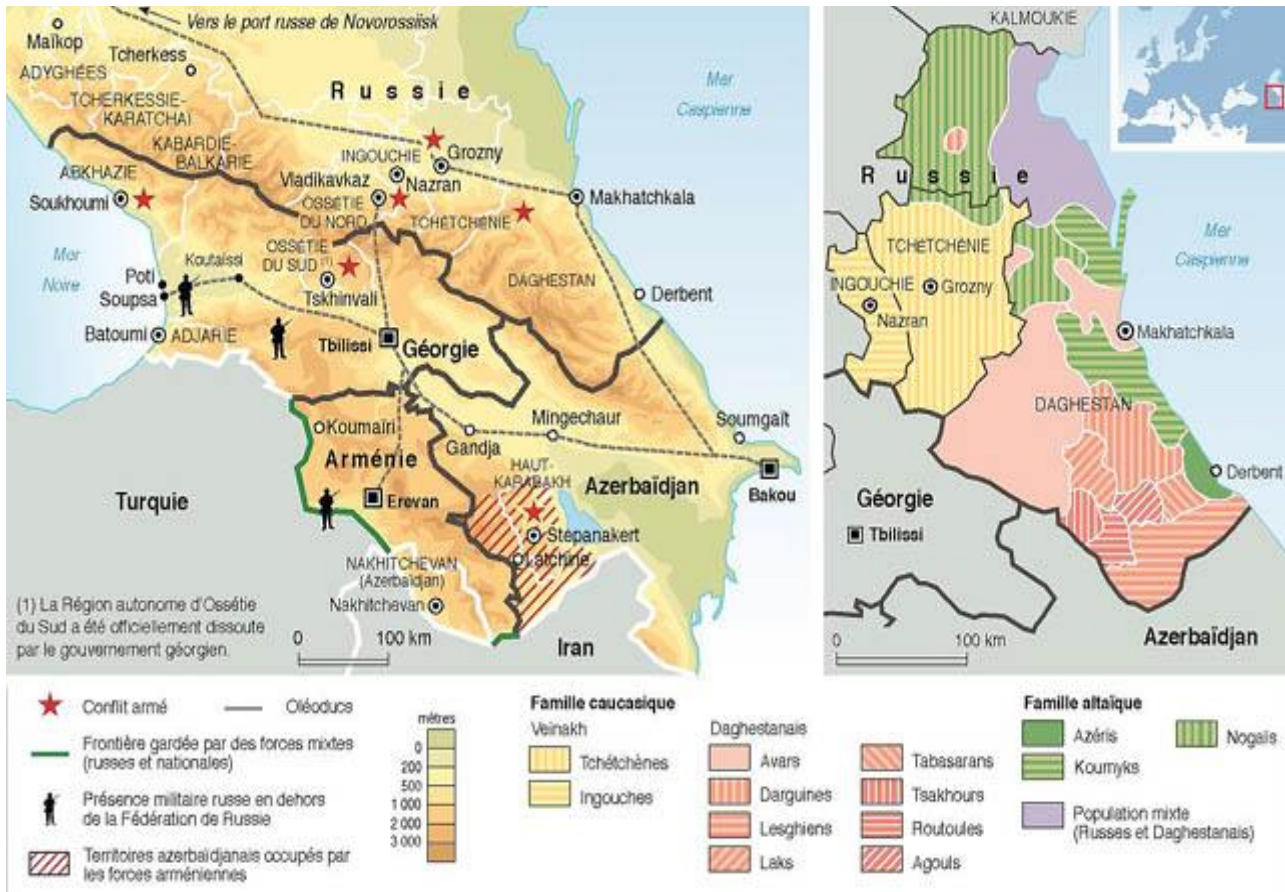
خريطة جمهورية جورجيا



المصدر على الرابط:

Sources : Map courtesy of the [Perry-Castañeda Library Map Collection](#)

خريطة توضيحية لنزاعات القوقاز وارتباطها بشعوب شمال القوقاز

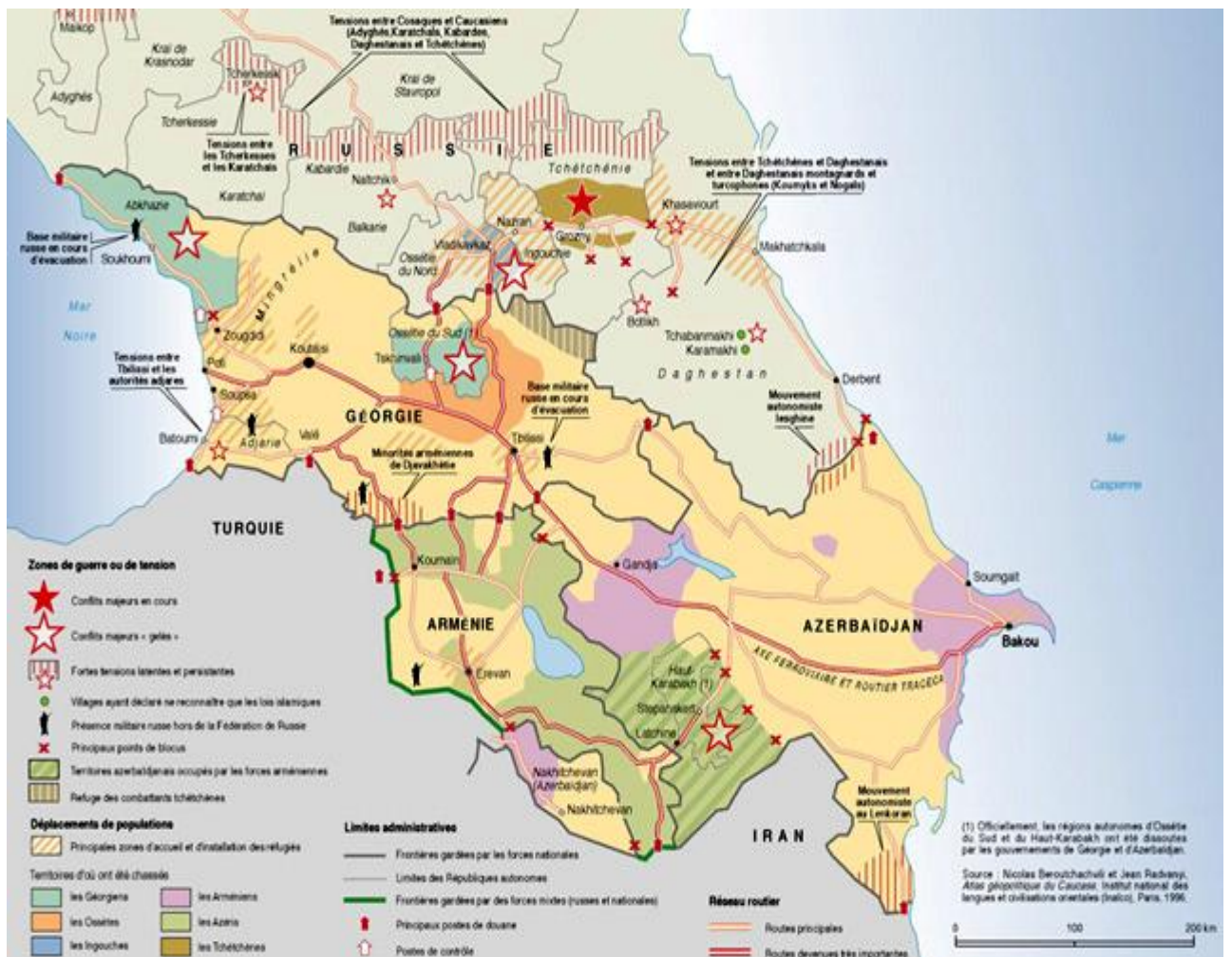


المصدر على الرابط:

Sources : Nicolas Beroutchachvili et Jean Radvanyi, *Atlas géopolitique du Caucase*, Inalco, Paris, 1996 ; Central Intelligence Agency Maps and publications.
<http://www.monde-diplomatique.fr/cartes/caucasemdv49>

الملحق رقم 6:

خريطة النزاعات القوقازية والقبضة الحديدية الروسي-أميركية



المصدر على الرابط:

Sources Nicolas Beroutchachvili et Jean Radvanyi, *Atlas géopolitique du Caucase*, Inalco, Paris, 1996 ; [Institute for War and Peace Reporting](#) ; [Post-soviet armies newsletter](#) ; [Central Asia-Caucasus analyst](#).
<http://www.monde-diplomatique.fr/cartes/caucasegene2000>

:

الملحق رقم 7 :

خريطة توضيحية للإستراتيجية البترولية و العسكرية الأميركية في منطقة الخليج



المصدر على الرابط:

Source: Nicolas Beroutchachvili et Jean Radvanyi, *Atlas géopolitique du Caucase*, Inalco, Paris, 1996 ;

<http://www.monde-diplomatique.fr/cartes/caucaserelief2000>

الملحق رقم 8:

خريطة توضيحية لمخاطر التلوث الصناعي و الخطر النووي في جنوب القوقاز



المصدر على الرابط:

خريطة توضيحية مشاريع البنى التحتية والتطوير في جنوب القوقاز



المصدر على الرابط:

Sources : The Economist intelligence Unit, *Country profile, Country report 1992-2000*, Londres ; Base de données Chelem, Centre d'études prospectives et d'informations internationales (CEPII), Paris.

<http://www.monde-diplomatique.fr/cartes/caucaseprojet2000>

الملحق رقم 10:

خريطة توضيحية لطرق نقل النفط في جنوب القوقاز

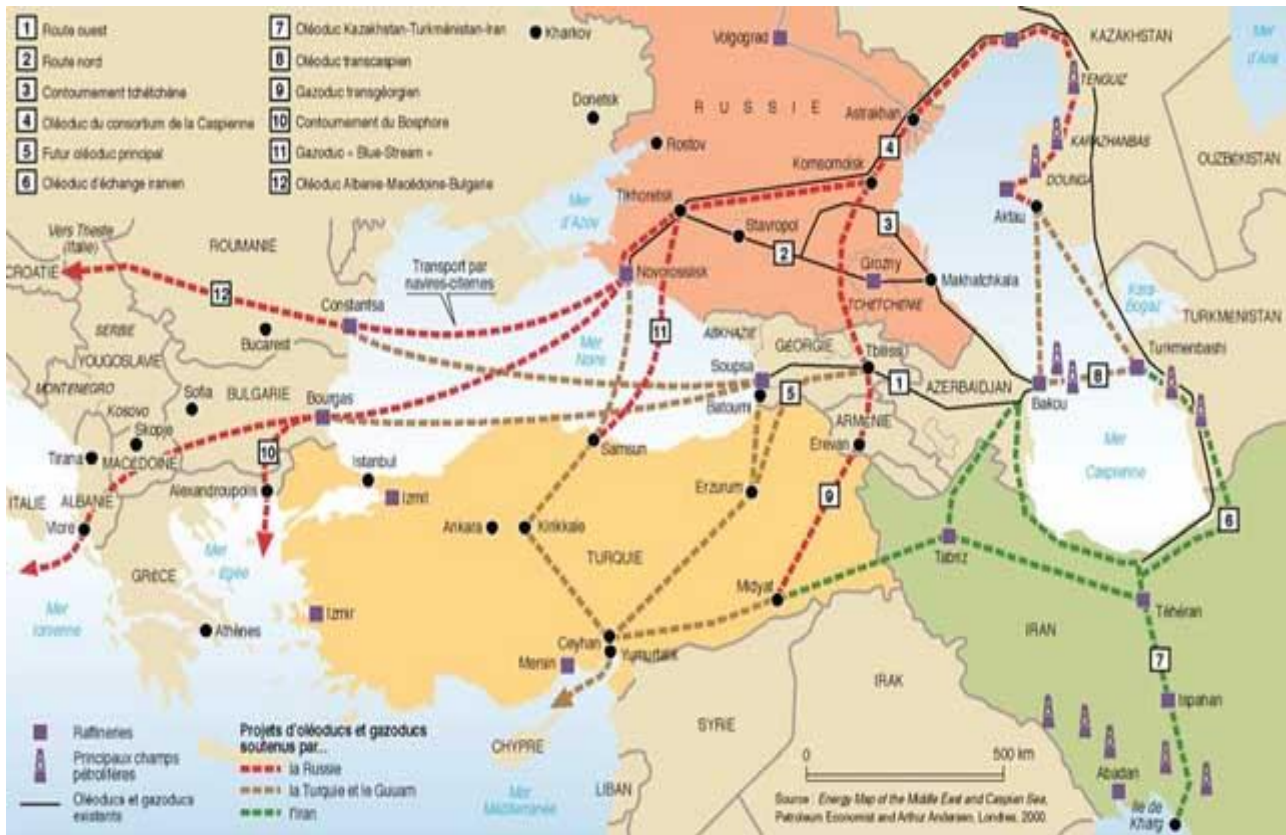


المصدر على الرابط:

Sources <http://www.monde-diplomatique.fr/cartes/caucasepetroledmv1998>

الملحق رقم 11:

خريطة توضيحية للتنافسات البترولية



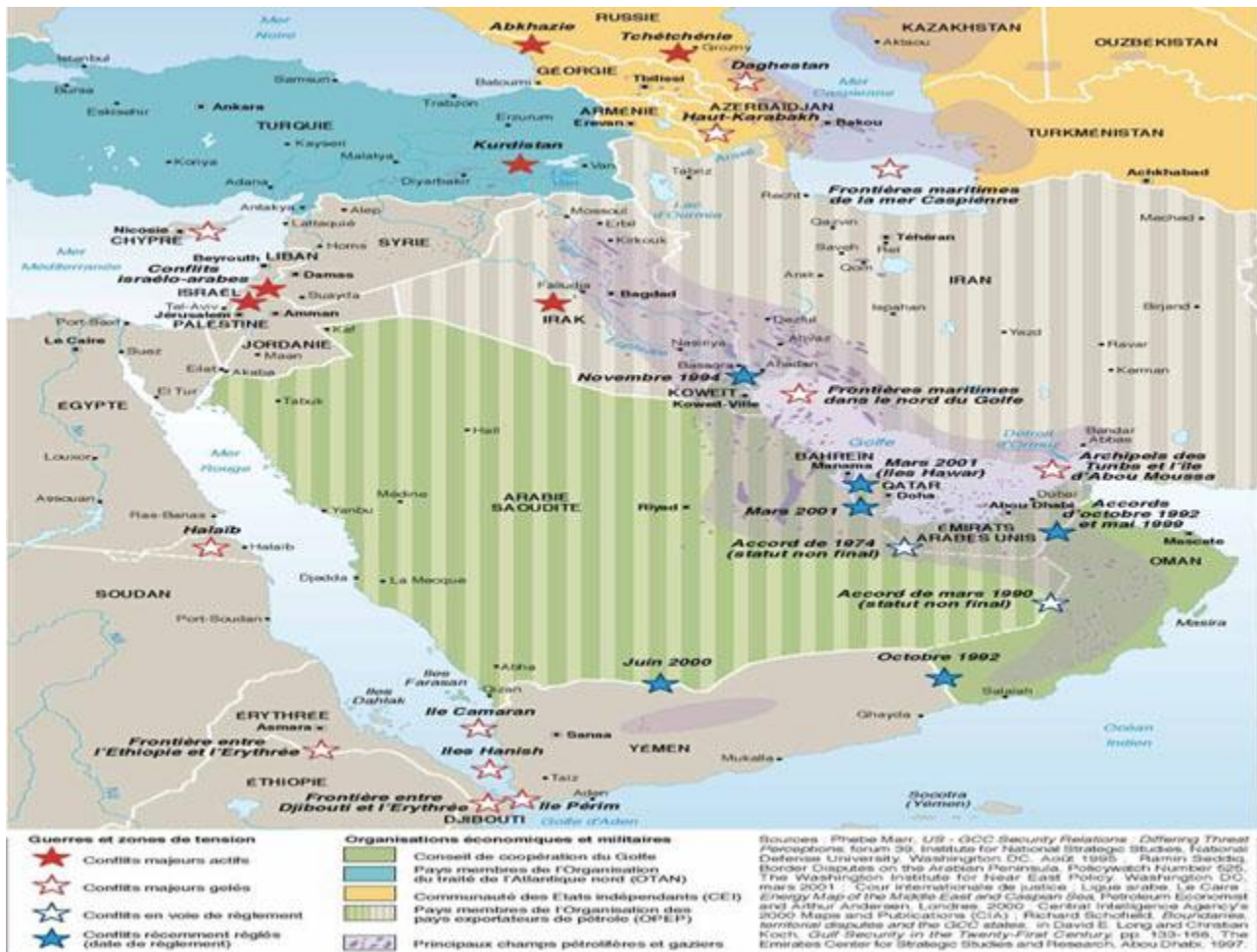
المصدر على الرابط:

Sources Energy Map of the Middle East and Caspian Sea, Petroleum Economist and Arthur Andersen, Londres, 2000.

<http://www.monde-diplomatique.fr/cartes/caucasepetrole2000>

الملحق رقم 12:

خريطة الطاقة في الشرق الأوسط و بحر قزوين



المصدر على الرابط:

Sources Le Monde diplomatique ; Energy Map of the Middle East and Caspian Sea, Petroleum Economist and Arthur Andersen, Londres, 2000 ; Comité professionnel du pétrole (CPDP), Central intelligence Agency's 2000 Maps and Publications (CIA), United States Energy Information Administration (EIA).

المراجع

المراجع باللغة العربية:

1. الكتب:

1 أبو بكر، مصطفى محمود، " البحث العلمي: تعريفه، خطواته، مناهجه." الإسكندرية: الدار الجامعية، 2002.

- 2 أبو دامس، زكرياء، "اثر التطور التكنولوجي على الإرهاب"، الأردن: عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع، 2005.
- 3- اوديد، شينكار، " العصر الصيني: الاقتصاد الصيني الناهض و تأثيره على الاقتصاد العالمي و توازن القوى"، ترجمة: سعيد الحسنية، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005.
- 4 الجواهري، إسماعيل بن حماد، " قاموس الصحاح في اللغة و الإعلام"، مجلد 1 ، بيروت: دار الحضارة العربية، 1974.
- 5 الزعبي، موسى، "الجيو سياسية والعلاقات الدولية: أبحاث في الجيوسياسية وفي الشؤون والعلاقات الدولية المتنوعة"، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2004.
- 6 الحديثي، خليل إسماعيل، "الوسيط في التنظيم الدولي"، العراق: مطبعة جامعة الموصل ، 1990.
- 7 للمعيني، خالد، " الصراع الدولي بعد الحرب الباردة"، ط1، دمشق: دار كيوان للطباعة و النشر والتوزيع، 2009.
- 8 المشاط، عبد المنعم و خليفة، ماهر، " تحليل وحل الصراعات : الإطار النظري"، القاهرة: المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، 1995.
- 9 السماك، محمد، "الأصولية الإنجيلية والصهيونية والمسيحية والموقف الأمريكي"، مالطة: مركز دراسات العالم الاسلامي، 1991.
- 10 - السماك، محمد، "موقع الإسلام في صراع الحضارات و النظام العالمي الجديد"، ط2، بيروت : دار النفائس، 1999.
- 11 - السويدي، جمال سند، " إيران و الخليج : البحث عن الاستقرار « . ط 1، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، 1996.
- 12 - العماري، عباس رشدي، " إدارة الأزمات في عالم متغير"، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993.
- 13 - الخزرجي، ثامر كامل، " العلاقات السياسية الدولية "، عمان: دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، 2005.
- 14 - بدوي، محمد طه، "المدخل إلى علم العلاقات الدولية"، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972.
- 15 - بوحوش، عمار، محمد الدنبيات، " مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث". الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2001، ص. 103.

- 16 - بوتول، غاسون، "هذه هي الحرب"، ترجمة محمد فنواطي، الطبعة 1، بيروت: منشورات عويدات، 1981.
- 17 - بريجنسكي، زينغيو، "الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم"، ترجمه: عمر الايوي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004.
- 18 - بريجنسكي، زينغيو، "الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الواحد والعشرين"، ترجمه: مالك فاضل، عمان: الأهلية للنشر و التوزيع، 1998.
- 19 - جلال، شوقي، "العقل الامريكي يفكر: من الحرية إلى مسخ الكائنات"، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 1998.
- 20 - دوناي، بال و لاتشوفسكي، زدزلو، "الأمن و المؤسسات الاورواطلسية"، في: التسلح و نزع السلاح و الامن الدولي، الكتاب السنوي 2007، ترجمة عمر الايوي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.
- 21 - دوروتي، جيمس و بالتسغراف، روبرت، "النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية"، ترجمة: وليد عبد الحي، بيروت: كاظمة للدراسات والنشر والتوزيع، 1985.
- 22 - دوغين، الكسندر، "أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، ترجمة: عماد حاتم، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.
- 23 - هانتينغتون، صاموئيل، "صدام الحضارات- اعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: مركز سيمون و روكفلر، 1998.
- 24 - هالبر، ستيفان و كلارك، جوناثان، "التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد و النظام العالمي"، ترجمة: عمر الأيوي، بيروت: دار الساقى، 2004.
- 25 - حتي، ناصيف يوسف، " النظرية في العلاقات الدولية"، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985.
- 26 - كولار، دانيال، " العلاقات الدولية"، ترجمة خضر خضر، بيروت: دار الطليعة، 1980.
- 27 - كيسنجر، هنري، "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية"، ترجمة: عمر الايوي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2006.
- 28 - كلير، مايكل، "الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية"، ترجمة: عدنان حسن، بيروت: 2002.

- 29 - مورجانتو، هانز، "السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلام والسلطان" ترجمة خيرى حماد، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.
- 30 - ميرل، مارسيل، "سوسيولوجيا العلاقات الدولية"، ترجمة حسن نافعة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المستقبل العربي، 1996.
- 31 - مقلد، إسماعيل صبري، "العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات"، الكويت: جامعة الكويت، 1982.
- 32 - نيكسون، ريتشارد، "ما وراء السلام"، ترجمة: مالك البديري، عمان: الأهلية للنشر و التوزيع، 1995.
- 33 - نعمة، كاظم هاشم، "العلاقات الدولية"، بغداد: شركة إياد للطباعة الفنية، 1987.
- 34 - سعيد، محمد السيد، "المتغيرات السياسية الدولية وأثرها على الوطن العربي"، في: الوطن العربي والمتغيرات العالمية، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1991.
- 35 - سعيد، عبد المنعم، "ما بعد الحرب الباردة: النظام الدولي بين الفوضى والاستقرار"، في التقرير الإستراتيجي العربي، مصر: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية لمؤسسة الأهرام، 1994.
- 36 - عبد الحي، وليد، "تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية"، الطبعة الأولى، الجزائر: مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، 1994.
- 37 - عويس، خير الدين، "دليل البحث العلمى". القاهرة: دار الفكر العربي، 1999.
- 38 - عليوف، رفيق، "الإسلام و الثقافة الأذربيجانية: الخصائص الرئيسية للتطور الثقافى فى أذربيجان قديما و حديثا". دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، 1996.
- 39 - عليوة، السيد، "إدارة الصراعات الدولية: دراسة فى سياسات التعاون الدولى"، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.
- 40 - فوكوياما، فرانسيس، "نهاية التاريخ وخاتم البشر"، ترجمة: حسين احمد أمين، ط1، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة و النشر، 1993.
- 41 - قربان، ملحم، "الواقعية السياسية"، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1971.
- 42 - ربيع، حامد، "سلام البترول و الصراع العربى الإسرائيلى"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1974.

- 43 - ربيع، محمد محمود و مقلد، إسماعيل صبري، " موسوعة العلوم السياسية "، الكويت: جامعة الكويت، 1994.
- 44 - شلبي، محمد، " المنهجية في التحليل السياسي، المناهج ، المفاهيم، الاقتراحات والأدوات ". ط4، الجزائر: دار هومة ، 2002.
- 45 - شرف، جورج، " من روسيا حتى كاراباخ : صراع القوميات في دول آسيا الوسطى والقوقاز "، بيروت: مركز الدراسات الارمنية ، 1998.
- 46 - توفلر، الفن، " تحول السلطة: بين العنف و الثروة و المعرفة "، ترجمة: فتحي بن شتوان و نبيل عثمان، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع، 1996.
- 47 - ثرو، ليستر، " مستقبل الرأسمالية "، ترجمة: فالح عبد القادر حلمي بغداد: بيت الحكمة، 2000.

II. المجلات و الدوريات:

- 1 +الإمام، محمد رفعت، " مشكلات الأمن في القوقاز: تداخلات الأعراق والنفط والسياسة ". مجلة السياسة الدولية، مجلد37، عدد149، جويلية2002.
- 2 +الإمام، محمد رفعت، " مشكلة كاراباخ: صراع الشرعيات بين حق الشعب و منطق الدولة ". مجلة السياسة الدولية، أكتوبر2001.
- 3 +الحيالي، نزار إسماعيل، " العلاقات الروسية-الأمريكية من الشراكة الإستراتيجية إلى المنافسة الجيوسياسية "، مجلة قضايا سياسية.
- 4 +النعيمي، احمد نوري، " العولمة بين الهوية الوطنية و المثالية الدولية "، مجلة دراسات سياسية دولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2004.
- 5 +الشيخ، نورهان، " العلاقات الروسية- الاورواطنطية بين المصالح الوطنية و الشراكة الإستراتيجية "، مجلة السياسة الدولية، عدد 175، القاهرة 2007.
- 6 +بدوي، منير محمود، " مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب و الأنواع "، مجلة دراسات مستقبلية، عدد3، جويلية 1997.
- 7 +بكر، حسن، " مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما: نهاية التاريخ- اديولوجية الرجل الأخير "، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، السنة الثالثة، عدد9، 1993،

- 8 جثارة, عزمي, "عودة إلى الحرب الباردة أم واقع دولي جديد مختلف", مجلة المستقبل العربي, تشرين أول 2008, العدد 356.
- 9 حمودة, عمار كمال, "النفط في السياسة الخارجية الأمريكية", مجلة السياسة الدولية, عدد 164, افريل 2006.
- 10 - حقي توفيق, سعد, "التنافس الدولي و ضمان امن الطاقة", مجلة العلوم السياسية, عدد 43, 2010.
- 11 - يوسف, أيمن طلال, روسيا البوتنية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولوية الجيوبولوتيكية الخارجية (200-20089), مجلة المستقبل العربي, كانون أول 2008, العدد: 358.
- 12 - مالك, عادل, "من البحر الأبيض إلى البحر الأسود, مشاريع حروب ساخنة وباردة.. بداية سقوط الأحادية الأمريكية وانبعث الثنائية التقليدية", مجلة القدس, 1 سبتمبر 2008.
- 13 - محمود, احمد إبراهيم, "ظاهرة الصراع الدولي في عالم ما بعد الحرب الباردة", مجلة السياسة الدولية, العدد 109, القاهرة, جويلية 1992 .
- 14 - مظلوم, جمال, "التعاون الصيني- الروسي في إطار منظمة شنغهاي", مجلة السياسة الدولية, العدد 164, افريل 2006.
- 15 - ناهي, احمد عبد الله, "روسيا و الملف النووي الإيراني", مجلة اراء حول الخليج, عدد 48, سبتمبر 2008.
- 16 - نجار, احمد السيد, "روسيا و الغرب: هل تصلح العقوبات لإدارة العلاقات, تحليلات عربية دولية", الأهرام, العدد 44467, منشورات مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية, القاهرة, سبتمبر 2008.
- 17 - نويهض, وليد, "من الحرب الباردة إلى السلام", مجلة مستقبل العالم الإسلامي, العدد 3, صيف 1991.
- 18 - نور الدين, محمد, "النظام العالمي الجديد من كوسوفو إلى فلسطين", مجلة شؤون الأوسط, شتاء/ربيع 2008, العدد 128.
- 19 - نذير الطالب, مظفر, "التنافس الدولي في آسيا الوسطى", مجلة علوم إنسانية, لندن, عدد 28, ماي 2006.
- 20 - سليم, محمد السيد, "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية", مجلة السياسة الدولية, عدد 170, مركز الأهرام, القاهرة 2007.

- 21 - سرور، عبد الناصر، "الصراع الاستراتيجي الأمريكي- الروسي في آسيا الوسطى و بحر قزوين و تداعياته على دول المنطقة:1991-2007"، مجلة جامعة الأزهر، غزة، المجلد 11، العدد 1، 2009.
- 22 - عبد الله، مختار شعيب، "الصراع القومي و العرقي في الجمهوريات المستقلة:أبخازيا- جورجيا"، مجلة السياسة الدولية.
- 23 - عبد العظيم، خالد، "الصراع على النفوذ على الاوراسيا"، مجلة السياسة الدولية ، عدد161، جويلية 2005.
- 24 - عبد الفتاح، بشير، "أبعاد التعاون العسكري بين روسيا و إيران"، مجلة مختارات إيرانية، العدد 9، افريل 2001.
- 25 - عبد الخالق، عبد الله، "العالم المعاصر والصراعات الدولية"، مجلة عالم المعرفة، رقم 133، الكويت، جانفي 1989.
- 26 - عواد، عامر هاشم، " التحول في العلاقات الروسية الأمريكية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد26، سبتمبر 2010.
- 27 - فريدمان، جورج، "مبدأ مدفداف والإستراتيجية الأمريكية"، مجلة المستقبل العربي، تشرين أول2008، العدد: 356.
- 28 - صالح، عبد الله، "ناجورنو-كاراباخ: الصراع بين الجغرافيا و الهوية القومية". مجلة السياسة الدولية،
- 29 - صلاح، هاني، "تحديات ما بعد الاستقلال"، مجلة السياسة الدولية، المجلد43 ، العدد172، أبريل 2008.
- 30 - رادفاني، جان، "عندما يلعب الكبار في اوسيتيا"، لوموند ديبلوماتيك، الطبعة العربية ، سبتمبر 2008.
- 31 - شعبي، عماد فوزي، "البرنامج النووي الإيراني بين الحقائق و التضخيم"، مجلة آراء حول الخليج، عدد48، سبتمبر 2008.
- 32 - ترزيان، بير ج. ، "مشكلة قره باخ...احتمالات التسوية"، مجلة أريف، عدد27، مارس2000.
- 33 - ترزيان، بير ج.، "قره باخ: مشكلة تنتظر الحل"، مجلة أريف ، عدد42، جوان2001،

- 34 - خليل، محمود، "إعادة توزيع انتشار القوات الأمريكية"، مجلة السياسة الدولية، عدد 157، جويلية 2004،
- 35 - ذياب، أحمد، "أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية الروسية"، مجلة السياسة الدولية، عدد 175، يناير 2009، المجلد 44.
- 36 - ذياب، أحمد، "أمريكا وروسيا... حدود الاختلاف و أفق التعاون"، مجلة السياسة الدولية، عدد 160، جويلية 2005.
- 37 - ذياب، أحمد، "استقلال كوسوفو... المواقف الإقليمية والدولية"، مجلة السياسة الدولية، المجلد 43، العدد 172، أبريل 2008.
- 38 - ذياب، محمد، "الصراع الدولي على القوقاز و نفط قزوين"، ملحق باللغة العربية لمجلة آرتاك الأرمنية، أكتوبر 1998.
- 39 - ذياب، محمد، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز"، مجلة شؤون الأوسط، عدد 105، شتاء 2002.
- 40 - ذياب، محمد، "إعلان أنقرة ، حلقة جديدة في الصراع على نفط قزوين"، مجلة السفير، 26 نوفمبر 1998.

III. الرسائل الجامعية:

- 1 جندلي، عبد الناصر الدين، "انعكاسات تحولات النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة على الاتجاهات النظرية الكبرى في العلاقات الدولية"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية و الإعلام، جامعة الجزائر، 2005.
- 2 تدموم، رضا، "دور الدبلوماسية غير الرسمية في حل النزاعات: دراسة حالة النزاع في قبرص"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة 3، جويلية 2016.
- 3 لعمارة، نوفل، "الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة جنوب القوقاز و تأثيرها على امن و استقرار دول المنطقة"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية و الإعلام، جامعة الجزائر، 2006.
- 4 مباركية، منير، "استراتيجيات القوى الكبرى في مواجهة سياسات الاحتواء الأمريكية: حالي روسيا و الصين"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2008.

5 معمري، خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2008.

IV. مواقع الانترنت:

- 1 هيت عبد السلام، صابر، "التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة"، مدونة جسور الدراسات الدولية، يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
http://internationalstudiesbridges.blogspot.com/2012/04/blog-post_3335.html
- 2 للنيادي، شافع، "تقرير عن السيناريوهات"، موسوعة التدريب و التعليم، 1 جويلية 2010. يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
http://www.edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.thtml?id=594
- 3 جبنون، نور الدين، "علاقات الولايات المتحدة مع جمهوريات آسيا الوسطى"، الجزيرة نت. يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/85c0ccdc-2492-4f9d-84b1-0dead39751e6>
- 4 -سيسيري، مايكل، "الصين... اللاعب الكبير الجديد في القوقاز"، نشر بتاريخ، 5 نوفمبر 2015، يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
<http://www.aljarida.com/articles>
- 5 "قراءة في الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية"، دراسة صدرت يوم 2016/4/6. يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
<http://www.politics-dz.com/threads/qra-fi-alstratigi-alrusi-byd-alxhbr-albard-uanykasatxa-yl-almntq-alyrbi.4534>
- 6 هاندرو، إيزابيل، "العقيدة الروسية الدفاعية وحرب باردة جديدة" جريدة الحياة، 21 ديسمبر 2016 يوم 25.12.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
<http://www.alhayat.com/Opinion/Writers>
- 7 خبيب، عمر، "الشرق الأوسط في مآهات الحرب الباردة المتجددة: النزاعات بالوكالة أداة جديدة لتمزيق وحدة الدول"، 2014/12/8. يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
http://www.alalam.ma/def.asp?codelangue=23&id_info=64294

8 -رادفانيي، جان، "نزاعات دموية لم تخدم في القوقاز لوموند دبلوماسيك، اكتوبر 2004, , يوم
17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:

http://www.mondiploar.com/article.php?id_article=10

9 -شان, جون, "أذربيجان شريك مهم للصين في جنوب القوقاز", نشر بتاريخ، 27 نوفمبر 2015، يوم
17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط: <http://azertag.az/ar/xeber/arabic>

10 - شفيق، منير, "الحرب الروسية الجورجية مقدمات وأبعاد", عن الموقع الإلكتروني: يوم
17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F8D6BBA7-70D9-45FE-ACA>

11 - ذبيان, أحمد, "تداعيات أزمة القوقاز", يوم 17.07.2016 على الساعة 20:30 على الرابط:
http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=155212

المراجع باللغة الأجنبية:

I. BOOKS :

1. ABU NIMR, Mohammad, "Conflict Resolution ", Cairo: National Center for Middle East Studies, 1994.
2. Amelie, KUHRT, « The Ancient Near East.C.3000-330 B.C. ». 2 Vol, London: routledge, 1995.
3. ARON, Raymond, « Etudes politiques », Paris : éditions Gallimard, 1972.
4. ARAN, Raymond, « Paix et Guerre entre les nations », 6ème édition, paris: Calmann-Lévy édition, 1968.
5. BARREA, Jean, "Théorie des relations internationales », Louvain: Ciaco éditeur, 1978.
6. BLANK, Stephen J., "U.S. MILITARY ENGAGEMENT WITH TRANSCAUCASIA AND CENTRAL ASIA", New York S.S.I.:, June 2000
- 7.
8. BOURMOUTIAN, George A. « the history of Armenian people », vol2, California: 1995.
9. BURTON, John, "Deviance, Terrorism, and War", Oxford: Martin Robertson company, 1997.
10. BUZAN, Barry, "The Level of Analysis Problem in International Relations Reconsidered," in Ken Booth and Steve Smith (eds.), International Relations Theory Today, University Park, Pa.: Pennsylvania State University Press, 1995.
11. CAMERON, Fraser, "US Foreign Policy after the Cold War: Global hegemon or reluctant sheriff", Second edition, London: Routledge, 2005.
12. CASELLI , Francesco and COLEMAN, Wilbur John, " On the Theory of Ethnic Conflict", London: School of Economics, Duke University, September 2011
13. COPPIETERS, Bruno, « contested borders in the Caucasus », Belgium: v.u.b. press, 1996.
14. DANILOV, Dimitri, « Russia's search for international mandate in Transcaucasia», Bruxelles: V .U.B., 1996.
15. DELAUW, Freddy, « Turkey's Policies in Transcaucasia », Belgium: V. U. B., 1996.
16. DETTKE, Dieter, « A great Game Not More :Oil, Gaz and Stability in The Caspian Region », Washington: Friedrich Ebert Foundation, 1999.
17. DJALILI RIZE, Mohammad, "Le Caucase Post Sovietique: La transition dans le conflit», Bruxelles : L.G. D. G., 1995.
18. DRUCKMAN, Daniel, "An Analytical Research Agenda for Conflict and Conflict Resolution." In Conflict Resolution Theory and Practice: Integration and Application, Dennis J. D. Sandole and Hugo van der Merwe (eds), Manchester, 1993, 25-42.

19. DUROSELLE, Jean Baptiste, « La stratégie des conflits internationaux », Revue française de science politique, volume 10, issue 2, 1960.
20. EDEL, Rebert, « The geopolitics of Caspian oil », corporate briefing series, march 26, 1997.
21. ENCAUSSE, Hélène Carrère, « la gloire des nations ou la fin de l'empire soviétique », paris : fayard, 1990.
22. FALKOWSKI, Maciej, « Russia's Policy in the Southern Caucasus and Central Asia », CES Studies, Centre for Eastern Studies, June 2006.
23. GHIA, Nodia, « Political turmoil in Georgia and ethnic policy of Zviad Gamsakhordia », Belguim, v.u.b., 1996.
24. HENDERSON, Conway W., « International Relations: Conflict and Cooperation at the turn of 21st century », The United State of America: Mcgraw-Hill College, First Edition, 1997.
25. HERZIG, Edmund, « Iran and the former Soviet South », Londres: the Royal institute of international affairs , 1995.
26. HESLIN, Seila, « American Commercial Interests, Commitments and Strategies in the Caspian Sea », Washington: Friendrich Ebert Foundation, 1999.
27. HOLLIDAY, Fred, « Iran and The Caspian », Landres: Menas Associates, 1995.
28. KEMP, Geoffrey, « Regional security, Arms control and the end of the cold war », Washington Quartile, Autumn 1990.
29. LACOSTE, Yves, « Dictionnaire De Géopolitique », 2ème édition, Paris : Flamarion, Octobre 1995.
30. LERAY, Rene, « European Union Policy and Action Toward Central Asia and The Caspian Sea Countries » , Washington : Friendrich Ebert Foundation , 1999.
31. LICHTABLAU, John, « U.S. Policy and Action Toward Central Asia and The Caspian Sea Countries », Washington: Friendrich Ebert Foundation , 1999.
32. LOPEZ, George A. and STOLE, Michael S., " International Relations: Contemporary Theory and practice", Washington D. C.: Congressional Quarterly press, 1989.
33. MARTIN-LALANDE, Nicolas, « Washington et Moscou: du partenariat (dit) stratégique à la confrontation géopolitique », France : Centre d'études transatlantiques, 2007.
34. MORTON, Abramowitz, « Deteline Ankara: Turkey after Ozal », Foreign Policy, n ° 91, été, 1993.
35. NICKOLSON, Michael, " Conflict analysis". London: The English universities press LTD. 1970.

36. NIXEY, James, «The Long Goodbye: Waning Russian Influence in the South Caucasus and Central Asia », In The Means and Ends of Russian Influence Abroad Series, London : The Chatham House, June, 2012.
37. OGUTC, Mehmet, « Eurasian Energy Prospects: need for a long term European Strategy », Bruxelles : the Trans European studies association (T.E.P.S.A.) , février , 1994.
38. PATRICK, Karam, « les Guerre du Caucase », Paris: Perrin, 1995.
39. PAYED, Oliven, « U. N. and O.S.C.E. Policies in Transcaucasia », Belgium: V.U.B., 1996.
40. PRUITT, Dean G. and RUBIN, Jeffrey Z., “Social conflict: escalation, stalemate and settlement”, New York: Random House, 1986.
41. RAMEZANZADEH, Abdollah, « Iran’s Role as Mediator in the Nagorno-Karabakh crises », Belgium: V. U. B., 1996.
42. ROBERTS, John, “Caspian Pipelines”, Londres: the Royal Institut of International Affairs, 1996.
43. ROBINSON, R., “The conflict competent organization”, A research agenda for emerging organizational challenges In R. Kramer, and D. Messick (Eds.) , Negotiation as a social process. P.P. 186-205, Stanford University: SAGE Publications, 1995.
44. RODMAN R., Bundy, “The Caspian, Sea or Lake?: Consequences in International Law » . Londres: Menas Associates, 1995.
45. SACHWALD, Frédérique, « La Chine: Puissance Technologique Emergente », Paris : Ifri, 2007.
46. SCHELLING, Thomas, « Stratégie du conflit ». Traduire par Raymond Manicacci. Paris: Presse universitaire de France, Première édition, 1980.
47. SCHERRER, Christian P., “Towards a Comprehensive Analysis of Ethnicity and Mass Violence: Types, Dynamics, Characteristics and Trends”, in Christian P. Scherrer and Hakan Wiberg, Ethnicity and intra-state conflict, Aldershot, Ashgate, 1999.
48. SCHMUNK, Michael, « German Policy To word The Caspian Sea Region», Washington: Friedrich Ebert Foundation , 1999.
49. SMALL Melvin, and SINGER, J. David, “Resort to arms: international and civil war, 1816-1980”, Beverly Hills: Sage,1982.
50. TRENIN, Dimitri, «Russia’s security interests and policies in the Caucasus region » Bruxelles: V.U.B. University press, 1996.
51. TSERETELI, Mamuka, ” The impact of the Russia Georgia war on the south Caucasus transportation corridor”, Washington: The Jamestown Foundation,2009.
52. WALFF, Stefan, “Ethnic Conflict :A Global Perspective”, London: Oxford University Press, 2006.

53. WIGHT, Martin, "Power Politics", London: hedley bull and carsten holbraad Edition, 1986.
54. ZVEREV, Alexei, « ethnic conflicts in the Caucasus 1988-1994 », Belgium : v.u.b. press ,1995.

II. WORKING PAPER :

1. ADLER, Alexandre, " Moscou, Tehéran, Damas , nouvel axe contre l'équilibre du monde" , Courier International, n ° 286 , le 25/ 04 – 01/05 , 1996.
2. AHRARI, Ehsan, « The Schizofrenie Russia Iranian Nexus », Asia Times, 22 May 2002.
3. ALI, Ottomon, «Le desenclairement du l'Asie centrale et du Caucase: Rôle inedit pour une ère nouvelle », CEMOTI , n° 18 , 1994.
4. ARIHIR, Mustapha, « L'étude des conflits internationaux : l'approche constructiviste et la nécessité de l'interdisciplinarité, à travers l'étude du concept de la reconnaissance», Dynamiques Internationales, GRECCAP, Université Bordeaux-Montesquieu, N.1, Octobre 2009.
5. BARYLSK V., Rebert, « Russia, The West and the Caspian energy hub », Middle East journal , june ,1995.
6. BISHKU, B. Michael, «The South Caucasus Republics and Russia's Growing Influence: Balancing on a Tightrope», MERIA Journal, Vol. 15, No. 1, March 2011
7. BREMMER, Ian, « Oil policies: America and the riches of Caspian basin », world policy journal, vol 15, n°01, spring1998.
8. CERAGIOLI, Paola and MARTELLINI, Maurizio, "the geopolitics of pipelines », Asia Times, 29 may 2003.
9. CHETARIAN, Vicken, « Escalade militaire dans le Caucase », le monde diplomatique, juillet 2007.
10. CLAIRE, Mouradian, « le caucase des independances ». Documentation Française, n ° 718, 1993, P.44. COHEN, Ariel, «U. S. Policy in The Caucasus and Centre Asia; Building a NEW SILK ROAD To Economic Prosperity », The Heritage Foundation, July24,1997
11. CUTHBERSON, Iam, « Notre destin est entrain de ce jouer en Asie Centrale», Le Temps Strategique, Septembre 1995.
12. DAN, Alexe, «Le nouveau grand jeu et le petrole a Bakou» , Bulletin de l'observatoire de l'Asie Centrale et du Caucase, n° 1, février 1996.
13. DE LA GORCE, Paul-Marie, « *Washington et la maîtrise du monde* », Le Monde diplomatique, avril 1992.

14. DETINGUY, Anne, « l'écheveau Caucasien », politique internationale, n° 60, été 1993.
15. EGOROVA, Irin, et CHESTAKOV, Anatoli, « Tempete sur la mer caspienne », Courrier International, Kouranty (Mouscou), 21 Mai 1992.
16. ELIOT, A. Cohen, "After the battle", New republic, April 1991.
17. GLASSER, Susan B., « Exodus is New Chapter of Loss in Armenia's Sad Story ». Washington post , Monday, July 12, 2004.
18. GOUMENOS, Thomas, "Mechanisms of Ethnic and Separatist Mobilization : A Dynamic Theoretical Framework for the Analysis of Separatist Movements", 1st ECPR Graduate Conference on Contentious Politics university of Essex, 7-9 September 2006.
19. GUILLEMOLLES, Alain, « Caucase: le nouvel appétit russe », Croissance, n° 395, juil-août 1996.
20. HELMER, John, « Russia Draws Fine Line in Caspian », Asia Times, 22 may 2002.
21. HILL, Fiona, «The Great Game, The 2020 Edition », The Globalist, July 12, 2002.
22. HUNTINGTON, Samuel P., "The Erosion of American National Interests", Foreign Affairs, Sep/Oct 1997.
23. KACHIA, Jamri, « Caucase: le vrai – faux' contrat du siècle », politique internationale, n° 70, 1995 –1996.
24. KAHN, Michèle et GICQUIUN, Hervé, « Azerbaïdjan », le courrier de pays de l'est , n° 397-398 mars –avril 1995.
25. KRAUZE, Jan, « La Russie et ses marches », le monde, 1er juillet 1993.
26. LAND, Thomas, « Pipelines and politics », The Middle East , jan 1996.
27. "le message de l'islam », publication officielle iranienne, n° 92 Juin . 1992.
28. LUSSAC, Samuel, « Géopolitique du Caucase : Au carrefour énergétique de l'Europe de l'Ouest », Journal of Peace, Conflict and Development, Editions Technip, 16, November 2010.
29. LUTZ, Kleveman, « How America makes Terrorist of its Allies », The Ecologist, Febrery 16, 2004.
30. LUTZ, Kleveman, "The new great game: blood and oil in central Asia", The Guardian, 2004.
31. MATVEEV, Alexandre, « Le statut de la Mer Caspienne: le point de vue Russe », le courrier des Pays de l'Est , n° 411, Août –1996.
32. MKRTCHYAN, Tigran and PETROSYAN, Vahram, "Integration of Transcaucasia: Continued failure and hope", TURKISH POLICY QUARTERLY, Volume 8, Number 1st, 2009.

- 33.PAPKOVA, Irina and P. GORENBURG, Dimitry, «The Russian Orthodox Church and Russian Politics: Editors' Introduction», Russian Politics and Law, Vol. 49, No. 1, January–February 2011.
- 34.PAVELENKO, Aneta, «Russian in Post-Soviet Countries», Russian Linguistics, Vol. 32 ,2008.
- 35.POPE, Hugh, « Great Game 2, Oil Companies Rush into The Caucasus to Tap The Caspian », Wall Street Journal, 25 Avril 1997.
- 36.SARKEES Meredith Reid, and SINGER, J. David, “Armed conflict past and future: a master typology?”, Paper presented at the European Union Conference on Armed conflict, data collection, Uppsala, Sweden, june,2001.
- 37.SAYIGH, Yezid, “Confronting the 1990s: Security in the Developing countries”, Adelphi Papers, No. 251, London, International Institute for strategic studies, 1990.
- 38.SEITLINGER. Jean, « Rapport : Conflits En Transcaucasie », Doc 7793, France : Groupe Du Parti Populaire Européen, 10 Avril 1997.
- 39.SEMINATORE, Irnerio, « Les relations internationales de l'après-guerre froide : une mutation global », Etudes internationales: volume XXVII, N° 03, Septembre 1996.
- 40.SINGER, David J., “The Level-of-Analysis Problem in International Relations”, World Politics, Vol 14, October, 1961.
- 41.THOM, Françoise, « Eurasisme et neo-eurasisme », Commentaire, n ° 66, été 1994.
- 42.TIMOUTCHINE, Hadjibeyli, « La question de Haut-Karabakh », Revue du Monde Musulement et de la Mediteranee, n ° 48-49, 1989.
- 43.VANER, Smith, « Les Ambition de l'Azerbaidjan », politique internationale , n ° 57 , 1992.
- 44.VUONO, Carl E., “Desert storm and the future of conventional forces”, Foreign affairs, 1991.
- 45.WALTZ, Kenneth, “Realist thought and Neo-Realist theory”, journal of international affairs, Vol. 44, No.1.
- 46.WOODS, Alan, « Georgia's rose revolution, Georgia's peaceful revolution », heralds new, November 24.2003.
- 47.ZAPATR, Josef, “Refugées et Personnes Deplacées en Azerbaidjan », CEMOTI, n°20, Juil – dec 1995.

III. INTERNET LINKS :

1. DE WAAI, Thomas, «Can The “Medvedev Moment” Be Saved for Karabakh? », RFE/RL Commentary, 28 July 2011, http://www.rferl.org/content/medvedev_moment_saved_nagorno_karabakh_kazan/24279692.html. consulté le 12/06/2016
2. GLEASON, Gregory, «Financing Central Asia’s Expansion», CACI Analyst (Central Asia and the Caucasus Institute Analyst), 11 March 2004, <http://www.cacianalyst.org/?q=node/2535/print>. consulté le 12/06/2016
3. GRARE , Frederic, « la nouvelle donne énergétique autour de la mer Caspienne : une perspective géopolitique » , in CEMOTI : N° 23 – la caspienne une nouvelle frontière . le 01 Mars 2005. <https://cemoti.revues.org/111>, consulté le 12/06/2016
4. SABANADZE, Natalia, « international involvement in the south Caucasus », Germany: European Centre for Minority Issues, February, 2002, www.ecmi.de . consulté le 12/06/2016
5. “The Encyclopedia Americana International Edition”, Danbury Connecticut: Grolier Incorporated, 1992
6. « The history of Armenia », https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Armenia., july2010. consulté le 12/06/2016
7. « The History Of Azerbaidjan », https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Azerbaijan, july2010. consulté le 12/06/2016
8. « the history of Georgia », [https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Georgia_\(country\)](https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Georgia_(country)), july 2010. consulté le 12/06/2016
9. « The World Economic Factbook (1994/5) ». London : Euromonitor, 1994.
- 10.« Transcaucasia », <https://en.wikipedia.org/wiki/Transcaucasia>, july2010. consulté le 12/06/2016
- 11.TISHKOV, Valery, «Migration in the Countries of the Former Soviet Union», A Paper Prepared for the Policy Analysis and Research Programme of the Global Commission on International Migration, Global Commission on International Migration (GCIM), September 2005, <http://www.gcim.org/attachements/RS3.pdf>. consulté le 12/06/2016
- 12.VANER , Smith, «la caspienne : enjeu pour l’azerbaidjan , et l’azerbaidjan comme enjeu» , in cemoti , n ° 23 , la caspieene : une nouvelle frontiere , le 01 mars 2005 . [http : // cemoti . revues . org / document 117 . ht ml](http://cemoti.revues.org/document117.html) . consulté le 12/06/2016
- 13.WOODS, Alan, « student rapport: marxist in georgia » ,www.marxist.com/asia/georgia/lettres.html, june 2008. consulté le 12/06/2016

الفهرس

مقدمة

- 18 ----- الفصل الأول: مدخل مفاهيمي و نظري للصراع الدولي.
- 19 ----- المبحث الأول: مفهوم الصراع الدولي.
- 19 ----- المطلب الأول: تعريف الصراع الدولي.
- 20 ----- 4- تعريف ظاهرة الصراع.
- 26 ----- 5- أبعاد ظاهرة الصراع.
- 28 ----- 6- الصراع الدولي و علاقته بالمفاهيم المشابهة.
- 43 ----- المطلب الثاني: طبيعة الصراع الدولي.
- 48 ----- المبحث الثاني: الأسباب المفسرة لنشأة الصراع الدولي وأنواعه.
- 48 ----- المطلب الأول: الأسباب المفسرة لنشأة الصراع الدولي.
- 48 ----- 1- المدخل النفسي أو السيكولوجي.
- 54 ----- 2- المدخل الأيديولوجي.
- 55 ----- 3- المدخل الاقتصادي.
- 56 ----- 4- مدخل المصالح القومية للدولة.
- 60 ----- 5- المدخل الاجتماعي.
- 65 ----- 6- مدخل طبيعة النظام الدولي.
- 66 ----- 7- مدخل السياق نحو التسلح.
- 73 ----- المطلب الثاني: مستويات الصراع الدولي وأنواعه.
- 73 ----- 3- مستويات الصراع الدولي.

74	4 أنواع الصراعات الدولية.
84	المبحث الثالث: تحول الصراع الدولي بعد الحرب الباردة.
85	المطلب الأول : مصادر الصراع الدولي بعد الحرب الباردة.
85	4 المصادر ذات البعد الاقتصادي.
89	5 مصادر ناتجة عن طبيعة النظام الدولي.
92	6 مصادر ذات بعد إيديولوجي.
95	المطلب الثاني: آليات الصراع الدولي بعد الحرب الباردة بين الاستمرار و التغيير.
95	5 تنامي دور الأفراد و المجموعات مقابل الدولة.
97	6 للصراع التكنولوجي.
99	7 توظيف المنظمات الدولية.
101	8 للتدخل الإنساني.
102	المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية للصراع الروسي الأمريكي في جنوب القوقاز.
103	1 +الأنطروحات الحضارية للفكر الاستراتيجي الأمريكي.
109	2 +الأنطروحات الحضارية للفكر الاستراتيجي الروسي.
113	الفصل الثاني: التحولات الدولية بعد الحرب الباردة و بروز منطقة جنوب القوقاز.
114	المبحث الأول: العلاقات الروسية -الأمريكية إبان الحرب الباردة.
115	المطلب الأول: سمات الحرب الباردة.
115	5 اندلاع الحرب الباردة:1945-1953.
117	6 للصراع و المواجهة و الحل الوسط: 1953-1969.
119	7 صعود الوفاق و سقوطه: 1969-1979.
121	8 للحرب الباردة الثانية: 1979-1986.
123	المطلب الثاني: دور السلاح النووي في الحرب الباردة.
124	1 تأثير التطور التقني في السباق نحو التسليح.
126	2 -تطور أهمية السلاح النووي في إطار تطور مراحل الحرب الباردة.
129	المبحث الثاني: التحولات الدولية بعد الحرب الباردة.
129	المطلب الأول: نهاية الحرب الباردة.
130	3 للعوامل الداخلية.

- 4 العوامل الخارجية. ----- 136
- المطلب الثاني: إفرزات نهاية الحرب الباردة على الساحة الدولية. ----- 138
- 1 بروز الاحادية القطبية. ----- 138
- 2 العولمة. ----- 139
- 3 التكتلات الاقتصادية. ----- 141
- 4 تأكيد انقسام العالم إلى شمال و جنوب. ----- 143
- 5 بروز قضايا جديدة على مستوى النظام الدولي. ----- 144
- 6 ظهور دول جديدة. ----- 144
- المبحث الثالث: بروز منطقة جنوب القوقاز بعد الحرب الباردة.** ----- 145
- المطلب الأول: التعريف بدول منطقة جنوب القوقاز. ----- 145
- 4 جمهورية أذربيجان الإسلامية. ----- 145
- 5 -جمهورية أرمينية المسيحية. ----- 151
- 6 جمهورية جورجيا المسيحية. ----- 156
- المطلب الثاني : الواقع الأمني و المعضلة الاثنوسياسية في منطقة جنوب القوقاز. ----- 161
- 3 الصراع الأذربيجاني-الأرمني حول ناجورنو- كاراباخ. ----- 162
- 4 الصراعات الاثنوسياسية في جورجيا. ----- 178
- الفصل الثالث: الاهتمام الروسي الأمريكي بمنطقة جنوب القوقاز.** ----- 193
- المبحث الأول: مصادر الطاقة في حوض بحر قزوين. ----- 193
- المطلب الأول: أهمية نפט بحر قزوين. ----- 196
- 1 - تقديرات حجم الطاقة القزوينية. ----- 196
- 2 - اهتمام شركات النفط العالمية بالمنطقة. ----- 198
- المطلب الثاني: الصعوبات التي تواجه استغلال ثروات بحر قزوين. ----- 200
- 1 - المواصفات التقنية و اللوجيستية للنفط القزويني. ----- 201
- 2 - الوضع القانوني لبحر قزوين. ----- 202
- المطلب الثالث: السياسات النفطية في بحر قزوين. ----- 204
- 1 - تنمية الطاقة و الموقف الأمني في جنوب القوقاز. ----- 204
- 2 - حرب خطوط الأنابيب. ----- 207

المبحث الثاني: أهمية جنوب القوقاز لدول الجوار الإقليمي. ----- 210

المطلب الأول: الاهتمام الروسي بمنطقة جنوب القوقاز باعتبارها " منطقة جوار قريب ". -- 211

4 - تاريخ التواجد الروسي في جنوب القوقاز. ----- 211

5 - المصالح الروسية في جنوب القوقاز. ----- 213

6 - السياسات الروسية في جنوب القوقاز. ----- 218

المطلب الثاني: الاهتمام الإيراني بمنطقة جنوب القوقاز وفكرة الشرق الأوسط الجديد. --- 230

4 - الموقف الإيراني بعد انهيار الإتحاد السوفييتي. ----- 231

5 - الحساسية الإيرانية للنزاع الاثنوسياسي في ناجورنو كاراباخ. ----- 236

6 - الإستراتيجية الإيرانية في تعزيز التعاون الاقتصادي الإقليمي. ----- 240

المطلب الثالث: الاهتمام التركي بمنطقة جنوب القوقاز والمفهوم الطوراني ----- 247

4 - أهمية جنوب القوقاز بالنسبة لتركيا. ----- 247

5 - السياسة التركية في ناجورنو كاراباخ. ----- 249

6 - السياسات التركية اتجاه نفط قزوين. ----- 252

المبحث الثالث: اهتمام دول الجوار البعيد بمنطقة جنوب القوقاز. ----- 255

المطلب الأول: الاهتمام الأوروبي بجنوب القوقاز. ----- 255

4 - المصالح والمشاريع الأوروبية في المنطقة. ----- 256

5 - الإستراتيجية السياسية الأوروبية اتجاه دول جنوب القوقاز. ----- 259

6 - المعوقات و الأخطار التي تواجه التوجهات الأوروبية. ----- 264

المطلب الثاني: الاهتمام الصيني. ----- 265

4 - بروز الصين بعد الحرب الباردة. ----- 265

5 - أهمية امن الطاقة بالنسبة للصين. ----- 267

6 - الإستراتيجية الصينية في جنوب القوقاز. ----- 268

المطلب الثالث : الاهتمام الأميركي بجنوب القوقاز. ----- 272

3 - الملامح المحيطة بالتوجه الأميركي نحو المنطقة. ----- 272

4 - الإستراتيجية الأميركية في المنطقة. ----- 273

الفصل الرابع: التنافس الروسي-الأميركي و اللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز. ----- 277

المبحث الأول: العلاقات الروسية الأمريكية بعد الحرب الباردة. ----- 278

- المطلب الأول: عوامل تطور التنافس الاستراتيجي الروسي الأمريكي بعد الحرب الباردة. -- 279
- 1 - انهيار الاتحاد السوفيتي. ----- 279
- 2 - التقارب الروسي الإيراني. ----- 280
- 3 - الاهتمام الصيني في مجال النفط والتسلح. ----- 281
- 4 - أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. ----- 282
- 5 - القواعد العسكرية الدائمة في أفغانستان. ----- 283
- 6 - التقارب الأمريكي - الأذربيجاني. ----- 283
- 7 - التقارب الروسي - الصيني في إطار منظمة شنغهاي. ----- 284
- المطلب الثاني: العلاقات الروسية الأمريكية بين الشراكة الإستراتيجية والمنافسة الجيوسياسية 286
- 1 - إشكالية العلاقات الروسية - الأمريكية بعد الحرب الباردة. ----- 286
- 2 - تطور السياستين الروسية و الأمريكية بعد الحرب الباردة. ----- 287
- 3 - الملفات المؤدية للصراع في العلاقات الروسية الأمريكية. ----- 291
- المبحث الثاني: اللعبة الكبرى الثانية و الصراع في جنوب القوقاز. ----- 296
- المطلب الأول: الإستراتيجية الروسية. ----- 297
- 1 - التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة. ----- 297
- 2 - تنفيذ الإستراتيجية الروسية في منطقة جنوب القوقاز ----- 311
- المطلب الثاني: الإستراتيجية الأمريكية. ----- 319
- المطلب الثالث: تضارب المصالح بين الإستراتيجيتين الروسية والأميركية. ----- 324
- 1 +الارتباك الروسي اتجاه الاندفاع الأمريكي. ----- 324
- 2 حرب القوقاز و التحول في الإستراتيجية الروسية -----
- 327**
- المبحث الثالث انعكاسات الصراع و سيناريوهات المستقبل. ----- 333
- المطلب الأول: الانعكاسات الداخلية و الخارجية. ----- 334
- 3 تأثير التنافس الدولي على جنوب القوقاز. ----- 334
- 4 - انعكاسات الصراع على الطرفين. ----- 340
- المطلب الثاني: السيناريوهات المستقبلية المحتملة للصراع. ----- 353
- 1 - استمرار الصراع في وضعه الحالي. ----- 356

357	-----	2 - تصعيد وتيرة الصراع و المواجهة.
357	-----	3 - التوافق أو خيار التعاون المشترك.
361	-----	<u>خاتمة.</u>
370	-----	الملاحق
383	-----	قائمة المراجع .

المخلص

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية برزت على مسرح الأحداث العالمي و أصبح لها حضورها في العقدين الأخيرين وهي الصراع الروسي الأمريكي في منطقة جنوب القوقاز, حيث بدأت الدراسة بمحاولة تقديم إطار مفاهيمي نظري عام لظاهرة الصراع الدولي ومن ثمة الانتقال به إلى دراسة الصراع الروسي الأمريكي بصفة خاصة مع إعطاءها بعدا للمقارنة عبر التاريخ, أي أثناء و بعد الحرب الباردة, وما نتج عن نهاية الحرب الباردة من تحولات مست النظام الدولي على المستوى البنيوي و القيمي.

لقد كان من بين ابرز ما نتج عن تفكك الاتحاد السوفياتي بروز منطقة جنوب القوقاز المتكونة من أذربيجان, أرمينيا و جورجيا. و رافق هذا البروز تنامي الأهمية الإستراتيجية لهذه المنطقة من خلال الاستكشافات النفطية في حوض قزوين و محيطه مما زاد من الاهتمام الدولي بها, سواء على المستوى الإقليمي (روسيا, تركيا و إيران), أو الدولي (الولايات المتحدة الأمريكية, الاتحاد الأوروبي و الصين), و ذلك من خلال التنافس على استغلال ثرواتها بما يخدم مصالح القوى الكبرى وفق أجندات محددة خاصة في مجال نقل الطاقة و اشتعال حرب خطوط الأنابيب.

إن ما يعطي منطقة جنوب القوقاز أهميتها الإستراتيجية هو التنافس بين كل من روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية على مناطق النفوذ هناك بصفتها لاعبين أساسيين فيما أطلق عليه اللعبة الكبرى الثانية في جنوب القوقاز. أين اتسم هذا التنافس بصفة التصارع الذي ازدادت حدته مع تزايد أهمية المنطقة جيوسراتيجيا خاصة بعد العودة الروسية إلى الساحة السياسية العالمية ووقوفها في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال استثمار انتصارها في حربها ضد جورجيا عام 2008.

Abstract:

This study is targeting to shed light on a cause which has shown up on the event world scene; it becomes really present in the last two decades. It the Russian-American conflict in the Transcaucasian Region. The present study starts in an attempt to give a general theoretical notional framework of the phenomenon of the international conflict, then we move to study of the Russian-American conflict specifically giving a historical overview, i.e. during and after the Cold War, and the changes which are resulted from the end of it, both in constitution and values.

The dissociation of the Soviet Union has resulted in the emergence of Transcaucasia which is composed of Azerbaijan, Armenia and Georgia. This emergence has been accompanied by the growing strategic importance of the so-called region throughout the oil discovery in Caspian Basin and its surrounding, something which has risen the international interest about it, both regionally (Russia, Turk, Iran) or internationally (United States, European Union, China). They are competing on the exploitation of its resources according to what serves the interests of the Great Forces, and according to defined agendas in the transportation of Energy; they cause the war of Pipe Lines.

What really makes the importance of the Transcaucasian Region is the competition between Russia and United States on the spheres of influence; they are considered as the Biggest Players in what is called the second Great Game in Transcaucasia. This competition has become a conflict of a growing importance as it grows in geostrategic especially after the return of Russia to the political scene of the world; in fact, Russia has become a powerful rival of the United States in this region. It makes use of it victory in the War against Georgia in 2008.

Résumé

Cette étude vise à mettre la lumière sur une cause qui s'est émergée sur la scène des événements mondiale qui tant médiatisée au cours des deux dernières décennies. C'est le conflit russo-américain dans la Transcaucasie. La présente étude commence par une tentative de donner un cadre théorique du phénomène du conflit international, puis nous passons à l'étude du conflit russe-américain en donnant spécifiquement un aperçu historique, c'est-à-dire pendant et après la guerre froide, et les changements qui résultent de la fin de celle-ci, à la fois dans la composition de cette région ainsi qu'aux valeurs y afférent.

La dissociation de l'Union soviétique a entraîné l'émergence de la Transcaucasie comme composée de l'Azerbaïdjan, l'Arménie et la Géorgie. Cette émergence a fait en sorte d'augmenter l'importance stratégique de la dite région notamment après la découverte du pétrole dans le bassin Caspien et ses environs, ce qui a suscité l'intérêt international, tant au niveau régional (Russie, Turc, Iran) que sur le plan international (États-Unis, Union européenne, Chine). Ils rivalisent sur l'exploitation de ses ressources selon ce qui sert les intérêts des grandes forces et selon des agendas définis dans le transport de l'énergie. Ils provoquent alors la guerre de Pipelines.

Ce qui fait vraiment l'importance de la Transcaucasie est la concurrence entre la Russie et les États-Unis sur les sphères d'influence; Ils sont considérés comme les plus grands joueurs dans ce qui est appelé le grand jeu en Caucase. Cette compétition est devenue un conflit d'une importance croissante car elle se développe en géostratégique surtout après le retour de la Russie sur la scène politique du monde; En fait, la Russie est devenue un rival puissant des États-Unis dans cette région. Il fait usage de sa victoire dans la guerre contre la Géorgie en 2008.